خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ

تأليف

الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي

ولد سنة ٨٤٤ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٩٢٢ هـ

طبع على نفقة

المكتبة العلمية

لصاحبها الشيخ محمد سلطان النمنكاني

المدينة المنورة

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ

تأليف

الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي

ولد سنة ٨٤٤ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٩٢٢ هـ

طبع على نفقة

المكتبة العلمية

لصاحبها الشيخ محمد سلطان النمنكاني

المدينة المنورة

طبع في دمشق

سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

اهداء الكتاب

الى حضرة صاحب السمو الملكي أمير منطقة المدينـــة المنورة

الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود

حفظه الله ووفقه الى ما فيه الخير والصلاح

لهذه البـــلدة المقدسة

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشــــر

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد فهـذا كتاب « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى » ﷺ ، نقدمه لمن أراد التعرف إلى مدينة الرسول ﷺ وتاريخها ، وهو كتاب عظيم لا يستغني عنه طالب العلم ، ذكر فيه مؤلفه رحمه الله جميع ما يتعلق بالمدينة المنورة قديماً وحديثاً ، وما طرأ عليها من التغيير والتبديل إلى أواخر القرن التاسع الهجرى . فذكر ماورد في فضلها من الأحـــاديث النبوية ، من مثل قوله ﷺ : إن الايمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ، وأنها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ، وأن من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء ، ثم أبان عن خصائصها ، وما اعترى مسجدها من التطورات والزيادات – وهو المسجد الذي أخرج بنـــاة الحضارة والتقدمية – واستعرض بعض الغزوات التي وقعت فيها ، والشهداء الذين سقطوا على أرضها ، كما ذكر ما يتعلق بآبارها وعيونها وغراسها وأوديتها وأحمائها ، وما جاء في بقاعها وآطامها وجبالها ، مع تعريف كل مكان ، وضبطه لغة ، وتحديد مكانه بوضوح ، بحيث لم يترك شاردة ولا واردة فيما انتهى اليه علمه تتعلق بهـذه المدينة المحروسة إلا ذكرها ، فكان بذلك مرجعاً عظيماً لأخبار دار المصطفى ﷺ .

عملنا في الكتاب :

لقد طبع هذا الكتاب العظيم مرات متعددة ، ولكن في كل هذه الطبعات لم يعط حقه الذي يليق به ، فكان لابد من عرضه على بعض أهل العلم المختصين بالأخبار والتاريخ ، فراجعه أحد أهل العلم بتاريخ المدينة المنورة الشيخ حسب الله المكي رحمه الله ، وعلق عليه بعض الفوائد ، وصوب بعض الكلمات والجمل ، وجعل له مطالب في كثير من المواطن ، ثم راجعه أخيراً قبل البدء بطبعه مراجعة سريعة الخبير بالأماكن في جزيرة العرب وتاريخها وأخبارها ، الأستاذ الفاضل حمد الجاسر ، فاستدرك بعض الشيء على من قبله ، وصحح أسماء بعض الأماكن ، وذكرها بما تعرف عليه اليوم ، خلافاً لما كانت معروفة في زمن المؤلف رحمه الله الذي مضي عليه مئات السنين ، وزمن الشيخ حسب الله المكي الذي مضى عليه عدة سنوات ، فأضاف بذلك فوائد جمة للكتاب ، فشكر الله مسعاه ، ومسعى كل من ساعد على إخراج هذا الكتاب القيم .

هذا وقد أضفنا زيادة في الفائدة ملحقاً لهذا الكتاب ، فذكرنا باختصار بناء المسجد النبوي ومازيد فيه في كل العهود إلى زمننا هـــذا ، وما كان من التوسعة السعودية التي حصلت في زمن الملك عبد العزيز رحمه الله ، وبعض أعمال بلدية المدينة المنورة في السنوات الأخيرة ، وعدد مدارسها التي أنشئت حتى الآن ، وعن الإنارة التي عمت المدينة ، والعين الزرقاء وما كان من مشروع إيصال مياهها إلى جميع المواطنين .

والله تعالى نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الناشر

دمشق ١٥ شوال ١٣٩٢ هـ

الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ الفاضل : حمد الجاسر

هيأ الله عز وجل لمدينة المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام من العلماء من دوّن تاريخها ، وأوضح معالمها ، وتعمق في دراسة آثارها حتى بينها منذ القرن الثاني الهجري الى زماننا الحاضر .

ويعتبر الامام علي بن عبد الله بن احمد السمهودي من اعظم مؤرخي طيبة الطيبة ، بل هو اعظم من وصلت إلينا مؤلفاته منهم .

والامام السمهودي ولد في سمهود من قرى صعيد مصر في شهر صفر سنة ٨٤٤ هـ وتعلم في القاهرة ، وفي سنة ٨٧٣ هـ انتقل الى المدينة فاستوطنها واتصل بعلماء الحرمين الشريفين وبغيرهم من علماء عصره ، وقويت صلته بحكام مصر ، وخاصة الملك قايتباي الذي لقي منه حظوة وعناية ، واستطاع بواسطته عمل اشياء كثيرة في المدينة المنورة .

وللسمهودي مؤلفات من اشهرها « وفاء الوفاء » و « خلاصة الوفاء » . وهو في هذين الكتابين لم يترك شاردة ولا واردة تتصل بالمدينة المنورة مما وصل إليه علمه إلا ذكرها ، بحيث اصبح كتاب « الوفاء » يعتبر خلاصة

ما الفه المتقدمون في تاريخ المدينة باستثناء تراجم اعيانها ، ولا نستبعد ان يكون الف لذلك كتاباً مفرداً في ذلك ، وقد توفي السمهودي رحمه الله في شهر ذي القعدة سنة ٩٢٢ هـ .

ولئن كان السمهودي أجزل الله مثوبته قد أفرغ الجهد في تاريخ طيبة الطيبة محبة لها واحتساباً ، فان الله سبحانه وتعالى قد يسر لمؤلفاته من احياها بالنشر ، فقد طبع الكتابان منذ أمد بعيد طبعاً سقيماً ، فرأى الأستاذ الشيخ محمد سلطان النمنكاني ضرورة إعادة طبعها ، فطبع « وفاء الوفاء » منذ ثماني عشرة سنة ، وهو يزمع الآن على إعادة طبعه اكثر صحة وتحقيقاً وملائمة لطريقة النشر الصحيحة في هذا العهد ، وها هو الآن يعيد طبع كتاب « الخلاصة » مضيفاً اليه حواشي لبعض العلماء .

وقد رغب ان القي على الكتاب نظرة سريعة خلال ليلتين ، فكان أن أضفت بعض التعليقات التي رايت ضرورة إضافتها ، وإنني أبتهل الى الله تعالى ان يوفق الشيخ النمنكاني للاسهام في ابراز تاريخ طيبة ابرازاً يتلاءم مع مكانتها السامية في نفوس المسلمين ، راجياً ان ينال هذا الكتاب وغيره من المؤلفات التي تتعلق بتاريخ بلادنا « مبعث النور » و « مصدر الاشعاع » من الرواج ما يكون عوناً لكل مسهم في سبيل احياء تراثنا العلمي ، والله الموفق للسداد .

غرة رجب ١٣٩٢هـ / ١٠ آب ١٩٧٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف طابة ، وشوق القلوب لسماع أخبارها المستطابة ، واختارها لحبيبه الذي اجتباه وعظم جنابه ﷺ وعلى جميع الآل والصحابة .

وبعد : فقد شغفت بأخبار الحبيبة المحبة ، ونشر فضائلها ومعالمها في ذوي المحبة ، إذ هو من مهمات الدين ، ومما يزيد في الايمان واليقين ، لما فيه من معرفة معاهد دار الايمان ، ونشر أعلامها المرغمة للشيطان ، وتذكر أيامها الواضحة التبيان ، فألفت في ذلك كتاباً حافلاسميته «الوفا بأخبار دار المصطفى» ﷺ لخصت فيه ما أمكن الوقوف عليه من تواريخها، بعد بذل الجهد في تتبعها ، مع مزيد كثير من غيرها ، وما عاينته مما يتعلق بالحجرة والمسجد الشريفين من أمور لم يظفر أحد من مؤرخيها بجلية أمرها ، لما تجدد في زماننا من أمور ستقف على خبرها ، ولله در القائل :

أمليالي حديث من سكن الجز ع ولا تكتباه إلا بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي [1]

ثم اختصرته قبل إتمامه ، وتكامل أقسامه ، في كتاب سميته « وفاء الوفا » فلم تسمح النفس حالة اختصاره واجتناء ثماره بحذف شيء منه سوى قسم التراجم والنزر اليسير من غيره ، ثم جرى التقدير الإلهي في سيره باحتراق الأصل في حريق المسجد النبوي ، وسلامة مختصره لسفري به الى الحرم المكي ، فألحقت فيه نفائس

(١) هذان البيتان للشريف الرضي ورواية الشطر الاول من البيت الاول في الديوان

واستملا حديث من سكن الخيـ ف ولا تكتباه إلا بدمعي

جمة ، وما تجدد من الحريق وما ترتب عليه من الامور المهمة ، فأغنى فيما عدا التراجم عن تواريخ البلد ، ولم تغن هي عنه ، إلا أن يكون لها منه مدد .

ثم رأيت اختصاره في نحو نصفه مع جمع مقاصده ، وتحسين وصفه ، وسميته « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى » صلى الله وسلم عليه ، وزاده فضلا وشرفاً لديه ، ورتبته على ثمانية أبواب :

الباب الأول : في فضلها ومتعلقاتها ، وفيه عشرة فصول :

الأول : في أسمائها .

الثاني : في تفضيلها على البلاد .

الثالث : في الحث على الاقامة ، والصبر والموت بها ، واتخاذ الأصل ، ونفيها الخبث والذنوب ، ووعيد من أحدث بها حدثاً أو آوى محدثاً ، أو أرادها وأهلها بسوء أو أخافهم ، والوصية بهم .

الرابع : في الدعاء لها ولأهلها ، ونقل وبائها وعصمتها من الدجال والطاعون .

الخامس . في ترابها وثمرها .

السادس : في تحريمها ، والألفاظ المتعلقة به ، وسر تخصيص ذلك المقدار بالتحريم .

السابع : في أحكام حرمها .

الثامن : في خصائصها .

التاسع : في بدء شأنها ، وما يؤول اليه أمرها ، وما وقع من ذلك .

العاشر : في ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرضها ، وانطفائها عند وصولها لحرمها .

الباب الثاني : في فضل الزيارة والمسجد النبوي ومتعلقاتهما ، وفيه ثلاثة فصول .

الاول : في فضل الزيارة وتأكدها ، وصحة نذرها ، وشد الرحال لها ، وحكم الاستئجار عليها .

الثاني : في توسل الزائر به ﷺ الى ربه ، واستقباله له في سلامه ودعائه ، وآداب الزيارة والمجاورة .

الثالث : في فضل المسجد النبوي وروضته ومنبره .

الباب الثالث : في أخبار سكانها الى أن حل النبي ﷺ بها وسكنها ، وفيه أربعة فصول .

الاول : في سكانها بعد الطوفان ، وسكنى اليهود بها ، ثم الانصار ، وبيان نسبهم ، وظهورهم على اليهود ، وما اتفق لهم مع تبع .

الثاني : في منازلهم ، وما دخل بينهم من الحروب .

الثالث : في إكرام الله لهم بالنبي ﷺ ومبايعتهم له بالعقبة الاولى والثانية، وهجرته ﷺ ، ونزوله بقباء .

الرابع : في قدومه باطن المدينة ، ونزوله بدار أبي أيوب ، وشيء من خبره بها في سني الهجرة .

الباب الرابع : في عمارة مسجدها الأعظم النبوي ، ومتعلقاته ، والحجرات المنيفة ، وفيه ستة عشر فصلا .

الاول : في عمارته ﷺ له ، وذرعه في زمنه ، وما يتميز به .

الثاني : في مقامه للصلاة قبل تحويل القبلة ، وبعده ، وما يتعلق به .

الثالث : في خبر الجذع والمنبر ، وما يتعلق بهما وبالأساطين المنيفة .

الرابع : في حجره ﷺ وحجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها .

الخامس : في الأمر بسد الابواب ، وما استثني منها .

السادس : في زيادة عمر رضي عنه في المسجد ، واتخاذه البطيحاء بناحيته .

السابع : في زيادة عثمان رضي الله عنه ، واتخاذه المقصورة .

الثامن : في زيادة الوليد واتخاذه المحراب ، والشرفات والمنارات ، والمنع من الصلاة على الجنائز به زمنه .

التاسع : في زيادة المهدي .

العاشر : فيما يتعلق بالحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة والحائز الذي أدير ، وصفة القبور الشريفة بها .

الحادي عشر : فيما جعل علامة لتمييز جهتي الرأس والوجه الشريفين ، ومقام جبريل من الحجرة الشريفة ، وتأزيرها بالرخام ، وكسوتها وتخليقها ومعاليقها والمقصورة التي أديرت عليها ، وقبتها المحاذية لها بأعلى سطح المسجد .

الثاني عشر : في العمارة المتجددة بالحجرة الشريفة ، وإبدال سقفها بقبة لطيفة تحت سقف المسجد ، ومشاهدة وضعها ، وتصوير مااستقر عليه أمرها ، وفيه خاتمة فيما نقل من عمل خندق مملوء من الرصاص حولها ، وبعدها قصة الحاكم في نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ، وبعدها قصة أهل حلب في إخراج الشيخين من الحجرة .

الثالث عشر : في الحريق الاول المستولي على الزخارف السابقة ، وعلى سقف المسجد الشريف ، وماأعيد من ذلك ، ثم الحريق الثاني وماترتب عليه .

الرابع عشر : فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة والأساطين والذرع والحواصل ونحوها وتحصيبه ومصابيحه وتخليقه وإجماره .

الخامس عشر : في أبوابه وخوخاته ، ومايميزها من الدور المحاذية لها ، وشرح حال الدور المطيفة به .

السادس عشر : في البلاط المجعول حوله وبعض ماأطاف به من دور المهاجرين وسوق المدينة وسورها .

الباب الخامس : في مصلى الأعياد بها ، ومساجدها النبوية ، ومقابرها ، وفضل أحد والشهداء به ، وفيه ستة فصول :

الاول : في مصلى الاعياد .

الثاني : في مسجد قباء وخبر مسجد الضرار .

الثالث : في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا .

الرابع : فيما علمت جهته ولم تعلم عينه .

الخامس: في فضل مقابرها، وتعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت، والمشاهد المعروفة بها .

السادس : في فضل أحد والشهداء به .

الباب السادس : في آبارها المباركات ، والعين ، والغراس ، والصدقات التي هي للنبي ﷺ منسوبات ، وفيه فصلان .

الاول: في الآبار المباركات على ترتيب الحروف ، وفيه تتمة في العين المنسوبة له ﷺ والعين الموجودة اليوم .

الثاني :في صدقاته ﷺ وما غرسه بيده الشريفة .

الباب السابع : فيما يعزى اليه ﷺ من المساجد التي صلى فيها في الأسفار والغزوات، وفيه ثلاثة فصول :

الاول : في مساجد الطريق التي كان يسلكها ﷺ الى مكة في الحج وغيره .

الثاني : فيما كان من ذلك بالطريق التي يسلكها الحاج في زماننا الى مكة وطريق المشيان وماقرب من ذلك .

الثالث : في بقية المساجد المتعلقة بغزواته ﷺ وعمره .

الباب الثامن : في أوديتها ، وأحمائها ، وبقاعها ، وآطامها ، وبعض أعمالها ، وجبالها وفيه أربعة فصول .

الاول : في وادي العقيق وعرصته وحدوده وشيء من قصوره ، وشيء مما قيل فيذلك من الشعر ، ومتعلقات ذلك .

الثاني :في بقية أوديتها .

الثالث : في الأحماء ومن حماها ، وشرح حال حمى النبي ﷺ بالنقيع.

الرابع : في بقاعها وآطامها ، وبعض أعمالها ، وأعراصها ، وجبالها ، وضبط الأسماء المتعلقة بذلك وبغيره مما تمس الحاجة اليه على ترتيب حروف الهجاء ، وبالله لاسواه أعتصم ، وأسأله العصمة مما يصم ، فهو حسبي ونعم الوكيل .

الباب الأوّل

في فضلها ومتعلقاتها وفيه عشرة فصول

الفصل الاول : في أسمائها .

هي كثيرة، وقد ذكرتها مرتبة على حروف المعجم الاول فالاول مستقصاة ، لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ، وزدت على شيخ مشايخنا المجد اللغوي أسماء مميزة برقم (ز) فبلغت خمسة وتسعين اسماً .

(أثوب) بالفتح وإسكان المثلثة وكسر الراء ثم موحدة ، لغة في « يثرب » اسم من سكنها أولاً ، سميت به أرض المدينة كلها عند أبي عبيدة ، أوهي فقط عند ابن عباس ، او ناحية منها ، لقول محمد بن الحسن (١) المعروف بابن زبالة (٢) أحد اصحاب مالك ، وكانت يثرب أم قرى المدينة ، وهي مابين طرف قناة الى طرف الجرف ، أي من المشرق الى المغرب ، ومابين المال الذي يقال له : البرقى الى زبالة ، اي من الشام الى القبلة ، زاد المطري في النقل عنه : وكان بها ثلثمائة صائغ من يهود ، وذلك إنما ذكره ابن زبالة في « زهره » والجهة التي سماها « بيثرب » مشهورة اليوم بهذا الاسم ، شامي المدينة ، بها نخل غربي مشهد سيدنا حمزة ،وشرقي الموضع المعروف « بالبركة » مصرف عين الازرق ، وربما قالوا فيها : أثارب ،

---

(١) هو من المحدثين .

(٢) زبالة كسحابة .

وبه عبر البرهان بن فرحون في « منسكه » قال المطري : وكانت منازل بني حارثة ، وفيهم نزل قوله تعالى في يوم الاحزاب (واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب...) الآية [الأحزاب ١٣] فيترجح به القول الثالث ، وذلك ان قريشاً ومن معهم نزلوا يوم الاحزاب ويوم أحد « برومة » وما والاها ، قرب منازل بني حارثة من الاوس ، وبني سلمة من الخزرج ، وكان الفريقان معه ﷺ ،ولذلك خافوا على ذراريهم وديارهم يوم أحد ، فنزل فيها (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليها) [آل عمران : ١٢٢] قال عقلاؤهم : ماكرهنا نزولها لتولي الله إيانا اهـ وفيه نظر سنبينه . وقيل : القائل لبني حارثة : (ياأهل يثرب لامقام لكم) أوس بن قيظي ومن معه ، نعم يرجح الثالث قول عمر بن شبة النميري ، قال أبو غسان : وكان بالمدينة في الجاهلية سوق « بزبالة » في الناحية التي تدعى « يثرب » .

(قلت) : وإطلاقه على المدينة مع ذلك صحيح ثابت ، إما وضعاً لها ،او من إطلاق اسم البعض على الكل ، والمشتهر من باب عكسه ، وروى ابن شبة نهيه ﷺ عن تسمية المدينـــة يثرب [فقال : « من سمى المدينة يثرب »]فليستغفر الله ، هي طابة » ومافي الآية السابقة حكاية عن المنافقين ، ولذا قال عيسى بن دينار المالكي : من سماها يثرب كتبت عليه خطيئة ، وكرهه بعضهم ، إما لانه من الثرب محركاً وهو الفساد ، او من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب والتوبيخ عليه ، او لكونـه اسم كافر ، لكن في « الصحيحين » في حديث الهجرة « فـإذا هي المدينة يثرب » وفي رواية:« لا أراها يثرب » وقد يجاب بأنه قبل النهي .

ز (أرض الله) لقوله تعالى : (ألم تكنْ أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها) [النساء : ٩٧] . قال جماعة : المراد : المدينة أرض الهجرة ، لحديث فيه .

ز (أكالة البلدان).

ز (أكالة القرى) لحديث : « أمرت بقرية تأكل القرى » أي لغلبتها الجميع

فضلا وتسلطها وافتتاحها بأيدي أهلها فغنموها وأكلوها .

ز (الإيمان) لقوله تعالى في الأنصار : (والذين تبوؤا الدار والإيمان) [الحشر : ٩] ، قال عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر : سمى الله المدينة الدار والإيمان ، أي لأنها مظهر الإيمان ومصيره ، وعن أنس بن مالك : أن ملك الإيمان قال : أنا أسكن المدينة ، فقال ملك الحياء : وأنا معك .

ز (البارّة) بالتشديد أيضاً لكثرة برها لأهلها خصوصاً ، ولجميع العالم عموماً ، إذ بها منبع الفيض والبركات .

(البحرة) بالفتح وسكون المهملة .

(البحيرة) تصغير ما قبله .

ز (البحيرة) بالفتح ثم الكسر ، نقلت ثلاثتها عن منتخب كراع ، والاستبحار : السعة لأنها من المتسع من الأرض ، وقول سعد : لقد اصطلح أهل هذه البحيرة بالتصغير في رواية « الصحيح » يعني المدينة . قال عياض : ويروى بالفتح على غير التصغير ، ويقال : البحر أيضاً بغير ياء ساكن الحاء ، وأصله : القرى ، وكل قرية بحرة اهـ .

ز (البلاط) جاء عن ابن خالويه لكثرته بها واشتمالها على موضع يعرف به .

ز (البلد) قال الله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد) [البلد : ١] ، قيل : المدينة ، وقيل : مكة[١] والبلد لغة : الصدر والقرية .

ز (بيت الرسول ﷺ) قال الله تعالى : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) [الأنفال : ٥] ، أي : المدينة لاختصاصها به اختصاص البيت بساكنه ، وقيل : من بيته بها .

ز (تندد) بالمثناة الفوقية والنون وإهمال الدالين كجعفر .

ز (تندر) براء بدل الدال الأخيرة كما سيأتي في « يندر » بالمثناة التحتية .

---

(١) وهو الصواب .

(الجابرة) كما في حديث :« للمدينة عشرة أسماء » لجبرها الكثير ، وإغنائها الفقير ، وتجبر على الإذعان لمطالعة بركاتها ، وجبرت البلاد على الإسلام .

ز (جبار) كحذام ، رواه ابن شبة بدل الجابرة في حديثه .

ز (الجبارة) نقل عن التوراة .

ز (جزيرة العرب) لقول بعضهم : إنها المرادة بحديث « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وسيأتي أنه ﷺ التفت الى المدينة ، وقال : « إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك » .

(الحبيبة) لحبه ﷺ لها ودعائه به .

(الحرم) لتحريمها ، وفي الحديث « المدينة حرم » وفي رواية « حرم آمن » .

(حرم رسول الله ﷺ) لأنه الذي حرمها . وفي الحديث « من أخاف أهل حرمي أخافه الله » وفي آخر « حرم إبراهيم مكة ، وحرمي المدينة » رواه الطبراني برجال وثقوا .

ز (حسنة) قال تعالى : (لنُبوِّأنَّهم في الدُّنيا حسنةً) [النحل : ٤١] أي مباءة حسنة ، وهي المدينة . وقيل : هو اسمها لاشتمالها على الحسن الحسي والمعنوي .

(الخيّرة) بالتشديد .

(الخيرة) بالتخفيف ، تقول : امرأة خيرة وخيرة ، بمعنى : كثيرة الخير ، وإذا أردت التفضيل قلت : خير الناس ، وفي الحديث « المدينة خير لهم » .

(الدار) كما سبق في الإيمان ، لأمنها والاستقرار بها ، وجمعها البناء والعرصة .

ز (دار الأبرار دار الاخيار) لانها دار المختار والمهاجرين والانصار ، وتنفي شرارها ومن أقام بها منهم فليست له في الحقيقة بدار ، وربما نقل منها بعد الإقبار .

ز (دار الإيمان) كما في حديث « المدينة قبة الاسلام ، ودار الإيمان » وحديث « الإيمان يأرز الى المدينة » .

ز (دار السنة دار السلام دار الفتح) ففي « الصحيح » قول عبد الرحمن ابن عوف : فإنها دار الهجرة والسنة . ورواية الكشميهني : والسلامة ، وقد فتحت منها سائر الامصار ، وإليها هجرة المختار ، ومنها انتشرت السنة في الاقطار .

ز (الدرع الحصينة) لحديث أحمد برجال الصحيح : رأيت كأني في درع حصينة ، وفيه : فأولت الدرع الحصينة المدينة .

ز (ذات الحجر) لاشتمالها عليها .

ز (ذات الحرار) لكثرتها بها .

ز (ذات النخل) لوصفها بذلك ، وبما قبله في خبر خنافر مع رئيه ، وفي سجع عمران ، فليلتحق بيثرب ذات النخل . وفي الحديث « أريت دار هجرتي ذات نخل وحرة .

(السلقة) نقله الأقشهري عن التوراة ، وهو محتمل لفتح اللام وكسرها وسكونها ، إذ السلق بالتحريك : القاع الصفصف ، والمسلاق : البليغ ، وربما قيل للمرأة السليطة : سلقة بالكسر ، وسلقت البيض سلقاً : أغليته بالنار ، فسميت به لاتساعها وتباعد جبالها ، أو لتسلطها على البلاد فتحاً ، أو للأوائها وشدة حرها وما كان بها من الحمى .

ز (سيدة البلدان) لما أسنده الديلمي من « المعرفة » لأبي نعيم عن ابن عمر مرفوعاً « يا طيبة يا سيدة البلدان » قاله للمدينة .

ز (الشافية) لحديث « ترابها شفاء من كل داء » ولما صح من الاستشفاء بثمارها ، وذكر ابن مسدي الاستشفاء بتعليق اسمائها على المحموم ، وسيأتي أنها تنفي الذنوب فتشفى من دائها .

(طابة) كشامة (طيبة) كهيبة (طيّبة) كصيّبة .

ز (طائب) ككاتب ، والاربعة مع (المطيبة) أخوات لفظاً ومعنى ، مختلفات صيغة ومبنى ، وصح حديث « إن الله سمى المدينة طابة » وفي حديث

« كانوا يسمون المدينة يثرب ، فسماهـا رسول الله ﷺ طيبة » وفي حديث « للمدينة عشرة أسماء ، هي : المدينة ، وطيبة ، وطابـة » وروى طائب بدل طيبة . وعن وهب بن منبه : والله إن أسماءها في كتاب الله ، يعني التوراة طيبة وطابة ، ونقل عنها أيضاً طائب ، والطيبة ، وكذا المطيبة ، وذلك لطيب رائحتها ، وأمورها كلها ، ولطهارتها من الشرك ، وموافقتهـا ، وحلول الطيب بها ﷺ ، ولكونها تنفي خبثها ، وينصع طيبها . قال الإشبيلي : لتربة المدينة نفحة ليس كما أعهد من الطيب ، بل هو أعجب من الأعاجيب .

ز (ظبابا) ذكره ياقوت ، وهو بكسر المهملة بمعنى : القطعة المستطيلة من الأرض ، أو فتح المعجمة من ظب وظبظب : إذا حم ، لما كان بها من الحمى .

(العاصمة) : لعصمتها المهاجرين من المشركين ، ولأنها الدرع الحصينة ، أو هو بمعنى المعصومة ، فلا يدخلنها الدجـال ، ولا الطاعون ، ومن أرادهـا بسوء أذابه الله .

(العذراء) : بالمهملة ثم المعجمة نقل عن التوراة لصعوبتها وامتناعها على الأعداء حتى تسلمها مالكها الحقيقي ﷺ .

ز (العرّاء) بمهملتين كالعذراء لعدم ارتفاع أبنيتها في السماء . يقال : جارية عذراء ، وعرّاء ، تشبيهاً بالناقة العراء التي لا سنام لها أو صغر سنامها ، كصغر نهد العذراء أو عدمه .

(العروض) : كصبور ، لانخفاض مواضع منها ، ومسايل أودية فيها ، أو لأنها من نجد ، ونجد كلها على خط مستقيم طولاني ، والمدينة معترضة عنها ناحية .

(الغراء) : بالمعجمة : تأنيث الأغر . الغرة : وهي بياض في مقدم الوجه ، وخيار الشيء ، ووجه الانسان ، والأغر : الأبيض ، والذي أخذت اللحية وجهه إلا القليل ، والرجل الكريم ، واليوم الشديد الحر ، والغراء : نبت طيب الرائحة ،

والسيدة الكبيرة ، وقد سادت المدينة على القرى وطاب ريحها في الورى وكرم أهلها وكثر غرسها وابيض نورها وسطع نورها .

ز (غلبة) : محركة بمعنى الغلب لظهورها على البلاد ، وكانت في الجاهلية تدعى : غلبة ، نزلت يهود بها على العماليق فغلبتهم عليها ، ونزلت الأوس والخزرج على يهود فغلبوهم عليها .

ز (الفاضحة) : بالفاء ومعجمة ثم مهملة : نقل عن كراع ، إذ لا يضمر بها أحد عقيدة فاسدة أو غيرها إلا أظهر ما أضمره ، وافتضح به ، وهو أحد معاني « تنفي خبثها » .

ز (القاصمة) : بقاف ثم مهملة : نقل عن التوراة ، لقصمها كل جبار عناها ، ومتمرد أتاها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله .

ز (قبة الإسلام) : لحديث « المدينة قبة الإسلام » .

ز (القرية) لحديث « إن الله قد طهر هذه القرية من الشرك إن لم تضلهم النجوم » .

(قرية الأنصار) : جمع ناصر : الأوس والخزرج ، سماهم الله ورسوله به لإيوائهم ونصرهم . قال الله تعالى : (والذين آووا ونصروا) [الأنفال : ٧٢ ٧٤] وقيل لأنس بن مالك : أرأيتم اسم الأنصار ؛ كنتم تسمون به ؟ أم سماكم الله ؟ قالوا : بل سمانا الله به ، والقرية بفتح القاف وكسرها : ما تجمع جماعة كثيرة من الناس ، من قريت الماء في الحوض : إذا جمعته . وقيل : المصر الجامع .

ز (قرية رسول الله ﷺ) لحديث الطبراني وغيره برجال ثقات « ثم يسير » يعني الدجال « حتى يأتي المدينة ، ولا يؤذن له فيها ، فيقول : هذه قرية ذاك الرجل » .

ز (قلب الإيمان) : أورده ابن الجوزي في حديث « المدينة قبة الإسلام » .

ز (المؤمنة) لتصديقها بالله حقيقة لخلقه قابلية ذلك فيها ، كما في تسبيح الحصى ، أو مجازاً لاتصاف أهلها به ، وانتشاره منها ، واشتمالها على أوصاف المؤمن ، أو لإدخالها أهلها في الأمن من الأعداء ، والطاعون ، والدجال ، وفي خبر « والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة » وفي آخر : « إنها لمكتوبة في التوراة مؤمنة » .

ز (المباركة) : لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه ﷺ لها وحلوله فيها .

ز (مبوأ الحلال والحرام) : رواه الطبراني في حديث : « المدينة قبة الإسلام » . والتبوء : التمكن والاستقرار لأنها محل تمكن هذين الحكمين واستقرارهما .

ز (مبين الحلال والحرام) : رواه ابن الجوزي وغيره بدل الذي قبله في الحديث المتقدم لأنها محل بيانهما .

(المجبورة) : بالجيم ، ذكر في حديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، ونقل عن الكتب المتقدمة لجبرها بخلاصة الوجود حياً وميتاً ، وبجبّه على سكناها ، وبنقل حماها ، وتكرر دعائه لها .

(المحبة) : بالضم والمهملة وتشديد الموحدة ، نقل عن الكتب المتقدمة .

(المحببة) : بزيادة موحدة على ما قبله .

(المحبوبة) : نقل عن الكتب المتقدمة أيضاً ، وهذه الثلاثة مع الحبيبة من مادة واحدة ، وحبه ﷺ لها ودعاؤه به معلوم وحبه تابع لحب ربه .

ز (المحبورة) : من الحبر ، وهو السرور ، أو من الحبرة بمعنى : النعمة ، أو المبالغة فيما وصف بجميل ، والمحبار من الارض : السريعة النبات ، الكثيرة الخيرات .

ز (المحرمة) لتحريمها .

ز (المحروسة) : لحديث : « المدينة مشتبكة بالملائكة ، على كل نقب ملك يحرسها » رواه الجنيدي .

ز (المحفوفة) : حفت بالبركات ، وملائكة السموات . وفي خبر سيأتي : « المدينة ومكة محفوفان بالملائكة » .

ز (المحفوظة) : لحفظها عن الطاعون والدجال وغيرهما . وفي خبر : « القرى المحفوظة أربع » ، وذكر المدينة منها .

ز (المختارة) : لان الله تعالى اختارها للمختار من خلقه .

ز (مدخل الصدق) : قال الله تعالى : (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ...) ، الآية [الإسراء : ٨٠] فمدخل صدق : المدينة ، ومخرج صدق : مكة ، ، كما روي عن زيد بن أسلم .

(المدينة) : لتكرره في القرآن ، ونقل عن التوراة من مدن بالمكان : أقام به ، أو من دان : إذا أطاع ، إذ يطاع السلطان بالمدينة لسكناه بها ، وهي أبيات كثيرة تجاوز حد القرى ، ولم تبلغ حد الأمصار . وقيل : يقال لكل مصر ، ويطلق على أماكن كثيرة ، ومع ذلك فهو علم للمدينة النبوية بحيث إذا أطلق لا يتناول غيرها ، ولا يستعمل فيها إلا معرفة ، والنكرة اسم لكل مدينة ، ونسبوا لكل مديني ، وللمدينة النبوية : مدني للفرق .

(مدينة الرسول ﷺ) : لقوله في حديث للطبراني : « ومن أحدث في مدينتي هذه حدثاً ، أو آوى محدثاً ... الحديث » ، فأضافها إليه لسكناه بها ، وله ولخلفائه دانت الأمم .

(المرحومة) : نقل عن التوراة لأنها رحمت بالمبعوث رحمة ، وبها تتنزل الرحمات .

ز (المرزوقة) : كما سبق ، أو المرزوق أهلها ، ولا يخرج أحد منها رغبة إلا أبدل الله خيراً منه .

ز (مسجد الأقصى) : نقله التادلي عن صاحب « المطالع » ، ولعله لكونه آخر مساجد الأنبياء .

(المسكينة) : نقل عن التوراة ، وذكر في حديث : « للمدينة عشرة أسماء » ، وروي مرفوعاً : « أن الله قال للمدينة : يا طيبة ، يا طابة ، يا مسكينة لا تقبلي الكنوز ، أرفع أحاجيرك[1] على أحاجير القرى » . والأحاجير : السطوح[2] والمسكنة : الخضوع والخشوع خلقه الله فيها ، أو هي مسكن الخاشعين الخاضعين .

ز (المسلمة) : كالمؤمنة لخلق الله فيها الانقياد والانقطاع له ، أو لانقياد أهلها وفتحها بالقرآن .

ز (مضجع رسول الله) ﷺ : لقوله في الحديث الآتي : « المدينة مهاجري ومضجعي في الأرض » .

(المطيبة) .

ز (كالمرجَّبة) : تقدم في « طائب » .

ز (المقدسة) : لتنزهها عن الشرك ، وكونها تنفي الذنوب .

ز (المقر) : بالقاف كالممر ، ذكره بعضهم .

ز (المكتان) : قال سعد بن أبي سرح في حصار عثمان رضي الله عنه :

وأنصارنا بالمكتين قليل

وقال نصر بن حجاج بعد نفيه من المدينة :

فأصبحت منفياً على غير ريبة وقد كان لي بالمكّتين ُمقامُ

فالظاهر إرادة المدينة فقط ، لانضمام المهاجرين الى الأنصار بها ، أو أنه من قبيل التغليب ، والمراد : مكة والمدينة .

ز (المكينة) : لتمكنها في المكانة والمنزلة .

---

(١) صوابه : أجاجيرك بالجيمين لأنه هو في « لسان العرب » وهو لغة الانصار ، وأما بالحاء فلا وجود له في لغة العرب بمعنى السطوح .

(٢) وهي إجار ، بهمزة مكسورة فجيم مشددة ، وفي الحديث « من بات على إجار ليس حوله مايرد قدميه ، فقد برئت منه الذمة » .

ز (مهاجر رسول الله ﷺ) : لقوله : « المدينة مهاجري » .

(الموفية) : بتشديد الفاء وتخفيفها ، لتوفيتها حق الوافدين حساً ومعنى ، وأهلها الموفون بالعهد .

ز (الناجية) : بالجيم ، لنجاتها من العتاة ، والطاعون ، والدجال ، أو لإسراعها في الخيرات ، فحازت أشرف المخلوقات ، أو لارتفاع شأنها .

ز (نبلاء) : نقل عن كراع ، وكأنه من النبل ، وهو الفضل والنجابة .

ز (النحر) : من نحر الظهيرة ، لشدة حرها ، أو لإطلاقه على الأصل ، وهي أصل بلاد الإسلام .

ز (الهذراء) : ذكره ابن النجار بدل « العذراء » نقلاً عن التوراة ، فإن كانت الذال معجمة وهي الرواية ، فذلك لشدة حرها . يقال : هاذر شديد الحر ، أو لكثرة مياهها وأصوات سوانيها ، يقال : هذر : اذا كثر ، وإن كانت مهملة ، فهو من هدر الحمام : إذا صوت ، والماء انصب ، وأرض هادرة : كثيرة النبات .

(يترب) : تقدم في أثرب ، والتي في قول الشاعر :

مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقيل : يثرب : المدينة ، وعرقوب : من قدماء يهودها ، أو من الأوس . وقيل بمثناة فوقية بدل المثلثة وراء مفتوحة : قرية باليمامة ، أو بلاد بني سعد من تميم ، وعرقوب منهم ، أو عماليق اليمامة .

ز (يندد) : ذكره كراع من الند : الطيب المعروف ، أو الند للتل : المرتفع ، أو من الناد ، وهو الرزق .

(يندر) : كحيدر براء بدل الدال الثانية مما قبله ، كذا في حديث « للمدينة عشرة أسماء » في بعض الكتب ، وفي بعضها بمثناة فوقية ودالين ، وفي بعضها بفوقية ودال وراء ، وصوب المجد « يندد » فقط بالتحية ودالين ، وفيه نظر ، والحديث رواه ابن

«بازلة » كذلك ، إلا أنه سردها تسعة ، رواه ابن شبة وسردها ثمانية ، فحذف منها الدار ، ثم روى عن ابن جعفر تسميتها بالدار والايمان ، ثم قال : فالله أعلم أهما تمام العشرة ، أم لا ؟ اهـ .

وعن الدراوردي بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً.

الباب الثاني

في تفضيلها على البلاد

نقل عياض وقبله أبو الوليد الناجي وغيرهما بالاجماع على تفضيل ماضم الاعضاء الشريفة ، حتى على الكعبة ، كما قاله ابن عساكر في « تحفته » وغيره ، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش ، وصرح التاج الفاكهي بتفضيلها على السموات ، قال : بل الظاهر المتعين تفضيل جميع الارض على السماء لحلوله ﷺ بها ، وحكاه بعضهم عن الاكثرين ، لخلق الانبياء منها ، ودفنهم بها ، لكن قال النووي : إن الجمهور على تفضيل السماء على الارض ، أي ماعدا ماضم الاعضاء الشريفة ، وأجمعوا بعد ذلك على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا فيها ، فذهب عمر بن الخطاب ، وبعض الصحابة ، وأكثر المدنيين ، كما مال عياض الى تفضيل المدينة ، وهو مذهب مالك ، واحدى الروايتين عن احمد ، والخلاف فيما عدا الكعبة ، فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقاً .

وقال ابن عبد السلام : معنى التفضيل بين مكة والمدينة : ان ثواب العمل في إحداهما أكثر من ثواب العمل في الاخرى ، وكذا التفضيل في الأزمان وموضع القبر الشريف لايمكن العمل فيه ، فيشكل قول عياض : إنه أفضل إجماعاً .

وأجاب بعضهم بأن التفضيل في ذلك للمجاورة ، ولذا حرم على المحدث مس جلد المصحف ، لا لكثرة الثواب ، والا فلا يكون جلد المصحف ، بل ولاالمصحف أفضل من غيره ، لتعذر العمل فيه .

وقال التقي السبكي : قد يكون التفضيل بكثرة الثواب ، وقد يكون لامر

آخر وإن لم يكن عمل ، فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ، وله عند الله من المحبة ، ولساكنه ماتقصر العقول عنه ، فكيف لايكون أفضل الامكنة ؟

وايضاً فباعتبار ماقيل : إن كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه ، وقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باعتبار حياته ﷺ به ، وإن أعماله مضاعفة اكثر من كل أحد .

قلت : والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة ، وهي غير متناهية ، لدوام ترقياته ﷺ ، فهو منبع الخيرات ، والكعبة عند من منع الصلاة فيها لايصح القول بتفضيل المسجد حولها عليها ، لانه محل العمل جزماً .

وأيضاً فسيأتي ان المجيء المذكور في قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك ...) الآية [النساء : ٦٤] حاصل بالمجيء الى قبره الشريف ، وكذا زيارته ﷺ وسؤال الشفاعة منه ، والتوسل به الى الله تعالى ، والمجاورة عنده ، من افضل القربات ، وعنده تجاب الدعوات ، فكيف لايكون افضل وهو السبب في هذه الخيرات ؟

وايضاً فهو من أعلى رياض الجنة ، وفي الحديث : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومافيها » وفي حديث « مستدرك الحاكم » وقال : صحيح ، وله شواهد صحيحة عن أبي سعيد قال : مر النبي ﷺ عند قبر ، فقال : قبر من هذا؟ فقالوا : فلان الحبشي بارسول الله ، فقال : لا إله الا الله ، سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التي خلق منها ، ولابن الجوزي في « الوفا » عن كعب الأحبار : لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمداً ﷺ ، أمر جبريل فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبره ﷺ ، فعجنت بماء التسنيم ، ثم غمست في أنهار الجنة ، وطيف بها في السموات والأرض ، فعرفت الملائكة محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام .

وقال الحكيم الترمذي في حديث : « إذا قضي لعبد أن يموت بأرض جعل له

إليها حاجة » إنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة ، وقد قال تعالى : (منها خلقناكم ، وفيها نُعيدكم) [طه : ٥٥] وإنما يعاد المرء من حيث بدىء منه .

وعن الجريري ، قال : سمعت ابن سيرين يقول : لو حلفت حلفت صادقاً باراً ، غير شاك ، ولا مستثن ، أن الله تعالى ما خلق نبيه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

وجاء أن عزرائيل عليه السلام لما قبض القبضة من الأرض ، وطىء إبليس الأرض بقدميه ، وصار بعضها بينها ، فمن التربة التي لم يصل إليها قدمه : الأنبياء والأولياء ، وكانت درة رسول الله ﷺ من تلك البقعة موضع نظر الله ، كما في « العوارف » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أصل طينته ﷺ من سرة الأرض بمكة ، يعني الكعبة .

وقيل : لما خاطب الله السموات والأرض بقوله : (ائتيا طوعاً أو كرهاً ..) الآية [فصلت : ١١] أجاب من الأرض موضع الكعبة ، ومن السماء ما يحاذيها ، فالمجيب من الأرض درته ﷺ ، ومن الكعبة دحيت الأرض ، ولم يكن مدفنه ﷺ بها ، لأنه لما تموج الماء رمى الزبد إلى النواحي ، فوقعت جوهرته ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة ، واستقرت بها كما قاله بعض المحققين ، فاستحق هذا المحل الشرف باستقرار ذلك فيه ، كما أن السبب في تفضيل الكعبة وجوده بها أولاً .
ولابن الجوزي في « الوفا » عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قبض النبي ﷺ اختلفوا في دفنه ، فقال علي رضي الله عنه : إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه ﷺ .

قلت : فهذا أصل الإجماع على تفضيله لرجوع الباقين إليه ، ولقول أبي بكر

رضي الله عنه حينئذ : سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقـول : « لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه » رواه أبو يعلى .

قلت : وأحبها إليه أحبها إلى ربه ، لأن حبه تابع لحب ربه ، وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل ؟ وقد سلكت في تفضيل المدينـة هذا المسلك ، فقد صح قوله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » أي : بل أشد ، كما روي به . وأجيبت الدعوة حتى كان يحرك دابته إذا رآهـا من حبها ، وقال : « ما على الأرض بقعة أحب إلي من أن يكون قبري بهـــا منها » كما سيأتي ، مع أن الحاكم روى في « مستدركه » على « الصحيحين » حديث : « اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي ، فأسكني في أحب البقاع إليك » أي : في موضع تصيره كذلك ، فيجتمع فيه الحبان ؛ والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب ، فيتجدد بعد أن لم يكن ، قيل : قد ضعفه ابن عبد البر ، ولو سلمت صحته ، فالمراد : أحب إليك بعد مكة ، لحديث : « إن مكة خير بلاد الله » وفي رواية « أحب بلاد الله إلى الله » ولزيادة المضاعفة بمسجد مكة .

قلت : ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره ، إذ القصد به الدعاء لدار هجرته بأن يصيرها الله كذلك ، وفيما قدمنـا غنية عن صحته ، وحديث « إن مكة » محمول على بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة ، وإظهار الدين ، وافتتـاح البلاد منها ، حتى مكة ، فقد أنالها الله وأنال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد ، فظهر إجابة الدعوة ، وصيرورتها أحب مطلقاً بعد ، ولهذا افترض الله على حبيبه ﷺ الإقامة بهـــا ، وحث هو على الاقتداء به في سكناها والموت بها ، فكيف لا تكون أفضل ؟

وقوله : في بعض طرق حديث : « إن مكة خير بلاد الله » أن النبي ﷺ قاله وهو على راحلته بالحزوَّرة ، وهو المعروف اليوم بـ « عزورة » ، وقد كان ﷺ

في سفر الهجرة مستخفياً ، لا يقتضي تأخر هذا القول عن سفر الهجرة ، لأن خروجه ﷺ للغار كان ليلاً بعد أن ذر التراب على رؤوس من كان يرصده ، وقرأ أوائل (يس) يستتر بها فلم يروه . وفي رواية لابن حبان « فركبا » يعني هو وأبو بكر ، حتى أتيا الغار ، وهو غار ثور ، فتواريا فيه .

وأما مزيد المضاعفة ، فأسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك ، فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لمعرفة أفضل منها بمسجد مكة ، وإن انتفت عنها المضاعفة ، إذ في الاتباع ما يربو عليها ، ومذهبنا شمول المضاعفة في النفل مع تفضيله بالمنزل ، ولذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة بمسجد مكة ، مع قوله بتفضيل المدينة ، ولم يصب من أخذ من قوله : بمزيد المضاعفة ، تفضيل مكة ، إذ غايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل ، مع أن دعاءه ﷺ بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة كما سيأتي شامل للأمور الدينية أيضاً ، وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة .

وإن أريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط .

فالجواب : أن الكلام فيما عداها ، فلا يرد شيء مما جاء في فضلها ، ولا ما بمكة من مواضع الشكر لتعلقه بها ، ولهذا قال عمر لعبد الله المخزومي : أنت القائل : لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هي حرم الله وأمنه ، وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً ، ثم كرر عمر قوله الاول ، فأعاد جوابه ، فأعاد له عمر : لا أقول في حرم الله وبيته شيئاً ، فأشير على عبد الله ، فانصرف .

وقد عوضت المدينة عن العمرة : ما صح في إتيان مسجد قباء ، وعن الحج ما جاء مما سيأتي في فضل الزيارة والمسجد ، والإقامة بعد النبوة بالمدينة ، وإن كانت أقل من مكة على القول به ، فقد كانت سبباً لإعزاز الدين وإظهاره ، ونزول أكثر الفرائض ، وإكمال الدين ، حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ، ثم استقر بها ﷺ إلى قيام الساعة ، ولهذا قيل لمالك : أيما أحب إليك ، المقام

هنا يعني المدينة ، أو بمكة ؟ فقال : هاهنا ، وكيف لا أختار المدينة ، وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله ﷺ ، وجبريل عليه السلام ينزل من عند رب العالمين في أقل من ساعة ؟ وقد ثبت بالاحاديث الآتية تفضيل الموت بالمدينة ، فيثبت تفضيل سكناها ، لانه طريقه . وروى الطبراني وغيره حديث : « المدينة خير من مكة » وفي رواية للجنيدي « أفضل من مكة » وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان يخطىء . وقال أبو زرعة : لين . وقال ابن عدي : روايته ليست محفوظة . وقال ابن أبي حاتم : ليس بقوي .

ومن تأمل ما سلف مع ما سيأتي في فضائلها وخصائصها ، استغنى عنه ، وانشرح صدراً بتفضيلها . وفي « الصحيحين » « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد » أي : أمرني الله بالهجرة إليها إن كان قاله بمكة ، أو بسكناها إن كان قاله بالمدينة .

وقال القاضي عبد الوهّاب : لا معنى لقوله : تأكل القرى إلا رجوح فضلها عليها ، وزيادتها على غيرها .

وقال ابن المنير : يحتمل أن يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها ، أي : إن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها ، حتى تكون عدماً ، وهذا أبلغ من تسمية مكة أم القرى ، لأن الامومة لا ينمحي معها ما هي له أم ، لكن يكون لها حق الامومة .

قلت : وجعله احتمالاً لانه كنى بالاكل عن الغلبة ، لان الآكل غالب على المأكول ، فيحتمل أن يكون المراد غلبتها في الفضل ، أو غلبة أهلها على القرى .

قلت : والاقرب حمله عليها إذ هو أبلغ في الغرض المسوق له ذلك . وفي « صحيح مسلم » حديث : « يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه : هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسي بيده ، لا يخرج

أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيراً منه » وفيه اشعار بذم الخروج منها مطلقاً ، وهو عام أبداً ، كما نقله المحب الطبري عن قوم . وقال : إنه ظاهر اللفظ . وفي حديث « الصحيحين » : « إن الإيمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » . أي : تنقبض وتنضم وتلجأ ، مع أنها أصل انتشاره ، فكل مؤمن من نفسه شائق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها ﷺ .

وللجنيدي حديث : « يوشك الإيمان أن يأرز الى المدينة » أي : يرجع اليها أخيراً كما ابتدأ منها ، ولذا روي : « لا تقوم الساعة حتى يحاز الإيمان الى المدينة كما يحوز السيل الدمن » . وفي رواية ستأتي في الفصل التاسع : « ليعودن هذا الامر الى المدينة كما بدىء منها ، حتى لا يكون ايمان الا بها » . ولابي يعلى عن العباس رضي الله عنه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة ، فالتفت اليها وقال : « ان الله برأ هذه الجزيرة من الشرك » . وفي رواية : « ان الله قد طهر هذه القرية من الشرك ان لم تضلهم النجوم » .

الفصل الثالث في الحث على الإقامة والصبر والموت بها واتخاذ الاصل ونفيها الخبث والذنوب ووعيد من أحدث بها حدثاً أو آوى محدثا أو أرادها وأهلها بسوء أو أخافهم والوصية بهم .

وقد سبق[1] حديث مسلم : « يأتي على الناس زمان ... » الحديث . وفي « الموطأ » ، و « الصحيحين » ، حديث « تفتح اليمن ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ... » الحديث . ويبسون : بفتح أوله وضم الموحدة وبكسرها ، أي : يسوقون دوابهم مسرعين . وفي « الصحيحين » حديث : « من صبر على لأوائها وشدتها ، كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » . ولمسلم عن [أبي] سعيد مولى المهري ، أنه جاء الى أبي سعيد

---

(١) يعني أنه سبق في الصفحة (٢٣) .

الخدري ليالي الحرة[1] فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا اليه أسعارها ، وكثرة عياله ، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها ، فقال : ويحك لا آمرك بذلك ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر — وفي رواية — لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » وفي رواية : فقا أبو سعيد : « لا تفعل الزم المدينة ... ودكر الحديث » . ولمسلم وغيره ؛ أن مولاة أتت ابن عمر رضي الله عنهما في الفتنة تسلم عليه ، فقالت : اني أردت الخروج يا أبا عبد ارحمن اشتد علينا الزمان ، فقال لها عبد الله : اقعدي لكاع ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » .

والظاهر كما قال عياض : أن « أو » ليست للشك لكثرة رواته بها ، بل للتقسيم ، ويكون شفيعاً للعاصين ، وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات في حياته ، وشفيعاً لمن مات بعده ، وكل من هذه الشفاعة أو الشهادة خاصة تزيد على شفاعته وشهادته العامتين ، او تكون « أو » بمعنى الواو ، فقد رواه البزار برجال الصحيح عن عمر رضي الله عنه بالواو ، والمفضل الجنيدي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « لا يصبر أحد على لأواء المدينة — وفي نسخة : وحرها — إلا كنت له شفيعاً وشهيداً » .

وفيه البشرى للصابر بها بالموت على الاسلام لاختصاص ذلك بالمسلمين ، وكفى بها مزية ، بل كل من مات بها فهو مبشر بذلك ، فقد ثبت حديث : « من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة » . وحديث : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها » . وفي رواية : « فإني أشهد لمن يموت بها » وللبيهقي ، وابن حبان في « صحيحه » : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت ، فإنه من يمت بها أشفع له وأشهد له » . وفي رواية : « فإنه من

---

(١) واقعة الحرة مشهورة ، وهي حرة واقم جهة وشم .

مات بها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » . وفي رواية عقب ذلك : « وإنّي أول من تنشق عنه الارض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع ، فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة » . ولأبي ذر الهروي في « سننه » ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الارض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع ، فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين » . وفي حديث : « أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف » . وفي « الموطأ » أن النبي ﷺ كان جالساً وقبر يحفر بالمدينة ، فاطلع رجل في القبر ، فقال : بئس مضجع المؤمن ، فقال رسول الله ﷺ : « بئسما قلت » قال الرجل : إني لم أرد هذا ، انما أردت القتل في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : لا مثل للقتل في سبيل الله ، ما على الارض بقعة أحب إلي أن يكون قبري بها منها يعني المدينة ثلاث مرات » ولاحمد برجال الصحيح أن النبي ﷺ كان اذا دخل مكة قال : « اللهم لا تجعل منايانا بمكة حتى تخرجنا منها » وصح أن عمر رضي الله عنه قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ . وروي أن ذلك كان من أجل دعائه .

وفي « الكبير » للطبراني في حديث : « من كان له بالمدينة أصل ، فليتمسك به ، ومن لم يكن له بها أصل ، فليجعل له بها أصلا ، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز الى غيرها » . وفي رواية : « فليجعل له بها أصلا ولو قصرة » أي ولو شجرة وزنا ومعنى . ورواه ابن شبة بنحوه ، ثم أسند عن الزهري مرفوعاً : « لا تتخذوا الاموال بمكة واتخذوها في دار هجرتكم ، فإن الرجل مع ماله » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً أيضاً : لا تتخذوا من وراء الرق

حاملا[1] ولا ترتدوا على أعقابكم بعد الهجرة ، ولا تنكحوا بناتكم طلقاء أهل مكة ... الحديث » . وفي مسلم عقب قوله في الحديث السابق : لا يخرج أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيراً منه ، ألا ان المدينة كالكير تنفي الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكير خبث الحديد » وسبق في الفصل قبله : « تنفي الناس » . وفي رواية « تنفي الرجال » أي : شرارهم أو خبثهم . ولذا روي : خبث الرجال . وفي « صحيح البخاري » حديث : « إنها طيبة تنفي الذنوب ، كما ينفي الكير خبث الفضة » . وفي « الصحيحين » قصة الأعرابي القائل : أقلني بيعتي ، فأبى ﷺ ، فخرج الاعرابي ، فقال ﷺ : « المدينة كالكير تنفي خبثها ، وتنصع طيبها » . وهو ظاهر في أن المراد إبعاد أهل الخبث ، ولا يختص بزمنه ﷺ لقوله ﷺ في الحديث السابق : « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها » ، أي عند ظهور الدجال حين ترجف المدينة ، فيخرج اليه منافقوها . ولذا جاء في حديث أحمد الآتي ، وذلك يوم التخليص ، ذلك يوم تنفي المدينة الخبث . وقال عمر بن عبد العزيز إذ خرج منها لمن معه : نخشى أن نكون ممن نفت المدينة ، وقد أبعد الله عنها أرباب الخبث الكامل وهم الكفار .

وأما غيرهم ، فقد يكون إبعاد إن مات بها بنقل الملائكة له ، كما أشار اليه الأقشهري . فقوله : « تنفي خبثها ، وتنفي الذنوب » أي : أهل ذلك . أو المراد ابعاد أهل الخبث الكامل فقط ، وهم أهل الشقاء لعدم قبولهم للشفاعة ، أو المراد فيما عدا قصة الاعرابي والدجال ، أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها بما فيها من اللأواء والمشقات ، ومضاعفة المتوبات والرحمات ، اذ الحسنات يذهبن السيئات ، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة ،

---

(١) قوله : وراء الرق حاملا : غلط نشأ من تحريف النساخ ،والصحيح المذكور في نسخ القلم الصحيحة ونسخ وفاء الوفا هو : « ولا تتخذوا وراء الروحاء مالاً » .

وأظهرت ما يخفى من عقيدته . كما هو مشاهد بها ، ويؤيده قوله ﷺ عند رجوع المنافقين في غزوة أحد : « المدينة كالكير ... الحديث » .

والذي ظهر لي أنها تنفي خبثها بالمعاني الأربعة ، « وتنصع » بفتح الفوقانية وسكون النون ، وبالمهملتين اي : تميز وتخلص طيبها بالنصب على المفعولية ، هذا هو المشهور .

وفي « الصحيحين » في أحاديث تحريم المدينة : « فمن احدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرْفاً ولا عَدْلاً » . ولفظ البخاري : « لا يقبل منه صرف ولا عدل » . والجمهور : ان الصرف الفريضة ، والعدل النافلة . وقيل : عكسه . وقيل : الصرف التوبة ، والعدل الفدية : اي اتى فيها اثماً ، او آوى من أتاه وحماه ، فلا يقبل منه فريضة ونافلة قبول رضى ، ولا يجد في القيامة ما يفتدى به من كافر . وقيل غير ذلك . ولعنه : إبعاده عن رحمة الله وطرده عن الجنة اولاً ، لا كلعن الكفار . وفيه دلالة على ان ذلك من الكبائر مطلقاً ، اذ اللعن خاص بها ، فيستفاد منه ان الصغيرة بها كالكبيرة بغيرها تعظيماً للحضرة النبوية . وفي « صحيح البخاري » مرفوعاً : « لا يكيد اهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح في الماء » . ولمسلم : « من أراد اهل هذه البلدة بسوء أذابه الله ، كما يذوب الملح في الماء » . وله في رواية : « ولا يريد احد اهل المدينة بسوء الا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، او ذوب الملح في الماء » . قال عياض : قوله في النار : يبين ان هذا حكمه في الآخرة ، او المراد من ارادها في حياة النبي ﷺ بسوء اضمحل كما يضمحل الرصاص في النار ، فيكون في اللفظ تقديم وتأخير . ويؤيده قوله : او ذوب الملح في الماء : او المراد : من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها ، فيضمحل كيده ، ولا يتم امره ، بخلاف من اتاها جهاراً . او المراد : من ارادها بسوء مطلقاً ، فإن امره يضمحل في الدنيا كما عوجل مسلم بن عقبة[1] ، وكذا مرسله عقب

(١) هو الذي كان رئيس جيش اليزيد في وقعة الحرة .

اغزائها . قلت : هذا هو الأرجح ، اذ ليس في اللفظ ما يقتضي التخصيص بزمان ، ولانه لا يتم لمن أرادها بسوء مـا أراده ، بل الوعد بإهلاكه سريعاً ، وهذا هـو المشاهد من شأنها ، وقد يضاف لذلك الإذابة في النار ايضاً . وللجنيدي حديث : « ايما جبار اراد المدينة بسوء ، اذابه الله كما يذوب الملح في المـاء » . وللبزار بإسناد حسن حديث : « اللهم اكفهم بن دهمهم ببأس - يعني اهل المدينة - ولايريدهـا احد بسوء الا أذابه الله ، كما يذوب الملح بي الماء » ودهمهـــم » محركا ، اي : غشيهم بسرعة وأغار عليهم .

ولابن زبالة عن سعيد بن المسيب ، أن رسول الله ﷺ أشرف على المدينة، فرفع يديه حتى رؤي عفرة إبطه ، ثم قال : « اللهم من أرادني وأهل بلدي بسوء فعجل هلاكه » وفي « الأوسط » للطبراني برجال الصحيح حديث « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل منه صرف ، ولا عدل » وفي روايه لغيره « من أخاف أهل المدينة أخافـه الله يوم القيامة ، وغضب عليه ، ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً » وللنسائي : « من أخاف أهل المدينة ظالمـاً لهم ، أخافه الله وكانت عليه لعنة الله » ولابن حبان نحوه ، ولأحمد برجال الصحيح عن جابر : أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة ، وكان قـــد ذهب بصر جابر ، فقيل لجابر : لوتنيحت عنه ، فخرج يمشي بين ابنيه ، فنكب فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقال ابناه أو أحدهما : يأأبت ، وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة فقد أخاف مابين جنبي » قلت : ولعل هذاالامير بشر [1] بن أرطاة ، كما رواه ابن عبد البر من ارسال معاوية رضي الله عنه له الى المدينة في جيش بعد تحكيم الحكمين ، وأنه أرسل الى بني سلمة : مالـــكم عندي أمان ولا بيعة حتى تأتوني بجابر . وروي أن أهل المدينة فروا يومئذ حتى دخلوا

(١) صوابه : بسر .

حرة بين سليم [1] « وفي الكبير للطبراني » حديث : « من آذى أهل المدينة آذاه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لايقبل منه صرف ولاعدل » ولابن النجار عن معقل بن يسار المزني مرفوعاً : « المدينة مهاجري » فيها مضجعي ومنها مبعثي ، حقيق على أمتي حفظ جيراني ماجتنبوا الكبائر ، ومن حفظهم كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال » قيل للمزني : وماطينة الخبال ! قال : عصارة أهل النار . ورواه الطبراني بلفظ : « المدينة مهاجري ، ومضجعي في الارض ، حق على أمتي ان يكرموا جيراني ماجتنبوا الكبائر ، فمن لم يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخبال ؟ قلنا : يا أبا يسار ، وماطينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار » وفي فوائد القاضي أبي الحسن الهاشمي ، عن خارجة بن زيد مرفوعاً « المدينة مهاجري ، وفيها مضجعي ، ومنها مخرجي ، حق على أمتي حفظ جيراني فيها ، من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة ، ومن ضيعها اورده الله حوض الخبال » قيل : وما حوض الخبال يارسول الله ؟ قال : « حوض من صديد أهل النار » .

ولابن زبالة حديث : « ان الله جعل المدينة فيها مهاجري ، وفيها مضجعي ، ومنها مبعثي ، فحق على أمتي حفظ جيراني ماجتنبوا الكبائر ، فمن حفظ فيهم حرمتي كنت له شفيعاً يوم القيامة ، ومن ضيع فيهم حرمتي أورده الله حوض الخبال » وفي رواية له : « المدينة مهاجري ، وبها وفاتي ، ومنها محشري ، وحقيق على أمتي أن يحفظوا جيراني ماجتنبوا الكبيرة ، من حفظ فيهم حرمتي كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، » وفي مدارك عياض ، قال محمد بن مسلمة : سمعت مالكا يقول : دخلت على المهدي ، فقال : أوصني ، فقلت : أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « المدينة مهاجري ، ومنها مبعثي ، ومنها قبري ،

---

(١) صوابه : بني سليم .

وأهلها جيراني ، وحقيق على أمتي حفظ جيراني ، فمن حفظهم في كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال » وقال مصعب : لما قـــدم [1] المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك ، انحرف المهدي إليه ، فعانقه وسايره ، فالتفت اليه مالك فقال : ياأمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والانصار ، فسلم عليهم ، فانه ما على وجه الأرض قـوم خير من أهل المدينة ، ولابلد خير من المدينة ، قال : ومن أين قلت ذلك ياأبا عبد الله ؟ فقال : إنـه لايعرف قبر نبي اليوم على وجه الارض غير قبر محمد ﷺ ، ومن كان قبر محمـــد ﷺ عندهم ، فينبغي أن يعرف فضلهم على غـــيرهم ، ففعل ما أمر بـــه اهـ .

وفيه اشارة الى التفضيل بمجاورة قبر النبي ﷺ ، وقد قال : « مازال جبريل يوصيني بالجار » ولم يخص جاراً دون جار ، ومن تأمل هذا الفضل لم يرتب في تفضيل سكنى المدينة على مكة ، مع تسليم مزية المضاعفة لمكـة ، فتلك لها مزيد العدد ، ولهذه تضاعف البركة والمدد ، ولتلك جوار بيت الله تعالى ، ولهذه جوار حبيب الله ﷺ وأكرم الخلق على الله تعالى .

وقال أبو بكـر بن حماد : إنه سـأل أبا عبد الله يعني ابن حنبل : أين ترى أحب اليك ان يسكن الرجل ، مكة أو المدينة ؟ قـال : لمن صبر عليها ، وفي رواية : المدينة لمن قوي عليها ، قيل له : لم ؟ قال : لأن بها خير المسلمين ، واختيار سكنى المدينة هو المعروف من حالة السلف .

ولابن شبة عن الشعبي أنه كان يكره المقام بمكة ، ويقول : هي دار أعرابية هاجرمنها رسول الله ﷺ وقـال : ألا يغني حبيب نفسه حيث يجاور بمكة .

---

(١) يعني : المهدي .

وهي دار أعرابية ، وعن عامر نحوه ، وقال : لان أنزل دوران [1] أحب إلي من أن أنزل مكة ، وهي قرية هاجر منها النبي ﷺ ، ودوران كحوران عند طرف قديد ، وفي « مصنف عبد الرزاق » أن الصحابة كانوا يحجون ثم يرجعون ، ويعتمرون ثم يرجعون ، ولا يجاورون قلت : ولم أر للسلف خلافاً في كراهـــة المجاورة بالمدينة بخلاف مكة وإن اقتضى كلام النووي حكاية الخلاف فيها بناء على ان العلة خوف الملل ، وقلة الحرمة والانس ، وخوف ملابسة الذنوب . قال : والمختار استحباب المجاورة بها الا ان يغلب على ظنه الوقوع فيما ذكر .

وفي « الأوسط » للطبراني حديث « من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة ».

الفصل الرابع : في الدعاء لها ولأهلها ، ونقل وبائهـــا وعصمتها من الدجال والطاعون .

في « الصحيحين » حديث : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » . ورواه رزين ، والجنيدي بالواو . وقد تكرر دعاؤه ﷺ بتحبيب المدينة ، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول ، والتكرير لطلب المزيد ، حتى كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرانها ، وفي رواية : دوحاتها ، أي : كبار شجرها . وفي رواية : درجاتها ، أي : طرقها المرتفعة ، أوضع راحلته [2] وإن كان على دابة حركهـا من حبها ، كما في « الصحيح » . وفي رواية لابن زبالة : تباشراً بالمدينـة . وفي أخرى : كان إذا أقبل من مكة فكان بالاثاية ، طرح رداءه عن منكبيه وقال : « هذه أرواح طيبة » .

---

(١) لعله يوجد هنا تحريف في الطبع لأن المعنى غير ظاهر ، صوابه : دروان اسم حارة بالمدينة المنورة وبها بعض وخامة بجهة قبلتها ، وهذا الذي يقتضيه سياق الكلام لا ما فسره المصنف .

(٢) معناه : أسرع ، ولعل مراده بالراحلة : الناقة وبالدابة : الحمار ونحوه .

في الدعاء للمحاملي عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا قدم من سفر من أسفاره ، فأقبل على المدينة يسير أتم السير ويقول : « اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً » .

وفي « الصحيحين » حديث : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » ولهما أيضاً « اللهم بارك لهم في مكيالهم ، وبارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدهم » .

قلت : هذه البركة في أمر الدين والدنيا لأنها النماء والزيادة ، والبركة لها حاصلة في نفس المكيل بحيث يكفي المد بها من لا يكفيه بغيرها ، وهذا محسوس لمن سكنها ، ولذا أقول : إن سكناها تزيد في الإيمان .

ولمسلم : « اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدنا ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم اجمع مع البركة بركتين » وله أيضاً : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعا لمكة ومثله معه » . وله وللترمذي كان الناس إذا رأوا أول الثمرة جاؤوا به الى النبي ﷺ ، فإذا أخذه قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ... » الحديث . وهو يقتضي تكرر الدعاء بتكرر ذلك .

وللطبراني في « الأوسط » برجال ثقات ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، صلى رسول الله ﷺ الفجر ، ثم أقبل على القوم فقال : « اللهم بارك لنا في مدينتنا... » الحديث . وله في « الكبير » برجال ثقات ، عن ابن عباس نحوه ، وللترمذي وقال : حسن صحيح ، عن علي رضي الله عنه ، خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ :

« ائتوني بوضوء » ، فتوضأ ، ثم قام ، فاستقبل القبلة ، فقال : « اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخليلك ، ودعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثليْ ما باركت لاهل مكة مع البركة بركتين » . ورواه ابن شبة إلا أنه قال : حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، قال رسول الله ﷺ : « ائتوني بوضوء » فلما توضأ ، قام فاستقبل القبلة ، ثم كبر ، ثم قال : ... الحديث » . وفيه إشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة .

ولابن زبالة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ خرج إلى ناحية من المدينة ، وخرجت معه فاستقبل القبلة ، ورفع يديه حتى إني لارى بياض ما تحت منكبيه ، ثم قال : اللهم ان إبراهيم نبيك وخليلك ، دعاك لاهل مكة ، وأنا نبيك ورسولك ، أدعوك لاهل المدينة ، اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم ، وقليلهم وكثيرهم ضعفيْ ما باركت لاهل مكة ، اللهم من هاهنا وهاهنا وهاهنا — حتى أشار إلى نواحي الارض كلها — « اللهم من أرادهم بسوء فأذبه كما يذوب الملح في الماء » .

ولاحمد برجال الصحيح ، عن أبي قتادة ، أن النبي ﷺ صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا ، ثم قال : « اللهم إن ابراهيم خليلك وعبدك ورسولك ونبيك دعاك لاهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لاهل المدينة مثلي ما دعاك به إبراهيم لمكة ، أدعوك أن تبارك لهم في صاعهم ، ومدهم وثمارهم ، اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة ، واجعل ما بها من وباء بخم ... الحديث » .

وللجنيدي حديث : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها لنا ، وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حماها واجعلها بالجحفة » .

ولابن زبالة في حديث قدومه ﷺ ووعك أصحابه ، أنه جلس على المنبر ، ثم رفع يديه ، ثم قال : « اللهم انقل عنا الوباء » ، فلما أصبح قال : « أتيت هذه الليلة بالحمى ، فإذا بعجوز سوداء ملببة في يدي الذي جاء بها ، فقال : هذه الحمى فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها بخم » .

وفي رواية له : أنه أمر عائشة رضي الله عنها بالذهاب الى أبي بكر ومولييه[1] فرجعت ، فأخبرته ، فكره ذلك ، ثم عمد الى بقيع الخيل وهو سوق المدينة[2]، فقام فيه ووجهه الى القبلة ، فرفع يديه الى الله تعالى ، فقال : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لأهل المدينة في سوقهم ، وبارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدهم ، اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباء الى مهيعة[3] » .

ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها : قدمنا المدينة وهي وبيئة ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال رضي الله عنهما ، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه ، قال : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها الى الجحفة » .

وللبخاري عنها لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ، وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبّح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته[4] ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليلُ

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

---

(١) صوابه : مواليه .

(٢) وهو سوق المناخة ،

(٣) مهيعة هي الجحفة ،

(٤) العقيرة هي الصوت .

[قال] اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، وفي مدنا ، وصححها لنا ، وانقل حماها الى الجحفة » قالت : وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله تعالى ، وكان بطحان يجري نجلا ، يعني : ماء آجناً ، أي : متغيراً .

ولابن إسحاق عنها : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله تعالى من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرفه الله عن نبيه ﷺ ، قالت : فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال ، موليا أبي بكر معه في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله تعالى من شدة الوعك ، فدنوت من أبي بكر فقلت : كيف تجدك ؟ فقال : كل امرىء ... البيت ، فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول ، ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك ، فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ⁂ إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرىء مجاهد بطوقه ⁂ كالثور يحمي جلده بروقه

قالت : فقلت : ما يدري عامر ما يقول ، وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ... وذكر ما سبق .

ولابن زبالة : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أصحابه ، فخرج يعود أبا بكر ، فوجده يهجر[1] ، فقال : يا رسول الله ! لقد لقيت الموت ... البيت ، فخرج من عنده ، فدخل على بلال ، فوجده يهجر وهو يقول : ألا ليت شعري . . . البيتين . ودخل على أبي أحمد بن جحش ، فوجده موعوكاً ، فلما جلس اليه قال :

---

(١) يهجر مضارع : هجر كنصر أي : يهذي ويخلط في كلامه .

واحبذا مكة من وادي * أرض بها تكثر عوادي * أرض بها تضرب أوتادي

أرض بها أهلي وأولادي * أرض بها أمشي بلا هادي

فخرج رسول الله ﷺ ، فدعا أن ينقل الوباء من المدينة فيجعله بخم ، وخم كما سيأتي قرب الجحفة ، وهي مهيعة ، وإنما دعا ﷺ بنقل الحمى اليها لأنها كانت دار شرك ، ولم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى .

قال بعضهم : وإنه ليتقى شرب الماء من عينها التي يقال لها : عين خم ، فقل من شرب منها إلا حُمّ .

وللبيهقي في الحديث السابق ، عن هشام بن عروة قال : وكان المولود يولد بالجحفة ، فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى .

وله أيضاً : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله تعالى ، وواديها بطحان نجل يجري عليه الأثل ، قال هشام : وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية ، وكان اذا كان الوادي وبيئاً فأشرف عليه الإنسان ، قيل له : انهق نهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي ، وفي خبر ثنية الوداع مايقتضي أن الداخل كان يعشر بها ، أي ينهق كالحمار عشرة أصوات في طلق والا مات قبل أن يخرج منها حتى قدم عروة ابن الورد العبسي ، فلم يعشر ، فتركه الناس ، وتحويل مثل هذا الوباء من أعظم المعجزات .

وللبخاري حديث : « رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس ، خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة ، فتأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة » .

ولابن زبالة : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فجاءه انسان كأنه قدم من ناحية طريق مكة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هل لقيت أحداً ? » قال : لا إلا امرأة سوداء عريانة ثائرة الشعر ، فقال ﷺ : « تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم أبداً » .

وله أيضاً حديث : أصح المدينة من الحمى ما بين حرة بني قريظة والعريض .

وحديث : اللهم حبب الينا المدينة وانقل وباءها الى مهيعة ، وما بقي منه فاجعله تحت ذنب مشعط » . وحديث : ان كان الوباء في شيء من المدينة فهو في ظل مشعط » .

قلت : ومشعط بالشين المعجمة ، كمرفق ، أطم لبني هذيلة [١] كان في غربي مسجدهم [٢] قرب البقيع ، وهذا يؤذن ببقاء شيء من الحمى كما هو اليوم ، فالذي نقل سلطانها ، أو أعيد الخفيف منها للتكفير ، لحديث أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر ، استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ فقال : « من هذه » ؟ فقالت : ام ملدم ، فأمر بها الى اهل قباء ، فلقوا ما لا يعلمه الا الله تعالى ، فأتوه ، فشكوا ذاك اليه فقال : « ما شئتم ، ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها عنكم ، وان شئتم تكون لكم طهوراً » فالوا : او تفعل ؟ قال : « نعم » ، قالوا : فدعها . وفي رواية : « وان شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم » . وله أيضاً برجال ثقات : أتاني جبريل بالحمى والطاعون ، فأمسكت بالحمى بالمدينة ، وارسلت الطاعون بالشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ، ورحمة لهم ، ورجز على الكافرين » ، وان الموجود منها اليوم ليس حمى الوباء ، بل رحمة ربنا ودعوة نبينا ، لما روى احمد في تفسير ما صح عن شرحبيل بن حسنة وغيره ، انه اي : الطاعون رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، من قول ابي قلابة ، انه ﷺ سأل ربه عز وجل ان لا يهلك امته بسنة [٣] فأعطيها ، وان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطيها ، وان لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعه . فقال في دعائه : « فحمى اذاً ، او طاعوناً » كرره ثلاثاً . اي : فحمى للموضع الذي عصم من الطاعون ، فتضعف الأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض ، فتمنعه وتطهرهم ، وتكون

(١) صوابه : حديلة بحاء مصغراً ، فما في نسخ الطبع هذيلة : غلط .
(٢) ومسجدهم اليوم داخل البقيع على يمين الداخل من بابه ، فيكون في زقاق إسماعيل .
(٣) أي : بالقحط .

حظهم من النار . او طاعوناً للموضع الذي لم يعصم منه ، وهذا الآخير قد ظهر لي من فهم الأحاديث وترجح عندي .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، حديث : « على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وللبخاري وغيره حديث : « المدينة يأتيها الدجال ، فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يقربها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله تعالى » .

وقوله ان شاء الله تعالى : للتبرك للجزم بذلك في بقية الأحاديث ، وقرن الدجال بالطاعون مع كونه شهادة ورحمة ، لما ثبت من تفسيره بوخز أعدائنا من الجن ، فقد منع منها مردة الجن ، كما منع رأس مردة الانس . وايضاً فالطاعون سببه أشياء تقع من الامة ، ففيه نوع مؤاخذة ، وقد عوضت المدينة عنه بالحمى . وقيل : المعنى : لايدخلها من الطاعون مثل مايقع لغيرها كطاعون عمواس ، وهو مردود ، فلم تزل محفوظة منه مطلقاً في سائر الاعصار ، كما جزم به ابن قتيبة ، وتبعه جمع جم ، من آخرهم النووي ، وهذا القائل : فسر الطاعون بالموت العام الفاشي . والصواب : أن المراد به مايكون عن طعن الجن ، فيهيج به الدم في البدن . فقد روى الطبراني وغيره برجال ثقات حديث « ذكر لرسول الله ﷺ رجل خرج من بعض الآفاق حتى اذا كان قريباً من المدينة ببعض الطريق ، أصابه الوباء ، ففزع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إني لارجو ان لايطلع علينا [1] نقابها » يعني طرق المدينة . والمراد بالوباء هنا : الطاعون المعروف بعلاماته ، والا فموت الواحد لايفزع ، ولا يسمى وباءً عاماً وفي « الصحيح » قول أبي الاسود : قدمت المدينة وهم يموتون بها موتاً ذريعاً ، فهذا وقع بالمدينة ، لكنه غير الطاعون . ولاحمد برجال ثقات ، وابن شبة برجال الصحيح حديث : « المدينة

(١) صوابه : علينا .

ومكـة محفوظتان بالملائكة ، على كل نقب منها ملك ، لايدخلها الدجال ، ولا الطاعون » .

قلت : كذا هو لايدخلها بالافراد ، فيحتمل عودها للمدينة فقط وان ثبت ، لما سيأتي عدم دخول الدجال لمكة ، فقد نقل جماعة عن الطاعون العام سنة تسع واربعين وسبعمائة أنه دخلها ، بخلاف المدينة ، فلم ينقل ذلك فيها ، او ان ليس كما ظن ناقله **من** كونه طاعوناً .

وفي « الصحيحين » حديث : ليس بلد الا سيطؤه الدجال ، الا مـكة والمدينة ، ليس نقب من أنقابها الا عليه ملائكة صافين يحرسونها ، فينزل السبخة ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات أي : بسبب الزلزلة التي تقع ، فيخرج اليه كل كافر ومنافق .

وفي رواية : « فيأتي سبخة الجرف ، فيخرج اليه كل منافق ومنافقة » .

وللبخاري « لايدخل المدينة رعب المسيح [الدجال] ، لها يومئذ سبعة ابواب ، على كل باب ملكان .

ولمسلم : يأتي المسيح[1] من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل المشرق ، وهنالك يهلك » . ولهما قصة خروج الرجل الذي هو خير الناس ، أو من خير الناس من المدينة اليـه اذا نزل بعض سباخها ، فيقول له : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه ... »الحديث بطوله . فاختصت بذلك لكونها حضرة المبعوث بالحق .

ولاحمد برجال الصحيح : أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرة ونحن معه ، فقال : « نعم الارض المدينة اذا خرج الدجال ، على كل نقب من أنقابها ملك لايدخلها الدجال ، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لايبقى فيها منافق ولامنافقة الا خرج اليه ، واكثرهم يعني من يخرج النساء ،

(١) أي : الدجال .

وذلك يوم التخليص ، ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير وسخ الحديد، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود على كل رجل منهم ساج وسيف محلى ، فيضرب قبته بهذا المضرب الذي بمجتمع السيول ... [1] الحديث بطوله » .

وللطبراني : « ياأهل المدينة اذكروا يوم الخلاص » قالوا : وما يوم الخلاص؟ قال : يقبل الدجال حتى ينزل بذباب ، فلا يبقى في المدينة مشرك ولا مشركة ، ولا كافر ولا كافرة ، ولا منافق ولامنافقة ، ولا فاسق ولا فاسقة ، الا خرج اليه ، ويخلص المؤمنون ، فذلك يوم الخلاص » .

وقوله بذباب : أي : بما يقابله من مجتمع السيول كما سبق .

وفي رواية له : « ينزل الدجال حذو المدينة ، فأول من يتبعه النساء والإماء » .

ولاحمد والحاكم : « يجيء الدجال ، فيصعد أحُداً ، فيطلع ، فينظر إلى المدينة ، فيقول لأصحابه : ألا ترون الى هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ، ثم يأتي المدينة ، فيجد بكل نقب من أنقابها ملكاً مصلتاً سيفه ، فيأتي سبخة الجرف ، فيضرب رواقه ، أي فسطاطه » .

ولاحمد : « ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة » أي : بمرها .

ولابن ماجه : ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة . وللزبير بن بكار : ركب رسول الله ﷺ إلى مجتمع السيول ، فقال : « ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة » ؟ ثم قال : « هذا منزله يريد المدينة لا يستطيعها ، يجدها متمنطقة بالملائكة ، على كل نقب من أنقابها ملك شاهر سلاحه ، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون ، فيزلزل بالمدينة وبأصحاب الدجل زلزلة ، لا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج اليه ، وأكثر من يتبعه النساء ، فلا يعجز الرجل [2] أن يمسك سفيهته » .

---

(١) على أن الدجال ينزل بمجتمع السيول شمالي الجرف ، يعني نحو العين الشنيبية والزهرة .
(٢) صوابه : فيعجز الرجل .

ولابي يعلى برجال الصحيح في حديث الجساسة : « هو المسيـــح تطوى له الارض في أربعين يوماً ، إلا ما كان من طيبة : قال ﷺ : « وطيبة : المدينة ، ما باب من أبوابها الا وملك مصلت سيفه يمنعه ، وبمكة مثل ذلك » .

الفصل الخامس في ترابها وثمرها .

روى ابن النجار ، وابن الجوزي في «الوفا» حديث : « غبار المدينة شفـــاء من الجُذَام » .

وفي « جامع الأصول » لرزين وابن الأثير وبيّضا لمخرجه [1] لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك ، تلقاه رجال من المخلفين من المؤمنين ، فأثاروا غباراً ، فخمر ، أو فغطى بعض من كان مع رسول الله ﷺ أنفه ، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال : « والذي نفسي بيده ، ان في غبارها شفاء من كل داء » ، وأراه ذكر من الجذام والبرص .

ولرزين عن ابن عمر نحوه وقـال : فمد رسول الله ﷺ يده ، فأماطه عن وجهه ، وقال : « ما علمت [2] أن عجوة المدينة شفاء من السقم ، وغبارها شفاء من الجذام ؟ » .

ولابن زبالة : عن صيفي بن أبي عامر مرفوعاً « والذي نفسي بيده ، ان تربتها لمؤمنة ، وإنها شفاء من الجذام » .

وله عن سلمة : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « غبار المدينة يطفىء الجذام » .

قلت : وقد شاهدنا من استشفى به منه ، وكان قد أضر به فنفعه جداً .

وروى يحيى بن الحسن أن جعفر الحجة العاوي ، وابن النجار ، كلاهما مـن طريق ابن زبالة ، أن النبي ﷺ أتى بلحرث [3] فإذا هم روبى ، فقال : « مالكم

(١) عن سعد رضي الله عنه ،

(٢) على حذف الاستفهام .

(٣) بلحرث : هم أهل حديقة الغرس .

يا بني الحارث روبى ؟ فالوا : أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى ، قال : فأين أنتم من صعيب ؟ قالوا : يا رسول الله ما نصنع به ؟ قال : « تأخـذون من ترابه ، فتجعلونه في ماء ، ثم يتفل عليه أحدكم ويقول : بسم الله تراب أرضنا ، بريق بعضنا ، شفاء لمريضنا بإذن ربنا ، ففعلوا ، فتركتهم الحمى » .

قال طاهر بن يحيى العلوي عقب روايته لذلك عن أبيـه : صعيب : وادي بطحان دون الماجشونية أي : الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية ، وفيه حفـــرة مما يأخذ الناس منه ، وهو اليوم اذا وبيء انسان أخذ منه .

قال ابن النجار : وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم ، والناس يأخذون منها ، وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحاً . قال : وأخذت منه أنا أيضاً .

قلت : وهذه الحفرة موجودة يأثرها الخلف عن السلف ، وينقلون ترابها للتداوي . وذكر المجد : أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جرّبوه للحمى فوجدوه صحيحاً . قال : وأنا سقيته غلاماً لي مريضاً من نحو سنة تواظبه الحمى ، فانقطعت عنه من يومه . وذكر هو في موضع آخر كالمطري : أن ترابه يجعل في المـاء ، ويغتسل به من الحمى .

قلت : فينبغي أن يفعل أولاً ما ورد ، ثم يجمع بين الشرب والغسل .

وفي « الصحيحين » حديث : كان رسول الله ﷺ اذا اشتكى الإنسـان ، أو كانت به قـرحة أو جرح ، قال بإصبعه هكذا ، ووضع سفيــان سبابته بالأرض ثم رفعها ، وقال : « بسم الله تربة أرضنا ، بريقة بعضنـــا ، يشفي سقيمنا بإذن ربنا » .

وفي رواية : يقول بريقه ، ثم قال به في التراب .

ولابن زبـالة : أن رجلاً أتي به رسول الله ﷺ وبرجله قرحـة ، فرفـــع رسول الله ﷺ طرف الحصير ، ثم وضع اصبعه التي تلي الإبهام على التراب بعد

ما مسها بريقه ، وقال : « بسم الله ريق بعضنا بتربة أرضنا ، يشفي سقيمنا بإذن ربنا » ، ثم وضع اصبعه على القرحة ، فكأنما حل من عقال .

وله مرفوعاً : « من تصبح بسبع تمرات من العجوة — لا أعلمه الا قال من العالية — لم يضره يومئذ سم ولا سحر » . ولمسلم حديث : « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح ، لم يضره شيء حتى يمسي » . ولأحمد برجال الصحيح : « من اكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة على الريق ، لم يضره يومه ذلك شيء حتى يمسي » . قال فليح : وأظنه قال : وان اكلها حين يمسي لم يضره شيء ، حتى يصبح . وفي « الصحيحين » « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ». ولمسلم » « إن في عجوة العالية شفاء ، أو انها ترياق أول البكرة ». ولاحمد برجال الصحيح في حديث : « واعلموا أن الكمأة دواء العين ، وان العجوة من فاكهة الجنة » ، وللطبراني في الثلاثة ، وغيره بسند جيد : » الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم » وصح لابي داود عن سعد بن أبي وقاص : مرضت ، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني ، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي ، فقال : « إنك رجل مفؤود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف ، فانه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة ، فليلحاهن [1] ، ثم ليلدك بهن أي : يسقيك ، يقال : لده : اذا سقاه الدواء في أحد جانبي الفم . وفي « كامل ابن عدي » مرفوعاً : « ينفع من الدوام ان تأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم ، تفعل ذلك سبعة ايام » وفي « غريب الحديث » للخطابي : عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر للدوام والدوار بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق . والدوام والدوار :

---

(١) صوابه : فيلجأهن ثم ليدلك بهن . في « مجمع البحار » : فليجأهن مع نواهن ، أي : يدقهن مع النوى حتى تكسر ويعجن ، وهذا هو الصواب إلا أن يكون ماهنا رواية في الحديث فإن معناه قريب .

ما يأخذ الانسان في رأسه ، فيدومه . ومنه : تدويم الطائر : « وهو ان يستدير في طيرانه . وتخصيص العجوة دون غيرهـــا ، وعدد السبع مما لايعلم حكمته ، فيجب الإيمان به ، واعتقاد فضله وبركته . وسوق هذه الاحاديث وإطباق الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف[1] الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة ، ولا يرتابون في تسميته بذلك ، يردُّ ما قيل هنا مما سوى ذلك . والعجوة كما قـال ابن الأثير : ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد . قال : وهو مما غرسه النبي ﷺ بيده بالمدينة . وذكر هذا الأخير : البزار أيضاً .

ولابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة .

ولأحمد : خير تمركم البرني ، يخرج الداء ولا داء فيه . ورواه ابن شبـة ، والحاكم خطاباً لوفد عبد القيس في ثمارهم . وللطبراني في « الصغير » برجال الصحيح : كان رسول الله ﷺ إذا أتي بالبـاكورة من الثمار وضعها على عينيه ثم قـــال : « اللهم كما أطعمتنا أوله ، فأطعمنا آخره » ، ثم يأمر به للمولود من أهله .

وفي « الكبير » : كان إذا أتي بالباكورة من الثمر قبّلها وجعلها على عينيه . وفي « نوادر الأصول » : إذا أتي بالباكورة من كل شيء قبلها ثم وضعهـا على عينه اليمنى ثلاثاً ، ثم اليسرى ثلاثاً ... الحديث » .

وللبزار مرفوعاً : « يا عائشة ! إذا جاء الرطب ، فهنئيني . وفي « الغيلانيات » : كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يفطر على الرطب في أيام الرطب ، وعلى التمـر إذا لم يكن رطب ، ويختم بهن ، ويجعلهن وتراً : ثلاثاً ، أو خمساً ، أو سبعاً .

---

(١) لعل هذا كان في زمان المؤلف ، وأما في زماننا فهي غير معروفة والناس مختلفون فيها ، فبعضهم يقول : هي « الحلية » وبعضهم : هي « الجادي » وبعضهم يعين نوعاً آخر ، وهذا النوع قليـل الوجود الآن . قال الزمخشري في « ربيع الأبرار » ترك النـاس غرس العجوة لأنها لا تثمر إلا بعد أربعين سنة .

وأنواع تمر المدينة كثيرة استقصيناها في الأصل الأول ، فبلغت مائة وبضعاً وثلاثين نوعاً . منها : الصيحاني .

وفي « فضل أهل البيت » لابن المؤيد الحموي ، عن جابر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ يوماً في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده ، قال : فمررنا بنخل ، فصاح النخل : هذا محمد سيد الأنبياء ، وهذا علي سيد الأولياء ، أبو الأئمة الطاهرين ، ثم مررنا بنخل ، فصاح النخل : هذا محمد رسول الله ﷺ ، وهذا علي سيف الله ، فالتفت النبي ﷺ إلى علي فقال له : « سمه الصيحاني » . فسمي من ذلك اليوم الصيحاني[1] فكان هذا سبب تسمية هذا النوع بذلك ، أو المراد نخل ذلك الحائط ، وبالمدينة اليوم موضع يعرف بالصيحاني .

الفصل السادس في تحريمها والألفاظ المتعلقة به ، وسر تخصيص ذلك بالتحريم .

وفي « الصحيحين » حديث : « إن ابراهيم حرم مكة ودعا لها » وفي رواية : « ودعا لأهلها ، وإني حرمت المدينة ، كما حرم إبراهيم مكة » .

وللبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : حرم ما بين لابتي المدينة على لساني ، قال : وأتى النبي ﷺ بني حارثة ، فقال : أراكم يا بني حارثة قد خرجتم من الحرم » ثم التفت فقال : « بل أنتم فيه » .

ولأحمد : « إن الله حرم على لساني ما بين لابتي المدينة » .

وللاسماعيلي نحوه ، وقال : ثم جاء بني حارثة وهم في سند الحرة ، أي في الجانب المرتفع منها . والمراد منزلهم الذي جاء الإسلام وهم فيه من الحرة الشرقية يمين المتوجه في الطريق الشرقية لمشهد حمزة رضي الله عنه ، لا كما قال المطري : إنهم كانوا غربي المشهد بيثرب ، لما أوضحناه في الأصل ، وكأنه ﷺ لما رأى

(١) هذا النوع الصيحاني غير معروف اليوم .

منزلهم فيما ارتفع من الحرة ، فلا يصدق عليه أنه فيما بين الحرتين ، قال لهم ذلك ، ثم رأى أن ذلك داخل فيما بين الجبلين فقال : « بل أنتم فيه » .

ولمسلم : « اللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة » .

وله : « اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها ، أن لا يهراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف » .

قلت : ومأزما المدينة : جبلاها كما صوبه النووي ، وهما عير وثور ، لما في رواية مسلم في حديث الصحيفة عن علي : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور » .

ولأبي داود مثله وزاد : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يختلى خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره .

وللطبراني برجال ثقات : « ما بين عير وأحد حرام حرمه رسول الله ﷺ » . ولأحمد نحوه .

وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها قال رسول الله ﷺ : « ما بين لابتيها حرام » . ولمسلم عنه : حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة .

قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ، ما ذعرتها ، وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حمى . ولأبي داود : حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً بريداً ، لا يخبط شجره ، ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل .

ولأحمد في حديث الصحيفة وهو صحيح : « إن ابراهيم حرم مكة ، وإني أحرم ما بين حرّتيها وحماها كله ، لا يختلى خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يلتقط

لقطتها ، ولا يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال » .

وللبيهقي في « المعرفة » إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم المدينة ما بين حرتيها وحماها ... » . الحديث . وقال : « ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها » يعني : أنشد .

ومقتضى رواية أحمد : أنه حرم ما بين حرتي المدينة وحرم حماها كله . وفي رواية البيهقي : أنه حرم ما بين اللابتين وحمام[1] المدينة . وهن ثلاثة أجبل[2] مما يلي حرتها الغربية .

ولمسلم من حديث جابر : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها ، لا يقطع عضاهها ، ولا يصاد صيدها .

ولأحمد : « وأنا أحرم ما بين حرتيها » ولذا قال النووي رضي الله عنه : [مابين] لابتيها : أي حرتيها الشرقية والغربية ، والمدينة بينها ، وهو حد للحرم من المشرق والمغرب ما بين جبليها بيان لحده من الجنوب والشمال ..

قال : ومعنى قوله : « ما بين لابتيها » . اللابتان وما بينهما .

قلت : ويؤيده ما سبق في منازل بني حارثة ، وأن التحديد بالجبلين مقتض لذلك ، وللمدينة أيضاً حرة من القبلة ، وحرة من الشام ، لكنهما يرجعان إلى المشرق والمغرب ، ويتصلان بها ، والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جداً ، وهي المعول عليه عندنا في تحديد حرم المدينة .

وما وقع في أبي داود وغيره من ذكر البريد ، فقد بين أنه حمى ، وهو

---

(١) الصواب وجمام المدينة بالجيم .

(٢) أي : في وادي العقيق على يمين الذاهب إلى مكة ويسار الذاهب في المسيل إلى جهة القبلتين والجرف ، وهي مشهورة بالجماوات .

غير الحرم ، ولم يتعرض أصحابنا لاجراء أحكام الحمى على ما بين نهاية حرم المدينة وبين البريد . وجاء في أحاديث ليست بالقوية ما يبين أنه حرم أيضاً .

فلابن زبالة : حرم رسول الله ﷺ شجر المدينة بريداً في بريد منها ، وأذن في المسد والمنجدة[1] ومتاع الناضح[2] أن يقطع منه . والمنجدة : عصا الناضح .

والمفضل الجندي : أن سعداً قال في قصة العبد الذي وجده يعضد أو يخبط عضاها بالعقيق : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من وجد من يعضد أو يخبط شيئاً من عضاه المدينة بريداً في بريد ، فله سلبه » ، فلم أكن لأرد شيئاً أعطانيه رسول الله ﷺ .

وللبزار عن جابر : حرم رسول الله ﷺ المدينة بريداً من نواحيها .

وللطبراني عن كعب بن مالك : حرم رسول الله ﷺ الشجر بالمدينة بريداً في بريد ، وأرسلني ، فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش ، وعلى شريب ، وعلى أشراف مخيض .

ولابن النجار : حرم رسول الله ﷺ المدينة بريداً في بريد ، وأرسلني فأعلمت على الحرم على شرف ذات الجيش ، وعلى مشيرب ، وعلى أشراف المجتهر ، وعلى تيم . ورواه ابن زبالة ، لكن أسقط أشراف المجتهر ، وأبدل تيماً بثيب ، وزاد : وعلى الحفياء ، وعلى ذي العشيرة .

وفي رواية له : أنه ﷺ حمى الشجر ما بين المدينة إلى وعيرة ، وإلى ثنية المحدث ، وإلى أشراف مخيض ، وإلى ثنية الحفياء ، وإلى مضرب القبة ، وإلى ذات الجيش من الشجر أن يقطع ، وأذن لهم في متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة .

وله أن النبي ﷺ نزل بمضرب القبة وقال : ما بيني وبين المدينة حمى لا يعضد »

---

(١) المسد : هو مرود البكرة ، والمنجدة هي العصا .

(٢) الناضح : الناقة التي يساق عليها .

فقالوا : إلا المسد ، فأذن لهم في المسد . قال : وقال مالك بن أنس ، عن أبي بكر بن حزم رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : في الحمى إلى مضرب القبة .

قال مالك : وذلك نحو من بريد . وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعثتني عمتي إلى رسول الله ﷺ ، قال : في الحمى إلى مضرب القبة . قال مالك : وذلك نحو من بريد .

وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعثتني عمتي إلى رسول الله ﷺ تستأذنه في مسد ، فقال رسول الله ﷺ : « أقرىء عمتك السلام ، وقل لها : لو أذنت لكم في مسد لطلبتم ميزاباً ، ولو أذنت لكم في ميزاب لطلبتم خشبة ، ثم قال : « حماي من حيث اتسقت بنو فزارة لقاحي » .

قوله : عير : بفتح المهملة وسكون المثناة تحت : مرادف الحمار . ويقال : عاير : جبل مشهور في قبلة المدينة قرب ذي الحليفة ، وفوقه جبل يسمى باسمه ، ويميز الأول بالوارد ، والثاني بالصادر .

وثور : بالمثلثة مرادف فحل البقر : جبل صغير خلف أحد كما سنحققه . وفي « المشارق » أن الزبير بن بكار قال : عَيرٌ : جبل بالمدينة . وقال عمه مصعب الزبيري : ليس بالمدينة عير ولا ثور ، ولذا كنى عنها بعض رواة البخاري .

قلت : في النقل عن مصعب الزبيري نظر ، فقد ذكر الزبير بن بكار أن عمه مصعباً ذكر عيراً في شعره حيث قال من أبيات ذكر فيها العرصة وغيرها من بقاع المدينة :

وعلى عير فما حاز الغرا[1] وابل مار عليها واكتسح

قال : وقال عبد الله بن مصعب من أبيات أيضاً :

بالعرصتين فسفح عير فالربا من بطن خاخ ذي المحل الأسهل

وقال عامر بن صالح الزبيري .

---

(١) والعرا بالفتح ممدود غراء : بالعقيق له ذكر في شعر أبي وجرة .

قل للذي رام هذا الحي من أسد   رمت الشوامخ من عير ومن عظم

وذكره ابن أذينة وغيره من الشعراء وثنوه لما قدمناه ، وذكره ابن زبالة أيضاً .

وشهرة عير غير خافية قديماً وحديثاً ، إنما الغرابة في ثور . فقال أبو عبيد القاسم بن سلام : عير وثور جبلان بالمدينة ، وأهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يقال له : ثور ، وإنما ثور بمكة . قال : فإذاً نرى أن الحديث أصله مابين عير إلى أحد ، ونقل ذلك البيهقي في « المعرفة » ثم قال عقبه : وبلغني عن أبي عبيدة أنه قال في كتاب « الجبال » : بلغني أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . انتهى .

وقال المجد في عير : قال نصر : هو جبل يقابل الثنية المعروفة بشعب الجوز ، وثور : جبل عند أحد ، انتهى . فهذا أصل قديم كما نقله المحب الطبري وغيره عن ابن مزروع ، ولفظ الطبري : أخبرني الثقة الصدوق ، الحافظ العالم ، المجاور بحرم رسول الله ﷺ عبد السلام البصري ، أن حذاء أحد عن يساره جانحاً إلى ورائه جبلا صغيراً يقال له : ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الارض وما فيها من الجبال ، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور .

وقال القطب الحلبي : حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري : انه خرج رسولاً إلى العراق من صاحب المدينة ، وكان معه دليل يذكر له الأماكن ، قال : فلما وصلنا إلى أحد ، إذا بقربه جبل صغير ، فسألته عنه ، فقال : هذا يسمى : ثوراً . قال : فعلمت صحة الرواية .

وردّ الجمال المطري على من أنكر وجود ثور وقال : إنه خلف أحد من شماليه [١] ، صغير مدور ، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف .

قلت : وهو الآن مشهور معروف ، ومن علم حجة على من لم يعلم . وثبت بذلك أن أحداً من الحرم ، وما وقع في الروضة وغيرها من التحديد بأحد مبني على

(١) شمالي شرقي .

ما سبق ، مع أن النووي [قال] عقب نقله عن الحازمي : إن الرواية الصحيحة ما بين عير إلى أحد . قال : ويحتمل أن ثوراً كان اسماً لجبل هناك ، إما أحد ، وإما غيره ، فخفي اسمه . وقال غيره : فقد صحت الرواية بلفظ : ثور ، ولاينبغي الإقدام على توهيم الرواية لمجرد عدم العرفان ، فإن أسماء الأماكن قد تتغير أو تنسى ، ولايعلمها كثير من الناس .

قوله : شرف ذات الجيش . قال ابن زبالة : ذات الجيش : نقب ثنية الحفيرة من طريق مكة . وقال الهجري : هي شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة ، والحفيرة صدر وادي أبي كبير فوق مسجد الحرم ، والمعرس وذات الجيش تصب في وادي أبي كبير ، وطرف أعظم الغربي يدفع في ذات الجيش ، وما قبل من الصلصلين يدفع في بئر أبي عاصية ، ثم يدفع في ذات الجيش ، انتهى . وهو مقتض لان تكون ذات الجيش بقرب الصلصلين شآمي جبل أعظم فوق البيداء ، والناس يعدون ذلك اليوم من البيداء لقربه ، ولذا قالت عائشة رضي الله



جبل عير وهو حد المدينة من الجنوب ، وقد ظهر مثل السيف الممتد ويرى هذا الجبل من كل مكان في المدينة وما حولها التقطت هذه الصورة له من ناحية عروة وظهرت منارة مسجد عروة في المنظر

عنها في قصة ابتغاء عقدها ونزول آية التيمم : حتى إذا كنا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، وسيأتي في أسماء البقاع مسافة ما بينها وبين العقيق .

قوله : شريب . الظاهر : أنه مشيرب تصغير مشرب ، كما جاء في الرواية الاخرى ، وهو ما بين جبال شآمي ذات الجيش ، بينها وبين خلائق الضبوعة .

قوله : أشراف مخيض ، بلفظ : مخض اللبن ، هي جبال مخيض[1] على يمين القادم من الشأم حين يفضي من الجبال إلى البركة مصرف عين المدينة .

قوله : أشراف المجتهر ، كذا لابن النجار ، بالجيم والهاء المفتوحة . فإن صح ، فهو موضوع ، وإلا فهو تصحيف المخيض لمجيئه بدله فيما سبق .

قوله : الحفياء هي بالغابة شآمي المدينة على نحو ستة أميال منها .

قوله : ذي العشيرة ، تصغير عشرة : نقب شرقي الحفياء قوله : ثيب بفتح المثلثة ، ثم مثناة تحتية ساكنة ثم ، موحدة ، كذا رأيته مضبوطاً بالقلم في أصل من « تهذيب ابن هشام » وغيره . قال ابن زبالة : وهو جبل شرقي المدينة . وقال ابن هشام : إن ابا سفيان نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه . لكن قال الهجري : ثيأب كيتعب ، فاقتضى ان بعد الياء الساكنة همزة ، ويشهد له قول عباس بن مرداس من أبيات .

سلكن على وادي الشظاة فثيأبا

والشظاة : وادي قناة . ووقع لابن النجار بدله تيم ، بفتح الفوقية ، ثم التحتية ، وبالميم .

قال المجد : وهو تصحيف . والصواب : يتيب بتحتية ، ثم مثناة فوقية ، مضارع تاب : إذا رجع :

قوله : وعيرة ، بفتح أوله من الوعورة : جبل شرقي ثور أكبر منه وأصغر من أحد

---

(١) يقال الآن : مخيط بالطاء المهملة .

قوله : ثنية المحدث ، لم أر من تكلم عليه .

قوله : مضرب القبة . قال المجري : هو بين جبل أعظم ، وبين الشأم نحو ستة أميال أي : من المدينة .

قوله : من حيث اتسقت بنو فزارة لقاحي : كانت اللقاح بالغابة وماحولها قال ابن زبالة عقب ماتقدم : وذلك كله يشبه ان يكون بريداً في بريد ، وقد أخذ به مالك ، وفرق بين حرم الصيد وحرم الشجر ، فقال : الحرم حرمان ، فحرم الطير والوحش : من حرة واقم ، وهي الشرقية إلى حرة العقيق ، وهي الغربية ، وحرم الشجر بريد في بريد .

قات : ولم يعول اصحابنا في التحديد على البريد لعدم صحة أحاديثه ،ولو صحت لكان البريد حرماً مطلقاً ، إلا ان في روايه مسلم تسميته حمى ، فكأن مالكا فهم منها تحريم الشجرة ، ونحن نقول : إن أريد بالحمى الحرم ثبت الحكم على إطلاقه . وكذا روى الطبراني : في « الكبير » برجال ثقات عن عبد الله ابن سلام ، قال : مابين عير وأحد حرام ، حرمه رسول الله ﷺ ، ما كنت لاقطع به شجرة ، ولا أقتل به طائراً ، ففهم من التحريم استواء الحكم .

وروى ابن زبالة ومحله من الضعف معلوم ، تحريم مابين لابتيها ، أي المدينة ، من الصيد أن يصاد بها ، وإن ثبت ، فهو من قبيل افراد فرد من العام بحكمه ، والمفهوم من تحريم ذلك تشريف المدينة وتعظيمها به لحلول حبيبه ﷺ ، وانتشار أنواره بها ، كما جعل ماحول بيته الحرام حرماً ، فيوجد فيه من الخير والبركة والأنوار ما لا يوجد في غيره ، وتخصيص ذلك المقدار إما لأمر رباني ، وسر روحاني بثه الله تعالى فيه لتلك الحدود ، وأهل الشهود يرون الانوار منبتة بالحرم إلى حدوده وسيأتي أن النار الآتي ذكرها لما بلغته طفئت ، أو أنه ﷺ لما قدم المدينة وأضاء منها كل شيء كما رواه أنس ، كانت الإضاءات إلى تلك الحدود ، أو أن

الملائكة الموكلة بحراسة بلده بإقامة بتلك الحدود ، أو هو لأمر تقصر عنه عقولنا ، وحكم الباري تعالى بتحريم المدينة على لسان حبيبه ﷺ قديم من حيث أن الاحكام خطاباته تعالى ، والحادث تعلقها والتكليف بها . ولذا ذهب الاكثر : إلى أن مكة لم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والارض ، ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام ، فنسب تحريمها إليه . وقيل : لم تزل كغيرها إلى أن حرمها إبراهيم عليه السلام بدعوته ، أو بأمر الله تعالى له ، ولعل الاول يقول : إن الله تعالى أظهر تحريمها لملائكته يوم خلق السموات والارض ، وإلا فما معناه مع انتفاء التعلق التكليفي حينئذ ، وتأخر التكليف بتحريم المدينة ، حتى كان على لسان أشرف المرسلين وبدعوته خصيصة لها وكمال . (تنبيه) . البريد : أربع فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل : ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع كما صححه ابن عبد البر ، وهو الموافق لاختيار ما ذكروه من المسافات .

وقال النووي رحمه الله تعالى : إنه ستة آلاف ذراع ، وهو بعيد جداً . وقيل : ألفا ذراع ، والذراع : أربعة وعشرون إصبعاً ، كل أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، وذلك ذراع إلا ثمن من ذراع الحديد المستعمل بمصر ، كما حققه التقي الفاسي ، وهو الموافق لما اختبرناه من ذرع محققي المتقدمين ، وليكن ذلك على ذكر منك .

الفصل السابع في أحكام حرمها .

اتفق الائمة الثلاثة وغيرهم على تحريم قطع شجرها وصيدها خلافاً لابي حنيفة رضي الله عنه ، وما سبق من الاحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه ، ويتمسك بقوله ﷺ : « كما حرم إبراهيم مكة » على كل ما لم يقم دليل على افتراق الحرمين فيه .

ولمسلم : أن سعداً ركب إلى قصره بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجراً أو

يخبطه ، فسلبه ثيابه ، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد ، فكلموه أن يرد على غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم ، فقال : معاذ الله أن أرد شيئاً نفلنيه رسول الله ﷺ . وفي رواية للمفضل الجندي : فأخذ فأسه ونطعه وشيئاً سوى ذلك ، فاطلع العبد إلى سادته ، فأخبرهم ، فركبوا إلى سعد ، فقالوا : الغلام غلامنا ، فاردد إليه ما أخذت منه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ... » . وذكر الحديث السابق في الفصل قبله .

ولابي داود ، أن سعداً وجد عبيداً من عبيد المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة ، قال : فأخذ متاعهم ، وقال — يعني لمواليهم — : سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يقطع من شجر المدينة شيء ، وقال : « من قطع منه شيئاً فلمن أخذه سَلَبُهُ » .

ولابن زبالة : أن سعداً وجد جارية لعاصية السلمية تقطع الحمى ، فضربها ، وسلبها شملة لها ، وفأساً كانت معها ، فاستعدت عاصية عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : اردد إليها يا أبا اسحاق ، فقال : لا والله لا أرد إليها غنيمة غنمنيها رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » ، واتخذ من فأسها مسحاة ، فما زال يعمل بها حتى لقي الله تعالى .

وفي رواية له : يقطع شجراً بالعقيق ، وأنه قال : غنمنا رسول الله ﷺ من وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه .

وللجندي : أن عمر رضي الله عنه قال لغلام قدامة بن مظعون : إئت على هؤلاء الحطابين ، فمن وجدته احتطب فيما بين لابتي المدينة ، فلك فأسه وحبله وثوباه . قال عمر : ذلك كثير .

ولابي داود وهو صحيح أو حسن كما قال النووي ، أن سعداً أخذ رجلاً

يصيد في حرم المدينة الذي حرم رسول لله ﷺ ، فسلبه ثيابه، فجاء مواليه ، فكلموه فيه ، فقال : إن رسول الله ﷺ حرم هذا الحرم وقال : من أخذ أحداً يصيد فيه فليسلبه ، فلا أردُّ طعمة أطعمنيها رسول الله ﷺ ، ولكن إن شئتم دفعت إليكم ثمنه .

وفي « الموطأ » عن أبي أيوب الأنصاري ، أنه وجد غلماناً قد ألجؤوا ثعلباً إلى زاوية ، فطردهم عنه . قال مالك : لا أعلم إلا أنه قال : أفي حرم رسول الله ﷺ يصنع هذا ؟!

وللطبراني برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدل أبي أيوب : وله أيضاً عن شرحبيل بن سعد قال : أخذت نهَساً[1] يعني طائراً بالأسواق[2] فأخذه مني زيد بن ثابت ، فأرسله وقال : أما علمت أن رسول الله ﷺ حرم مابين لابتيها . ولأحمد وغيره نحوه .

وللطبراني في « الكبير » برجال ثقات عن عبد الله بن عباد الزرقي ، كنت أصيد العصافير في بئر إهاب ، وكانت لهم ، قال : فرآني عبادة بن الصامت وقد أخذت العصفور ، فينزعه مني ويرسله ويقول : أي بني ! إن رسول الله ﷺ حرم مابين لابتيها ، كما حرم إبراهيم مكة .

وللبزار ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، اصطدت طيراً بالقنبلة ، فلقيني أبي عبد الرحمن ، فعرك أذني ثم أخذه مني فأرسله ، وقال : إن رسول الله ﷺ حرم صيد ما بين لابتيها .

---

(١) قال في « مجمع البحار » : هو طائر يشبه الصرد يديم تحريك رأسه وذنبه ، يصطاد العصافير ويأوي إلى المقابر والأسواق بالمدينة ، اه .

(٢) صوابه : الاسواف بالفاء .

وتمسك الحنفية بقصة « أبا عمير ما فعل النغير » قالوا : وإلا لما جاز حبس النغير . ومحمله عندنا أنه من صيد الحل إذ لا يجب إرساله ، بل يجوز ذبحه بالحرم ، وهم يمنعون ذلك ، وبتقدير تسليمه ، فهو محتمل لأن يكون قبل تحريم المدينة ، وتمسك بعضهم بقطعه ﷺ النخل لبناء المسجد . وجوابه : أن ذلك كان في أول الهجرة ، وتحريم المدينة كان بعد رجوعه ﷺ من خيبر ، كما أوضحه الحافظ ابن حجر ، مع أن النخل مما يستنبته الآدميون ، وقد ذهبت الحنفية كالمالكية إلى جواز قطعه في الحرم المكي أيضاً . والأصح عندنا : المنع إلا لحاجة العمارة ونحوها كما سيأتي عن الغزالي ، بل قال الماوردي : إن محل الخلاف فيما كان من ذلك في موات الحرم ، فإن أنبته شخص في ملكه جاز قطعه بلا خلاف ، كما أنه لا خلاف في جواز قطع ما يستنبت من غير الشجر ، كالحنطة والخضروات مطلقاً .

وقال البيهقي : إنهم استدلوا بحديث سلمة : « أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت ، وتلقيتك إذا جئت ، فإني أحب العقيق » . قال : وهو حديث ضعيف لا يعارض به الاحاديث الصحيحة الثابتة . ويجوز أن يكون الموضع الذي كان يصيد فيه سلمة خارجاً من الحرم ، أي : لان العقيق يمتد إلى البقيع[1] كما سيأتي . فبعضه خارج من الحرم جزماً ، بخلاف موضع قصر سعد مع قصور العقيق ، فإنها بجرته مع احتمال أن ذلك كان قبل التحريم .

قال الطحاوي : يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الهجرة كانت إليها . وكان بقاء ذلك مما يزيد[2] في رؤيتها ، ويدعو إليها ، كما روى ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ نهى عن هدم آطام المدينة ، فإنها

(١) صوابه : النقيع بالنون .
(٢) صوابه : يزين .

من زينتها ، فلما انقطعت الهرة زال ذلك .

قلت : إن أراد أن النهي ليس للتحريم ، فهو خلاف مقتضاه ما لم يقم دليل على خلافه ، وإن أراد نسخه ، فالنسخ لا يثبت إلا بدليل . واختلف القائلون بالتحريم ، فعن أحمد في الجزاء روايتان ، وعن الشافعي قولان : الجديد . عدمه ،وهو قول مالك ، واختاره[1] ابن المنذر وابن نافع من أصحاب مالك وجوبه .

وقال القاضي عبد الوهاب : إنه الاقيس ، واختاره جماعة ، وهو كما في حرم مكة . وقيل : أخذ السلب ، وهو الاصح تفريعاً على القديم ، واختاره النووي وغيره لصحة حديث سعد . والجواب عنه مشكل ، ويسلب كالقتيل من الكفار ، حتى يؤخذ فرسه وسلاحه . وقيل : الثياب فقط ، ويكون ذلك للسالب على الاصح . وقيل : لفقراء المدينة ، ويترك للمسلوب ما يستر به عورته . وفي أخذه منه بعد وجهان . ويسلب إذا صاد وإن لم يتلف ، فإن كانت ثيابه مغصوبة لم يسلب بلا خلاف كما في شرح « المهذب » . وقال البلقيني : الذي يقتضيه النظر ، أن العبد لا يسلب إذ لا ملك له ، وكذا لو كان على الصائد ثوب مستأجر أو مستعار .

قلت : التحقيق التفصيل بين أن يأمر السيد ومن في معناه بذلك ، أم لا ، ويحمل ما اتفق لسعد على الاول ، ويجوز أخذ ما يتغذى به مما ينبت بنفسه كالرجلة ونحوه كما قاله المحب الطبري ، وهو ظاهر ، فهو أولى من أخذه للبهائم .

وفرق المطري تبعاً لابن النجار وابن الجوزي من الحنابلة ، بين حرم مكة والمدينة ، فقال بجواز أخذ ما تدعو الحاجة إليه من شجر حرم المدينة للرحل بالحاء المهملة ، والوسائد ، ومن حشيشه للعلف ، بخلاف مكة لما سبقت الإشارة إليه في بعض أحاديث الفصل قبله .

---

(١) صوابه : واختار .

ولابن زبالة : يا رسول الله إنا أصحاب عمل ، وإنا لا نستطيع أن ننتاب أرضاً ، فرخص لهم في القائمتين ، والوسادة والعارضة ، والاشنان .

قلت : مثل هذا لا يحتج به ، وسبق من جنسه ما يعارضه ، بل روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه بإسناد حسن ، إن كان رسول الله ﷺ ليمنع أن يقطع المسد[1] قال خارجة : والمسد مرود البكرة ، وأخذ الحشيش للدواب جائز عندنا على الاصح في حرم مكة . وقال النووي في حديث مسلم المتقدم : إن فيه جواز أخذ أوراق الشجر للعلف ، بخلاف خبط الاغصان وقطعها ، فإنه حرام . وقال هو وغيره في شجر مكة : إنه يجوز أخذ ورقها ، لكنها لا تحش حذراً من أن يصيب لحاءها ، فقد استوى الحرمان في ذلك .

وقال الغزالي في حرم مكة : لو قطع منه للحاجة التي يقطع لها الاذخر كتسقيف البيوت ونحوه ، ففيه الخلاف في قطعه للدواء ، أي : والاصح جوازه ، وتبعه على ذلك صاحب « الحاوي الصغير » ، فجوز القطع للحاجة مطلقاً ، ولم يخص الدواء .

فالحرمان في ذلك سواء ، وقل من تعرض للمسأله ، وما ذكروه في الدواء يتناول تحصيله له ، وإن لم يكن السبب قائماً ، وهو ظاهر إطلاق الماوردي ، واستدلال بعضهم بنقل السنا المكي ، لكن عبارة الروضة : ولو احتيج إليه للدواء . وفي شرح « المهذب » : يجوز أخذه للعلف . ولو أخذه ليبيعه ممن يعلف به ، لم يجز .

ومقتضى ما سبق في الفصل قبله من قوله في الحديث : « ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها » امتناع تنفير صيدها ، أي : لا يصاح عليه فينفر ، كما قالوه في الحرم المكي ، وقد سوى صاحب « الانتصار » من أصحابنا بين الحرمين ، في أن لقطتها لا تحل للتملك ، بل للحفظ أبداً ، وهو مقتضى الدليل ، خلافاً للدارمي حيث فرق بينها .

---

(١) المسد بالتخفيف .

وقال الائمة الثلاثة : إن لقطتها تحل للتملك كغيرها .

ومقتضى قوله : « ولا يحمل فيها سلاح لقتال » مجيء الخلاف الذي في مكة ، وأن المقاتلة الجائزة بغيرها تحرم فيها ، كقتال البغاة ، بل يضيق عليهم إلى أن يخرجوا أو يفيئوا . وذهب الحسن إلى تحريم حمل السلاح بمكة للنهي عن القتال فيها ، وهو سببه .

وفي « الصحيح » : لا يحل لاحد أن يحمل السلاح بمكة » . ونقل النووي عن الماوردي : أنه طرد الوجهين في سقوط فرض الاستنجاء بالذهب والديباج في حجارة الحرم .

قلت : ولعل مراده ما نقل منها إلى الحل ، إذ لا خلاف في جواز البول في الحرم ، فالاستنجاء بأحجاره كذلك . وصحح الرافعي كراهة نقل أحجار الحرم وترابه ، وما اتخذ منه ، ونقلها النووي عن كثيرين ، أو الاكثرين ، وصحح هو التحريم .

وقال أبو حنيفة : لا بأس به .

وحمل تراب الحل وأحجاره إلى الحرم خلاف الاولى كما في شرح « المهذب » . وأطلق في « الروضة » ، و« المناسك » : الكراهة عليه ، ويظهر أن محل ذلك فيما لم تدع الحاجة إليه ، فإن دعت الحاجة إلى نقل تراب الحل إلى الحرم أو عكسه ، كمن احتاج للسفر بآنية من تراب الحرم أو دخوله بها جاز ، وهو أولى مما سبق في جواز قطع نبات الحرم للدواء ونحوه ، وأولى من تجويز آنية الذهب والفضة للحاجة .

وقد قال الزركشي : ينبغي أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم تربة حمزة رضي الله عنه ، أي المأخوذة : من المسيل[1] الذي به مصرعه ، لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوي من الصداع .

---

(١) هو المسيل الذي من جهة أحد لا الذي من جهة القبلة .

قلت : فتربة صعيب أولى بذلك لما سبق فيها ، ويجب على من أخرج شيئاً من تراب الحرم أو حجره أن يرده ، ولا ضمان في تركه ،

قال الدميري : فإذا نقل تراب أحد الحرمين إلى الآخر ، هل يزول التحريم ، أي : فينقطع وجوب الرد ، أو يفرق بين نقله للأشرف وعكسه ، فيه نظر . وفي تغليظ الدية على القاتل خطأ بحرم المدينة كمكة خلاف مبني على الخلاف في ضمان صيدها ، ولذا اختار السراج البلقيني أنها تغلظ ، لان المختار كما سبق عن النووي وغيره : ضمان صيدها بالسلب ، وهو متجه . واستحسن الروياني التسوية بين الحرمين ، في أن من مات من الكفار بها يخرج ويدفن خارجها ، وعلى القول باختصاص مكة بذلك ، فسببه أن الكفار أخرجوا منها حبيبه ﷺ ، فعوقبوا بالمنع من الحلول فيها مطلقاً .

الفصل الثامن في خصائصها

وهي كثيرة تزيد على المائة إلا أن مكة شاركتها في بعض ذلك كالمذكور في الفصل قبله من تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها واصطياده ، وتنفيره ، وحمل السلاح للقتال بها ، وأمر لقطتها ، ونقل التراب ونحوه منها ، أو إليها ، ونبش الكافر إذا دفن بها .

وامتازت بتحريمها على لسان أشرف الانبياء بدعوته ﷺ ، وكون المتعرض لصيدها وشجرها يسلب كقتيل الكفار ، وهو أبلغ في الزجر مما جاء في مكة ، وعلى القول بعدمه ، هو أدل على عظيم حرمتها حيث لم يشرع له جابر ، وبجواز نقل ترابها للتداوي ، واشتمالها على أفضل البقاع ، ودفن أفضل الخلق بها ، وأفضل هذه الامة ، وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون ، وخلقهم من تربتها وبعث أشرف هذه الامة يوم القيامة منها على مانقله في « المدارك » عن مالك ، قال : وهو لايقوله من عند نفسه . وكونها محفوفة بالشهداء كما قاله مالك ايضاً : بها أفضل الشهداء الذين بذلوا أنفسهم في ذات الله تعالى بين يدي نبيه ﷺ ،فكان شهيداً عليهم ، واختيار الله تعالى لها قراراً لافضل خلقه ، وأحبهم إليه ، واختيار

أهلها للنصرة والايواء ، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان ، وافتتاح سائر بلاد الإسلام منها ، وجعلها مظهر الدين ، ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة والسكنى بها لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالانفس على ما قال عياض : إنه متفق عليه . وقال : ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الاقامة بمكة بعد الفتح ، ورخص له في ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه ، والحث على سكناها ، وعلى اتخاذ الاصل بها ، وعلى الموت فيها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة ، أو هما ، واستحباب الدعاء بالموت بها ، وحرصه ﷺ على موته بها ، وشفاعته أو شهادته لمن صبر على لأوائها وشدتها ، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة بما سبق بيانه ، ودعاؤه بحبها ، وان يجعل الله تعالى له بها قراراً ورزقاً حسناً ، وتحريكه الدابة عند قدومها من حبها ، وطرحه الرداء عن منكبيه إذا قاربها ، وتسميته لها بطيبة وغيرها مما سبق .

ومن خصائصها : طيب ريحها ، وللعطر فيها رائحة لاتوجد في غيرها ، قاله ياقوت . وطيب العيش بها وكثرة أسمائها ، وكتابتها في التوراة مؤمنة ، وتسميتها فيها بالمحبوبة والمرحومة وغيره مما سبق ، وإضافتها الى الله في قوله تعالى : (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) [النساء : ٩٧] والى الرسول بلفظ البيت في قوله تعالى : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) [الانفال : ٨] وإقسام الله تعالى بها في قوله تعالى : (لاأقسم بهذا البلد [البلد : ١] والبداءة بها في قوله تعالى : (رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) [الاسراء : ٨٩] مع أن المخرج مقدم على المدخل وكثرة دعائه ﷺ لها خصوصاً بالبركة ، ولثمارها ، ومكيالها ، ولسوقها وأهلها ، وقوله : « انها تنفي خبثها وانها تنفي الذنوب ، وأنه لايدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله تعالى فيها من هو خير منه ، ومن أرادها واهلها بسوء أذابه الله تعالى ... الحديث » .

فرتب الوعيد فيه على الإرادة ، كما قال تعالى في حرم مكة : (ومن يرد فيه

بإلحاد بظلم ...)الآية [الحج : ٢٥] والوعيد الشديد لمن أحدث بها أو آوى محدثاً .

والحدث : الإثم ، فيشمل الصغيرة ، فهي بها كبيرة ، أي : يعظم جزاؤها لدلالتها على جراءة مرتكبها بحرم سيد المرسلين ، وحضرته الشريفة .

والوعيد الشديد لمن ظلم أهلها او أخافهم ، ووعيد من لم يكرم أهلها ، وأن إكرامهم وحفظهم حق على الامة ، وأنه ﷺ شفيع أو شهيد لمن حفظهم فيه .

وقوله : « ومن أخاف أهل المدينة ، فقد أخاف مابين جنبي » واختصاصها بملك الايمان والحياء ، وبكون الايمان يأرز إليها ، واشتباكها بالملائكة ،وحراستهم لها ، وانها دار إسلام أبداً ، لحديث : « ان الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي هذا » « وانها آخر قرى الاسلام خراباً » رواه الترمذي وحسنه .

وعصمتها من الطاعون ، ومن الدجال مع خروج الرجل الذي هو خيرالناس ، أو من خير الناس منها إليه ، ونقل وبائها وحماها ، والاستشفاء بترابها وثمارها .

وقوله في حديث الطبراني : « وحق على كل مسلم زيارتها » وسماعه ﷺ لمن صلى أو سلم عليه بها عند قبره ، ووجوب شفاعته لمن زاره بها وغير ذلك مما سيأتي في فضل الزيارة ، وكونها اول ارض اتخذ بها مسجد لعامة المسلمين فيهذه الامة ، وتأسيس مسجدها على يده ﷺ ، وعمله فيه بنفسه ومعه خير الامة ، وأن الله تعالى أنزل [1] في بنائه : (لَمَسْجِدٌ أسس على التقْوى) . . . الآية [التوبة : ١٠٨] .

وكونه آخر مساجد الانبياء ، والمساجد التي تشد إليها الرحال ، وكونه أحق المساجد أن يزار ، وما به من المضاعفة الآتية ، وأن من صلى فيه أربعين صلاة كتبت له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرىء من النفاق ، وأن من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة ، وما ثبت من أن إتيان مسجد قباء ، والصلاة فيه تعدل عمرة ، وغير ذلك مما سيأتي في فضلها .

---

(١) المشهور في نزول هذه الآية : أنها نزلت في مسجد قباء لا في مسجد المدينة .

وأن ما بين بيته ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة ، مع ذهاب بعضهم إلى أن ذلك يعم مسجده ﷺ ، وأنه المسجد الذي لا تعرف بقعة في الارض من الجنة غيره ، وأن منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة ، وأن قوائمه ثوابت في الجنة ، وأنه على حوضه ﷺ ، وما جاء في أن ما بين منبره الشريف والمصلى روضة من رياض الجنة ، وسيأتي ما يقتضي أن المراد مصلى العيد ، وهذا جانب كبير من هذه البلدة .

وقوله في أحد : « جبل يحبنا ونحبه » ، وأنه على ترعة من ترع الجنة ، وفي واديها بطحان : « إنه على ترعة من ترع الجنة » ، ووصفه لواديها : العقيق ، وبالوادي المبارك ، وأنه يحبنا ونحبه .

وقوله في ثمارها : « إن العجوة من الجنة » . وسيأتي في بئر غَرْس [١] ، أنه ﷺ رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة ، فأصبح عليها ، ورؤيا الانبياء حق ، واختصاص مسجدها بمزيد الادب ، وخفض الصوت ، وتأكد التعلم والتعليم به ، وأنه لا يسمع النداء فيه ثم يخرج منه ـ إلا لحاجة ـ ثم لا يرجع إليه إلا منافق ، واختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم من دخوله لاختصاصه بملائكة الوحي ، والوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبرها ، ومضاعفة سائر الاعمال بها ، كما صرح به الغزالي وغيره .

وسيأتي حديث : « صيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها » وكون أهلها أول من يشفع لهم ﷺ ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام .

وجاء بعث الميت بها من الآمنين ، وأنه يبعث في بقيعها سبعون ألفاً على صورة القمر ، يدخلون الجنة بغير حساب .

ومثله في مقبرة بني سلمة [٢] ، وتوكل ملائكة بمقبرة بقيعها ، كلما امتلأت

(١) بفتح أوله وسكون الراء كما في « لسان العرب » .
(٢) هي التي فى عقاب قبيل الجرف وتكون غربي القبلتين .

أخذوا بأطرافها فكفؤوها في الجنة ، وبعثه ﷺ منها ، وبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس ، واستجاب الدعاء بها في الاماكن التي دعا بها ﷺ ، وسيأتي بيانها ، ويقال : إنه مستجاب بها عند الاسطوان المخلق ، وعند المنبر ، وبزاوية دار عقيل[1] ، وبمسجد الفتح على ما سيأتي ، وكثرة المساجد والمشاهد والمتبركات بها ، كما سيتضح لك ، واستحقاق من عاب تربتها للتعزير .

أفتى مالك فيمن قال : تربتها رديئة ، بأن يضرب ثلاثين دُرّة ، وأمر بسجنه ، وكان له قدر وقال : ما أحوجه إلى ضرب عنقه ، تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة .

واستحباب الدخول لها من طريق ، والرجوع من أخرى ، والاغتسال لدخولها ، وتخصيص أهلها بأبعد المواقيت[2] .

وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بها قبل مكة ، وأن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حجوا يقولون : نبدأ من حيث أحرم رسول الله ﷺ .

وعن علقمة ، والاسود ، وعمرو بن ميمون : أنهم بدؤوا بالمدينة . وعن العبدي من المالكية : المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة[3] .
وسيأتي أن من نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء قولاً واحداً . وفي وجوب الوفاء بزيارة قبر غيره وجهان ، ويكتفى بزيارته لمن نذر إتيان مسجده ، كما قاله الشيخ ابو علي تفريعاً على القول بلزوم الإتيان ، كما في البويطي ، وعلى أنه لابد من ضم قربه إلى الإتيان ، كما هو الاصح . والصحيح : عدم لزوم الإتيان .

---

(١) هي في البقيع عند باب قبة سيدنا عقيل بن أبي طالب بقرب قبر سيدنا عمر الجفري رحمه الله .

(٢) وهي ذي الحليفة لقرب المدينة بستة أميال وهي المسماة بالحسي .

(٣) لعله أفضل من المشي إلى الكعبة .

وجاء في سوقها : أن الجالب إليه كالمجاهد في سبيل الله ، وأن المحتكر فيه كالملحد في كتاب الله ، واختصت بظهور نار الحجاز المنذر بها من أرضها مع انطفائها عند حرمها كما سيأتي .

وبما تضمنه حديث الحاكم وغيره وصححه : « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة » وكان ابن عيينة يقول : نراه مالك بن أنس ، وقيل : غير ذلك .

وبما نقل عن مالك : من أن إجماع أهلها مقدم على خبر الواحد لسكناهم مهبط الوحي ، ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، واختصاص اهلها في قيام رمضان بست وثلاثين ركعة سوى الوتر على المشهور عند الشافعية .

قال الشافعي : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها : ثلاث الوتر . ونقل الروياني وغيره عن الشافعي : ان سببه إرادة اهل المدينة مساواة اهل مكة فيما كانوا يأتون به من الطواف وركعتيه بعد الترويحات ، فجعلوا مكان كل أسبوع ترويحة .

قال الشافعي : ولا يجوز لغير اهل المدينة أن يماروا اهل مكة ، ولا ينافسوهم ، لان الله تعالى فضلهم على سائر البلاد ، وقد بسطنا المسألة في كتابنا « مصابيح القيام في شهر الصيام » واهل المدينة اليوم يقومون بعشرين ركعة اول الليل ، وبستة عشر آخره ، ولم أتحقق ابتداء وقت التفريق ، ويجعلون لكل من الصلاتين إماماً غير الآخر ، ويقتصرون على إقامة الوتر جماعة اول الليل ، فتفوت من عزم على القيام آخر الليل ، وأخر وتره هذه السنة ، فذكرت لهم ذلك ، فصار إمام آخر الليل يوتر بفرقته . وإن اتحد الإمام قدم غيره فيه ، فيوتر بهم ، ثم غلبت الحظوظ النفسية ، فتركوا ذلك بعد سنين ، ولا يخفى ان مكة تشارك المدينة في بعض ما سبق . ومما اشتركا فيه ، ان كلا منها يقوم مقام المسجد الأقصى لمن نذر الصلاة او الاعتكاف فيه .

ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه الاقصى ، وأجزأ المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة به .

وإذا نذر المشي إليها ، قال ابن المنذر : يلزمه الوفاء . وإن نذر المشي إلى بيت المقدس ، يخير بين المشي إليه ، أو إلى أحدهما . والذي رجحوه ما اقتضاه كلام البغوي من عدم لزوم المشي في غير المسجد الحرام . وإذا نذر تطييب مسجد المدينة والاقصى ، فتردد فيه إمام الحرمين ، واقتضى كلام الغزالي تخصيص التردد بها ، فإن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة ، إو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا .

قلت : فينبغي الجزم بذلك في نذر تطييب القبر الشريف والله أعلم .

الفصل التاسع في بدء شأنها ، وما يؤول إليه أمرها ، وما وقع من ذلك .

عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : إن مكة بلد عظمه الله تعالى ، وعظم حرمته ، خلق مكة وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الارض كلها بألف عام ، ووصلها بالمدينة ، ووصل المدينة ببيت المقدس ، ثم خلق الارض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً » وهو حديث واه .

وعن علي رضي الله عنه : كانت الارض ماء ، فبعث الله ريحاً ، فمسحت الارض مسحاً ، فظهرت على الارض زبدة ، فقسمها أربع قطع ، خلق من قطعة مكة ، والثانية المدينة ، والثالثة بيت المقدس ، والرابعة الكوفة ، وهو أثر واه أيضاً .

وفي « الكبير » للطبراني مرفوعاً : « إن الله عز وجل اطلع إلى أهل المدينة وهي بطحاء قبل أن تعمر ليس فيها مدر ولا بشر ، فقال : يا أهل يثرب إني مشترط عليكم ثلاثاً ، وسائق إليكم من كل الثمرات ، لا تعصي ، ولا تعلي ، ولا تكبري ، فإن فعلت شيئاً من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع من أكله .

ولرزين وغيره مرفوعاً : لما تجلى الله لجبل طور سيناء تشظي ستة

أشظاظ ، وفي رواية : شظايا ، فنزلت بمكة ثلاثة : حراء ، وثبير ، وثور . وبالمدينة : أحد ، وعير ، وورقان ، وفي رواية : ورضوى بدل عير ، ورضوى بينبع من عمل المدينة ، وفي رواية : عير ، وثور ، ورضوى ، وفيه حكمة أخرى لتحديد الحرم بها .

وللطبراني والبزار في حديث الإسراء : أول ما أسري به ﷺ مر بأرض ذات نخل ، فقال له جبريل : انزل ، فنزل ، فصلى ، فقال : صليت بيثرب .

وللنسائي فقال : أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة .

وللشافعي رحمه الله حديث : « أسكنت أقل الارض مطراً ، وهي بين عيني السماء ، عين الشأم وعين اليمن ؟ » زاد ابن زبالة : فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة . وفي رواية له : « فأقلوا من الماشية ، وعليكم بالزرع ، وأكثروا فيه من الجماجم » .

وللشافعي : يوشك أهل المدينة أن تمطر مطراً لا يكن أهلها البيوت ، ولا تكنهم إلا مظال الشعر ، وفي رواية : أن يصيبها مطر أربعين ليلة ، لا يكن أهلها بيت من مدر .

وفي « أخبار المدينة » للمرجاني ، عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : ليعودن هذا الامر إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى لا يكون إيمان إلا بها .

ولأحمد برجال ثقات : « يوشك أن يرجع الناس إلى المدينة حتى تصير مسالحهم [1] بسلاح [2] .

---

(١) المسالح : جمع مسلحة وهي الثغر ، والمرقبة : يكون فيه أقوام يرقبون العدو ، والمعنى عليه : حتى تصير ثغورهم التي يرقبون العدو بذلك الموضع القريب من خيبر لاتساع المدينة وكثرة اهلها .

(٢) بسلاح ، كذا في «مجمع البحار» كقطام : موضع بقرب خيبر .

ولابن زبالة : كيف بك يا عائشة إذا رجع الناس بالمدينة ، وكانت كالرمانة المحشوة ؟ قالت : فمن أين يأكلون يا نبي الله ؟ قال : « يطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جنات عدن » . وفي رواية له : « وليوشكن أن يبلغ بنيانهم هيفا[1] » وله عقب ذكر شجرة ذي الحليفة مرفوعاً : « لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة » ، وله : « أريتك شرف السيالة وشرف الروحاء ، فإنه منازل أهل الاردن إذا حيز الناس إلى المدينة » .

ولمسلم : « تبلغ المساكن إهاب ، أو يهاب » أي : بكسر المثناة التحتية .

ولاحمد في حديث : أنه ﷺ خرج حتى أتى بئر الإهاب قال : « يوشك البنيان أن يأتي هذا المكان » .

وبئر إهاب كما سيأتي بالحرة الغربية ، وقد بلغتها المساكن قبل خراب المدينة ولابي يعلى عن أبي ذر ، قال لي رسول الله ﷺ : « إذا بلغ البناء سلعاً ، فارتحل إلى الشام » ، فلما بلغ البناء سلعاً قدمت الشام .

وللطبراني في « الكبير » : سيبلغ البناء سلعاً ، ثم يأتي على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول : قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر .

ولاحمد بإسناد حسن : « ليسيرن الراكب في جنب وادي المدينة ، فليقولن: لقد كان في هذه مرة حاضرة من المؤمنين » ، وللنسائي : آخر قرية من قرى الاسلام خراباً المدينة .

---

(١) لعل هنا تحريفاً من المطبعة ، لان هيفاء بلد على ساحل بحر الشام ؛ او ان الصواب : الحفيا اسم محل في حد حرم المدينة . وقال الاستاذ حمد الجاسر : هيفاء : حرة تقع المتجه الى نجد على بعد اربعة اميال من المسجد النبوي ، ومنها اجري معاوية العين الى مشهد حمزة رضي الله عنه ، كما في « المناسك » ص ٤٢٢ و ٥٢٥

وللترمذي نحوه وحسنه ، وكذا لابن حبان ، ولابي داود : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » وله[1] : « الملحمة الكبرى ، وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة اشهر » .

وفي « الصحيحين » : ليتركون المدينة على خير ماكانت مذللة ثمارها لايغشاها إلا العوافي » يريد : عوافي الطيور والسباع . وآخر من يحشر منها ، راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما ، فيجدانها وحوشاً » .

ولمسلم : وحشاً ، وزاد : حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما » ، وفي « الموطأ » « لتتركن المدينة على أحسن ماكانت حتى يدخل الكلب والذئب[2] فيعدى[3] على بعض سواري المسجد أو المنبر » يبول .

ولاحمد برجال ثقات : « المدينة يتركها أهلها وهي مرطبة ، قالوا : فمن يأكلها ؟ قال : السباع والعائف » .

وله برجال الصحيح : ان النبي ﷺ صعد أحداً ، فأقبل على المدينة وقال : « ويل أمها قرية يدعها أهلها كأينع ماتكون » .

وفي روايه : : ويل أمك قرية يدعك أهلك وأنت خير ماتكونين » .

ولابن شبة عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً : « ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ماكانت ، نصفها زهو ، ونصفها رطب ، قيل : من يخرجهم منها ياأبا هريرة ؟ قال : أمراء السوء[4] .

وله ان ابن عمر رد على أبي هريرة أي في تعبيره بخير ماكانت فقال له : لم

---

(١) أي لأبي داود (٢) صوابه : أو الذئب .

(٣) صوابه : فيغذي ، بالمعجمة أي : يبول .

(٤) يشير إلى واقعة الحرة من يزيد وأمرائه .

ترد علي ، فوالله لقد كنت أنا وأنت في بيت حين قال النبي ﷺ : « يخرج منها أهلها خير ما كانت » ، فقال ابن عمر : أجل ولكن لم يقله ، إنما قال : « أعمر ما كانت » ولو قال : « « خير ما كانت » ، لكان ذلك وهو حي واصحابه ، فقال ابو هريرة رضي الله عنه : « صدقت والذي نفسي بيده » .

ولاحمد برجال ثقات ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، أما إنهم سيدعونها أحسن ما تكون ... الحديث الآتي في الفصل بعده .

وقد اختلف في هذا الترك للمدينة ، فقال عياض : جرى في العصر الاول ، وذكر الاخباريون في بعض الفتن التي جرت بها : رحل أكثر أهلها وبقيت ثمارها للعوافي ، ثم تراجع الناس إليها . وزاد البدر بن فرحون في النقل عن عياض : وأن قوماً رأوا ما أنذر به ﷺ من تعدية الكلاب على سواري مسجدها ، وقال النووي : المختار : أن هذا يكون آخر الزمان عند قيام الساعة ، ويوضحه قوله في رواية لمسلم : « ثم يحشر راعيان » . وفي البخاري : « أنهما آخر من يحشر ».

قلت : روى ابن شبة حديث : « ليخرجن أهل المدينة من المدينة ، ثم ليعودن إليها ، ثم ليخرجن منها ، ثم لا يعودون » ، وحديث : « يخرج أهل المدينة منها ، ثم يعودون إليها ، فيعمرونها حتى تمتلىء وتبنى ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً » .

فالترك الثاني لم يقع ، وهو مراد النووي . ولذا روى ابن شبة عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً : آخر من يحشر رجلان ، رجل من جهينة ، وآخر من مزينة ، فيقولان : أين الناس ؟ فيأتيان المدينة ، فلا يريان إلا الثعالب ، فينزل إليهما ملكان ، فيسحبانها على وجوهها حتى يلحقانها بالناس » . وله : « آخر الناس محشراً رجلان من مزينة يفقدان الناس ، فيقول أحدهما لصاحبه : قد فقد الناس منذ حين » وفيه ثم يقول : انطلق بنا إلى المدينة ، فينطلقان ، فلا يجدان

بها أحداً ، ثم يقول : انطلق بنا إلى منزل قريش ببقيع الغرقد ، فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب ، فيتوجهان نحو البيت الحرام .

قلت : فهذا مبين لأن ذلك عند قيام الساعة ، وكأنهما لما كانا آخر الناس موتاً كانا آخرهم حشراً .

وفي رواية أنهما كانا ينزلان بجبل ورقان ، ويؤيد ما ذكره النووي أيضاً ما رواه ابن شبة بسند صحيح : « أما والله لندعنها مذللة أربعين عاماً للعوافي ، أتدرون ما العوافي ؟ الطير والسباع » .

وله : لا تقوم الساعة حتى يجيء الثعلب ، فيربض على منبر النبي ﷺ لا ينهنهه أحد » .

وله : ليجيئن الثعلب حتى يقيل في ظل المنبر ، ثم يروح لا ينهنهه أحد .

وله : عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً لكعب ، ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهي مذللة ، وحتى تبول السنانير على قطائف الخز ما يروعها شيء ، وحتى تخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء » .

ولابن زبالة : لا تقوم الساعة حتى تغلب على مسجدي هذا : الكلاب ، والذئاب والضباع ، فيمر الرجل ببابه ، فيريد أن يصلي فيه فما يقدر عليه » ، فهذا كله لم يقع اتفاقاً .

وأما الترك الأول الذي ذكره عياض ، فلعله المشار إليه بقول أبي هريرة رضي الله عنه لما قيل له : من يخرجهم منها ؟ قال : أمراء السوء .

ولابن شبة عنه : والذي نفسي بيده ، لتكونن بالمدينة ملحمة يقال لها : الحالقة ، لا أقول : حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد » .

ولابن أبي شيبة عنه : « اللهم لا تدركني سنة ستين ، ولا إمرة الصبيان

يشير الى ولاية يزيد وكانت سنة ستين ، وإلى كائنة الحرة . وهي السبب في ترك المدينة كما يشير إليه قول القرطبي تبعاً لعياض : فلما انتهى حـــال المدينة كمالاً وحسناً تناقض أمرها إلى أن أقفرت جهاتها ، وتوالت الفتن فيها ، فخاف أهلها ، فارتحلوا عنها .

ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينةفقاتل أهلها ، فهزمهم ، وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً ، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي ، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيـــار التابعين ، وهم ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل من حملة القرآن سبعمائة رجل . قال : وقال الامام ابن حزم في المرتبة الرابعة : وجالت الخيول في مسجد رسول الله ﷺ وبالت ، وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشريفهما ، وأكره الناس أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق .

وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنة ، فأمر بقتله ، فضرب عنقه .

وذكر الأخباريون : أنها خلت من أهلها ، وبقيت ثمارها للعوافي . وفي حال خلائها ، عدت الكلاب ، أي : بالت على سواري المسجد . ا هـ كلام القرطبي .

وسبب أمر يزيد بذلك على ما ذكره ابن الجوزي ، أنه ولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة ، فبعث إليه وفداً منها ، فلما رجعوا قالوا : قدمنـــا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطنابير ، ويلعب بالكلاب ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه مع إحسانه جائزتهم ، فخلعوه عند المنبر ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ، وعبد الله بن مطيع على قريش ، وأخرجوا عامله عثمان ،

وكان ابن حنظلة يقول : ما خرجنا عليه حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء .

وفي كتاب الواقدي : أن ابن ميناء كان عاملاً على صوافي المدينة ، وبها يومئذ صواف [1] كثيرة ، حتى كان معاوية رضي الله عنه يجد بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسين ألف وسق ، ويحصد مائة ألف وسق حنطة ، فأقبل ابن ميناء بشرج من الحرة يريد الأموال ، فلما انتهى إلى بلحارث ، منعوه ، فأعلم أمير المدينة عثمان بذلك ، فأرسل إلى ثلاثة من بلحارث ، فأجابوه [2] ، فعدا ابن ميناء ، فدبوه ، فرجع إلى الامير فقال : اجمع لهم ، وبعث معه بعض جنده ، فرفدت قريش الانصار ، وتفاقم الامر ، فكتب عثمان إلى يزيد بذلك ، وحرضه على أهل المدينة فقال : والله لابعثن لهم الجيوش ، ولأوطئنها الخيل ، فبعث مسلم بن عقبة في اثني عشر ألفاً وقال له : ادع القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم ، فأبحها ثلاثاً للجند ، وأجهز على جريحهم ، واقتل مدبرهم ، وإياك أن تبقي عليهم ، وإن لم يعرضوا لك ، فامض إلى ابن الزبير ، فلما قربوا تشاور أهل المدينة في خندق رسول الله ﷺ ، وشكوا [3] المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وعملوا في الخندق خمسة عشر يوماً ، فلما وصل القوم عسكروا بالجرف ، وبعثوا رجالاً أحدقوا بالمدينة ، فلم يجدوا مدخلاً والناس على أفواه الخنادق يرمون بالنبل ، وجلس مسلم بناحية واقم ، فرأى أمراً مهولاً ، فاستعان بمروان ، وكان أهل المدينة قد أخرجوه وغيره من بني أمية ، فلقي مسلماً ، فرجع معه ، فكلم مروان رجلا من بني حارثة ، ورغبه في الصنيع ، وقال : تفتح لنا طريقاً ، فاكتب بذلك إلى يزيد ، فيحسن جائزتك ، ففتح لهم طريقاً من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بني حارثة إلى بني عبد الأشهل .

---

(١) هي العيون .

(٢) صوابه : فما أجابوه .

(٣) شك القوم بيوتهم : جعلوها مصطفة متقاربة اهـ . مصباح .

قال محمود بن لبيد : حضرت يومئذ ، فإنما أُتينا من قومنا بني حارثة .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح عن ابن عباس قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها) [الاحزاب:١٥] يعني إدخال بني حارثة أهل الشأم على أهل المدينة في وقعة الحرة .

قال يعقوب : وكانت الواقعة سنة ثلاث وستين .

ولابن أبي خيثمة بسند صحيح الى جويريه بن أسماء : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون ، أن معاويه رضي الله عنه لما احتضر دعا بيزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فاني عرفت نصيحته ، فلما ولي يزيد ، وفد عليه ابن حنظلة وجماعة ، فأكرمهم ، فرجع ، وحرض الناس على يزيد ودعاهم إلى خلعه ، فأجابوه فبلغه ، فجهز مسلم بن عقبة ، فاستقبلهم أهل المدينه بجموع كثيرة ، فلما نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير ، وذلك أن بني حارثة أدخلوا قوماً من الشامين من جانب المدينة ، فترك أهل المدينة القتال ، ودخلوا خوفاً على أهليهم : فكانت الهزيمة ، وبايع مسلم الناس على أنهم خول ليزيد في دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء اهـ .

وذكر المجد وغيره أنهم سبوا الذريه ، واستباحوا الفروج ، وأنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتي حملن : أولاد الحرة[1] ، .

ولابن الجوزي ، عن هشام بن حسان : ولدت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج ، وممن قتل من الصحابة يومئذ صبراً : عبد الله بن حنظلة الغسيل مع ثمانية من بنيه ؛ وعبد الله بن زيد حاكي وضوء النبي ﷺ ، ومعقل بن سنان الأشجعي وكان شهد فتح مكة وكان معه راية قومه ، وفيه يقول شاعرهم :

ألا تلكمو الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان

---

(١) ولعلهم النخاولة كما هو الشائع على ألسنة العوام .

ولابن الجوزي عن سعيد بن المسيب : لقد رأيتني ليالي الحرة ، ومافي المسجد أحد من خلق الله غيري ، وإن أهل الشام ليدخلون زمراً يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، ولا يأتي وقت صلاة إلا سمعت أذاناً من القبر[1] ، ثم أقيمت الصلاة ، فتقدمت ، فصليت وما في المسجد أحد غيري .

وسمي مسلم بن عقبة مسرفاً لإسرافه في قتل أهل المدينة ، وكذا مجـــرماً لعظيم إجرامه .

وروي أنه أتى بعلي بن الحسين رضي الله عنهما مع غيظه عليه ، فلما رآه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه وقال له : سلني حوائجك ، فلم يسأله في أحد ممن قدّم للسيف إلا شفعه فيه ، وانصرف ، فقيل لعلي : رأيناك تحرك شفتيك ، فما الذي قلت ؟ قال : قلت : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، والأرضين السبع وما أقللن ، ورب العرش العظيم ، ورب محمد وآله الطيبين الطاهرين ، أعوذ بك من شره ، وأدرأ بك في نحره ، أسألك أن تريني خيره ، وتكفيني شره .

وقيل لمسلم : رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه ، فلما أتي به إليك رفعت منزلته قال : ما كان ذلك برأي مني ، ولقد ملىء قلبي منه رعباً .

ولما سار من المدينة لقتال ابن الزبير ، أهلكه الله في الطريق ، وابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه ، فمات بقديد . وقيل : بهرشى بعد الوقعة بثلاث ، وكان قد قال لحصين بن نمير : أمير المؤمنين ولاك بعدي ، فأسرع السير لابن الزبير . وأمره أن ينصب المجانيق على مكة ، ومضى الجيش لمكة ، وجعل يرمي الكعبة بالمنجنيق ، وأخذ رجل قبساً في رأس رمح ، فطار به الريح ، فاحترق البيت ، فجاءهم نعي يزيد هلال ربيع الآخر ، وكان بين الحرة وموته ثلاثة أشهر أو دونها ، فإنه توفي بالذبحة وذات الجنب نصف ربيع الأول ، وكانت وقعة الحرة ، وقتل

(١) وهذا دليل على حياته صلى الله عليه وسلم في البرزخ .

الحسين ، ورمي الكعبة من أشنع ما جرى في زمن يزيد .

وللواقدي : ان النبي ﷺ خرج في سفر من أسفاره ، فلما مر بحرة زهرة وقف واسترجع ، فسيء بذلك من معه ، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ما الذي رأيت ، فقال النبي ﷺ : « أما إن ذلك ليس من سفركم هذا » ؛ قالوا : فما هو ؟ قال : « يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي » .

وله ايضاً : كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على بني عبد الأشهل أشار بيده فقال : « يقتل بهذه الحرة خيار أمتي » .

وعن كعب قال : نجد في التوراة أن في حرة شرقي المدينة مقتلة [1] تضيء وجوههم يوم القيامة صنعا [2] ، ويقال للحرة : حرة واقم . وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة :

فإن تقتلونا يوم حـــرة واقم   فنحن على الاسلام اول من قتل
ونحن قتلنـــاكم ببدر أذلة   وأبنا بأسلاب لنا منكم نفـل
فإن ينج منها عائذ البيت سالماً   فكل الذي قد نالنا منكم بطل

يعني بعائذ البيت عبد الله بن الزبير .

الفصل العاشر في ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرضها وانطفائها عند وصولها لحرمها .

في « الصحيحين » حديث : « لا تقوم الساعة حتى تظهر نار الحجاز »

وللبخاري : « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » . وفي « مسند الفردوس » و « كامل ابن عدي » ، عن عمر مرفوعاً : « لا تقـــوم

---

(١) صوابه : قتلة ، أي : مقتولين .

(٢) قوله : « صنعا » معناه غير ظاهر ولعله تحريف من المطبعة .

الساعة حتى يسيل واد من اودية الحجاز بالنار تضيء له اعناق الإبل ببصرى » .

ولأحمد برجال ثقات ، عن ابي ذر : أقبلنا مع رسول الله ﷺ ، فرأينا ذا الحليفة ، فتعجل رجال إلى المدينة ، وبات رسول الله ﷺ ، وبتنا معه ، فلما أصبح ، سأل عنهم ، فقيل : تعجلوا إلى المدينة ، فقال : « تعجلوا إلى المدينة والنساء ، أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت » ثم قال : « ليت شعري متى تخرج نار بأرض اليمن من جبل الوراق تضيء منها اعناق الإبل ببصرى بروكاً كضوء النهار » .

قلت[1] : والمدينة وإن كانت حجازية ، فقد نص الشافعي على كونها يمانية ، كما نقله عنه البيهقي ، وروى في ذلك حديثاً .

وللطبراني في حديث لحذيفة بن أسد : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان ، او ركوبة تضيء منها اعناق الإبل ببصرى » .

وله عن عاصم بن عدي الأنصاري ، سألنا رسول الله ﷺ حدثان ما قدم ، فقال : أين حبس وسيل[1] ؟ قلنا : لا ندري ، فمر بي رجل من بني سليم ، فقلت : من أين جئت ؟ فقال : من حبس وسيل ، فدعوت بنعلي ، فانحدرت الى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله : سألتنا عن حبس وسيل ، فقلنا : لا علم لنا به ، وإنه مر بي هذا الرجل ، فسألته ، فزعم أن به أهله ، فسأله رسول الله ﷺ ، فقال : أين أهلك ؟ قال : بحبس وسيل ، فقال : أخرج أهلك منها ، فإنه يوشك أن تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصرى .

وعن رافع بن بشر السلمي عن ابيه مرفوعاً : « يوشك نار تخرج من حبس وسيل تسير سير مطية الإبل تسير النهار وتقيم الليل ... » الحديث اخرجه احمد

---

(١) قوله : قلت . جواب عن قوله في الحديث : « متى تخرج نار بأرض اليمن »

(١) ي « مجمع البحار » حبس سيل بإسقاط الواو .

وابو يعلى . قال الحافظ الهيثمي : ورجال احمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة اه .

وحبس بالضم ، ثم السكون : بين حرة بني سليم والسوارقية . وقال نصر : إنه بالفتح إحدى حرتي بني سليم ، وقد ظهرت هذه النار ، وأقبلت من قبلة المدينة مما يلي المشرق بجهة طريق السوارقية كما سيأتي ، وهي جهة بلاد بني سليم .

قال البدر بن فرحون : سالت هذه النار في وادي أحيلين .

وقال القطب القسطلاني : ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة في موضع يقال له : قاع الهيلا ، قرب مساكن قريظة ، بينها وبين أحيلين ، ثم امتدت آخذة في المشرق إلى قريب من أحيلين .

قلت : ولعل مظهرها أولاً كان من الموضع المشار إليه في الحديث ، لكن لم يحس بها الناس حتى سالت بالمحل المذكور لأنها للانذار ، فظهرت قرب بلدة النذير ﷺ ، وتقدمها زلازل مهولة أياماً ، وقد قال تعالى : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) [الاسراء : ٥٩] ولعلها لو ظهرت بغير هذا المحل وسلطان العظمة التي هي من آثاره قائم ، عم ضررها الأمة ، فخصت به ليتم الإنذار ، ثم إن أهل المدينة التجؤوا في أمرها إلى نبيهم المبعوث بالرحمة ، فصرفت عنهم ذات الشمال ، وقابلتها الرحمة ، فكانت برداً وسلاماً وظهرت بركة تربته ﷺ في أمته .

وقال النووي : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع اهل الشام :

قلت : وكانت في زمنه ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، لكنها كانت خفيفة ، فلم يدركها بعضهم مع تكررها ، واشتدت في يوم الثلاثاء ، وظهرت ظهوراً عظيماً ، ثم في ليلة الأربعاء ثالث الشهر في الثلث الأخير من الليل حدث زلزلة عظيمة جداً أشفق الناس منها ، واستمرت

تزلزل بقية الليل ، ثم الى يوم الجمعة ولها دوي أعظم من الرعد ، فتموج الأرض ، وتتحرك الجدرات حتى وقع في يوم واحد دون ليله ثماني عشرة حركة على ما حكاه القسطلاني [1] في كتاب أفرده لهذه النار ، وكانت في زمنه وهو بمكة .

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب سنان قاضي المدينة ، والقاشاني وغيرهما عجائب من ذلك .

قال القاشاني : تزلزلت الارض يوم الجمعة زلزلة عظيمة الى أن اضطربت منائر المسجد ، وسمع لسقفه صرير عظيم .

وقال القسطلاني : فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار ، فثار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشي الافق سواده ، فلما تراكمت الظلمات ، وأقبل الليل ، سطع شعاع النار ، فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق .

وقال القرطبي : وقد خرجت نار بالحجاز بالمدينة الشريفة ، وكان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة ، واستمرت الى ضحى يوم الجمعة ، فسكنت وظهرت ، أي النار . قال : وكانت ترى صفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن . ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته . ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد ، يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة . ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد . وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر .

وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام . وسمعت أنها رؤيت من مكة ، ومن جبال بصرى . انتهى .

---

(١) هذا غير شارح البخاري لأنه توفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وذلك بعد موت السيد السمهودي بإحدى عشرة سنة . وقال الأستاذ حمد الجاسر : والمقصود هنا : قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد المكي القسطلاني المتوفى سنة ٦٨٦ هـ .

وقال القسطلاني : إن ضوأها استولى على ما بطن وظهر ، حتى كأن الحرم والمدينة قد أشرقت بهما الشمس ، وتأثر من لهيبها النيران ، وصـار نور الشمس على الارض يعتريه صفرة ، ولونها هي يعتريه حمرة ، والقمر كأنه قد كسف .

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان . أنها رؤيت من مكة ، ومن الفلاة جميعها ، ومن ينبع .

قال أبو شامة : وأخبرني من أثق به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب والشمس والقمر في مدتها ما يطلعان إلا كاسفين ، وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان وكنا حيارى من ذلك الى أن بلغنا خبرها .

وقال القسطلاني : قد أخبرني جماعة أنهم شاهدوها من جبال ساية ، وجاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرى منها مثل ما هي من المدينة في البعد .

وقال العماد ابن كثير : اخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي ، قال : اخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة بصرى ، أنه أخبره غير واحد من الاعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ، انهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار ، فظهر انها الموعود بها ، وتمت بذلك المعجزة لحصول ما أخبره ﷺ ، وإنارتها بهذه الاماكن البعيدة ليتم الإنذار ، واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لايخفى ، وكانت نعمة في صورة نقمة ، فوجلت القلوب منها ، وأشفقت ، وأعتق امير المدينة عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ، ورد على الناس مظالمهم ، وابطل المكس ، وهبط للنبي ﷺ ، وبات في المسجد ليلة الجمعة والسبت ومعه جميع اهل المدينة حتى النساء والصغار واهل النخل يتضرعون ويبكون كاشفين رؤوسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم ﷺ ، فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال ، فمالت من وادي أحيلين الى جهة الشمال ، واستمرت مدة ثلاثة اشهر

على ما ذكره المؤرخون ، فطالت مدتها ليشتهر أمرها ، وينزجر عامة الخلق بها ، وعظم أمرها ليشاهد منها عنوان نار الآخرة .

وذكر القسطلاني عمن يثق به ، أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إليها ، فلم تجسر الخيل على القرب منها ، فترجل أصحابها وقربوا منها ، فذكروا أنها ترمي بشرر كالقصر ، ولم يظفروا بجلية أمرها ، نجرد عزمه لذلك ، فوصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر ، ولم يستطع أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض ، وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابلة ما يتصاعد من اللهب ، فعاين ناراً كالجبال الراسيات ، والتلال المجتمعة السائرات ، تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج ، وعقد لهيبها في الافق قتاماً ، حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراق في الآفاق . انتهى .

وفيه مخالفة لما نقله المطري ، عن علم الدين سنجر عتيق عز الدين منيف أمير المدينة من أن سيده أرسله إليها مع شخص من العرب ، قال : وقال لنا ونحن فارسان : اقربا منها ، وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ، فإن الناس يهابونها ؟ فقربنا منها ، فلم نجد لها حراً ، فنزلت عن فرسي ، وسرت إلى أن وصلت إليها وهي تأكل الصخر والحجر ، فأخذت سهماً من كنانتي ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها ، فلم أجد لذلك ألماً ولا حراً ، فعرق النصل ، ولم يحترق العود .

وذكر المطري قبل ذلك أنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ، ولاتأكل الشجر ، قال : وظهر لي أنه لتحريم النبي ﷺ شجر المدينة ، فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته على كل مخلوق .

قلت : صرح القسطلاني بما يرده حيث قال : إنها لم تزل مارة على سبيلها وهي تسحق ما والاها ، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى ، وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال ، فحالت دونه ، ثم وقفت . وإن طرفها الشامي وهو

الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له : « وعيرة » على قرب من شرقي جبل أحد ، ومضت في الشظاة التي في طرفها وادي حمزة رضي الله عنه ، حتى استقرت تجاه حرم النبي ﷺ ، فطفئت .

قال : وأخبرني شخص أعتمد عليه : أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرة كان بعضه خارجاً عن حد الحرم ، فعلقت بما خرج منه ، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت . وقال في موضع آخر : إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت الى موضع يقال له : قرين الارنب بقرب أحد ، فوقفت وانطفأت .

قلت : وهذا أولى بالاعتماد ، وأبلغ في الإعجاز .

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان ما يؤيده ، فإنه قال فيه : إن سيل هذه النار انحدر مع وادي الشظاة حتى حاذى جبل أحد ، وكادت النار تقارب حرة العريض ، ثم سكن قتيرها الذي يلي المدينة ، وطفئت مما يلي العريض ، ورجعت تسير في المشرق ، وكذا قول المؤرخين : انها سالت سيلاً ذريعاً في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة ونصف ، وهي تجري على وجه الارض ، والصخر يذوب كالآنك ، ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادي عند منتهى الحرة ، أي : في المشرق ، حتى قطعت في وسط وادي الشظاة الى جهة جبل وعيرة ، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار .

قلت : وآثار السد موجودة اليوم هناك ، ويسمى الحبس .

وقال القسطلاني : أخبرني جمع أركن إلى قولهم : تركت على الارض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الارض الاصلية . انتهى .

وانقطع وادي الشظاة بسبب ذلك ، وصار السيل ينحبس خلف السد المذكور

حتى يصير بحراً مد [1] البصر عرضاً وطولاً ، وسيأتي خبر انخراقه في الفصل الثاني من الباب الثامن .

ومن العجائب أن في تلك السنة احترق المسجد النبوي حريقه الاول عقب انطفاء هذه النار ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرق أكثر بغداد ، وتهدمت دار الوزير ، ثم في السنة التي بعدها وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار لبغداد ، وقتل الخليفة وأهلها وبذل السيف فيهم نيفاً وثلاثين يوماً ، وألقيت الكتب تحت أرجل الدواب ، وبني منها معالفهم بالمدرسة المستنصرية ، وخلت بغداد ، ثم استولى عليها الحريق حتى عم ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة ، وشوهد على بعض حيطانها:

إن ترد عبرة فهذي بنوالعـ ... باس دارت عليهم الدائرات

استبيح الحريم إذ قتل الاحـ ... ـياء منهم وأحرق الاموات

وكثر الموت والفناء بتلك الناحية ، وطوى بساط الخلافة منها ، وذكر بعضهم هذه النار وغرق بغداد ، وأصلحه أبو شامة منبهاً على أنها في سنة بقوله :

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

في سنة أغرق العراق وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

وقريب من هذه النار ، ماذكره ابن شبة في أخبار خالد بن سنان العبسي ، وهو كما في الخبر : نبي ضيعه قومه ، وكانت سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر ، وكانت الابل تعشى بضوئها من مسيرة ثماني ليال ، وان خالداً أطفأها عنهم ؛ وقدبسطنا خبرها في الاصل .

وللبيهقي في « الدلائل » في خبر معاوية بن حرمل في قدومه المدينة ، وقول عمر له : اذهب إلى خير المؤمنين ، وانزل عليه ، يعني تميماً الداري ، قال : فبينا نحن ذات يوم ، إذ خرجت نار من الحرة ، فجاء عمر رضي الله عنه إلى تميم

(١) هذا الغدير هو المعروف اليوم بالعاقول اه .

الداري ، فقال : قم إلى هذه النار ، فقال : يأأمير المؤمنين : ومن أنا وما أنا ؟ فلم يزل به حتى قام معه ، قال : وتبعتها ، فانطلقنا الى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه ، حتى دخلت الشعب ، ودخل تميم خلفها ، رهذا شبيه بما وقع لخالد بن سنان ، وأنشد بعض أهل المدينة في النار المتقدمة :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا   لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو اليك خطوباً لا نطيق لها   حملا ونحن بها حقاً أحقاء
زلازلاً تخشع الصم الصلاب لها   وكيف تقوى على الزلزال شماء
أقام سبعاً يرج الارض فانصدعت   عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن   من الهضاب لها في الارض أرساء
ترمي لها شرراً كالقصر [1] طائشة   كأنها ديمة تنصبُّ هطلاء
تنشق منها بيوت الصخر ان زفرت   رعباً وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان الى   أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت سفعة في البدر لفحتها   فليلة التم بعد النور عمياء
تحدث النيرات السبع ألسنها   بما يلاقي بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج الى   أن صار تلفحها بالارض أهواء
فباسمك الاعظم المكنون إن عظمت   منا الذنوب وساء القلب أسواء
فاسمح وهب وتفضل بالرضى كرماً   وارحم فكل لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف الت   عذيب عنهم وعم القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى ولنا   منه الى عفوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذي لولاه ماسلكت   محجة في سبيل الله بيضاء
فارحم وصل على المختار ما خطبت   على علا منبر الاوراق ورقاء

---

(١) لعلها كبار الصخر .

الباب الثاني

في فضل الزيارة ، والمسجد النبوي ، ومتعلقاتها ، وفيه خمسة فصول

الأول في فضل الزيارة ، وتأكدها ، وشد الرحال إليها ، وصحة نذرها ، وحكم الاستئجار عليها .

روى الدارقطني في « السنن » وغيرها ، والبيهقي ، وغيرهما من طريق موسى ابن هلال العبدي ، عن عبيد الله العمري مصغراً ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من زار قبري وجبت له شفاعتي »[1]. واختلف على ابن سمرة ، فرواه مرة من طريق عبيد الله العمري مصغراً كغيره ، ومرة مكبراً ، ومرض ذلك الحافظ يحيى بن علي القرشي ، وصوب التصغير .

وفي « تاريخ ابن عساكر » : المحفوظ عن ابن سمرة : عبيد الله . وفي « كامل ابن عدي » ، عبد الله أصح ، وفيه نظر ، وإن صح ، حمل كما قال السبكي على أنه عند موسى بن هلال عنهما جميعاً ، مع أن المكبر روى له مسلم مقروناً بغيره .

وقال أبو حاتم : رأيت أحمد يحسن الثناء عليه ، وقال يحيى بن معين : ليس به بأس يكتب حديثه ، وقال : إنه في نافع صالح .

وموسى بن هلال قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، وقد روى عنه ستة ، منهم : الامام أحمد ، ولم يكن يروي إلا عن ثقة ، فلا يضره قول أبي

---

(١) هذا الحديث وما شاكله لم يثبت منه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ ابن حجر في « التلخيص » بعد ذكر أكثر هذه الروايات : طرق هذا الحديث كلها ضعيفة ، وقال الحافظ العقيلي : لا يصح في هذا الباب شيء .

حاتم : إنه مجهول ، وقول العقيلي : لا يتابـع عليه . وسيأتي في الحديث الثالث متابعة مسلمة الجهني له ، ولذلك ذكر هذا الحديث عبد الحق في « الاحكام الوسطى » و « الصغرى » ، وسكت عليه ، مع قوله في « الصغرى » : إنه تخيرها صحيحة الاسناد ، معروفة عند النقاد ، قد نقلها الاثبات ، وتداولها الثقات .

وذكر نحوه في « الوسطى » ، وسبقه ابن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث ، وهو متضمن لمعنى هذا .

ومعنى وجبت : أنها ثابتة لابد منها بالوعد الصدق .

وقوله : له ، أي : يخص بشفاعة ليست لغيره ، أو يفرد بشفاعة مما تحصل لغيره تشريفاً له ، أو أن دخوله في الشفاعة لا بد منه ، فهو بشرى بموته مسلماً، فلا يضمن فيه شرط الوفـاة على الاسلام بخلافه على الاولين . وقوله : شفاعتي ، أي ، إنه يشفع فيه هو بنفسه ، والشفاعة تعظم بعظم الشافع .

وللبزار من طريق عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من زار قبري حلت له شفاعتي » ، وهـذا هو الاول ، ولذا عزاه عبد الحق للدارقطني أيضاً ، إلا أن في الأول وجبت ، وفي هذا : حلت ، والقصد تقوية الاول به ، فلا يضره ما قيل في عبد الله الغفاري ، وكذا ما قيل في عبد الرحمن بن زيد ، إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب ، ولا فسق ، ومثله يحتمل في المتابعات . وقد روى الترمذي وغيره لعبد الرحمن بن زيد ، وقال ابن عدي : إنه ممن احتمله الناس ، وإنه ممن يكتب حديثه ، وصحـح الحاكم حديثاً من جهته في التوسل .

وللطبراني في « الكبير » و « الاوسط » ، والدارقطني في « أماليه » وأبي بكر بن المقري في « معجمه » ، من طريق مسلمة بن سالم الجهني ، حدثني عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن سالم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : «من

جاءني زائراً لاتعمده [1] حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة .

وفي « معجم ابن المقري » بالسند المذكور ، عن نافع وسالم ، عن ابن عمر مرفوعاً : « من جاءني زائراً كان حقاً على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » .

وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في « باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ » من كتابه المسمى « بالسنن الصحاح المأثورة عن النبي ﷺ » وهو محذوف الاسانيد . ومقتضى ما شرطه في خطبته ، أن يكون مما أجمع على صحته ، وكأنه فهم من الحديث الزيارة بعد الموت ، أو أن ما بعد الموت داخل في العموم ، وهو صحيح .

وللدارقطني والطبراني وغيرهما بسند فيه حفص بن أبي داود القاري ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر مرفوعاً : « من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » وحفص هذا وثقه أحمد في أرجح الروايتين عنه ، وضعفه جماعة وهو لم ينفرد بهذا الحديث ، فقد رواه الطبراني في « الكبير » ، و « الاوسط » من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث ، عن الليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من زار قبري ... الحديث » . ورواه بعض الحفاظ المعاصرين لابن منده من طريق حفص بلفظ : « من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي ، كان كمن زارني في حياتي » ، وابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » بلفظ : « من حج فزار قبري بعد موتي ، كان كمن زارني في حياتي وصحبني »، قال أبو اليمن ابن عساكر : تفرد بقوله : « وصحبني » الحسن بن الطيب ، وفيه نظر ، وهي زيادة منكرة . قال السبكي : لم ينفرد بها ابن الطيب ، فقد رواه كذلك ابن عدي في « كامله » ، من طريق الحسن بن سفيان ، بدل ابن الطيب .

---

(١) الذي في « وفاء الوفا » ، و « حاشية الايضاح » : لا تعمله حاجة اهـ . ثم رأيته صرح بذلك في آداب الزيارة مع بيان المراد منه .

قلت : وذلك لا يقتضي التشبيه بن صحبه من كل وجه حتى يعارض : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ... الحديث » كما زعمه بعضهم .

ولابن عدي في « الكامل » والدارقطني في « غرائب مالك » ، من طريق النعمان بن شبل ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » .

قال ابن عدي: لا أعلم من رواه عن مالك غير النعمان ، ولم أر في أحاديثه حديثاً غريباً قد جاوز الحد فأذكره .

ونقل في صدر ترجمته عن عمران بن موسى ، أنه ثقة : وعن موسى بن هارون أنه متهم ، والتهمة غير مفسرة ، فالحكم للتوثيق . وقول الدارقطني : تفرد به هذا الشيخ وهو منكر : الظاهر أنه لعدم احتمال تفرده بهذا الإسناد لا بالنسبة إلى المتن ، فذكره في الموضوعات سرف .

وللدارقطني في « العلل » بإسناده ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً أو شهيداً » وقيل : أخطأ بعض رواته في متنه ، إذ المعروف من حديث ابن عمر : « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة : الحديث » وفيه نظر .

ولأبي داود الطيالسي : حدثنا سوار بن ميمون العبدي ، حدثني رجل من آل عمر ، عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « من زار قبري ، أو قال : من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله تعالى من الآمنين يوم القيامة » قال السبكي : سوار روى عنه شعبة ، فدل على ثقته عنده ، فلم يبق إلا الرجل المبهم ، والأمر فيه قريب سيما وهو من طبقة التابعين .

ولأبي جعفر العقيلي من رواية سوار المتقدم ، عن رجل من آل الخطاب مرفوعاً : « من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة ، ومن مات ...

الحديث » ، وفي رواية له عن هارون بن قزعة ، غن رجل من آل الخطاب نحوه ، وزاد عقب « في جواري يوم القيامة » : ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة . وهارون بن قزعة ذكره ابن حبان في الثقات ، فلم يبق إلا الرجل المبهم ، وإرساله . وسيأتي عن هارون بن قزعة مسنداً بلفظ آخر .

وللدارقطني وغيره من طريقه ، عن رجل من آل حاطب ، عن حاطب مرفوعاً : « من زارني بعد موتي ، فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

ولأبي الفتح الازدي في الثاني من فوائده بإسناده عن علقمة ، عن عبد الله مرفوعاً : « من حج حجة الإسلام ، وزار قبري ، وغزا غزوة ، وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه » .

ولابي الفتوح سعيد بن محمد في « جزئه » رواية ابن الاغاطي ، من طريق عبد الله العمري ، سمعت سعيداً المقبري يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من زارني بعد موتي ، فكأنما زارني وأنا حيّ ، ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

ولابن أبي الدنيا والبيهقيّ ، عن سليمان بن يزيد الكعبي ، عن أنس بن مالك مرفوعاً : « من زارني بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » ، وفي رواية : « بأو » ولفظ البيهقي : « من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة » . وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث ليس بقوي ، ولا يلزم من كونه يروي عن التابعين عدم إدراكه أنساً .

ولابن النجار من طريق سمعان بن المهدي ، عن أنس مرفوعاً : « من زارني ميتا ، فكأنما زارني حياً ، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة ، وما

من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني ، فليس له عذر » . وقال الذهبي : سمعان ابن مهدي عن أنس : لا يكاد يعرف ، ألصقت به نسخة مكذوبة . وقال الحافظ ابن حجر : أكثر متونها موضوعة .

ولأبي جعفر العقيلي من طريق فضالة بن سعيد ، عن محمد بن يحيى المازني ولم يذكر فيها العقيلي سوى التفرد والنكارة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال : شفيعاً » ولبعض الحفاظ في زمن ابن منده ، وهو في « مسند الفردوس » ، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي ، كتبت له حجتان مبرورتان » وليحيى بن الحسين من طريق النعمان بن شبل ، وسبق الكلام فيه في الحديث الخامس ، قال : حدثنا محمد بن الفضل مديني سنة ست وسبعين ، عن جابر ، عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه مرفوعا : « من زار قبري بعد موتي ، فكأنما زارني في حياتي ، ومن لم يزرني فقد جفاني » .

وقوله : مديني ، يقتضي أنه غير محمد بن الفضل ابن عطية الذي كذبوه ، لأن ذاك كوفي نزل بخاري ، وجابر يحتمل أنه الجعفي وغيره ، ومحمد بن علي إن كان ابن الحنفية ، فقد أدرك أباه علياً ، وإن كان الباقر ، فهو منقطع .

ورواه ابن عساكر من غير هذه الطريق ، من غير تصريح بالرفع ، ولفظه عن علي رضي الله عنه قال : من سأل لرسول الله ﷺ الدرجة والوسيلة ، حلت له شفاعتي يوم القيامة ، ومن زار قبر رسول الله ﷺ ، كان في جوار رسول الله ﷺ » ، وفيه عبد الملك بن هارون بن عنترة فيه كلام كثير .

ولطاهر بن يحي في روايته لكتاب أبيه يحيى المتقدم ذكره عقب حديث علي المتقدم ما لفظه : حدثني أبي قال : حدثنا أبو يحيى محمد بن الفضل بن نباتة

النميري ، قال : حدثنا الحماني ، قال : حدثنا الثوري ، عن عبد الله بن السائب ، عن ابن مسعود ، عن رسول الله ﷺ مثله .

وليحيى أيضاً من طريق عبد الله بن وهب وهو ثقة ، عن رجل ، عن بكر ابن عبد الله مرفوعاً : « من أتى المدينة زائراً إلي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً » ، وفيه الرجل المبهم ، وبكر بن عبد الله إن كان الانصاري فهو صحابي ، وإن كان المزني ، فهو تابعي جليل ، فيكون مرسلا .

ولأبي داود بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام » ، صدر به البيهقي « باب الزيارة » ، واعتمد على ذلك جماعة ، منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى لتضمنه فضيلة رده ﷺ وهي عظيمة .

وذكر ابن قدامة هذا الحديث من رواية أحمد بلفظ : « ما من أحد يسلم عليّ عند قبري » « فإن ثبت ، وإلا فالمسلم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب المستدعي للرد ، ولذا قال الإمام الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله المقبري احد اكابر شيوخ البخاري : هذا الحديث في الزيارة : « اذا زارني فسلم علي رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه » ، ويؤيده ان اصل السلام عرفاً : ما يواجه به المسلم عليه من قرب ، ويكنى به عن الزيارة ، وهو سلام التحية المستدعي للرد على المسلم بنفسه او برسوله ، بخلاف السلام الذي يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى ، سواء كان بلفظ الغيبة ، او الحضور ، وهو الذي قيل باختصاصه به عن الامة ، كالصلاة ، فلا يقال : فلان عليه السلام . وهذا الحديث استدل به البيهقي لحياة الأنبياء ، قال : والمعنى : الا وقد رد الله علي روحي حتى ارد عليه . وقيل : هو خطاب على مقدار فهم المخاطبين ، انه لا بد من رد الروح ليسمع ،

فكأنه قال : أسمعه تمام السماع ، وأجيبه تمام الإجابة مع دلالته على الرد عند سلام اول مسلم ، ولم يرد قبضها بعد ، ولا قائل به لتوالي موتات لا تحصر ، او ان الرد معنوي من الاستغراق في الشهود ، فهو التفات روحاني الى دوائر البشرية من الاستغراق في الحضرة العلية .

واما حديث النسائي وغيره : « ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من أمتي السلام » ، وأحاديث عرض الملك لصلاة الامة وسلامها عليه ﷺ ، فذاك في حق الغائب ، واما الحاضر ففيه حديثان :

الاول : عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائياً بلغته » ، رواه جماعة من طريق ابي عبد الرحمن ، قال البيهقي : وهو محمد بن مروان السدي فيما ارى ، وفيه نظر .

والثاني : وهو أضعف من الاول ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ايضاً : « من صلى علي عند قبري ، وكل الله تعالى بها ملكاً يبلغني ، وكفي أمر آخرته ، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » . وفي رواية : « ما من عبد يسلم علي عند قبري الا وكل الله بها ملكاً يبلغني ، وكفي أمر آخرته ودنياه ، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

وذكر في « الإحياء » حديث « ان الله وكل بقبره ﷺ ملكاً يبلغه سلام من سلم عليه من امته ، ثم قال : هذا في حق من لم يحضر قبره ، فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً اليه ، وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن ، وفي رواية بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه الا عرفه ، ورد عليه السلام » .

ولابن ابي الدنيا : « اذا مر الرجل بقبر يعرفه ، فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ، رد عليه السلام » وسيأتي

قول ابن حبيب : فإنه ﷺ يعلم وقوفك ، وقد ذكر ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » كما نقله ابن عبد الهادي ، ان الشهداء بل كل المؤمنين اذا زارهم المسلم وسلم عليهم عرفوا به ، وردوا عليه السلام ، فإذا كان هذا في حق آحاد المسلمين ، فكيف بسيد المرسلين ﷺ ؛ فهو ﷺ كما سيأتي يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه ، عالماً بحضوره عند قبره ، وكفى بهذا فضلا حقيقاً بأن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل اليه .

وفي « توثيق عرى الإيمان » للبارزي ، عن سليمان بن سحيم ، رأيت رسول الله ﷺ في النوم ، فقلت : يا رسول الله ! هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك ، أتفقه سلامهم ؟ قال : نعم وأرد عليهم .

ولابن النجار عن ابراهيم بن بشار ، حججت في بعض السنين ، فجئت المدينة ، فتقدمت الى قبر النبي ﷺ ، فسلمت عليه ، فسمعت من داخل الحجرة : وعليك السلام . ونقل مثله عن جماعة من الاولياء والصالحين ، ولا شك في حياته ﷺ بعد الموت ، وكذا سائر الانبياء عليهم السلام حياة اكمل من حياة الشهداء التي اخبر الله بها في كتابه العزيز ، وهو ﷺ سيد الشهداء ، وأعمال الشهداء في ميزاته ، وقد قال ﷺ كما رواه الحافظ المنذري : « علمي بعد وفاتي ، كعلمي في حياتي » .

ولابن عدي في « كامله » ، وابي يعلى برجال ثقات ، عن انس رضي الله عنه مرفوعاً : « الانبياء أحياء في قبورهم يصلون » وصححه البيهقي .

وحديث ابن ابي ليلى ، وهو سيء الحفظ ، عن انس مرفوعاً : « ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ، ولكن يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور » . وقال البيهقي : ان صح ، فالمراد والله اعلم : لا يتركون لا يصلون الا هذا المقدار ، ثم يكونون مصلين فيما بين يدي الله ، وقال : وحياة الانبياء

بعد موتهم عليهم الصلاة والسلام شواهد من الاحاديث الصحيحة . وذكر حديث : « مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره » . وغيره من احاديث لقاء النبي ﷺ لهم . وحديث أوس بن اوس مرفوعاً : « أفضل ايامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم . وفيه قبض . وفيه النفخة . وفيه الصعقة . فأكثروا علي من الصلاة فيه . فإن صلاتكم معروضة علي » . قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت ؟ يقولون : بليت . فقال : « ان الله تعالى حرم على الارض اجساد الانبياء » عليهم السلام . اخرجه ابن حبان في « صحيحه » . والحاكم وصححه . وذكر البيهقي له شواهد .

ولابن ماجه بإسناد جيد ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها » ، قال : قلت : وبعد الموت . قال : « وبعد الموت ، إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » عليهم السلام فنبي الله حي يرزق ، هذا لفظ ابن ماجه .

ولابن عساكر من طرق ، عن عمار بن ياسر مرفوعاً : « إن الله أعطاني ملكاً من الملائكة يقوم على قبري إذا أنا مت ، فلا يصلي علي أحد صلاة إلا قال : يا أحمد ! فلان بن فلان يصلي عليك ، يسميه باسمه واسم أبيه ، فيصلي الله عليه مكانها عشراً » . وفي رواية : « إن الله أعطى ملكاً أسماء الخلائق » وفي رواية : « أسماع الخلائق ، فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ... » الحديث .

وللبزار برجال الصحيح ، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : إن لله تعالى ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي ، قال : وقال رسول الله ﷺ : حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض علي أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » .

وقال الاستاذ أبو منصور البغدادي : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا ﷺ حي بعد وفاته ، وإنه يسر بطاعات أمته ، وإن الأنبياء لا يبلون ، مع أنا نعتقد ثبوت الإدراكات ، كالعلم والسماع لسائر الموتى ، ونقطع بعود حياة لكل ميت في قبره ، ونعيم القبر وعذابه ثابت ، وهو من الاعراض المشروطة بالحياة ، لكنه لا يتوقف على البنية .

وأما أدلة الحياة في الانبياء ، فمقتضاها أنها مع البنية مع قوة النفوذ في العالم ، والاستغناء عن العوائد الدنيوية .

وعن صاحب « الدر المنظم » أنه ﷺ لما مات ، ترك في أمته رحمة لهم ، فإنه سأل الله عز وجل أن يكون بين أمته إلى يوم القيامة ، وحديث : « أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث » لا أصل له .

وعن المنهال بن عمرو : كنت أنا وسعيد بن المسيب إلى جنب حجرة أم سلمة ، فجعل الناس يدخلون بيت رسول الله ﷺ ، فقال سعيد : أترى هؤلاء ما أحمقهم ؟ إنهم يرون أنه في بيته . قلت : أجل ، قال : إنه لا يبقى نبي من أولي العزم فوق أربعين ليلة حتى يرفع ، وإن نبي الله ﷺ لم يبق في الارض فوق أربعين ليلة حتى رفع ، وإنه ليس من يوم إلا وتعرض عليه أمته طرفي النهار ، فيعرفهم بأسمائهم ونسبهم ، وبذلك يشهد عليهم .

ورواه عبد الرزاق بلفظ : أن سعيد بن المسيب رأى قوماً يسلمون على النبي ﷺ ، فقال : ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً ، ثم عقبه بحديث : « مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره » إشارة لرد ذاك ، ويشير إليه أيضاً حديث : « إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » عليهم السلام ، في جواب قولهم : وكيف [1] تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون : بليت . وابن المسيب لم

(١) قوله : وكيف تعرض صلاتنا عليك الخ : قال المجد : وفي الحديث كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ، أي : بليت ، أصله : أرممت ، فحذفت إحدى الميمين ، كأحست في أحسست اه .

ينكر التسليم ، لأنه وإن صح ما قاله ، فالقبر الشريف له به ﷺ علاقة والتفات روحاني ، وله نسبة إليه ، مع أنا قطعنا بوضعه ﷺ به ، فنستصحبه حتى يقوم قاطع على خلافه .

وسبق في « الفصل التاسع » ما أخبر به سعيد بن المسيب من سماعه الاذان والإقامة من القبر أيام الحرة ، وقال عثمان رضي الله عنه أيام حصاره : لن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ فيها .

وروى ابن عساكر بسند جيد ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح بداريا بعد فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس ، قال : ثم إن بلالا رأى النبي ﷺ وهو يقول له : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه حزيناً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر رسول الله ﷺ ، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين ، فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا : نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد ، فعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما أن قال : الله أكبر ، ارتجت المدينة ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ازدادت رجتها ، فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، خرجت العواتق من خدورهن وقالوا : بعث رسول الله ﷺ ، فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم .

وقال الحافظ عبد الغني وغيره : إن بلالا لم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ إلا مرة في قدمة قدمها للزيارة طلب إليه الصحابة ذلك فأذن ولم يتم الاذان . وقيل : أذن لابي بكر في خلافته .

وليس الاعتماد في السفر للزيارة على مجرد منامه ، بل على فعله لذلك ، والصحابة متوفرون ، ولم تخف عليهم القصة ، والمنام مؤكد لذلك .

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشـام يقول : سلم لي على رسول الله ﷺ .

وقال الإمام أبو بكر بن عمر بن أبي عاصم النبيل من المتقدمين في مناسك له التزم فيها الثبوت : وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصـداً من الشام الى المدينة ليقرىء النبي ﷺ السلام ، ثم يرجع .

وفي « فتوح الشام » : أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار بعد فتح بيت المقدس : هـل لك أن تسـير معي الى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين .

ولما قدم عمر المدينة ، أول ما بدأ بالمسجد ، وسلم على رسول الله ﷺ .

وصح أن ابن عمر كان إذا قـدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا أبتاه .

وفي « الموطأ » ان ابن عمر رضي الله عنهما كان يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي على النبي ﷺ ، وعلى أبي بكر وعمر .

وعن ابن القاسم ، والعقنبي : ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وعن ابن عون : سأل رجل نافعاً هل كان ابن عمر يسلم على القبر ؟ قال : نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة ، كان يأتي القبر فيقوم عنده ، فيقول : السلام على النبي ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، وسيأتي ما رواه أبو حنيفة رحمه الله عن ابن عمر من قوله : من السنة أن يأتي قبر النبي ﷺ من قبـل القبلة .. الخبر الآتي ، وما رواه احمد وغيره من وجود مروان لابي ايوب الانصاري واضعاً وجهه على القبر .

وفي « الشفا » : قال بعضهم : رأيت انس بن مالك أتى إلى قبر النبي ﷺ ، فوقف ، فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة ، فسلم على النبي ﷺ . ثم انصرف .

وللبزار : خرج عمر إلى منبر رسول الله ﷺ ، فإذا معاذ بن جبل قائم يبكي عند قبر رسول الله ﷺ ، فقال : ما يبكيك يا معاذ ؟ ... الحديث » .

واخرج الحافظ ابو ذر الهروي في اواخر كتاب « السنة » له ، من طريق محمد ابن يوسف بن الطباخ . قال : حدثنا مصعب ، قال : قال الدراوردي : رأيت جعفر بن محمد أي الصادق بن الباقر ، جاء فسلم على رسول الله ﷺ ، ثم انثنى ، فسلم على ابي بكر وعمر ، فرآني كأني تعجبت . او قال : فسرني اي : لإكذابه بذلك ما تزعمه الشيعة من بغضه للشيخين . قال : فقال لي : والله إن هذا الذي أدين الله به ، وإنه ما يسرني ان اقول لمعاوية : خزاه الله ، او فعل الله به وأن لي الدنيا .

واخرج الدارقطني في « الفضائل » عن عبد الله بن جعفر : ان علي بن ابي طالب دخل المسجد فبكى حيث نظر إلى بيت فاطمة ، فأطال البكاء ، ثم انصرف إلى قبر النبي ﷺ ، فبكى فأطال البكاء عنده ، ثم قال : وعليكما السلام يا أخوي ورحمة الله ، قد كنتما هاديين مهديين ، خرجتما من الدنيا خميصين يعني ابا بكر وعمر .

وذكر ابن عبد البر والبلاذري وغيرهما : أن زياد بن أبيه أراد الحج ، فأتاه ابو بكرة وهو لا يكلمه ، فأخذ ابنه ليخاطبه ويسمع زياداً ، فقال : إن اباك فعل وفعل ، وإنه يريد الحج ، وام حبيبة هناك . فإن اذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ . وإن هي حجبته فأعظم بها حجة عليه . قال البلاذري : فترك الحج تلك السنة . وقيل : غير ذلك . فلولا ان إتيان المدينة والزيارة للحاج عندهم مما لا يترك ، ما قال ابو بكرة ذلك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة ، فإنه كان بالعراق ومكة اقرب إليه .

وفي « الشفا » . قال : اسحاق بن ابراهيم الفقيه : ومما لم يزل من شأن

من حج المرور بالمدينة ، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، والتبرك برؤية روضته ، ومنبره وقبره ، ومجلسه ، وملامس يديه ، ومواطىء قدميه ، والعمود الذي يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه . ومن عمده وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله .

وتقدم في الفصل الثامن : اختلاف السلف ان في الافضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة . وان ممن اختار البداءة بالمدينة علقمة والاسود وعمرو بن ميمون من التابعين . ولعل سببه إيثار الزيارة اولا .

وفي فتاوي ابي الليث السمرقندي : روى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة انه قال : الاحسن للحاج أن يبدأ بمكة . فإذا قضى نسكه مر بالمدينة . وإن بدأ بها جاز ، فيأتي قريباً من قبر رسول ﷺ ، فيقوم بين القبر والقبلة .

وقال عياض : زيارة قبر رسول الله ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها . وأوضح السبكي أمر الإجماع على الزيارة قولاً وفعلاً ، وسرد كلام الأئمة في ذلك فليراجع ، وبين أنها قربة بالسنة .

وقد سبق من السنة الخاصة بها مافيه مقنع ، وجاء في السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، وقبره ﷺ سيد القبور ، فهو داخل في ذلك .

وبالقياس على ماثبت من زيارته لأهل البقيع والشهداء ، فقبره أولى لماله من الحق ووجوب التعظيم ، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به .

وفيه التبرك بذلك ، وتأدية الحق ، وبذكر الآخرة كما في زيارة غيره .

وبالاجماع لما سبق ، ولاجماع العلماء على زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي ، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها ، واختلفوا في النساء ، وامتاز القبر الشريف النبوي بالادلة الخاصة به ، فيستثنى من محل الخلاف بالنسبة إلى النساء كما أشار إليه السبكي والريمي وغيرهما ، وهو مقتضى إطلاق الأئمة .

وبالكتاب لقوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك ...) الآيه [النساء : ٦٤] لحثه على المجيء إليه ، والاستغفار عنده ، واستغفاره للجانين ، وهذه رتبة لاتنقطع بموته ، وقد استغفر لكل من المؤمنين والمؤمنات لأمر الله به في كتابه ، فإذا وجـــد المجيء واستغفار الجائي تكملت الامور الموجبة لتوبة الله ورحمته .

وقوله : (واستغفر لهم) معطوف على (جاؤك) ، فلا يقتضي كونا ستغفاره بعد استغفارهم ، مع أنا لانسلم أنه لايستغفر لهم بعد الموت لما سبق من حياته ، واستغفاره لامته عند عرض اعمالهم ، فهو متوقع كما في الحياة .

ويعلم من كمال رحمته أنه لايترك ذلك لمن جاءه ، وسيأتي في الفصل بعده عن مالك في مناظرته المنصور مايشهد بذلك ، وكذا عن غيره .

وقد فهم العلماء من الآية : العموم ، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوهـــا ويستغفر الله تعالى ، وأوردوا حكاية العتـــبي الآتية في كتبهم مستحسنين لها ؛ وذكرها ابن عساكر في « تاريخه » ؛ وابن الجوزي في مثير العزم » ؛ وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ ؛ فزرته ؛ وجلست بحذائه ؛ فجاء أعرابي ... وذكر نحو ماسيأتي .

بل روى أبو سعيد السمعاني ؛ عن علي رضي الله عنه قال : قدم علينااعرابي بعد مادفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ؛ فرمى بنفسه على قبره ؛ وحثى من ترابه على رأسه ؛ وقـال : يا رسول الله ! قلت فسمعنا قولك ؛ ووعيت عن الله سبحانـه وما وعينا عنك ؛ وكان فيما أنزل عليك : (ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم ...) الآية وقد ظلمت نفسي ؛ وجئتك تستغفر لي ؛ فنودي من القبر : إنه قد غفر لك .

بل يستدل بالآية ؛ وكذا بما سبق أيضاً على مشروعية السفر للزيارة ؛ وشد الرحال لشمـوله المجيء من قرب ومن بعد ؛ ولعموم قوله : « من زار قبري » وفي الحديث الذي صححه ابن السكن : « من جاءني زائراً » .

وإذا ثبت ان الزيارة قربة ؛ فالسفر إليها كذلك ؛ وقد ثبت خروجه ﷺ من المدينة لزيارة الشهداء ؛ وقد أطبق السلف والخلف واجمعوا عليه .

وحديث : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ؛ معناه : لاتشد الرحال إلى مسجد لفضيلته لما في رواية لأحمد وابن شبة بسند حسن ؛ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « لاينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ؛ ومسجدي هذا ؛ والمسجد الاقصى » وللاجماع على شدالرحال لعرفة لقضاء النسك ؛ وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر ؛ وللتجارة ومصالح الدنيا ، واختلفوا في شد الرحال لبقية المساجد غير الثلاثة ؛ فقيل : يحرم . وقيل : لا ، وانما أبان ﷺ أن القربة المقصودة فيها دون غيرها . ونقل عياض أن منع أعمال المطي في غير الثلاثة ؛ انما هو للنادر ، على أن السفر بقصد الزيارة غايته مسجد المدينة لمجاورته القبر الشريف ؛ وقصد الزائر الحلول فيه لتعظيم من حل بتلك البقعة كما لو كان حياً ، وليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها ؛ بل من حل فيها .

وقوله : من زار قبري ؛ أي زارني في قبري . ويرشد لذلك حديث : «خير ماركبت إليه الرواحل مسجدي هذا ؛ والبيت العتيق » ؛ مع حديث : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ؛ فاني آخر الأنبياء ؛ ومسجدي آخر المساجد » .

فإن قيل : روى عبد الرزاق ؛ أن الحسن بن الحسن رأى قوماً عند القبر ؛ فنهاهم وقال : إن النبيّ ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني » . وللقاضي اسماعيل ، عن سهل بن أبي سهيل ، جئت أسلم على النبيّ ﷺ وحسن بن حسن يتعشى ، فقال : هلم إلى العشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالي رأيتك وقفت ؟ قلت : وقفت أسلم على النبي ﷺ ، فقال : إذا دخلت فسلم عليه ... وذكر الحديث » . ولأبي يعلى ، عن علي بن الحسين ، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند

قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها ، فيدعو ، فنهاه ، فقال : ألا أحدثكم ... وأسند الحديث » .

قلنا : في رواية للقاضي اسماعيل : أن رجلا كان يأتي كل غداة ، فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي إليه ، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين ، فقال له : ما يحملك على هذا ؟ فقال : أحب التسليم على النبي ﷺ ، فقال له علي : أخبرني أبيّ ... وذكر الحديث » .

فتبين أن ذلك الرجل زاد في الحد ، وهو موافق لما سيأتي عن مالك في كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر الشريف ، أو كراهة ذلك لمن لم يقدم من سفر ، أو أنه رآه يبالغ في الدنو من القبر بالدخول في تلك الفرجة ، فأراد إعلامه أن السلام يبلغ مع الغيبة ، ولأنه رآه يتكلف الإكثار من الحضور . وعليه يحمل ماجاء عن الحسن بن الحسن لقوله : إذا دخلت فسلم عليه . وقد روى يحيى بن الحسن ، أن علي بن الحسين رضي الله عنهما ، كان إذا جاء يسلم على النبي ﷺ وقف عند الاسطوانة التي تلي الروضة الشريفة ، ثم يسلم ، ثم يقول : هاهنا رأس رسول الله ﷺ .

قال المطري : وهو موقف السلف قبل إدخال الحجرة في المسجد ، وسيأتي خبر آخر في بيان الموضع الذي كان يقف عنده عليّ بن الحسين من جهة الوجه الشريف . وقال يحيى : حدثنا هارون بن موسى الفروي ، قال : سمعت جدي أبا علقمة يسئل : كيف كان الناس يسلمون على رسول الله ﷺ قبل أن يدخل البيت في المسجد ؟ فقال : كان يقف الناس على باب البيت يسلمون عليه ، وكان الباب ليس عليه غلق حتى هلكت عائشة رضي الله عنها .

وقال الحافظ المنذري في حديث « لا تجعلوا قبري عيداً » : يحتمل أن يكون حثاً على كثرة الزيارة ، وأن لا يهمل حتى لايزار إلا في بعض الأوقات ،

كالعيد . ويؤيده قوله : « لاتجعلو بيوتكم قبوراً » أي لا تتركوا الصلاة فيها .

قال السبكي : ويحتمل أن يكون المراد : لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه ، أو لا يتخذ كالعيد في العكوف عليه ، وإظهار الزينة ، والاجتماع وغيره مما يعمل في الاعياد ، بل لا يؤتى إلا الزيارة والسلام والدعاء ، ثم ينصرف عنه .

وقال عبد الحق الصقلي عن أبي عمران : إنما كره مالك رحمه الله تعالى أن يقال : زرنا قبر النبيّ ﷺ ، لان الزياره من شاء فعلها ، ومن شاء تركها ، وزيارة قبر النبي ﷺ واجبة . قال عبد الحق : يعني من السنن الواجبة . وقيل : حمى مالك إضافة الزيارة إلى القبر قطعاً للذريعة . وقيل : لان المضي إليه ليس ليصله بذلك ، ولا لينفعه ، وإنما هو رغبة في التواب ، فهو من باب : أن كلمة أعلى من كلمة ، والمختار عندنا : عدم الكراهة في إطلاق ذلك . وقالت الحنفية : زيارته ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات ، بل تقرب من درجة الواجبات ، وقد سرد السبكي المنقول في ذلك من كتب المذاهب الاربعة ، فلا نطول به . وقال القاضي ابن كج من أصحابنا : إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ ، فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً ، وإذا نذر أن يزور قبر غيره ، ففيه وجهان ، والقطع به هو الحق ، لانه قربة مقصودة للأدلة الخاصة فيه ، وقد وجب من جنس ذلك الهجرة إليه في حياته ﷺ كما قيل بوجوب جنس الاعتكاف لوجوب الوقوف بعرفة .

ووجه الخلاف في غيره تشبيهه بزيارة القادمين ونحوه مما لم يوضح قربة مقصودة ، وإن كان قربة من حيث ترغيب الشرع فيه لعموم فائدته ، فيكون الاصح لزومه أيضاً .

وقال العبدي من المالكية في شرح « الرسالة » : وأما النذر للمشي إلى المسجد الحرام ، والمشي إلى مكة ، فله أصل في الشرع ، وهو الحج والعمرة ، وإلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، وليس عنده

حج ولا عمرة ، فإذا نذر المشي إلى هذه الثلاثة لزمه الوفاء ، فالكعبة متفق عليها .

ويختلف أصحابنا في المسجدين الآخرين . قال السبكي : وهذا الخلاف في نذر إتيان المسجدين ، لا في نذر الزيارة . وفي « تهذيب الطالب » لعبد الحق : قيل للشيخ أبي محمد بن أبي زيد فيمن استؤجر بمال ليحج وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور ؟ قال : يرد من الاجرة بقدر مسافة الزيارة . وقال غيره : عليه أن يرجع ثانية حتى يزور . وقال عبد الحق : إن استؤجر لسنة بعينها سقط ما يخص الزيارة ، وإن استؤجر على حجة في ذمته يرجع ويزور ، وقد اتفق النقلان .

قال السبكي : وهذا فرع حسن . والذي ذكره أصحابنا : أن الاستئجار على الزيارة لا يصح ، لانه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع ، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضاً ، لان ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير ، وإن وقعت على الدعاء عند القبر الشريف كانت صحيحة لان الدعاء مما تصح النيابة فيه ، والجهل بالدعاء لا يبطلها ، قاله الماوردي .

وبقي قسم ثالث لم يذكره ، وهو إبلاغ السلام ، ولا شك في جواز الإجارة والجعالة عليه ، والظاهر أنه مراد المالكية .

قلت : في « التفقيه » للريمي : إن في الاستئجار للزيارة ثلاثة أوجه ، أصحها فيما قال ابن سراقة : الجواز . واختاره الاصبحي صاحب « المفتاح » . والثاني : المنع ، وبه قطع الماوردي . والثالث وبه قال الإمام الحليمي ، واختاره الاصبحي صاحب « المعين » : أنه يبنى على ما إذا حلف لايكلم فلاناً فكاتبه أو راسله . والصحيح : عدم الحنث . فلا يصح الاستئجار . وإن قلنا : يحنث . صح .

قلت : البناء ضعيف إذ الملحظ في الايمان العرف . وأما الزيارة ، وإبلاغ السلام ، فقربة مقصودة . كما أن المكاتبة يحصل بها التودد والصلة وإن لم يسم كلاماً . والحق صحة الاستئجار للسلام عليه ﷺ وللدعاء عنده .

الفصل الثاني في توسل الزائر به ﷺ إلى ربه تعالى ، واستقباله له في سلامه ، ودعائه ، وآداب الزيارة والمجاورة .

التوسل والتشفع[1] به ﷺ ، وبجاهه وبركته : من سنن المرسلين ، وسير السلف الصالحين . وصحح الحاكم حديث : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد ﷺ لما غفرت لي ، فقال : يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إليّ إذ سألتني بحقه ، فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك .

وللنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح غريب ، عن عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله لي أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى ، اللهم شفعه في » ، وصححه البيهقي وزاد : فقام وقد أبصر . وله وللطبراني ، عن عثمان بن حنيف أيضاً ، أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة ، فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته ، فشكا ذلك لابن حنيف ، فقال له : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل ، فصنع ذلك ، ثم أتى باب عثمان ، فجاءه

---

(١) أثبتنا هذا البحث نظراً إلى الأمانة العلميـــة التي توجب عدم التصرف في كلام المصنف ، وإلا فنحن برآء من كل ما يخالف النصوص الشرعية وطريقة السلف الصالح ممـــا ذكره المصنف .

البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة ، فقال : ما حاجتك ؟ فذكر حاجته وقضاها له ، ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى الساعة ، وما كانت لك من حاجة فاذكرها ، ثم خرج من عنده ، فلقي ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته في ، فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير ، فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي ﷺ : أو تصبر ؟ فقال : يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد شق علي ، فقال له النبي ﷺ : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهـــذه الدعوات ، قال ابن حنيف : فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط .

وسيأتي في قبر فاطمة بنت أسد قوله ﷺ في دعائه لها : بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي ... الحديث » . وسنده جيد . وذكر المحبوب أو المعظم قد يكون سبباً في الإجابة .

وفي العادة أن من توسل بمن له قدر عند شخص أجاب اكراماً له ، وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه . واذا جاز التوسل بالاعمال كما صح في حديث الغار وهي مخلوقة ، فالسؤال به ﷺ أولى ، ولا فرق في ذلك بين التعبـــير بالتوسل أو الاستعانة أو التشفع أو التجوّه ، أي : التوجه به ﷺ في الحاجة . وقد يكون ذلك بمعنى طلب أن يدعو كما في حال الحياة ، اذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من يسأله .

ومنه ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح ، عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه ، قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب ، فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! استسق لأمتك ، فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام ، فقال : ائت عمر ، فاقرئه السلام ،

وأخبره أنهم مسقون ، وقل له : عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر رضي الله عنه ، فأخبره ، فبكى عمر ، ثم قال : يا رب ! ما آلو الا ما عجزت عنه .

وبين سيف في « الفتوح » أن الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضي الله عنهم . وقال الإمام أبو بكر بن المقري : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ ، وكنا في حالة وأثر فينا الجوع . وواصلنا ذلك اليوم . فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي ﷺ ، فقلت : يارسول الله الجوع وانصرفت . فنمت أنا وأبو الشيخ ، والطبراني جالس ينظر في شيء . فحضر علوي معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير . فجلسنا وأكلنا . وترك عندنا الباقي . وقال : يا قوم أشكوتم الى رسول الله ﷺ . فإني رأيته في المنام . فأمرني أن أحمل بشيء اليكم .

وقال أبو العباس ابن نفيس المقري الضرير : جعت بالمدينة ثلاثة أيام . فجئت الى القبر . فقلت : يا رسول الله جعت . ثم بت ضعيفاً . فركضتني جارية برجلها . فقمت معها الى دارها . فقدمت الي خبز بر وتمراً وسمناً . وقالت : كل يا أبا العباس . فقد أمرني بهذا جدي ﷺ . ومتى جعت فائت الينا . والوقائع في هذا المعنى كثيرة جداً .

قال ابو سليمان داود الشاذلي في كتابه « البيان والانتصار » عقب ذكر كثير من ذلك : قد وقع لي كثير مما ذكر وأمثاله : أن الذي يأمره ﷺ سيما اذا كان المسؤول طعاماً . انما يكون من الذرية . اذ من اخلاق الكرام اذا سئلوا ذلك ان يتولوه بأنفسهم . أو بمن يكون منهم .

وقال ابو محمد الاشبيلي : نزلت برجل من اهل غرناطة علة عجز عنها الاطباء . وأيسوا من برئها . فكتب عنه الوزير ابن ابي الخصال كتاباً الى رسول الله ﷺ

يسأله فيه الشفاء لدائه . وضمنه شعراً ذكرناه في الاصل اوله :

كتاب وقيذ من زمانته مشفي   بقبر رسول الله أحمد يستشفي

قال : فما هو إلا أن وصل الركب إلى المدينة الشريفة ، وقرىء على قبر رسول الله ﷺ هذا الشعر ، وبرأ الرجل مكانه ، وسيأتي ما يقتضي أمر عائشة رضي الله عنها بالاستسقاء عند الجدب بقبره ﷺ ، بل يجوز كما قال السبكي : التوسل بسائر الصالحين ، وإن نقل عن ابن عبد السلام أن سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغي أن يخص بنبينا ﷺ ، ففي « الصحيح » عن أنس رضي الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا » ، قال : فيسقون . وفي رواية للحافظ أبي القاسم هبة الله عن ابن عباس ، أن عمر رضي الله عنه قال : اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك ﷺ ، ونستشفع إليك بشيبته ، فسقوا . وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب :

بعمي سقى اللهُ الحِجازَ وأهلَهُ   عشيّةَ يستسقي بشيبته عُمَر

وفي رواية للزبير بن بكار ، أن العباس رضي الله عنه قال في دعائه : وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ فاسقنا الغيث ، فأرخت السماء مثل الحبال حتى أخصبت الأرض . وفي رواية له عن ابن عمر : أن ذلك عام الرمادة .

وفي « الشفا » بسند جيد ، عن ابن حميد ، قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد الله ﷺ ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...) الآية [الحجرات : ٢] ومدح قوماً فقال : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ...) الآية [الحجرات : ٣] وذم قوماً فقال :

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ...) الآية [الحجرات : ٤] وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً ، فاستكان لها أبو جعفر وقال : ياأبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به ، فيشفعك الله تعالى . قال الله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ...) الآية [النساء : ٦٤] وفي « المستوعب » لأبي عبد الله السامري[1] الحنبلي ، ثم يأتي حائط القبر ، فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره ، والمنبر عن يساره ، وذكر السلام والدعاء ، ومنه : اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ...) الآية [النساء : ٦٤] وإني أتيت نبيك مستغفراً ، فأسألك أن توجب لي المغفرة ، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته ، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك الخ .

وقال عياض : قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ، ويسلم . وفي رواية عن « المبسوط » أنه قال : لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ، ولكن يسلم ويمضي ، وهي مخالفة لما سبق ، ولما نقله ابن المواز في الحج قال : قيل لمالك : فالذي يلتزم أترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع ؟ قال : لا ولكن يقف ويدعو . قيل له : وكذلك عند قبر النبي ﷺ ؟ قال : نعم . اهـ وحمل ما في « المبسوط » على من لم يؤمن منه سوء أدب في دعائه عند القبر .

وفي « رؤوس المسائل » للنووي ، عن الحافظ أبي موسى الأصفهاني ، أنه روى عن مالك قال : إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستدبر القبلة ، ويستقبل النبي ﷺ ، ويصلي عليه ويدعو له .

---

(١) السامري بفتح الميم : محدث كما في القاموس .

ونقل ابن يونس ، عن ابن حبيب أنه قال : ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وجاه القبلة ، فادن منه ، ثم سلم على رسول الله ﷺ ، وأثن عليه وعليك السكينة والوقار ، فإنه ﷺ يسمع ويعلم وقوفك بين يديه ، وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما . وقال إبراهيم الحربي في « مناسكه » : تولي ظهرك القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر .

وفي « مسند أبي حنيفة » رحمه الله لأبي القاسم طلحة ، عن أبي حنيفة جاء أيوب السختياني ، فدنا من قبر النبي ﷺ ، فاستدبر القبلة ، وأقبل بوجهه إلى القبر ، وبكى بكاءً غير متباك . وقال المجد اللغوي : روينا عن عبد الله بن المبارك قال : سمعت أبا حنيفة يقول : قدم أيوب السختياني وأنا بالمدينة ، فقلت : لأنظرنّ مايصنع ، فجعل ظهره مما يلي القبلة ، ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك ، فقام مقام رجل فقيه اه .

ويشهد له ما أخرجه أبو ذر الهروي في « سننه » في بيان الإيمان والإسلام ، من أن حماد بن زيد حدث أبا حنيفة بالحديث في ذلك عن شيخه أيوب السختياني ، فقال له أبو حنيفة : فحدثك أيوب بهذا وبكى ، ثم قال : ما ذكرت أيوب السختياني إلا بكيت ، فقد رأيته يلوذ بقبر رسول ﷺ شيئاً ما رأيته من أحد . وفيه مخالفة لما ذكره أبو الليث في « الفتاوى » عطفاً على حكاية حكاها الحسن ابن زياد عن أبي حنيفة من أن الزائر يستقبل القبلة في سلامه . وقال السروجي من الحنفية : يقف عندنا مستقبل القبلة . وقال الكرماني منهم : ويقف عند رأسه ، ويكون وقوفه بين القبر والمنبر مستقبل القبلة .

وعن أصحاب الشافعي وغيره : يقف وظهره إلى القبلة ، ووجهه إلى الحضرة ، وهو قول ابن حنبل ، انتهى . وقال المحقق الكمال بن الهمام رحمه الله تعالى : إن مانقل عن أبي الليث مردود بما روي عن أبي حنيفة في « مسنده » عن ابن

عمر رضي الله عنهما قال : من السنة أن تأتي قبر النبي ﷺ من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة ، وتستقبل القبر بوجهك ، ثم تقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

وفي « المنسك الكبير » لابن جماعة : مذهب الحنفية ، أنه يقف للسلام عند الرأس المقدس بحيث يكون على يساره ، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع ، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة . وشذ الكرماني من الحنفية فقال : يقف مستدبر القبر المقدس مستقبل القبلة ، وتبعه بعضهم ، وليس بشيء ، فاعتمد على مانقلته . انتهى .

ولا ينبغي أن يتردد فيه ، إذ الميت يعامل معاملة الحي ، والحي يسلم عليه مستقبلاً له ، وما سبق عن علقمة القروي الكبير من أن الناس كانوا قبل إدخال البيت في المسجد يقفون على باب البيت يسلمون ، سببه : تعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ ، وكانوا يستقبلون القبر الشريف من ناحية باب البيت ، ومن ناحية الرأس الشريف ، لما سبق عن المطري ، من أن موقف علي بن الحسين للسلام عند الاسطوانة التي تلي الروضة . قال : وهو موقف السلف قبل إدخال الحجرات ، كانوا يستقبلون السارية التي فيها الصندوق مستدبرين الروضة ، فلما أدخلت الحجرات وقفوا مما يلي الوجه الشريف .

ولابن زبالة عن سلمة بن وردان ، قال : رأيت أنس بن مالك إذا سلم على النبي ﷺ يأتي فيقوم أمامه .

وآداب الزيارة والمجاورة كثيرة .

منها : مايتعلق بسفرها : من الاستخارة ، وتجديد التوبة ، وإرضاء من يتوجب إرضاؤه ، وإطابة النفقة ، والتوسعة في الزاد ، وعدم المشاركة فيه ، وتوديع الأهل والإخوان والمنزل بركعتين ، والدعاء عقبها ، والتصدق بشيء عند الخروج منه ، إلى غير ذلك مما هو مذكور في آداب سفر الحج .

ومنها : إخلاص النية ، فينوي التقرب بالزيارة ، وينوي معها التقرب بشد الرحل للمسجد النبوي ، والصلاة فيه ، كما قاله أصحابنا وغيرهم لحثه ﷺ على ذلك ، ففيه تعظيمه أيضاً بامتثال أوامره .

والمراد من حديث : « لا تعمله حاجة إلا زيارتي » ، اجتناب قصد حاجة لم يدعه الشارع إليها ، فلينو مع ذلك أيضاً الاعتكاف فيه ، والتعلم والتعليم ، وذكر الله تعالى ، وإكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، والصدقة على جيرانه ، وختم القرآن عنده ، إلى غير ذلك مما يستحب للزائر فعله ، فنية المؤمن خير من عمله ، وينوي أيضاً اجتناب المكروهات فضلا عن المحظورات حياء من الله تعالى ورسوله ﷺ .

ومنها : أن يزداد بالعزم شوقاً وصبابة وتوقاً ، وكلما ازداد دنواً ازداد غراماً وحنواً ، إذ من لازم حبه ﷺ كثرة الشوق إليه ، وطلب القرب من معاهده وآثاره وأماكنه ومهابط أنواره :

تلك الديارُ التي قلبُ المحب له   شوقٌ إليها وتذكار وأشجان
وأنـّةٌ وَحنين كما ذُكِرتْ   ولوعةٌ وشجى منه وأحزان

ومنها : أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله ، آمنت بالله ، حسبي الله ، توكلت على الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم إليك خرجت ، وأنت أخرجتني ، اللهم سلمني ، وسلم مني ، وردني سالماً في ديني ، كما أخرجتني ، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل ، أو أزل أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل عليّ ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك اسمك ، ولا إله غيرك . اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا إليك ... إلى آخر الذكر المستحب لقاصد المسجد .

ومنها : الإكثار في المسير من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ ، بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك وغيره من القربات ، ويتتبع مافي طريقه من المساجد

والآثار المنسوبة للنبي ﷺ ، فيحييها بالزيارة ، والصلاة فيها ، ولا يخل بما يمكنه من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والغضب عند تضييع شيء من حقوقه ﷺ ، إذ من علامات المحبة غيرة المحب لمحبوبه ، وأقوى الناس ديانة أعظمهم غيرة ، وادعاء المحبة بلا غيرة كذب .

ومنها : إذا دنا من حرم المدينة الشريفة ، وأبصر رباها وأعلامها ، فليزدد خضوعاً وخشوعاً ، وليستبشر بالهنا وبلوغ المنى ، وإن كان على دابة حركها أو بعير أوضعه تباشراً بالمدينة ، ولله در القائل :

قُرْبُ الديار يزيد شوق الواله ... لا سيما انْ لاح نورُ جماله

او بشر الحادي بأن لاح النقا ... وبدت على بعد رؤوس جباله

فهناك عيل الصبر من ذي صبوة ... وبدا الذي يخفيه من أحواله

ويجتهد حينئذ في مزيد الصلاة والسلام ، وترديدهما كلما دنا من تلك الاعلام .

ولا بأس بالترجل والمشي اذا قرب ، لان وفد عبد القيس لما رأوا النبي ﷺ نزلوا عن الرواحل ، ولم ينكر عليهم .

وقال ابو سليمان داود : ان ذلك يتأكد لمن أمكنه من الرجال تواضعاً لله وإجلالاً لنبيه ﷺ وفي « الشفا » : أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً ، وقرب من بيوتها ترجل باكياً منشداً :

ولما رأينا رسم من لم يدعْ لنا ... فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لُبّا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا[1]

ومنها : اذا بلغ حرم المدينة فليقل بعد الصلاة والتسليم : اللهم ان هذا هو الحرم الذي حرمته على لسان حبيبك ورسولك ﷺ . ودعاك ان تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو بحرم بيتك الحرام . فحرمني على النار . وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك . وارزقني ما رزقته اولياءك واهل طاعتك . ووفقني فيه

(١) البيتان للمتنبي .

حسن الأدب وفعل الخيرات . وترك المنكرات . وان كانت طريقه على ذي خليفة . فلا يجاوز المعرس حتى ينيخ به . ويصلي بمسجده ومسجد ذي الحليفة .

ومنها . الغسل لدخول المدينة ، ولبس أنظف ثيابه ، صرح باستحبابه جماعة من الشافعية والحنابلة وغيرهم .

وفي حديث قيس بن عاصم في قدومه مع وفده ، وحديث المنذر بن سارى[1] التميمي ما يشهد لذلك .

وفي « الإحياء » : وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ويلبس أنظف ثيابه .

وقال الكرماني من الحنفية : فإن لم يغتسل خارج المدينة ، فليغتسل بعد دخولها ، وليتجنب ما يفعله بعض الجهلة من التجرد عن المخيط تشبهاً بحال الاحرام .

ومنها : إذا شارف المدينة الشريفة ، وتراءت له قبة الحجرة المنيفة ، فليستحضر عظمتها وتفضيلها ، وأنها البقعة التي اختارها الله لحبيبه ﷺ ، ويمثل في نفسه مواقع أقدامه الشريفة عند تردده فيها ، وأنه ما من موضع يطؤه إلا وهو موضع قدمه العزيزة مع خشوعه وسكينته وتعظيم الله له ، حتى أحبط عمل من انتهك شيئاً من حرمته ، ولو برفع صوته فوق صوته ، ويتأسف على فوات رؤيته في الدنيا ، وأنه من ذلك في الآخرة على خطر لقبيح فعله ، ثم يستغفر لذنوبه ، ويلتزم سلوك سبيله ليفوز بالإقبال عند اللقا ، ويحظى بتحية المقبول من ذوي التقى .

ومنها : أن يقول عند دخوله من باب البلد : بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، (رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) آمنت بالله ، حسبي الله ... إلى آخر ما سبق أنه يقول إذا خرج من بيته ، وليقو في قلبه شرف المدينة ، وأنها حوت أفضل البقاع بالإجماع ، وتفضيلها مطلقاً عند بعضهم :

---

[1] صوابه : المنذر بن ساوى بالواو .

أرض مشى جبريل في عرصاتها   والله شرَّف أرضها وسماهـــا

ومنها : أن يقدم صدقة بين يدي نجواه ، ويبدأ بالمسجد الشريف ، ولا يعرِّج على ما سواه مما لا ضرورة به إليه ، فـإذا شاهده ، فليستحضر أنه أتى مهبـــط أبي الفتوح جبريل عليـه السلام ، ومنزل أبي الغنائم ميكائيل ، وموضـع الوحي والتنزيل ، فليزدد خشوعاً وخضوعاً يليق بالمقام ، ويقصد باب جبريل ، لقول بعضهم : إن الدخول منه أفضل لما سيأتي فيه ، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه ، وليصف ضميره مستحضراً عظيم ماهو متوجه اليه .

قال أبو سليمان داود : يقف يسيراً كالمستأذن كما يفعله من يدخل على العظماء ، ويقدم رجله اليمنى في الدخول قائلا : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وبنوره القديم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، ووفقني ، وسددني ، وأعني على ما يرضيك ، ومنَّ علي بحسن الأدب ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عبـاد الله الصالحين ، ولا يتركه كلما دخل المسجد أو خـرج ، إلا أنه يقول عند الخروج : وافتح لي أبواب فضلك .

ومنها : أنه إذا صار في المسجد ، فلينو الاعتكاف وإن قل زمانه ، ثم يتوجه للروضة الشريفة خاشعاً غاضاً طرفه غير مشغول بالنظر إلى شيء من زينـة المسجد وغيره مع الهيبة والوقار ، والخشية والانكسار ، والخضوع والافتقار ، ثم يقف في المصلى النبوي إن كان خالياً ، وإلا ففيما قرب منـه ومن المنبر ، وإلا ففي غير ذلك ، فيصلي التحية ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما (قل يا أيها الكافرون) و (الإخلاص) ، فإن أقيمت مكتوبة ، أو خاف فوتها صلاها ، وحصلت التحية ، ثم يحمد الله ويشكره ، ويسأل الرضى والتوفيق والقبول ، وأن يهب له من مهمات الدارين نهاية السؤال ، ويسجد شكراً لله تعالى عند الحنفية .

وفي « التشويق » للجمال ابن المحب الطبري موافقتهم ، ويبتهل في أن يتم له ما قصد من الزيارة النبوية ، ومحل تقديم التحية إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف ، فإن كان استحبت الزيارة أولاً كما قال بعضهم .

ورخص بعض المالكية في تقديم الزيارة على الصلاة وقال : كل ذلك واسع ، ودليل الأول : حديث جابر رضي الله عنه قال : قدمت من سفر ، فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه ، فقال : أدخلت المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا ، قال : فاذهب فادخل المسجد ، فصل فيه ، ثم ائت فسلم علي .

وقال اللخمي : وتبتدىء في مسجد النبي ﷺ بتحية المسجد قبل أن تأتي القبر ، هذا قول مالك . وقال ابن حبيب : يقول إذا دخل : بسم الله ، والسلام على رسول الله ﷺ ، يريد أنه يبتدىء بالسلام من موضعه ، ثم يركع ، ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر ، ومروره عليه ، فوقف ، فسلم ، ثم عاد إلى موضع يصلي فيه لم يكن ضيقاً اهـ .

ومراد ابن حبيب : الإتيان أولاً بالسلام المستحب لداخل المسجد لحديث : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ » .

ومنها : أن يتوجه بعد ذلك إلى الضريح الشريف مستعيناً بالله في رعاية الأدب بهذا الموقف المنيف ، فيقف بخضوع ووقار ، وذلة وانكسار ، غاض الطرف ، مكفوف الجوارح ، واضعاً يمينه على شماله كما في الصلاة فيما قاله الكرماني من الحنفية ، مستقبلاً للوجه الشريف تجاه مسمار الفضة الآتي بيانه ، وذلك في محاذاة الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلي التي عن يمين مستقبله . وقد حدث الآن شباك من نحاس ، وموقف السلف قبل إدخال الحجرة في المسجد وبعده داخل تلك المقصورة ، وهو السنة ، إذ المنقول الوقوف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر . وقال ابن عبد السلام : ثلاثة .

وقال ابن حبيب في « الواضحة » : واقصد القبر الشريف من وجاه القبلة ، وادن منه .

وفي « الإحياء » بعد بيان الموقف بنحو ما سبق : فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا ، وتزوره ميتاً كما كنت تزوره حياً . ولا تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً ، انتهى . ولينظر الزائر إلى أسفل مايستقبله من الحجرة ، والحذر من اشتغال النظر بشيء مما هناك من الزينة ، فإنه ﷺ كما قال في « الإحياء » : عالم بحضورك وقيامك وزيارتك له ، قال : فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعاً في اللحد بإزائك ، وأحضر عظيم رتبته في قلبك . انتهى . ثم سلم مقتصداً من غير رفع صوت ، ولا إخفاء فتقول بحياء ووقار : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثلاثاً ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا إمام المتقين ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك أيها المبعوث رحمة للعالمين ، السلام عليك يا شفيع المذنبين ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك أيها الهادي الى صراط مستقيم ، السلام عليك يا من وصفه الله تعالى بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم : ٤] وبقوله : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) [التوبة : ١٢٨] السلام عليك يا من سبح الحصى في يديه ، وحن الجذع اليه ، السلام عليك يامن أمرنا الله بطاعته والصلاة والسلام عليه ، السلام عليك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ، وعباد الله الصالحين ، وملائكة الله المقربين ، وعلى آلك وأزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، وأصحابك أجمعين ، كثيراً دائماً أبداً كما يحب ربنا ويرضى ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى به رسولاً عن أمته ، وصلى الله عليك أفضل وأكمل وأزكى وأنمى صلاة صلاها على أحد من خلقه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أنك عبده ورسوله . وخيرته من خلقه . واشهد انك قد

بلغت الرسالة . وأديت الامانة . ونصحت الامة . وكشفت الغمة . وأقمت الحجة . وأوضحت المحجة . وجاهدت في الله حق جهاده . وكنت كما نعتك الله في كتابه حيث قال : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) [التوبة : ١٢٨] فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه في سماواته وأرضه عليك يا رسول الله . اللهم آته الوسيلة والفضيلة . وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته . وآته نهاية ما ينبغي ان يسأله السائلون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله . واليوم الآخر . وبالقدر خيره وشره . اللهم فثبتني على ذلك . ولا تردنا على أعقابنا . ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وازواجه وذريته . كما صليت على ابراهيم . وعلى آل ابراهيم . وبارك على محمد النبي الأمي . وعلى آل محمد . كما باركت على ابراهيم . وعلى آل ابراهيم . في العالمين انك حميد مجيد . ومن عجز عن حفظ ذلك . او ضاق عنه الوقت . اقتصر على بعضه . وأقله : السلام عليك يا رسول الله ، ﷺ .

وعن ابن عمر وغيره : الاقتصار جداً . وعن مالك يقول : السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، واختار بعضهم التطويل ، وعليه الاكثر .

وقال ابن حبيب : ثم تقف بالقبر ، تصلي عليه ﷺ ، وتثني بما يحضرك ، انتهى . ثم إن كان أوصاك احد بالسلام ، فقل : السلام عليك يارسول الله من فلان ابن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله ، ونحوه ، ثم يتأخر الزائر إلى صوب يمينه قدر ذراع ، فيصير تجاه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فيقول : السلام عليك ياأبا بكر الصديق صفي رسول الله ﷺ ، وثانيه في الغار ، ورفيقه في الاسفار ، جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خير الجزاء ، ثم يتأخر الي

صوب يمينه قدر ذراع ، فيقول : السلام عليك ياعمر الفاروق الذي أعز الله به الإسلام ، جزاك الله تعالى عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء ، هذا ماذكره النووي وغيره من اصحابنا وغيرهم .

وذكر ابن حبيب السلام والثناء على رسول الله ﷺ ، وعطف عليه قوله : والسلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ، وياعمر ، جزاكما الله تعالى عن الإسلام وأهله أفضل ماجزى وزيري نبي عن وزارته في حياته ، وعلى حسن خلافته إياه في أمته بعد وفاته ، فقد كنتما لرسول الله ﷺ وزيري صدق في حياته ، وخلفتماه بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله تعالى على ذلك مرافقته في جنته وإيانا معكم برحمته . انتهى .

قال النووي وغيره : ثم يرجع الزائر إلى موقفه قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به ، ويتشفع به [1] الى ربه ، ومن أحسن مايقوله ، ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال : كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يارسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : (ولو أنهم إذظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله ...) الآية [النساء : ٦٤] وقد جئت مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداءُ لقبر أنت ساكنه	فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرم

قال : ثم انصرف . فحملتني عيناي . فرأيت النبي ﷺ في النوم . فقال : ياعتبي الحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له .

---

(١) لايجوز لاحد أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة ، لانها ملك لله تعالى فلا تطلب الا منه ، كما قال الله تعالى : (قل لله الشفاعة جميعاً) بل يقول : اللهم شفع في نبيك ورسولك محمداً صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحين .

قلت : وليقدم على ذلك ما تضمنه خبر ابن أبي فديك عن بعض من أدركه قال : بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ فقال : (ان الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) صلى الله وسلم عليك يامحمد ، يقولها : سبعين مرة . ناداه ملك : صلى الله عليك يافلان . ولم تسقط لك اليوم حاجة .

قال بعضهم : والأولى أن يقول : صلى الله عليك يا رسول الله ، اذ من خصائصه أن لا ينادى باسمه . والذي يظهر أن ذلك في النداء الذي لا يقترن به الصلاة والسلام ، ثم يجدد التوبة عقب ذلك ، ويكثر من الاستغفار والتضرع الى الله تعالى ، والاستشفاع بنبيه ﷺ في جعلها توبة نصوحاً ، ثم يقول : يارسول الله ان الله تعالى قال فيما أنزل عليك : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم ...) الآية [النساء : ٦٤] وقد ظلمت نفسي ظلماً كثيرا ، وأتيت بجهلي وغفلتي أمراً كبيراً ، وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً ، وجئتك مستغفراً من ذنبي ، سائلا منك أن تشفع لي الى ربي ، وأنت شفيع المذنبين ، المقبول الوجيه عند رب العالمين ، وها أنا معترف بخطئي ، مقرٌ بذنبي ، متوسل بك الى الله ، مستشفع بك اليه ، وأسأل الله البرَّ الرحيم بك أن يغفرلي ، ويميتني على سنتك ومحبتك ، ويحشرني في زمرتك ، ويوردني وأحبائي حوضك ، غير خزايا ولا نادمين ، فاشفع لي يارسول رب العالمين ، وشفيع المذنبين ، فها أنا في حضرتك وجوارك ، ونزيل بابك ، وعلقت بكرم ربي الرجا لعله يرحم عبده وان أسا ، ويعفو عما جنى ، ويعصمه مابقي في الدنيا ؛ ببركتك وشفاعتك ياخاتم النبيين وشفيع المذنبين :

أنت الشفيع وآمالي معلّقة ... وقد رجوتك ياذا الفضل تشفع لي(١)
هـذا نزيلك أضحى لا ملاذله ... إلا جنابك ياسؤلي ويا أملي

---

(١) الشاعر هنا يقول بالشفاعة والاستغاثة ، والوسيلة ، فهذه كلها خلاف ما عليه السلف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان .

ضيف ضعيف غريب قد أناخ بكم   ومستجير بكم ياسادة العرب
يامكرمي الضيف ياعون الزمان ويا   غوث الفقير ومرمى القصد والطلب
هـذا مقام الذي ضاقت مذاهبه   وأنتمو في الرجا من أعظم السبب

وعن الأصمعي : وقف أعرابي مقابل القبر الشريف فقال : اللهم هـذا حبيبك . وأنا عبدك . والشيطان عدوك . فإن غفرت لي . سُرَّ حبيبك . وفاز عبدك . وغضب عدوك . وان لم تغفرلي غضب حبيبك . ورضي عدوك . وهلك عبدك . وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك . وترضي عدوك . وتهلك عبدك . اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره . وان هـذا سيد العالمين . فأعتقني على قبره . قال الأصمعي : فقلت : يا اخا العرب ان الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال .

ويجلس الزائر إن شق عليه طول القيام ، فيكثر من الصلاة والتسليم ، ويتلو ما تيسر ، ويقصد الآي والسور الجامعة لصفات الإيمان ومعاني التوحيد .

وفي « شرح المهذب » عن آداب زيارة القبور لأبي موسى الأصفهاني : أن الزائر بالخيار إن شاء زار قائماً ، وإن شاء قاعداً ، كما يزور أخاه في الحياة ، فربما جلس ، وربما زار قائماً ومارّاً . انتهى .

ويدعو بمهاته ولوالديه ، واخوانه ، والمسلمين . وقال النووي : ثم يتقدم أي بعد الدعاء ، والتوسل قبالة الوجه الشريف إلى رأس القبر ، فيقف بين القبر والاسطوانة التي هناك ، ويستقبل القبلة ، ويحمد الله تعالى ، ويمجده ، ويدعو لنفسه بما أهمه ، وما أحبه ، ولوالديه ، ولمن شاء من أقاربه وأشياخه واخوانه ، وسائر المسلمين .

وفي كتب الحنفيه وغيرهم نحو هذا ، وفي كتب بعض المالكية سرد الدعاء مع سلام الزيارة أولاً من غير ذكر عود ، وهو موافق لقول العز ابن جماعة ، أن

ماذكره من العود إلى قبالة الوجه الشريف ، ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزيارة لم ينقل عن فعل الصحابة والتابعين :

قلت : غرض من رتب ذلـــك هكذا تأخير الدعاء عند الوجه الشريف عن السلام على الشيخين رضي الله عنهما ، والجمع بين موقفي السلف قبل إدخال الحجرة وبعده مع الدعاء مستقبل القبلة في الثاني وهو حسن .

ومنها : أن يأتي المنبر الشريف ، ويقف عنده ، ويدعو الله تعالى ، ويحمده على مايسر له ، ويسأله من الخير أجمع ، ويستعيذ به من الشر أجمع .

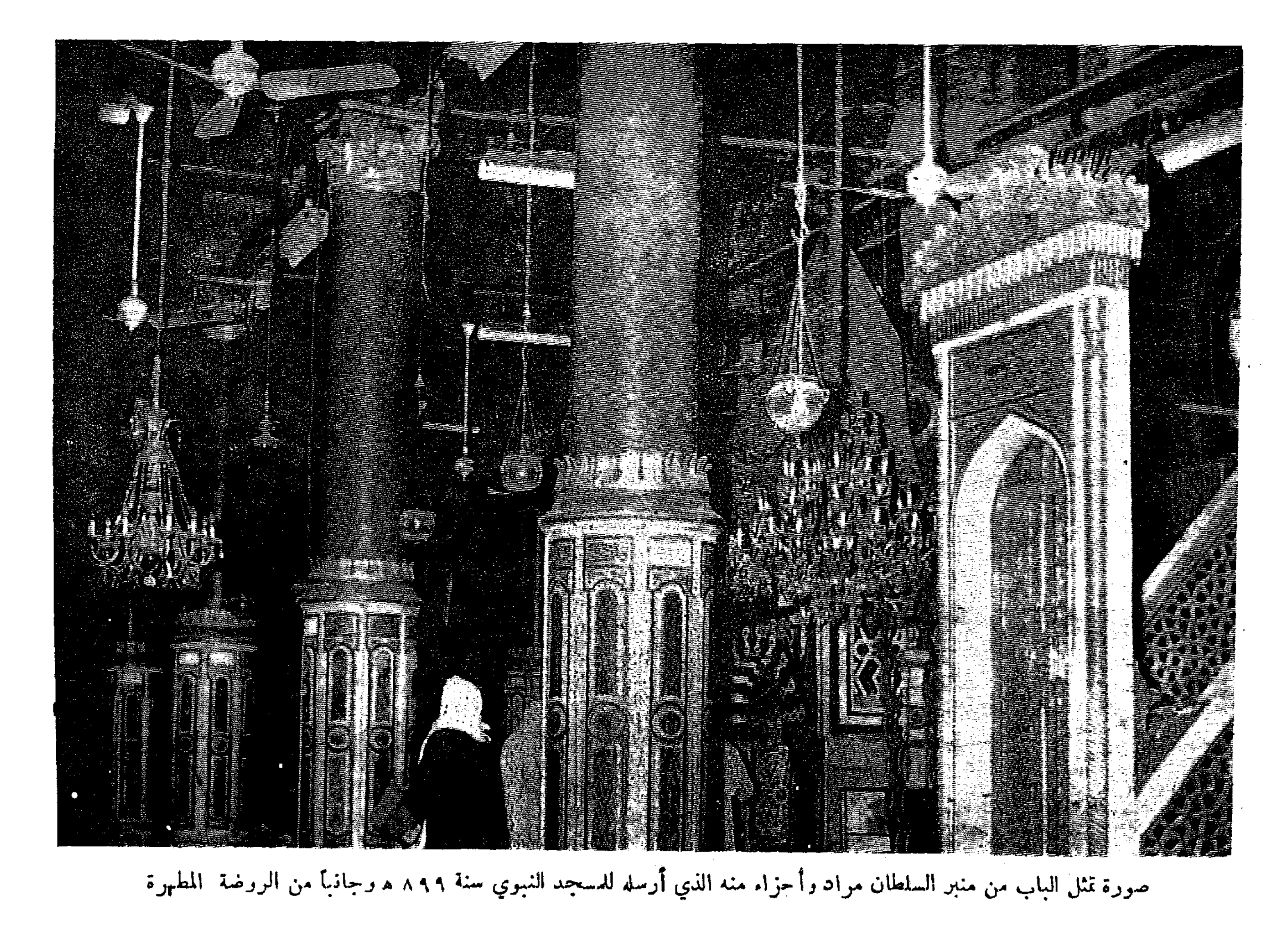
فعن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، رأيت رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله ﷺ يمسكها بيده • ثم يستقبلون القبلة . ويصلون . ويدعون . ويصلي ويدعو عند اسطوان المهاجرين وغيرها من الاساطين ذات الفضل الآتي بيانهـــا . ويكثر من الصلاة والدعاء بالروضة الشريفة .

ومنها : أن يجتنب لمس جدار القبر وتقبيله ، والطواف به . قال النووي : لا يجوز أن يطاف به ، ويكره إلصاق البطن والظهر به ، قاله الحليمي وغيره ، قال : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته ، هذا هو الصواب ، وهو الذي قاله العلماء ، وأطبقوا عليه ، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة ، فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء . انتهى .

وفي « الإحياء » مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود . انتهى .

وعن الزعفراني : أن ذلك من البدع التي تنكر شرعاً .

وعن أنس بن مالك ، أنه رأى رجلا وضع يده على قبر النبي ﷺ ، فنهاه وقال : ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ .



صورة تمثل الباب من منبر السلطان مراد وأجزاء منه الذي أرسله للمسجد النبوي سنة ٨٩٩ هـ وجانباً من الروضة المطهرة

وقال السروجي من الحنفية : لا يلصق بطنه بالجدار ، ولا يمسه بيده . وفي كتاب أحمد بن سعيد الهندي كما في « الشفا » فيمن وقف بالقبر : لا يلصق به ، ولا يمسه ، ولا يقف عنده طويلا . وفي « المغني » للحنابلة : ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ، ولا يقبله .

وقال أبو بكر الاثرم : قلت لابي عبد الله يعني ابن حنبل : قبر النبي ﷺ يلمس ويتمسح به ؟ قال : ما أعرف هذا . قلت له : فالمنبر ، أي قبل احتراقه ؟ قال : أما المنبر فنعم ، قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مسح المنبر . ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة ، ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر ، فمسحه ، ودعا ، فرأيته استحسن ذلك . قلت لابي عبد الله : إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ، ويقومون ناحية ويسلمون ، فقال أبو عبد الله : ونعم ، وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك ، نقله ابن عبد الهادي عن تأليف شيخه ابن تيمية ، ولابن عساكر في « تحفته » عن ابن عمر أنه كان يكره أن يكثر مس قبر النبي ﷺ ، وفيه تقييد لما سبق .

وفي كتاب « العلل والسؤالات » لعبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرجل الذي يمس منبر النبي ﷺ يتبرك بمسه وتقبيله ، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ؟ فقال لا بأس به .

قال العز ابن جماعة : وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع ، وقال السبكي : عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه ، واستدل في ذلك بما رواه يحيى بن الحسن ، عن عمر بن خالد ، عن أبي نباتة ، عن كثير بن يزيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : أقبل مروان بن الحكم ، فإذا رجل

ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ، ثم قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم إني لم آت الحجر ، ولم آت اللبن ، وإنما جئت رسول الله ﷺ ... وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد . لكن لم يصرح فيه برفعه في نسخة يحيى التي وقعت للسبكي ، وصرح برفعه في غيرها ، ثم قال المطلب : وذلك الرجل أبو أيوب الانصاري .

قال السبكي : وعمر بن خالد : لم أعرفه ، وأبو نباتة ومن فوقه ثقات : فإن صح هذا الاسناد ، لم يكره مس جدار القبر . قلت : رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : أقبل مروان يوماً ، فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ مروان برقبته ثم قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم إني لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ، ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول . لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله .

وسبق في « الفصل الاول » قصة زيارة بلال رضي الله عنه ، وأنه أتى القبر فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه ، وذكر الخطيب بن حملة أن بلالا رضي الله عنه وضع خديه من القبر الشريف ، وأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمين عليه ، ثم قال : ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الاذن في ذلك ، والقصد به التعظيم ، والناس تختلف مراتبهم كما في الحياء ، فمنهم من لا يملك نفسه ، بل يبادر إليه ، ومنهم من فيه أناة فيتأخر . اه .

ونقل عن ابن أبي الصيف ، والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين . وعن اسماعيل التيمي قال : كان ابن المنكدر يصيبه الصمات ، فكان يقوم ، فيضع خده على قبر النبي ﷺ ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنه يستشفي بقبر النبي ﷺ .

ومنها اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم ، فهو من البدع ، ويظن من لا علم

له انه على شعار التعظيم ، وأقبح منه تقبيل الارض للقبر . قال العز ابن جماعة : وليس عجبي ممن جهله فارتكبه ، بل ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ، واستشهد له بالشعر . قلت : شاهدت بعض القضـــاة فعله ، وزاد السجود بجبهته بحضرة العوام ، فتبعوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنها : أن لا يستدبر القبر المقدس في الصلاة ولا في غيرها ، ولا يصلي إليه . قال ابن عبد السلام : وإذا أردت صلاة ، فلا تجعل حجرته ﷺ وراء ظهرك ، ولا بين يديك . قال : والادب معه ﷺ بعد وفاته مثله في حياته ، فما كنت صانعه حياته ، فاصنعه بعد وفاته : من احترامه ، والاطراق بين يديه ، وترك الخصام ، وترك الخوض فيما لا ينبغي أن تخوض فيه في مجلسه ، فان أبيت فانصرافك خير من بقائك . اهـ .

وقال الاذرعي : يجب الجزم بتحريم الصلاة الى قبور الانبياء والاولياء تبركاً وإعظاماً .

وفي « التتمة » أن الصلاة إلى قبر رسول الله ﷺ حرام . قال الاذرعي : وينبغي أن لا يختص هذا بقبره الكريم ، بل هو كما ذكرنا ، وعجب قول النووي في « التحقيق » : تحرم الصلاة متوجهاً الى رأس قبر رسول الله ﷺ وتكره الى غـيره . انتهى .

ويجتنب ما يفعله الجهـــلة من التقرب بأكل التمر الصيحاني بالمسـجد وإلقاء النوى فيه

ومنها : أن لا يمر بالقبر الشريف ولو من خارج المسجد حتى يقف ويسلم .

حدث أبو حـازم ، أن رجلا أتاه ، فحدثه انه رأى النبي ﷺ يقول لابي حازم : انت المار بي معرضاً لا تقف تسلم علي ، فلم يدع ذلك ابو حازم منذ بلغته الرؤيا . وفي « جامع البيان » لابن رشد : وسئل — يعني مالكاً — عن المار بقبر

النبي ﷺ ، أترى أن يسلم كلما مر؟ قال : نعم أرى ذلك عليه كلما مر به ، وقد أكثر الناس من ذلك ، فأما إذا لم يمر به ، فلا أرى ذلك ، وذكر حديث : « اللهم لا تجعل قبري وثناً » . فإذا لم يمر عليه ، فهو في سعة من ذلك .وسئل عن الغريب يأتي قبر النبي ﷺ كل يوم ؟ فقال : ما هذا من الأمر ، ولكن إذا أراد الخروج قال ابن رشد : معناه أنه يلزمه أن يسلم متى ما مر ، وليس عليه أن يمر ليسلم الا للوداع عند الخروج ، ويكره أن يكثر المرور به ،والسلام عليه ، والاتيان كل يوم .

وقال مالك في « المبسوط » : وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء . وقال فيه : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقيل له : فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ، ولا يريدونه ، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، أو في الجمعة ، أو الايام . فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده . قال الباجي : ففرق بين أهل المدينة والغرباء ، لان الغرباء قصدوا ذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم .

قال السبكي : والملخص من مذهب مالك : أن الزيارة قربة ، ولكنه على عادته في سد الذرائع ، يكره منها الإكثار الذي قد يفضي إلى محذور ، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها ، واستحباب الإكثار منها ، لان الإكثار من الخير خير

وفي زيارة القبور من « أذكار النووي » : يستحب الاكثار من الزيارة ، وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل ، وسيأتي قول عبد الله بن محمد بن عقيل

في هدم جدار الحجرة : كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد ، فأبدأ بالنبي ﷺ ، فأسلم عليه .

ولابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد : رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له : محمد ابن كيسان يأتي إذا صلى العصر من يوم الجمعة ونحن جلوس مع ربيعة ، فيقوم عند القبر ، فيسلم ويدعو حتى يمسي ، فيقول جلساء ربيعة : انظروا إلى مايصنع هذا ، فيقول : دعوه فإنما للمرء مانوى .

وقال الشافعي : قال ابن عجلان لبعض الأمراء : إنك تطيل ثيابك ، وتطيل الخطبة ، وتكثر المجيء الى قبر رسول الله ﷺ ، فقال : أما ثيابي فإني أكساها ، وأما الخطبة فإني أتعلمها ، وأما كثرة المجيء الى قبر رسول الله ﷺ ، فلو كان فيه العجلان ماأتيته .

ومنها : الإكثار من الصلاة والسلام ، واغتنام ماأمكن من الصيام ، والحرص على الصلوات الخمس بالمسجد النبوي في الجماعة ، والاكثار من النافلة فيه مع تحري المسجد الأول ، والاماكن الفاضلة منه ، الا أن يكون الصف الاول خارجه ، وليغتنم ملازمة المسجد إلا لمصلحة راجحة ، وكلما دخله جدد نية الاعتكاف ، وليحرص على المبيت فيه ولو ليلة يحييها ، وعلى ختم القرآن العظيم به .

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مجلد ، قال : كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج ، قال المجد : ويديم النظر إلى الحجرة الشريفة ، فإنه عبادة قياساً على الكعبة ، فإذا كان خارج المسجد أدام النظر الى قبتها مع المهابة والحضور .

ومنها أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على النبي ﷺ خصوصاً يوم الجمعة ، قاله النووي ، فيقول : إذا انتهى إليه : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منكم

والمستأخرين ، اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد ، اللهم لاتحرمنا أجرهم ، ولاتفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ؛ ثم يزور ماسيأتي من القبور الظاهرة به ، ولم يتعرض النووي لمن يبدأ به .

وقال البرهان ابن فرحون : الاولى بالتقديم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لانه أفضل من هناك ،واختار بعضهم : البداءة بإبراهيم ابن رسول ﷺ . انتهى .

وقال العلامة فضل الله ابن الغوري من الحنفية : إذا أراد زيارة البقيع يخرج من باب البلد ، ويأتي قبة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ثم ذكر إتيان البقية ، ثم قال : ثم يختم بصفية بنت عبد المطلب . انتهى .

وملاحظه في ذلك : أن مشهد العباس رضي الله عنه أول مايلقى الخارج من باب البلد على يمينه ، فمجاوزته من غير سلام جفوة . فإذا سلم عليه يسلم على من يمر به أولاً فأولاً ، فيختم بصفية رضي الله عنها في رجوعه . وقد صرح النووي بأنه يختم بها ، ثم إذا دخل من البقيع ، فليقصد مشهد سيدي اسماعيل ، فإنه صار داخل السور ، ويذهب إلى مشهد سيدي مالك بن سنان ، والنفس الزكية ، وليسا بالبقيع ؛ وليأت قبور الشهداء بأحد .

قال ابن الهمام من الحنفية : ويزور جبل أحد نفسه ، ففي « الصحيح » : « أحد جبل يحبنا ونحبه » ، ويبكر بعد صلاة الصبح بالمسجد النبوي حتى يعود ويدرك الظهر به ، ويبدأ بسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه ؛ قالوا : وافضلها يوم الخميس ، وكأنه لضيق الجمعة عن ذلك . وقد قال محمد بن واسع : بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ، ويوماً قبله ، ويوماً بعده . انتهى .

ويستحب استحباباً متأكداً إتيان مسجد قباء ، وهو في يوم السبت أولى ، فيتوضأ ، ويذهب إليه ، ويستحب إتيان بقية المساجد ، والآثار المنسوبة للنبي ﷺ مما علمت عينه أو جهته ، وكذا الآبار التي شرب أو تطهر منها ، والتبرك بذلك .

وفي « مناسك » خليل المالكي بعد ذكر استحباب زيارة البقيع ومسجد قباء ونحوهما : وهذا فيمن كثرت إقامته ، وإلا فالمقام عنده ﷺ لاغتنام مشاهدته أحسن .

قال ابن أبي جمرة : لما دخلت مسجد المدينة ما جلست إلا الجلوس في الصلاة ، وما زلت واقفاً هناك حتى رحل الركب ، وخطر لي الخروج إلى البقيع ، فقلت : إلى أين أذهب ؟ هذا باب الله مفتوح للسائلين والمتضرعين ، وليس ثَمّ من يقصد مثله .

قلت : هذا فيمن منح دوام الحضور وعدم الملل ، وإلا فالتنقل في تلك البقاع أولى وأدعى للنشاط .

ومنها : أن يلاحظ بقلبه مدة إقامته بالمدينة جلالتها ، وتردده ﷺ فيها ، ومشيه في بقاعها ، ومحبته لها ، وتردد جبريل عليه السلام بالوحي فيها ، ولا يركب بها دابة مهما قدر على المشي ، كما فعل مالك رحمه الله ، وقال : أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة . وروي : أخشى أن يقع حافر الدابة في محل مشى رسول الله ﷺ فيه ، وليست المدينة ما حاز السور اليوم فقط ، بل ما سنوضحه ، ويزمّ نفسه مدة إقامته بزمام الخشية والتعظيم ، ويخفض جناحه ، ويغض صوته . قال الله تعالى : (إن الذين يغضون أصواتهم ...) الآية [الحجرات : ٣] ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه : آليت أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار ، وحرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً .

ومنها : محبة سكان المدينة ، سيما العلماء ، والصلحاء ، والأشراف ، والخدام . قال المجد : وهلم جرا الى عوامها وخواصها على حسب مراتبهم ، الى من لايبقى له مزية سوى كونه جاراً ، فأعظم به مزية ، لانه ﷺ أوصى بالجار ، ولم يخص جاراً دون جار ، قال : وكلما احتج به محتج من رمي عوامهم بالابتداع وترك الاتباع ، فإنه اذا ثبت في شخص لا يترك اكرامه ، فإنه لا يخرج عن حكم الجار

ولو جار ، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف دار ، بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح ببركة القرب الصوري قرب المعنى :

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم الى القلب من اجل الحبيب حبيب

قالوا : ويستحب ان يتصدق فيها بما أمكنه . قال في « شرح المهذب » : ويخص اقاربه ﷺ بمزيد ، لحديث مسلم : « أذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي » .

ومنها : استحباب المجاورة بها لمن قدر عليها ، مع رعاية الأدب ، وانشراح الصدر ، ودوام السرور والفرح بجاورة هذا النبي الكريم ، والإكثار من التضرع والدعاء بالتوفيق لشكر هذه النعمة ، وقرنها بحسن الادب اللائق بها ، وجبر التقصير في القيام بحقها ، والاعتراف بذلك مع الحرص على فعل انواع الخيرات بحسب الامكان ، ولا يضيق على من بها بسكنى الاربطة وأخذ الصدقة إلا أن يحتاج ، فيقتصر على قدر الحاجة من غير تعرض لذلك ولا إشراف نفس ، ولاينتحل ماصورته عبادة وفائدته دنيا ، كإمامة ، وأذان ، وتدريس ، وقراءة أو خدمة في الحرم ، إلا أن يخلص النية ، أو تدعوه الحاجة إليه ، قاله الاقشهري .

ومنها : إذا اختار الرجوع فليودع المسجد الشريف بركعتين بالمصلى النبوي ، أو ما قرب منه ، ثم يقول بعد الحمد والصلاة والسلام : اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما تحب وترضى ... الى غير ذلك مما يستحب المسافر ، ويدعو بما أحب ، ثم يقول : اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف ، ويختم بالحمد والصلاة السلام ، ويأتي القبر الشريف ويسلم ويدعو بما تقدم أولاً ، ويقول : نسألك يا رسول الله أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارتك ، وأن يعيدنا سالمين ، وأن يبارك لنا فيما وهب لنا ، ويرزقنا الشكر على ذلك ، اللهم لا تجعله آخر العهد بحرم رسولك ﷺ وحضرته الشريفة ، ويسر لي العود الى الحرمين سبيلاً سهلة ، وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

وصرح الكرماني بتقديم وداع النبي ﷺ على توديع المسجد بركعتين ، والاول هو المشهور ، والاصل في ذلك حديث : « كان لا ينزل منزلاً الا ودّعه بركعتين » ثم ينصرف الزائر عقب ذلك تلقاء وجهه ، ولا يمشي الى خلفه ، ويكون متألماً متحزّناً على الفراق أو ما يفوته من البركات ، وهناك يظهر من المحبين سوابق العَبَرات ، ويتصعد من بواطنهم لواحق الزفرات ، ويكون مع ذلك دائم الاشواق لذلك المزار ، متعلق القلب بالعود لتلك الديار ، ولله در القائل :

أحن إلى زيارة حي ليلى وعهدي من زيارتها قريب
وكنت أظن قرب الدار يطفي لهيبَ الشوق فازداد اللهيب

ولا يستصحب شيئا من تراب الحرم ، ولا من الأكر المعمولة منه ، ونحو ذلك لما سبق ، بل يستصحب هدية يدخل بها السرور على أهله وإخوانه من غير أن يتكلفها ، سيما ثمار المدينة الشريفة ، ومياه آبارها المباركة .

ومنها : أن يتصدق بشيء مع خروجه ، وينوي حينئذ ملازمة التقوى ، والاستعداد للقاء الله تعالى ورسوله ﷺ في يوم المعاد ، وليحذر كل الحذر من مقارفة الذنوب ، فان النكسة أشد من المرض ، ويحافظ على الوفاء بما عاهد عليه الله تعالى ، ولا يكون خواناً أثيماً ، (فمن نكث ، فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيما) [الفتح : ١١] .

الفصل الثالث : في فضل المسجد النبوي وروضته ومنبره .

قال الله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ...) الآية [التوبة ١٠٨] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : دخلت على رسول الله ﷺ في بيت لبعض نسائه ، فقلت : يارسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى ? قال : فأخذ كفاً من حصا ، فضرب به الارض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا » لمسجد المدينة .

ولأحمد ، والترمذي عنه : اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد النبي ﷺ ، فسألاه عن ذلك ، فقال : « هو هذا » ، وفي ذاك ـــ يعني مسجد قباء ـــ خير كثير .

وقال مالك كما في العتبية : إنـــه مسجد المدينة ، ثم قال : أين كان يقوم رسول الله ﷺ ، أليس في هـذا ؟ ويأتونه أولئك من هنالك . وقال تعالى : (وتركوك قائما) [الجمعة : ١١] فإنما هو هذا .

وقال عمر رضي الله عنه : لولا أني رأيت رسول الله ﷺ ، أو سمعته يريد أن يقدم القبلة ، وقال عمر بيده : هكذا مـــا قدمتها ، ثم قدمها عمر رضي الله عنه . انتهى . أي : أن عمر لم يستجز ذلك مع قوله تعالى : (أسس على التقوى) ، إلا للحديث المذكور ، وأن قوله لاهل قباء لما نزلت : إن الله أثنى عليكم ... الحديث ، لادلالة فيه ، على أنه مسجد قباء ، لانهم كانوا يأتون إلى هذا المسجد ايضاً

قال ابن رشد : وقوله في الآية (من اول يوم) : ظاهر في أنه مسجد قبـاء ، إذ المراد من اول ايام الحلول بدار الهجرة ، إلا ان يقال : من اول يوم تأسيسه ، وسيأتي في مسجد قبـاء مايدل لانه المراد . والجمع ان كلاً منهما اسس على التقوى من اول يوم تأسيسه ، والسر في إجابته ﷺ عند السؤال عن ذلك بما سبق دفع ما توهمه السائل من اختصاص ذلك بمسجد قبـاء ، والتنويه بمزية هـذا على ذاك ، ولذا قال : « وفي ذاك خير كثير » .

وفي « الصحيحين » حديث : « لا تشـــد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي ، والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى » .

ولمسلم : « إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد ، الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد إيليا » .

ولاحمد ، وابن حبـان في « صحيحة » ، والطبراني في « الاوسط » بسند حسن : « خير ما ركبت إليه الرواحل : مسجدي هذا ، والبيت العتيق » .

وللبزار برجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثقه غير واحد : « خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم ، ومسجد محمد ﷺ » . وله حديث : « أنا خاتم الأنبياء ، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء ، أحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل ، المسجد الحرام ، ومسجدي » ، وفيه ضعف .

وفي « الصحيحين » : « صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . زاد مسلم : فإني آخر الأنبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد » أي آخر مساجد الأنبياء كما نقله المحب الطبري عن أبي حاتم .

فالألف واللام لمعهود ، وهو مساجد الانبياء ، فالصلاة في هذا المسجد أفضل من ألف صلاة في سائر مساجد الانبياء ، إلا المسجد الحرام ، فالصلاة بهذا المسجد أفضل من ألف صلاة ببيت المقدس ، إذ لم يستثن كما استنبطه المجد تبعاً لابي سليمان داود الشاذلي ، ويدل له حديث « الكبير » للطبراني برجال ثقات : عن الارقم وكان بدرياً ، قال : جئت رسول الله ﷺ لأودعه وأردت الخروج إلى بيت المقدس ، قال : وما يخرجك إليه ، أفي تجارة ؟ قلت : لا ولكني أصلي فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « صلاة هاهنا خير من ألف صلاة ثمَّ » .

وللبزار عن أبي سعيد ، قال : ودع رسول الله ﷺ رجل ، فقال : أين تريد ؟ قال : بيت المقدس ، فقال رسول الله ﷺ : « صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام » ورواه يحيى وغيره ، مع بيان ان الرجل هو الارقم .

وقد روى أبو يعلى برجال ثقات ، أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة ، أي : في غيره من المساجد مطلقاً غير المسجدين لما سبق ، فالصلاة بمسجد المدينة افضل من الف الف صلاة فيما سواه من مساجد سائر البلاد إلا الاقصى ، فهي افضل من الف صلاة به بما لا يعلم قدره إلا الله تعالى ، وإلا المسجد الحرام .

والمراد به : الكعبة عند العمراني من اصحابنا وجماعة ، إلا أن المرجح خلافه ، ويدل للأول ما تقدم من ان الالف واللام في المساجد لمعهود هو مساجد الانبياء ، وقرن الكعبة بالمسجد النبوي في حديث : « شد الرحال » المتقدم . ورواية النسائي وغيره للحديث بلفظ : « إلا مسجد الكعبة » بدل « المسجد الحرام » . ورواية يحيى : « الا الكعبة » ، وهذا الاستثناء محتمل لان يكون المراد به أنه مساو لمسجد المدينة ، او مفضول ، فالصلاة فيه بدون الالف ، او فاضل ، فيزيد على الألف . ورجح ابن بطال الاول ، اذ النقص او الزيادة لا يعلم الا بدليل ، والمساواة ظاهرة . وذهب مالك في رواية اشهب عنه ، وابن نافع وجماعة من اصحاب مالك : الى الثاني .

وقال بعضهم : والصلاة في المسجد الحرام بمائة صلاة ، لقول ابن الزبير : ان عمر رضي الله عنه قال : « صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه » وتعقب بأن المحفوظ فيه « صلاة في المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه » الا مسجد الرسول ، فإنما فضله عليه بمائة صلاة ، وهو عكس هذا القول .

وفي « الاوسط » للطبراني ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « صلاة في المسجد الحرام افضل من مائة في غيره » لكن فيه سويد بن عبدالعزيز في حديثه نظر لا يحتمل .

ولعبد الرزاق عن ابن الزبير موقوفاً : « صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيه » ويشير الى مسجد المدينة .

ولاحمد والبزار برجال الصحيح وصححه ابن حبان عن ابن الزبير مرفوعاً : « صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا » .

ولفظ ابن حبان : « وصلاة في ذلك افضل من مائة صلاة في مسجد المدينة » ، لكن

لفظ البزار « الا المسجد الحرام » ، فإنه يزيد عليه بمائة ، فضمير « فإنه » يحتمل كلا منهما ، فليس نصاً ، ويحتمل انـــه لفظ الحديث ، وما عداه من الرواية بالمعنى عند راويه بحسب فهمه في مرجع الضمير ، فليس قاطعاً في الباب رافعاً للخلاف ، وإن قاله ابن عبد البر ، نعم هو ظاهر في ترجيح المذهب الثالث ، اذ الراوي أعرف بفهم مرويه . وقد اختلف عن ابن الزبير في رفعه ووقفه ، قال ابن عبد البر : ومن رفعه احفظ ، ومثله لا يقال من قبل الرأي .

قال ابن حزم : ورواه ابن الزبير من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسند كالشمس في الصحة ، ولا مخالف لهما من الصحابة فصار كالإجماع .

وللطبراني والبزار وحسن اسنـــاده وفي بعض رواته كلام ، عن ابي الدرداء مرفوعاً : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة ».وهو موضح ، لان المراد بالاستثناء تفضيل المسجد الحرام . ولا يقدح فيما قدمناه من ان الصلاة بمسجد المدينة خير من الف صلاة ببيت المقدس . لان مفهوم العدد ليس بحجة . فلا ينفي الزائد . ولان في « الصحيحين » وغيرهما : ان الصلاة بمسجد المدينة خير من الف صلاة . وتلك الزيادة لا يعلم قدرها الا الله تعالى . فهو معارض كما دل عليه هذا الحديث . وما في « الصحيحين » مقدم . ويعارضه ايضاً ثبوت الالف لبيت المقدس كما سبق . ويقال فيه كما في نظائره : يحتمل انه ﷺ اخبر بالقليل بحسب ما أوحي اليه . ثم أعلم بالزيادة .

وكذا يقال في حديث الطبراني برجال الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه : تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ ايما افضل ، مسجد رسول الله ﷺ ، او بيت المقدس ؟ فقال رسول الله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا افضل من اربع صلوات فيه ، ولنعم المصلى هو » والمعول عليه الاخذ برواية الزيادة كما سبق .

ولابن ماجه برجال ثقات إلا أبا الخطاب الدمشقي فمجهول : « صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته في المسجد الاقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي بخمسين ألفاً ، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » . والمذهب كما قال النووي : أن المضاعفة المذكورة تعم الفرض والنفل ، خلافاً للطحاوي ولغيره من المالكية ، ولا ينافي ذلك تفضيل النفل في البيت ، لحديث : « أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة » إذ غايته أن للمفضول مزية هي المضاعفة ليست للفاضل ، ومزية الفاضل أرجح منها كما قاله الزركشي وغيره .

وقال الحافظ ابن حجر : يمكن إبقاء حديث : « أفضل صلاة المرء » على عمومه ، فتكون النافلة في بيته بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها في البيت بغيرهما ، وكذا في المسجدين ، وإن كانت في البيت أفضل مطلقاً ، والتضعيف المذكور يرجع الى الثواب ، لا إلى الاجزاء عما في الذمة من المقضيات إجماعاً خلاف ما يوهمه قول النقاش : حسبت الصلاة بالمسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة به عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة . انتهى .

وهذا مع قطع النظر عن كون الصلاة فيما سوى المساجد الثلاثة بعشر ، إذ الحسنة بعشر امثالها ، وعن تضعيف الجماعة والسواك ونحوهما ، ثم ان هذا التضعيف لا يختص بالصلاة كما صرح بمثله في مكة .

وقال في « الإحياء » : والاعمال في المدينة تتضاعف ، وذكر حديث : « صلاة في مسجدي بألف صلاة فيما سواه » ، ثم قال : فكذلك كل عمل بالمدينة بألف ، وصرح به ايضاً ابو سليمان داود الشاذلي من المالكية ، ويشهد له ما روى البيهقي عن جابر مرفوعاً : « الصلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، والجمعة في مسجدي هذا افضل من الف جمعة فيما سواه

الا المسجد الحرام ، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه الا المسجد الحرام » . وعن ابن عمر نحوه .

وللطبراني في « الكبير » عن بلال بن الحارث مرفوعاً : « رمضان بالمدينة خير من الف رمضان فيما سواها من البلدان ، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة في سواها من البلدان » وهو في « شرف المصطفى » عليه الصلاة والسلام لابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما، الا انه قال : « كصيام الف شهر » ، وقال : « كألف صلاة فيما سواها » وهذه الاحاديث تتعلق بالفضائل ، وضعفها منجبر بما اشار اليه الغزالي من القياس على ما صح في الصلاة ، مع موافقته للمختار في مكة من أن التضعيف يثبت لكل بقاعها فضلًا عما زيد في مسجدها .

وقال النووي باختصاص المضاعفة بمسجده ﷺ الذي كان في زمنه دون ما زيد فيه ، لقوله : « صلاة في مسجدي هذا » .

قلت : تقييده بهذا لاخراج غيره من المساجد المضافة اليه بالمدينة لا للاحتراز عما سيستقر عليه بالزيادة ، وقد سئل مالك رحمه الله عن ذلك فيما قاله ابن نافع صاحبه ، فقال : بل هو يعني المسجد الذي جاء فيه الخبر على ما هو الآن ، لان النبي ﷺ أخبر بما يكون بعده ، وزويت له الارض ، فأري مشارقها ومغاربها ، وتحدث بما يكون بعده ، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون ان يزيدوا فيه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم ، ولم ينكر عليهم ذلك منكر . انتهى .

ويشهد له ما رواه ابن شبة ، ويحيى ، والديلمي في « مسند الفردوس » عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لو مد هذا المسجد الى صنعاء كان مسجدي » وزاد ابن شبة ويحيى : وكان أبو هريرة يقول : لو مـد هذا المسجد الى باب داري ما عدوت أن اصلي فيه » ، وفي سنده عبد الله بن سعيد المقبري واه .

وليحيى : حدثنا هارون بن موسى القروي ، عن عمر بن أبي بكر الموصلي ، عن ثقات من علمائه مرفوعاً : « هذا مسجدي ، وما زيد فيه فهو منه ولو بلغ بمسجدي صنعاء كان مسجدي » ، وهو معضل .

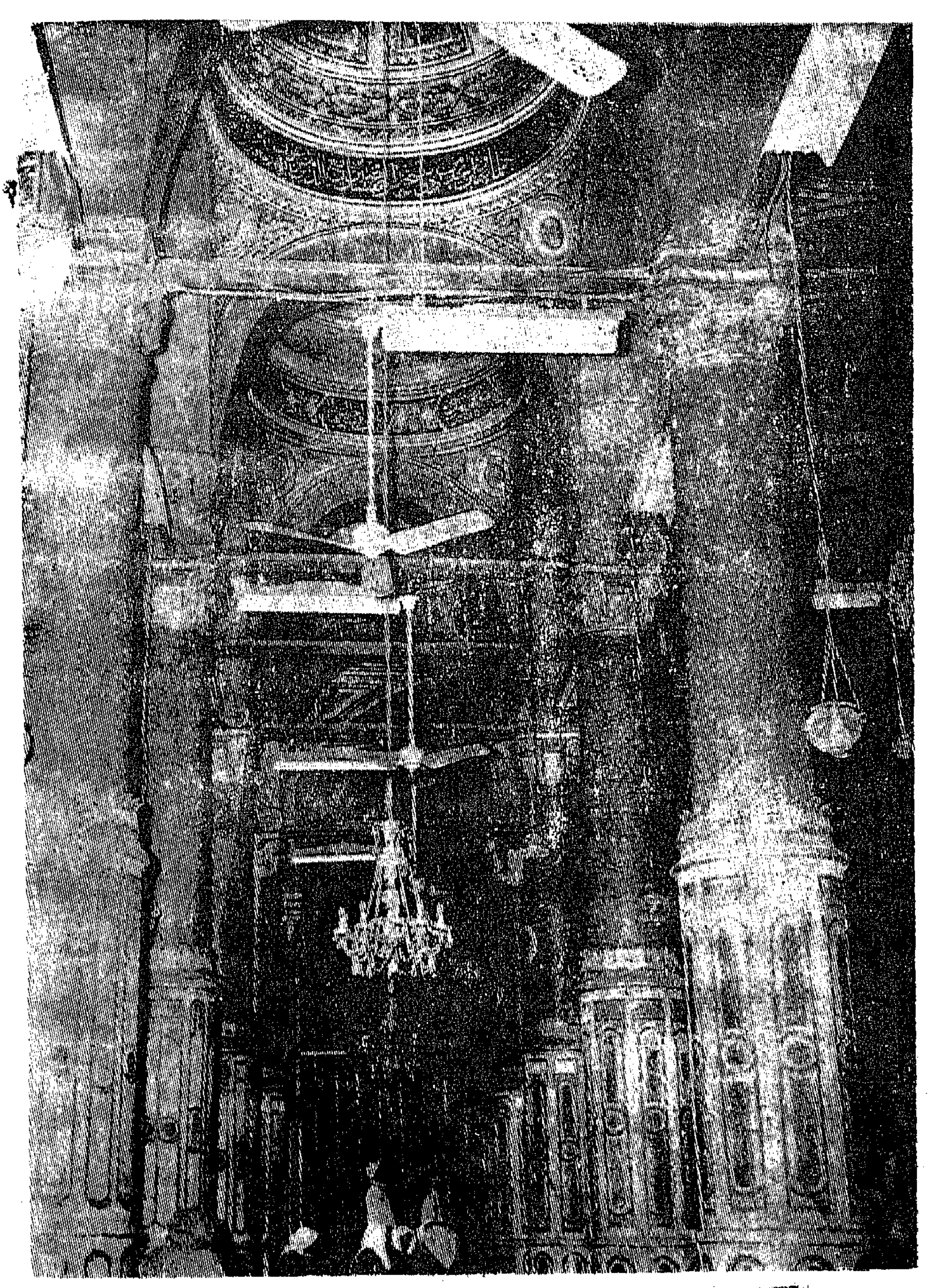
وله ولابن شبة عن أبي عمرة ، قال : زاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد من شاميه ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة ، كان مسجد رسول الله ﷺ . زاد يحيى : وجاءه الله تعالى بعامر [١] ، وفيه عبد العزيز بن عمران المدني ، متروك .

ولهما عن ابن أبي ذئب وهو محمدبن عبد الرحمن الفقيه المشهور ، قال : قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : لو مد مسجد رسول الله ﷺ الى ذي الحليفة لكان منه ، وهو معضل أيضاً ، لكن ينجبر ذلك بما أشار إليه مالك رحمه الله تعالى ، وقد سلم النووي رحمه الله تعالى عموم المضاعفة لما زيد في المسجد الحرام ، قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : وهو الذي يدل عليه كلام المتقدمين وعملهم ، وكان الأمر عليه في زمن عمر وعثمان ، فزادا في قبلة المسجد ، وكان مقامهما في الصلوات والصف الاول الذي هو افضل ما يقام فيه في الزيادة ، قال : وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا ، وما علمت سلفاً لمن خالف في ذلك من المتأخرين .

ونقل الخطيب ابن جملة عن المحب الطبري عموم المضاعفة ، لما زيد في المسجد النبوي ، واستحسنه على ما ذهب إليه النووي وهو المعتمد ، بل نقل البرهان ابن فرحون أنه لم يخالف في ذلك إلا النووي ، وأن المحب الطبري نقل في « الاحكام » له رجوعه عن ذلك ، وفيه نظر . ففي « الوفا » لابن الجوزي نقله عن ابن عقيل الحنبلي ، والذي في « الأحكام » للطبراني في بيان أن المضاعفة تعم ما زيد في المسجد النبوي بعد ذكر بعض الأخبار والآثار السابقة ، وقد يتوهم بعض من لم يغلبه ذلك قصر الفضيلة على الموجود في زمنه ﷺ ، وقد وقع ذلك لبعض أئمة العصر ، فلما رويت له ما سبق جنح إليه وتلقاه بالقبول ! انتهى .

---

(١) لعل المعنى : ورزقه الله بشخص يعمره حساً ومعنى.



صورة تمثل رواقاً من الروضة المطهرة متجهاً من الغرب للشرق وقد ظهر
أحد الشبابيك المحيطة بالحجرة المطهرة

وليست مسألة الحلف على أن لا يدخل هذا المسجد ، فزيد فيه من هـــذا ، لأن الأيمـــان يلحظ فيها العرف . وقـــال البيهقي عقب حديث فضل مسجد قباء : وراوه يوسف بن طهمان ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه مرفوعاً وزاد : « ومن خرج على طهر لا يريد إلا مسجدي هذا ، يريد مسجد المدينة ليصلي فيه كانت بمنزلة حجة » .

قلت : ابن طهمان ضعفه البخاري وابن عدي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وهذا من الفضائل . ويقويه ما ثبت لمسجد قباء ، وحينئذ فثواب الحج زائد على المضاعفة المتقدمة .

ولاحمد والطبراني في « الأوسط » ورجاله ثقات ، عن أنس بن مالك : « من صلى في مسجدي أربعين صلاة » ، زاد الطبراني : — لا تفوته صلاة — كتبت له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبراءة من النفاق » .

ولابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن من حين يخرج أحدكم من منزله الى مسجدي ، فرجل تكتب له حسنة ، ورجل تحط عنه خطيئة .

وليحيى عن سهل بن سعد : « من دخل مسجدي هذا يتعلم فيه خيراً ، أو يعلمه ، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس ، كان كالذي يرى ما يعجبه وهو لغيره » . وفي رواية : من دخل مسجدي هـذا لا يدخله الا ايعلم خيراً أو يتعلمه ... » الحديث .

ولابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه : « من جاء مسجدي هذا لم يأته الا لخير يتعلمه أو يعلمه ، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر الى متاع غيره » .

والطبراني عن سعد بمعناه الا انه قال : « من دخل مسجدي ليتعلم خيراً أو

ليعلمه » .

ولابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة مثله . وليحيى عن زيد بن أسلم : « من دخل مسجدي هذا لصلاة أو لذكر الله تعالى ، أو يتعلم خيراً أو يعلمه ، كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله تعالى » ولم يجعل ذلك لمسجد غيره .

وله عن ابي سعيد المقبري ، عن الثقة : « لا إخال الا ان لكل رجل منكم مسجداً في بيته ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فو الله لو صليتم في بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم ، ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته ، ولو تركتم سنته اذاً لضللتم » .

وفي « الصحيح » حديث : « من اكل من هذه الشجرة ، يعني الثوم ، فلا يقربن مسجدنا » .

قال التيمي : قال بعضهم : النهي انما هو عن قربان مسجد الرسول خاصة من أجل ملائكة الوحي ، والاكثر : على انه عام . وحكى ابن بطال الاختصاص عن بعض اهل العلم ووهاه .

وفي « الصحيحين » عن عبد الله بن زيد : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » .

وللبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ، وزاد : « ومنبري على حوضي » .

ولهما عن ابن عمر : « ما بين قبري ومنبري ... » الحديث .

وللبزار برجال ثقات . عن سعد بن ابي وقاص : « ما بين بيتي ومنبري او قبري ومنبري ... » الحديث .

ولاحمد برجال الصحيح . عن ابي هريرة وابي سعيد : « ما بين بيتي ومنبري ... » الحديث .

وله ولابي يعلى ، والبزار ، ويحيى – وفيه علي بن زيد وقد وثق – عن

جابر : « ما بين بيتي الى منبري ... الحديث » . وزاد : وإن منبري على ترعة من ترع الجنـــة . وافظ يحيى : رتعة[1] من رتع الجنة . وله عن ابي هريرة وغيره مثله .

وله ولأحمد برجال الصحيح عن سهل بن سعد : « منبري على ترعة مـــن ترع الجنة » وفسر الترعة بالباب . وقيل : الترعة : الروضة على المكان المرتفع . وقيل : الدرجة .

وللطبراني في « الكبير » عن أبي واقد الليثي : « قوائم المنـبر رواتب في الجنة » ، أي توابت فيها . وليحيى عن أم سلمة مرفوعاً : « قوائم المنبر رواتب في الجنة » .

وعن أبي المعلى الانصاري وكانت له صحبة : أن النبي ﷺ قال وهـو على المنبر : « إن قدمي على ترعة من ترع الجنة » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على منبره : « أنا قائم الساعة على عقر حوضي »[2]

ولابن زبالة عنه : « إني على الحوض الآن » .

وله عن نافع بن جبير عن أبيه مرفوعاً : أحد شقي المنبر على عقر الحوض ، فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرىء مسلم ، فليتبوأ مقعده من النار » . قال : وعقر الحوض : من حيث يصب الماء في الحوض .

ولابي داود ، وابن حبان ، والحاكم وصححاه ، عن جابر : لايحلف أحـد

---

(١) لم يذكر في « القاموس » : إلا الرتع بفتح الراء ، وفسرها بأنها الاتساع في الخصب ، فلينظر هل هي هنا بضم الراء ، كما أن الترعة التي هي بمعناها بضم التاء ، أو هي بفتحها بالمعنى المذكور في « القاموس »

(٢) العقر : بالضم ويفتح ، له معان ، منها : مؤخر الحوض

عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر ، إلا تبوأ مقعده من النار ، أو وجبت له » .

وللنسائي برجال ثقات ، عن أبي أمامة بن ثعلبة : « من حلف عند منبري هذا يميناً كاذبة استحل بها مال امرىء مسلم ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . وللطبراني في « الاوسط » عن أبي سعيد الخدري : « منبري على ترعة من ترع الجنة ، وما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة » .

وله عن أنس بن مالك . — وفيه متروك — ما بين حجرتي ومصلاي روضة من رياض الجنة .

وليحيى وأبي الطاهر بن المخلص في« انتقائه » ، عن سعد ـ هو ابن أبي وقاص ـ « ما بين بيتي ومصلاي ... الحديث » .

ولابن زبالة عنه : « ما بين منبري والمصلى ... الحديث » . قيل : المراد بالمصلى: المسجد النبوي . وقيل : مصلى العيد . ولذا قال طاهر بن يحيى عقب روايته لذلك : إن أباه يحيى قال : سمعت غير واحد يقولون : إن سعداً لما سمع هذا الحديث من النبي ﷺ ، بنى داريه فيما بين المسجد والمصلى . انتهى :

ويؤيده ما روى ابن شبة عن جناح النجار ، قال : خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبي وقاص إلى مكة ، فقالت لي : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ، فقالت لي : تمسك به ، فإني سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما بين مسجدي هذا المسجد ومصلاي روضة من رياض الجنة » . قلت : والبلاط هنا هو الممتد من المسجد إلى المصلى كما سيأتي ، وهو مؤيد لما سيأتي من أن المسجد النبوي كله روضة .

وفي « زوائد المسند » برجال الصحيح ، عن عبد الله بن زيد المازني مرفوعاً :

« ما بين هذه البيوت يعني بيوته ﷺ إلى منبري روضة من رياض الجنة ، ومنبر على ترعة من ترع الجنة » .

وحاصل مفاد هذه الاحاديث بالنسبة إلى المنبر : أنه بعينه يعاد في القيامة ، كما تعاد الخلائق ، ويكون على محله من المسجد النبوي بناحية من الجنة عند عقر الحوض ، وهو مؤخره .

وفي الإخبار بذلك : الترغيب التام في العبادة بذلك المحل ، وأنها تورث الحوض ، وهذا جمع بين قول الخطابي : المعنى أن ملازمة الأعمال الصالحة هناك تورث الحوض ، وتوجب الشرب منه . وقول غيره : إن المراد أن المنبر الذي كان في الدنيا بعينه يكون على حوضه في ذلك اليوم .

واعتمد ابن النجار هذا الثاني ، وقال ابن عساكر : إنه الأظهر ، وعليه أكثر الناس . وقيل : المراد منبر يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم .

وأما ما جاء في الروضة ، فحمله مالك رحمه الله تعالى على ظاهره ، فقال : إنها روضة من رياض الجنة تنقل إليها ، وليست كسائر الارض تذهب وتفنى ووافقه على ذلك جماعة من العلماء ، كما نقله البرهان ابن فرحون ، عن نقل ابن الجوزي وغيره . ونقله الخطيب ابن جملة عن الداوردي ، وصححه ابن الحاج .

وقيل : المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة ، أو هي كروضة من الجنة في نزول الرحمة ، وحصول السعادة بملازمة العبادة فيها سيما في عهده ﷺ .

وحكى الحافظ ابن حجر هذا الخلاف في موضع من « الفتح » ، وقال في موضع آخر : المراد أن تلك البقعة تنقل إلى الجنة ، فتكون روضة من رياضها ، وأنه على المجاز لكون العبادة فيها تؤول إلى دخول روضة الجنة ، قال : وهذا فيه نظر ، إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة ، والخبر مسوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها .

قلت : الأحسن كما قال ابن أبي جمرة : الجمع بين هذين القولين ، لقيـــام الدليل عليها . أما الاول : فلأن الاصل عدم المجاز ، واستدل له ابن أبي جمرة بإخباره ﷺ : بأن المنبر على الحوض ، قال : لم يختلف أحد من العلماء في أنه على ظاهره ، وأنه حق محسوس موجود على حوضه . وأما الثاني : فلما سبق في فضل المدينة النبوية ، وزاد هذا المحل بإحاطة هذين الحدين الشريفين به ، وكثرة تردده ﷺ فيه بينهما ، واتصاله بقبره الشريف الذي هو الروضة العظمى ، وقربه منه ، فلذا اختص بذلك ، أو هو تعبد ، قال : وقد تقرر من قواعد الشرع ، أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنـا والإخبار بذلك إلا تعميرها بالطاعات .

قلت : ولذا روى ابن زبالة عن إبراهيم ، قـال : وجدني أسامة بن زيد بن حارثة أصلي في ناحية المسجد ، فأخذ بعنقي ، فساقني حتى جاء بي المنبر ، فقال : صل هاهنا ، ثم قال : ويحتمل أن تلك البقعة نفسها الآن من الجنة ، كما أن الحجر الأسود منها ، وتعود روضة فيهـــا وللعامل بالعمل فيها روضة ، قال : وهـو أظهر لعلو منزلته ﷺ ، وليكون بينه وبين الابوة الإبراهيمية في هذا شبه ، فالخليل خص بالحجر من الجنة ، والحبيب بالروضة منها .

قلت : هذا هو الأرجح ، والظاهر : أنه مراد الإمام مالك رحمه الله تعالى لحمله اللفظ على ظاهره ، إذ لا مقتضى لصرفه عنه ، ولذا استدلوا به على تفضيل المدينة بضميمة حديث : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها » ، وتعقبه ابن حزم بأنها لو كانت حقيقة من الجنة لكانت كما قال الله تعالى : (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) [طه : ١١٨] قال : وإنما المراد أن العمل فيها يؤدي إلى الجنة .

وقال الجمال الراساني : : إن القول بأنها نقلت من الجنة مؤد إلى إنكار المحسوسات ، أو الضروريات ، ومثل هذا إنما طريقة التوقيف كما جاء في الحجـر الأسود والمقام .

قلت : المخبر بأنها من الجنة هو المخبر بأن الحجر والمقام منها ، ولا يقدح في ذلك شهود المذكورات ، كمخلوقات الدنيا لمنع الحجب الكثيفة عن شهود الامور الأخروية في الحياة الدنيا ، ولا يلزم من انتفاء الجوع والعري عمن حل في الجنة انتفاؤهما عمن حل فيما نقل منها ، وإلا لنفى بذلك كون الحجر والمقام منها حقيقة ، ولا قائل به ، والاصل عدم المجاز . وقد نقل الراساني عن الخطيب ابن جملة الاختلاف في أمر الروضة ، قال : فقيل : اللفظ على حقيقته بمعنى أنها نقلت من الجنة أو ستنقل إليها . وقيل : مجاز لتنزل الرحمة وحصول المغفرة بها ، كما سمى مجالس الذكر رياض الجنة حيث قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ، قال أبو هريرة : ما رياض الجنة ؟ قال : المساجد ... الحديث » . أو شبهها بالجنة لكريم ما يجتنى فيها لما كان ﷺ يجلس مع أصحابه فيها للتعليم ، ولأنها تؤول إلى الجنة ، كقوله : « الجنة تحت ظلال السيوف » ، و « الجنة تحت أقدام الأمهات » ، ولأن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة ، كقوله : « عائد المريض في مخرفة الجنة » ، ثم تعقب الخطيب الثاني ، بأنه لا يبقي حينئذ لهذه الروضة مزية ، وقد فهم الناس من ذلك ، المزية العظيمة التي بسببها فضلها مالك على سائر البقاع .

قال الراساني : بل هو الأظهر لاتفاق الخطابي وابن عبد البر عليه ، ولأن النظائر تؤيده ، وجواب ماذكره الخطيب ، أن العمل في تلك النظائر يؤدي إلى رياض الجنة ، والعمل في هذا المحل يؤدي إلى روضة أعلى من تلك الرياض .

قلت : ليس في الحديث وصفها بأنها أعلى الرياض ، بل الذاهب إلى تفضيل مكة يقول : العمل فيها مؤد إلى ماهو أعلى ، والذي فهمه الجمهور أن هذا الموضع روضة ، سواء كان به ذاكر وعابد أم لا ، بخلاف غيره من المساجد . والذي حمل الراساني على ذلك دعواه ، أن اسم الروضة يعم مسجده ﷺ كله

مع مازيد فيه ، لا أنه مجاز ، وذلك لتضعيف أجر الطاعات ، وذلـك لا يختص بموضع منـه ، وألف في ذلـك كتاباً ، ورد بعضهم عليه كما بسطناه في بعض التآليف . وقد قـال الاقشهري : سئل أبو جعفر الداودي عن قوله : « مـابين بيتي ومنبري ... الحديث » . فقال : هو روضة كله .

وقال الخطيب ابن جمـلة : قوله : « بيتي » : مفرد مضاف يفيد العموم في بيوته ، وكانت مطيفة بالمسجد من القبلة والمشرق ، والشـام والمنبر في غربيه . قال : ولهذا قال السمعاني : لما فضل الله تعالى هـذا المسجد ، وشرفه ، وبارك في العمل فيه ، وضعفه ، سماه رسول الله ﷺ روضة ، فتراه جعله كله روضة . والمشهور : أن المراد بيت خاص ، وهو بيت عائشة رضي الله عنها ، لرواية : « مابين قبري ... » .

قال ابن خزيمة : أراد بيتي الذي أقبر فيـه ، إذ قبره في بيتـه الذي كانت تسكنه عائشة رضي الله عنها .

قال الخطيب : فعلى هـذا تسامت الروضـة حائط الحجرة من جهـة الشمال وإن لم تسامت المنبر ، أو تؤخذ المسامتة مستوية ، فلينظر أي ، فإن أخذت مستوية ، دخل ماسامت الحجرة من جهة الشمال وإن لم يسامت المنبر ، وما سامت طرف المنبر القبلي وإن لم يسامت الحجرة لتقدم المنبر في جهـة القبلة ، فتكون الروضة مربعة ، وهي رواق المصلى الشريف ، والرواقان بعده ، وذلك مسقف مقدم المسجد في زمنه ﷺ لما اتضح لنا في جدار الحجرة الشامي عند عمارتها من محاذاته لصف اسطوان الوفود ، لكن المنبر كما سيأتي كان متأخراً يسيراً عن جدار القبلة ، فيخرج قدر ذلك عن هذه البنية ، وكذا إن أخذت المسامتة غير مستوية ، بل يخرج المصلى الشريف أو مقدمه لعـدم محاذاته لكل طرفي المنبر والحجرة ، إذ تتسع الروضة مما يلي الحجرة في المشرق ، وتكون غير مستقيمة لتأخر الحجرة

إلى الشام عن المنبر ، ثم تتضايق كمثلث انطبق ضلعاه على قدر امتداد المنبر النبوي وهو خمسة أشبار ، كما سيأتي .

ويكون موقف الصف الأول مما يلي الحجرة ليس بالروضة ، لان جدار الحجرة القبلي الذي في جرف الحائز في موازاة الاساطين التي خلف القائم في الصف الاول ، فهذا الاحتمال مردود ، إذ معظم السبب في جعل ذلك روضة اشتماله على محل الجبهة الشريفة الميمونة ، ولم يقل أحد بخروج شيىء من المصلى الشريف عن الروضة ، بل كلامهم متفق على جعله منها . وأخذ المسامتة مستوية هو ظاهر ما عليه غالب العلماء والناس ، إلا أن نهاية الحجرة لم تكن معلومة لهم ، فقال جماعة منهم : لم يتحرر لنا عرض الروضة .

قال الراساني : وغالب الناس يعتقدون أن نهايتها أي من الشام في مقابلة اسطوان علي رضي الله عنه ، ولهذا جعلوا الدرابزين الذي بين الاساطين ينتهي إلى صفها ، واتخذوا الفرش لذلك فقط .

قلت : الصواب ما تقدم من امتدادها إلى صف اسطوان الوفود . وأما عمومها للمسجد النبوي ، فمبني على ما سبق ، وعلى ما سيأتي عن ابن النجار ، من أن نهاية المسجد في المغرب الاسطوانة التي تلي المنبر ، وقد ظهر لنا خلافه كما سنوضحه . وقال الزين المراغي : ينبغي اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن ، بل تتسع إلى حد بيوته ﷺ من ناحية الشام ، وهو آخر المسجد في زمنه ﷺ ، فيكون كله روضة إذا فرعنا على عموم المفرد المضاف ، ثم ذكر ما تقدم .

وفاته وغيره الاستدلال بحديث « زوائد أحمد » المتقدم بلفظ : « ما بين هذه البيوت — يعني بيوته — إلى منبري ، روضة من رياض الجنة » ، فإنه قد نوقش في التمسك بما سبق بأن في رواية قبري ، وبيت عائشة ، بيان أن ذلك هو المراد من المفرد المضاف ، وهو مردود بأنه من قبيل إفراد فرد من العام بحكمه ، وهو لا يقتضي إلا الاهتمام بذلك الفرد .

وقـال القرطبي : الرواية الصحيحة : « بيتي » ، ويروى : « قبري » ، وكأنه بالمعنى . وحمل القرافي عموم المفرد على ما إذا وقع على القليل والكثير ، كالماء والمال ، بخلاف ما لايصدق إلا على الواحد ، كالعبد ، مذهب مرجوح اختاره ابن دقيق العيد . كما أفاده التاج السبكي . وعدم العموم في قولك : عبدي حر . وزوجتي طالق . كما قال الاسنوي . لكونه من باب الايمان . فيسلك به مسلك العرف .

ونقل عن ابن عبد السلام طلاق الجميع وعتقهم . وهو الذي نص عليه الإمام أحمد حيث لا نيـة جرياً على القاعدة المذكورة . فهذا مـــع الحديث المتقدم من أحسن الادلة . لكن على عموم الروضة لما بين المنبر والبيوت ، والمنبر داخل بالادلة السابقة أيضاً . وأما القبر الشريف . فهو الروضة العظمى .

وقد ذكر ابن زبالة في موضع من كتابه في ذيل خبر رواه عن عبد العزيز ابن أبي حازم ، ونوفل بن عمارة ، أن ذرع ما بين المنبر إلى القبر ، وهو موضع بيته ﷺ : أربع وخمسون ذراعاً وسدس .

قلت : وهذه الرواية إنما تصح مع إدخال عرض جدار الحائز الذي بناه عمر ابن عبد العزيز ، وهو نحو ذراع وسدس ، ولذاذكر ابن زبالة في موضـع آخر من كلامه ، أن ذرع ما بينهما ثلاث وخمسون وشبر ، وقد اعتبرته من طرف الجدار القبلي إلى طرف المنبر القبلي مع إدخال عرض الرخام ، فإنه لم يكن في زمن ابن زبالة ، فكان ثلاثاً وخمسين ذراعاً بالذراع الذي تقدم تحريره ، وهو ذراع غير ثمن من ذراع الحديد ، وهو موافق لما نقله الأقشهري عن أبي غسان ـ وهو محمد بن يحيى صاحب مالك ـ من أن بينهما ثلاثاً وخمسين ذراعاً ، وابن جماعة حيث ذكر من ذرعه بذراع العمل ما يقتضي أن بينهما نحـــو اثنتين وخمسين ذراعاً بالذراع المتقدم ، لم يدخل عرض رخام الحجرة ، وذرع على الاستقامة ، ولم يعتبر الذرع من الطرفين المذكورين .

وأما الزين المراغي ، فاعتبر مع ذلك ذراع المدينة ، وهو أزيد من الذراع الذي تقدم تحريره بنحو قيراط وثلث ، فقال : وقد اعتبرته فوجدته خمسين إلا ثلثي ذراع ، وسيأتي في الكلام على المنبر بيان أن هذا المنبر كالذي قبله مقدم على محل المنبر الأصلي لجهة القبلة عشرين قيراطاً من ذراع الحديد ، والى جهة الروضة من مقدمه نحو ثلاثة قراريط .

الباب الثالث

في أخبار سكانها الى أن حل النبي صلى الله عليه وسلم بها وسكنها

وفيه أربعة فصول

الأول : في سكناها بعد الطوفان ، وسكنى اليهود بها ، ثم الأنصار ، وبيان نسبهم وظهورهم على يهود ، وما اتفق لهم مع تبع .

أسند الكلبي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه بعد خروج الناس من السفينة ، نزلوا طرف بابل ، وكانوا ثمانين نفساً ، فسمي الموضع : سوق الثمانين ، فمكثوا حتى كثروا وصار ملكهم نمروذ بن كنعان بن حام ، فلما كفروا بلبلوا ، فتفرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً ، ففهم الله تعالى العربية منهم عمليق وطسم ابني لاوذ بن سام ، وعاداً وعبيل ابني عوص بن إرم بن سام ، وثمود وجديس ابني جاثق بن إرم بن سام ، وقنطور بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فنزلت عبيل بيثرب ، ويثرب [اسم] ابن عبيل ، ثم أخرجوا منها ، فنزلوا الجحفة ، فجاءهم سيل أجحفهم فيه ، فلهذا سميت جحفة ، فرثاهم رجل منهم فقال :

عيني جودا على عبيل[1] وهل يرجع من فات فيضها بانسجام
عمروا يثرباً وليس بها شفر[2] ولا صارخ ولا ذو سنام

---

(١) كأمير : قاموس .

(٢) بفتح الشين المعجمة وضمها مع سكون الفاء ، أي : أحد ، يقال : ليس بالدار شفر ، أي : أحد ، « قاموس ».

غُرســـوا لينهـــا بمجرى معين   ثم حفوا النخيـل بالآجـــام

وقيل : أول من سكنها يثرب بن قائنة بن مهلاييل بن إرم بن عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل : أول من عمر بها الدور والآطام ، وزرع ، وغرس : العماليق ، بنو عملاق ابن أرفخشذ بن سام ، وأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز إلى الشأم ومصر .

ومنهم الجبابرة والفراعنة بهما ، وملكهم بالحجاز الأرقم ، وكان بالمدينة منهم بنو هف ، وبنو مطروبل ، وكانت جـــرهم بمكة ، وقنطور وطسم وجديس باليمامة .

وعن زيد بن أسلم ، أن ضبعاً رؤيت وأولادها رابضة في حجاج عين رجل أي العظم الذي ينبت عليه الحاجب ، قال : وكان يمضي أربعمائة سنة وما يسمع بجنـــازة .

ولابي المنـذر الشرقي : سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبد الله ابن حنظلة الغسيل ، وبعضه من رجل من قريش ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، فجمعت حديثهما لقلة اختلافه . قالا : بلغنا أن موسى عليه السلام لما حج ، حج معه أناس من بني إسرائيل ، فأتوا على المدينة في انصرافهم ، فرأوا مواضعها[1] صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنـه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بين[2] قينقاع ، ثم تألف إليهم أناس من العرب . ورجعوا عن دينهم . فكانوا أول مـــن سكن موضع المدينة . ويذكر أن قوماً من العمالقة سكنوه قبلهم .

ولابن شبة بسند لابأس به . إلا أن فيه من لم يسم . عن جابر مرفوعاً :

---

(١) صوابه : موضعها .

(٢) صوابه : بني .

« أقبل موسى وهارون حاجين ، فمرا بالمدينة ، فخافا من يهود ، فخرجا مستخفيين ، فنزلا أحداً ، فغشي هارون الموت ، فقام موسى ، فحفر له ولحد ، ثم قال : يا أخي إنك تموت ، فقام هارون فدخل في لحـــده ، فقبض ، فحثا عليه موسى التراب ، وهو دال على كونهم بالمدينة زمن موسى .

وسيأتي في أسماء البقاع وجود قبر بالجماء عليه مكتوب : أنا رسول رسول الله سليمان بن داود عليه السلام إلى أهل يثرب . وفي رواية . أنا رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينـة .

ولابن زبالة عن مشيخة من أهلهـــا . قالوا : كان ساكنها في سالف الزمان صغل . وفالح . فغزاهم داود عليه السلام وأخذ منهم مائة ألف عذراء . قالوا : وسلط عليهم الدود في أعناقهم ، فهلكوا ، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل ، وهي التي بناحية الجرف ، وبقيت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ، فاكترت من رجل ، وأرادت الخروج إلى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لتركب ، غشيها الدود ، فقيل لها : إنا لنرى دوداً يغشاك ؛ فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رب جسد مصون ، ومـــال مدفون ، بين زهرة ورانون ، وقتلها الدود .

قالوا : وكان قوم من الامم يقال لهـــم : بنو هف ، وبنو مطر ، وبنو الازرق فيما بين مخيض الى غراب الصائلة الى القصاصين الى طرف أحد ، فتلك آثارهم هناك .

وعن عروة بن الزبير : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد ، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله ، وعتوا عتواً كبيراً ، فلمـا أظهر الله تعالى موسى على فرعون ، ووطىء الشأم ، وأهلك من بها بعث إليهم جنداً من بني إسرائيل للحجاز ، وأمرهم أن لا يستبقوا منهم أحداً بلغ الحلم ، فقدموا ، فأظهرهم الله ، فقتلوهم ،

وأصابوا ابن ماكهم الارقم « وكان أحسن الناس وجهاً » فقالوا : نستحييه حتى نقدم به على موسى عليه السلام : فيرى فيه رأيه « فأقبلوا به » فقبض الله موسى قبل قدومهم ، فتلقاهم الناس ، فسألوهم عن أمرهم ، فأخبروهم ، فقالت بنو إسرائيل : إن هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم ، لا والله لا تدخلوا علينا بلادنا أبداً ، فقالوا : ما بلد إذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه ، وكان الحجاز إذ ذاك أشجر بلاد الله وأظهره ماء ، فكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق ، فكان جميعهم بزهرة بين الحرة والسافلة مما يلي القف ، ولهم الأموال بالسافلة ، ونزل جمهورهم بيثرب بمجتمع السيول مما يلي زعابة .

وعن محمد بن كعب القرظي ، قال : وخرجت قريظة واخوانهم بنو هدل وعمر ، وأبناء الصريح ، والنضير بن النحام بن الخزرج بن الصريح من ذرية هارون عليه السلام بعد هؤلاء ، فتبعوا آثارهم ، فنزلوا بالعالية على مذينب ومهزور .

ولبعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه : بلغني « أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بختنصر عليهم تفرقوا » وكانوا يجدون محمداً ﷺ منعوتاً في كتابهم ، وإنه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذات نخل ، ولما خرجوا من أرض الشأم جعلوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشأم واليمن، يجدون نعتها نعت يثرب ، فينزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمداً ﷺ ، حتى نزل منهم طائفة من بني هارون ممن حمل التوراة بيثرب ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ أنه جاء ، ويحثون أبناءهم على اتباعه ، فأدركه من أبنائهم ، فكفروا به ، وهم يعرفونه ؛ أي : لحسدهم الانصار حيث سبقوهم اليه . وزعم بنو قريظة أن الروم لما غلبوا على الشأم ؛ خرج قريظة والنضير وهدل هازبين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بني إسرائيل ، فوجه ملك الروم في طلبهم ، فأعجزوا رسله ، وانتهى الرسل الى ثمد بين الشأم والحجاز ، فماتوا عنده عطشاً ، فسمي الموضع ثمد الروم .

ونقل ابن زبالة ما حاصله « أن ممن كان مع يهود من العرب قبل الانصار بنو نيف : حي من بلي » ويقال : بقية من العماليق « وبنو مزيد من بلي » وبنو معاوية بن الحارث بن بهتة بن سليم « وبنو الجذماء حي من اليمن » ولبني أنيف بقباء آطام عند بئر عذق « والمال الذي يقال له : القائم » وغيرهما . قال شاعرهم :

ولو نطقت يوماً قباء لخبرت ... بأنا نزلنا قبل عاد وتبع

وآطامنا عادية مشمخرة ... تلوح فتنكي من نعادي وتمنع

وكان ممن بقي من اليهود حين نزل الأوس والخزرج عليهم بنو القصيص، وبنو ناغصة مع بني أنيف بقباء . وقيل : إن بني ناغصة حي من اليمن ، منازلهم شعب بني حرام ، حتى نقلهم عمر رضي الله عنه إلى مساجد الفتح ، وبنو قريظة في الدار المعروفة لهم اليوم ، ومعهم إخوتهم بنو هدل ، وبنو عمرو ، وسمي هدلاً بهدل كان في شفته ، وبنو النضير ، كما قال ابن زبالة في النواعم .

ومنهم كعب بن الأشرف ، وكان لهم عامة أطم في المال الذي يقال له : فاضحة [1] بجفاف [2] ، وأطم دون بني أمية بن مزيد دبر قصر ابن هشام ، وأطم البويلة .

وقال الواقدي : منازل بني النضير بناحية الغرس ، وبنو مزيد في بني حطمة ، وناعمة بن هيم بن هشام ، وبنو معاوية في بني أمية بن مزيد ، وبنو ماسكة قرب صدقة مروان مما يلي صدقة النبي ﷺ ، ولهم الاطمان اللذان في القف في القرية ، أي : التي آثارها غربي الحسينيات ، وبنو محمم في المكان الذي يقال له : محمم ولهم المال الذي يقال له : خناقة . وبنو زعورا عند مشربة أم إبراهيم ،

---

(١) وهي المسماة الآن : بفائضة غربي الحرة

(٢) وهو المسمى الآن : بقربان .

وبنو زيد اللات ، – قال ابن زبالة : وهم رهط عبد الله بن سلام – قرب بني غصينة ، وبنو قنيقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية ، وهناك سوقهم ، ولهم الأطمان اللذان عند منقطع الجسر على يمينك وأنت ذاهب من المدينة إذا سلكت الجسر من الطريق الشرقية إلى العالية .

والذي في « صحيح البخاري » عن ابن عمر رضي الله عنهما انهم رهط ابن سلام، وهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام ؛ وبنو حجر عند المشربة التي عندالجسر وبنو ثعلبة ، واهل زهرة بزهرة ، وهم رهط القطيور ؛ ملكهم الذي كان يفتض نساء أهل المدينة ؛ واهل الجوانية بالجوانية ؛ ولهم صرار ، والريان وهما أطمان صارا لبني حارثة ، وبنو الجذماء الحي من اليمن فيما بين مقبرة بني عبد الأشهل وبين قصر ابن عراك ، ثم انتقلوا إلى راتج . وبنو عكوة يماني بني حارثة . وبنو مزاية شامي بني حارثة ، ولهم الشعبان ، أطم بثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وناس براتج أطم سميت به ناحيته ؛ وناس بالشوط والعنائق ؛ والوالج، وزبالة إلى عين فاطمة حيث كان يطبخ الآجر للمسجد النبوي ، ولأهل الشوط الشرعي [1] أطم دون ذباب صار لبني جشم إخوة بني عبد الأشهل ؛ ولأهل الوالج أطم بطرفة ممايلي قناة ، ولبعض من هناك السنحان [2] ، وهما أطمان بفضاهما [3] مسجد الشيخين الآتي ، ولأهل زبالة الاطمان عند كومة أبي الحمراء الرابض ، والاطم الذي دونها ، وكان أهل يثرب جماعات من اليهود بها ، وقد بادوا .وقيل: إن قبائل يهوذ تنيف على العشرين ، وعدة آطامهم وآطام من نزل معهم من العرب تزيد على السبعين ، وكانت الآطام عز أهل المدينة ومنعتهم ، وجاء النهي عن هدمها

(١) صوابه : الشرغبي .

(٢) صوابه : الشيخان بالمعجمة تثنية شيخ ، كما في أسماء الاماكن .

(٣) الذي في أسماء الأماكن : بفضائها .

ولم تزل اليهود ظاهرة على المدينة ، حتى كان من سيل العرم ، وهي المطر الشديد
وقيل : جرذ أعمى نقب السد ماقص الله تعالى في كتابه ، وكانت مأرب [1]
وهي أرض سبأ المعنية بقوله تعالى : (بلدة طيبة) [سبأ : ١٥] أخصب البلاد
تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل ، فتعمل بمغزلها ، وتسير بين الشجر ؛ فيمتلىء مما
يتساقط من التمر وهي أكثر من شهرين للراكب المجد طولا ، وكذلك عرضها
وأهلها في غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة آمنين ، تخرج المرأة لاتتزود ،
تبيت في قرية ، وتقيل في أخرى حتى تأتي الشأم .

قال تعالى : (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) [سبأ : ١٨]
أي قرى الشأم قرى ظاهرة ، أي : يرى بعضها من بعض لقربها ، فبطروا النعمة :
فقالوا : (ربنا باعد بين أسفارنا) [سبأ : ١٨] أي : بمفاوز بينهم وبين
الشام يركبون فيها الرواحل ، فعجل الله لهم الإجابة ، كما قال : (فجعلناهم
أحاديث ومزقناهم كل ممزق) — [سبأ : ١٩] .

وعن الضحاك : كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وكان السد
فرسخاً في فرسخ بناه لقمان الأكبر العادي . وقيل : ابنه . وقيل : سبأ بن
يشجب ، ومات قبل إكماله ، فأكمله ملوك حِمْيَر تجتمع إليه مياه اليمن ، ثم
تتفرق في مجاري ، وكان أولاد حِمْيَر وأولاد كهلان ابني سبأ حينئذ سادة اليمن ،
كبيرهم عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة
ابن مازن ابن الأزد ، ويقال : الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد
ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وجماع قبائل اليمن ينتهي
إلى قحطان ، واختلف فيه ، فالأكثر : أن قحطان هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ
ابن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل : هو من ولد هود ، وقيل : هو هود

(١) مأرب : كمنزل .

نفسه ، وقيل : ابن أخيه ، ويقال : هو أول من تكلم بالعربية ، وهو والد العرب المتعربة ، واسماعيل عليه السلام والد العرب المستعربة .

وأما العرب العاربة ، فقبل ذلك ، كعاد وثمود وعمليق وغيرهم ، وذهب الزبير ابن بكار إلى أن قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن اسماعيل عليه السلام .

ولذا قال أبو هريرة رضي الله عنه مخاطباً الأنصار : فتلك - أي : هاجر - أمكم يابني ماء السماء - يعني الأنصار ، لأن جدهم عامراً هو الملقب بذلك ، أو أراد جميع العرب، لملازمتها مواقع القطر ، وهذا متمسك من ذهب إلى أن العرب كلها من ولد اسماعيل ، وهو الذي أميل إليه ، وإن ثبت خلافه ، فالعرب الذين لهم الشرف والتقديم بنو اسماعيل عليه السلام فقط كما أوضحناه في الأصل ، وكانت زوجة عمرو مزيقياء تسمى طريفة الحميرية كاهنة ولدت له ثلاثة عشر ولداً : ثعلبة أبا الأوس والخزرج ، وحارثاً والد خزاعة ، وقيل فيهم غير ذلك ، وجفنة والد غسان ، وقيل فيهم غير ذلك ، ووداعة وأبا حارثة الحارث ، وعوفاً ، وكعباً ، ومالكا ، وعمران ، هؤلاء أعقبوا ، والثلاثة الباقون لم يعقبوا ، وكان لعمرو مزيقياء من القصور والأموال مالم يكن لأحد ، فرأى أخوه عمران وكان كاهناً ولم يعقب أن قومه سيمزقون ، وتخرب بلادهم، فذكره له ، ثم ان ظريفة[1] سجعت له بما يدل لذلك ، فقال : وما علامته ؟ قالت : إذا رأيت جرذاً يكثر في السد الحفر ، ويقلب بيديه منه الصخر ، فانطلق إلى السد ، فإذا جرذ يقلب الصخرة ، والصخرة ما يقلبها خمسون رجلا من السد ، فأخفى ذلك ، وأجمع على بيع ماله بأرض سبأ والخروج بولده ، وخشي من استنكار ذلك ، فاحتال بطعام واسع صنعه ، وجمع أهل مأرب ، وأسر إلى يتيم رباه أن يجلس إلى جانبه وينازعه الحديث ، ويفعل به مثل ما يفعل به ، ثم كلمه في شيء ، فرد عليه ،

---

(١) صوابه : طريفة .

فضرب عمرو وجهه وشتمه ، ففعل اليتيم به مثله ، فصاح واذلاه اليوم ذهب فخر عمرو ، وحلف لا يقيم ببلد صنع به ذلك فيها ، وأن يبيع أمواله ، فاغتنموا غضبه ، واشتروها ، وتبعه ناس من الأزد ، فباعوا ، فلما اجتمع لعمرو أثمان أمواله ، أخبر الناس ، فخرج ناس كثير ، وأقام من قضى عليه بالهلاك .

وقيل : المحتال في بيع ماله : ثعلبة بن عمرو . وإنما كانت طريفة زوجته . ومات عمرو قبل السيل .

وقيل : لما مات عمرو صارت الرياسة لاخيه عامر العاقل ، وهو المحتال للبيع . فقال لحارثة ابن أخيه : إذا ضربتك فالطمني . فقال : كيف يلطم الرجل عمه ؟ فقال : إن في ذلك صلاحك وصلاح قومك . ثم جاء السيل . فلم يجد مانعاً . فغرق البلاد والكروم إلا ما كان في رؤوس الجبال والبعيد ، مثل ذمار وحضرموت وعدن . وذهبت الضياع والحدائق . وجاء السيل بالرمل فطمها . ووصفت لهم ظويفة [1] البلاد . وقيل : عمرو [2] . فسكن أزدعمان بها . ووداعة بن عامر بكرود من أرض همدان ، فانتسبوا فيهم ، وأزدشنوأة بشن من السراة ، وخزاعة ببطن مر ، والاوس والخزرج بيثرب ، وآل جفنة من غسان ببصرى ، وسدير من أرض الشام ، وجذيمة الابرش وغيره من غسان بالعراق ، وسجع طريفة المتعلق بيثرب : من كان منكم يريد الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، فليلحق بيثرب ذات النخل . ونسب لعمرو بن عامر بزيادة : المدركات بالدحل ، عقب المطعمات في المحل . وقيل : قال : فليلحق بالحرة ذات النخل ؛ فلما خرجوا وفارقهم وداعة بهمدان ؛ ثم ازدشنوأة بين السراة ومكة ومعهم عمران بن عمرو ؛

---

(١) صوابه : طريفة .

(٢) أي : ابن عامر الكاهن هو الذي وصف البلاد فعمرو معطوف على طريفة .

وسار عمرو في باقي ولده وفي ناس من الأزد حتى نزلوا مـاء يقال له : غسان ؛ وغلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم :

إما سألت فإنا معشر نجب ... الازد نسبتنا والماء غسان

قال أبو المنذر الشرقي : ومن ماء غسان انخزع لحي واسمه ربيعة بن عمرو بن حارثة ؛ فأتى مكة ؛ فتزوج بنت عـامر ملك جرهم ؛ فولدت له عمرو بن لحي الذي غير دين إبراهيم عليه السلام .

وروى الازرقي[1] : أن عمرو بن عـامر سار وقومه لا يطؤون بلداً إلا غلبوا عليه ؛ فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم قد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل وغيرهم ؛ أرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر : إنا خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلداً إلا فسح أهله لنا ؛ فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادوا لنـا بلداً يحملنا ؛ فافسحوا لنا حتى نستريح ونرسل روادنا إلى الشأم والمشرق ؛ فحيثما قيل لنا : إنه أمثل لحقنا به ، فأبت جرهم ، فأرسل إليهم ثعلبة أنه لا بد لي من المقام ، فإن تركتموني نزلت وحمدتـكم وواسيتكم في الماء والمرعى ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلا ، ولم تشربوا إلا رنقا - يعني الكدر - وإن قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك أحداً منـكم ينزل الحرم ، فأبت جرهم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزمت جرهم ، فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، وأقام ثعلبة بمكة وما حولها بعساكره حولاً ، فأصابتهم الحمى ، وكانوا ببلد لا يعرفون فيـه ما الحمى ، فدعوا ظريفة[2] الـكاهنة ، فشكوا إليها ، فقالت : قد أصابني الذي تشكون .

ثم ذكر الأزرقي سجعها في الدلالة على البلاد ، فهو غير السجع الأول ، وأن

---

(١) هو مؤرخ مكة .

(٢) صوابه : طريفة .

الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو نزلوا المدينـة ، قال : وانخزعت خزاعة بمكة ، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي ، فولي أمر مكة . وقال ياقوت : لما ساروا من اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء نحو الحجاز ، فأقام ما بين التعلبية ، وباسمه سميت إلى ذي قـــار ، فلما كثر ولده ، وقوي ركنه ، سار بهم نحو المدينة ، وبهـــا يهود ، فاستوطنوها ، وأقاموا بين قريظة والنضير وخيبر وتـــيماء ، ووادي القرى ، ونزل أكثرهم بالمدينة ، وأم الأوس والخزرج قيلة بنت عمرو بن جفنة في قول الكلبي .

وقال ابن حزم : بنت الأرقم ابن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ، ويقال : بنت كاهل بن عـذرة بن قضاعة ، وقضاعة من حمير في قول الأكثر ، واشتهرت الأوس والخزرج بأبناء قيلة ، وأولد الأوس مالكاً ، ومنه قبائل الأوس كلها .

وروى الخرائطي أنه لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو الوفاة ، اجتمع قومه ، فقالوا : قد حضر من أمـــر الله ماترى ، وقد كنا نأمرك في شبابك أن تـتزوج فتأبى ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لـــك غير مالك ، فقال : ان يهلك هـالك ترك مثل مالك ، إن الذي يخرج النار من الزندة قادر على أن يجعل لمالك نسلا ورجالاً بسلا ، وكل إلى الموت ، ثم أقبل على مالك فقال : أي بني المنية ولا الدنية ، وذكر سجعاً ، ثم أنشأ يقول أبياتا منها :

ففعل[1] الذي أودى[2] ثموداً وجرهما سيعقب لي نسلاً على آخر الدهر

تقربهم من آل عمرو بن عـامر عيون لدى الداعي إلى طلب الوتر

---

(١) صوابه فعل بفتح المهملة وشد اللام ، وقبله بيتان ، وهما :

شهدت السبايا يوم آل محرق وأدرك عمري صيحة الله في الحجر

فلم أر ذا ملك من الناس واحداً ولا سوقة إلا إلى الموت والقبر

(٢) أردي بلراء . أي : أهلك وهو الصواب .

ألم يأت قومي أن لله دعوة يفوز بها أهل السعادة والبر
إذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصره ببلادكم بني عامر إن السعادة في النصر

ثم قضى من ساعته .

قال الشرقي : فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ، ويقال لهم : أوس الله ، وهم الجعادرة ، وسموا بذلك لقصر كان فيهم ، وسيأتي ما يخالفه ، مع بيان ما انتشر منهم من القبائل .

وقال ابن حزم : إن بني عامر بن عمرو بن مالك بن الاوس ، كانوا كلهم بعمان لم يكن منهم بالمدينة أحد ، فليسوا من الانصار .

وأولد[1] الخزرج بن حارثة خمسة ، وهم : عمرو ، وعوف ، وجشم ، وكعب ، والحارث ، وتفرقوا بطونا كثيرة . قال ابن حزم : وعقب السائب بن قطن بن عوف من الخزرج لم يكن أحد منهم بالمدينة ، كانوا بعمان ، فليسوا من الانصار ، وذكر نحوه في بعض بني الحارث بن الخزرج ، وأن بعض بني جفنة ابن عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة في عداد الانصار .

وقال الشرقي : ولما قدمت الاوس والخزرج المدينة ، تفرقوا في عاليتها وسافلتها ، ومنهم من نزل مع بني إسرائيل في قراهم ، ومنهم من نزل وحده لامع بني إسرائيل ولامع العرب الذين كانوا تألفوا إلى بني إسرائيل ، وكانت التروة في بني إسرائيل ، ولهم قرى أعدوا بها الآطام .

ولابن زبالة عن مشيخة من أهل المدينة : أن الاوس والخزرج وجدوا الاموال والآطام بأيدي يهود ، والعدد والقوة معهم ، فمكثوا ماشاء الله ، ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به

(١) صوابه : وولد الخزرج كذا في الأصل .

ممن سواهم ، فتحالفوا ، وتعاملوا ، ولم يزالوا كذلك زماناً طويلا ، وأثرت الاوس والخزرج ، وصار لهم مال وعدد ، فخافت قريظة والنضير أن يغلبوهم على دورهم ، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف ، وقريظة والنضير أعد وأكثر ، فأقاموا خائفين أن تجليهم يهود ، حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بني سالم ابن عوف بن الخزرج ، وسوده الحيان الأوس والخزرج ، وكانت لا تهدى عروس من الحيين حتى تدخل على القيطون ملك اليهود ، فيكون هو الذي يفتضها ، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من قومها ، فبينا مالك في النادي ، إذ خرجت أخته فضلاء[1] ، فنظر إليها أهل المجلس ، فشق على مالك ، ودخل فعنفها ، فقالت : ما يصنع بي غداً أعظم ، أهدى إلى غير زوجي ، فلما أمسى ، اشتمل على السيف ، ودخل متنكراً مع النساء ، فقتل القيطون ، وانصرف لدار قومه ، فبعثوا الرمق بن زيد أحد بني سالم إلى من وقع بالشام من قومهم يشكون غلبة اليهود عليهم ، فقدم على أبي جبيلة أحد بني جشم بن الخزرج الذين ساروا من يترب إلى الشام ، وقيل : أبو جبيلة من ولد جفنة بن عمرو مزيقياء ، وكان قد أصاب ملكا بالشام ، فشكا حالهم وغلبة اليهود عليهم ، فأقبل أبو جبيلة في جمع كثير لنصرتهم .

ونقل رزين عن الشرقي ، أن القيطون كان قد شرط أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى تدخل عليه ، فلما سكن الأوس والخزرج المدينة ، أراد أن يسيرفيهم بذلك ، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من بني سالم ، فأرسل القيطون رسولاً في ذلك ، وكان مالك غائباً ، فخرجت أخته في طلبه ، فمرت به في قومهم ، فنادته ، فقال : لقد جئت بسبة تناديني ولا تستحيي ، فقالت : الذي يراد بي أكبر من ذلك ،

---

(١) صوابه : فضلا بضمتين حال من فاعل خرجت ، أي : متفضلة في ثوب واحد ، كما في الأصل والقاموس ، وأما فضلاء بالمد فهو غلط .

فأخبرته ، فقال : أكفيك ذلك ، فقالت : وكيف ؟ فقال : أتزيا بزيّ النساء ، وأدخل معك عليه بالسيف ، فأقتله ، ففعل ، ثم خرج حتى قدم الشأم على أبي جبيلة ، وكان نزلها حين نزلوا هم بالمدينة ، فجيش جيشاً عظيماً ، وأقبل كأنه يريد اليمن ، واختفى منهم مالك بن العجلان ، فنزل بذي حرض ، فأرسل إلى الأوس والخزرج ، فوصلهم ، ثم أرسل إلى بني إسرائيل : من أراد الحباء من الملك فليخرج إليه مخافة أن يتحصنوا فلا يقدر عليهم ، فخرج إليه أشرافهم ، فأمر لهم بطعام حتى اجتمعوا ، فقتلهم ، فصار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة .

وقيل : إنما قصد مالك بن العجلان بعد قتل القيطون تبعاً الأصغر باليمن ، فشكا إليه ، فعاهد أن لا يقرب امرأة ، ولا يمس طيباً ، ولا يشرب خمراً حتى يسير إلى المدينة ويذل من بها من اليهود ، ففعل .

وقال ابن قتيبة : إن تبعاً الأصغر ابن حسان آخر التبابعة سار إلى الشأم وملوكها غسان ، فأطاعته ، ثم إلى المستقر من ناحية هجر ، فأتاه قوم كانوا وقعوا إلى يثرب ، وحالفوا يهود بها ، فشكوهم ومتوا إليه بالرحم ، فأحفظه ذلك ، فسار ، ونزل بسفح أحد ، وبعث إلى يهود ، فقتل منهم ثلثمائة وخمسين رجلا صبراً ، وأراد خرابها ، فقام إليه رجل من يهود أتت عليه مائتان وخمسون فقال : أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ، وأمرك أعظم من أن يطير بك برق ، أو يسرع بك لجاج ، وإنك لا تستطيع أن تخربها لأنها مهاجر نبي من ولد إسماعيل عليهما السلام يخرج من عند هذه البنية يعني الكعبة ، فكف ومضى ومعه هذا اليهودي ، وآخر منهم وهما الحبران ، فأتى مكة وكسا البيت ، ثم رجع إلى اليمن وهما معه قد دان بدينهما . اه .

وعن الشرقي : أن أبا جبيلة لما فرغ من نصر أهل المدينة رجع إلى الشأم ، فأقبل تبع الأخير وهو كرب بن حسان بن أسعد الحميري يريد المشرق ، كما كانت

التبابعة تفعل ، فمر بالمدينة ، فخلف فيها ابناً له ، ومضى حتى قدم الشأم ثم العراق ، فقتل ابنه بالمدينة غيلة ، فأقبل يريد تخريبها ، فنزل بسفح أحد ، وأرسل لأشراف المدينة ، فقال بعضهم : أراد أن يملكنا على قومنا ، وقال أحيحة : والله ما دعاكم لخير ، وكان لأحيحة رئي من الجن ، ثم دخل على تبع أول الناس ، فتحدث معه ، ففطن بالشر ، ثم قال : إن أصحابي يصلونك إلى الظهر ، واستأذن في الخروج إلى خيمة له ضربها ، وجاء أصحابه قريباً من الليل ، فأمر لهم تبع بضيافة ، فلما كان جوف الليل أرسل إليهم ليقتلهم ، ففطن أحيحة ، فانطلق فتحصن في حصنه ، فحاصروه ثلاثاً يقاتلهم بالنهار ، واذا كان الليل يرمي اليهم بتمر ويقول : هذا ضيافتكم ، فأخبروا تبعاً أنه في حصن حصين ، فأمرهم أن يحرقوا نخله ، واشتعلت الحرب بين تبع وأهل المدينة من اليهود والأوس والخزرج ، وتحصنوا في الآطام ، وجرد الى بني النجار خيلا ، فقاتلوهم ورئيسهم يومئذ عمرو ابن طلحة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار ، ورمى عسكر تبع حصون الأنصار بالنبل ، فلقد جاء الإسلام والنبل فيها ، وجدع في القتال فرس تبع ، فحلف لا يبرح حتى يخربها ، فنزل اليه أحبار من يهود وقالوا : أيها الملك ، ان هذه البلدة محفوظة ، فإنا نجد اسمها في الكتاب طيبة ، وانها مهاجر نبي من بني اسماعيل عليه السلام من الحرم ، فلن نسلط عليها ، فأعجب بقولهم ، وصرف نيته عنها ، وأمر أهل المدينة أن يتبايعوا مع العسكر ، ثم خرج يريد اليمن ومعه من الأحبار رجلان أو ثلاثة قال لهم : تسيرون معي أياماً آنس بحديثكم ، فكانوا يحدثونه ، فلم يتركهم حتى وصلوا الى اليمن ، فكانوا أول يهودي دخلها .

وعن « المبتدأ »[1] لابن اسحاق أن بيت أبي أيوب الأنصاري الآتي ذكره ، بناه تبع الاول ، واسمه تبان[2] أسعد بن كلكيكرب لما مر بالمدينة ، وكان معه

---

(١) صوابه « المبدأ » وهواسم كتاب لابن اسحاق .

(٢) كغراب ورمان ، ويكسر ، قاموس .

أربعمائة عالم ، فتعاقدوا على أن لا يخرجوا منها ، فسألهم تبع عن ذلك ، فقالوا : نجد في كتبنا أنها مهاجر نبي اسمه محمد ، فقيم لعل أن نلقاه ، فبنى لكل منهم داراً ، وزوجه جارية ، وأعطاه مالاً جزيلا ، وكتب كتاباً فيه إسلامه ، ومنه :

شهدت على أحمـــد أنــه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمـــره لكنت وزيراً له وابن عـم

وختمه بالذهب ، ودفعه الى كبيرهم ، وسأله أن يدفعه للنبي ﷺ إن أدركه ، والا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده ، وبنى للنبي ﷺ داراً ينزلها اذا قدم ، فتداول الدار الملاك ، الى أن صارت لابي أيوب الانصاري ، وهو من ولد ذلك العالم ، وأهل المدينة الذين نصروه كلهم من أولاد أولئك العلماء .

ويقال : ان الكتاب كان عند أبي أيوب حين نزل عليه النبي ﷺ ، فدفعه له ، وهذا غريب ، والمعروف في أمر الأنصار ما سبق .

الفصل الثاني : في منازل الأوس والخزرج ، وما دخل بينهم من الحروب .

لما انصرف أبو جبيلة من نصرهم ، تفرقوا في العالية والسافلة ، واتخذوا الأموال والآطام . فأما الأوس ، فنزل بنو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث وبنو حارثة ابن الحـــارث بن الخزرج الاصغر بن عمرو بن مالك بن الاوس بـــدار بني عبد الاشهل بالحرة الشرقية شامي بني ظفر ، خلاف قول المطري: قبليهم ، لما أوضحناه في الاصل ، وابتنوا آطاماً منها : واقم ، وبه سميت الناحية ، كان لحضير بن سماك ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينا واقماً بالحرة بلازب الطين وبالأصرة

ثم خرجت بنو حارثـــة عنهم لحرب دخلت بينهم ، فوالت بنو ظفر بني عبد الاشهل ، وظفرت بهم بنو حارثة ، فأجلوهم اولاً لارض بني سليم ، وقتلوا سماك بن رافع ، فسار حضير بن سماك ببني سليم ، وحاصر بني حارثة بدار بني عبد الاشهل ، فأجلاهم الى خيبر ، فكانوا بها قريباً من سنة ، ثم رق لهم حضير ،

فاصطلحوا . وأبت بنو حارثة أن ينزلوا دار بني عبد الاشهل ، فنزلوا شاميهم بسند الحرة الشرقية التي بها الشيخان ، خلاف قول المطري : بيثرب ، لما أوضحناه في الاصل .

وبنو ظفر وهو كعب بن الخزرج الاصغر بدارهم شرق البقيع عند مسجدهم المعروف بمسجد البغلة بجوار بني عبد الاشهل ، وبجوارهم ايضاً بنو أخيهم زعور بن جشم من اهل راتج [١] ، وهذه البطون الاربعة هم : النبيت ، لان النبيت بطون بني عمرو [٢] بن مالك بن الاوس على ما ذكره ابن حزم ، وبنو عمرو بن عوف ابن مالك الاوس بقباء ، وهم بطون كثيرة لبني ضبيعة ، منهم : الاطم الذي يقال له : الشقيف [٣] بين أحجار المراء ، ومجلس بني الموالى ، ولكلثوم بن الهدم من بني عبيد بن زيد أطم في دار عبد الله بن ابي أحمد ، ولأحيحة بن الجلاح الحجحجي أطم يقال له : واقم صار لبني عبد المنذر في دية جدهم ، وكان في رحبة بني زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطماً ، يقال لها : الصياصي ، ولهم أطم بالمسكبة شرقي مسجد قباء ، وأطم يقال له : المستظل عند بئر غرس كان لأحيحة ، ثم صار لبني عبد المنذر ، وخرجت بنو حجحبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قباء اقتلهم رفاعة وغنماً ، فسكنوا العصبة غربي مسجد قباء ، فابتنى أحيحة الضحيان أطم أسود عوضه قريب من طوله ، وبناه أولا من البثرة البيضاء يعني الحجارة البيض ، فسقط ، وابتنى بنو مجدعة وحجحبا أطماً يقال له : الهجيم عند المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ ، وخرجت بنو معاوية بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف ، فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد ، ولهم مسجد الإجابة ، ومنهم : حاطب بن قيس ، وفيه كانت حرب حاطب ، وخرجت

---

(١) كان سنة مبدأ الخندق ،

(٢) بنو عمرو : هم الذين نزل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في اول قدومه .

(٣) قوله : الشقيف : غلط ، صوابه الشنيف بشين معجمة ، فنون مصغراً ، كما صرح به في آخر الكتاب .

بنو السمعية وهم بنو اوذان بن عمرو بن عوف ، فسكنوا عند زقاق ركيح وابتنوا أطماً يقال له : السعدان في الربع حائط هناك ، ولعله المعروف اليوم : بالربعي ، ونزل واقف والسلم ابنا امرىء القيس بن مالك بن الاوس عند مسجد الفضيخ من جهة القبلة ، ثم لطم واقف وهو الاكبر عين السلم وكان شرساً ، فحلف لا يساكنه ، فنزل السلم على بني عمرو بن عوف ، فلم يزل ولده فيهم حتى انقرضوا سنة تسع وتسعين ومائة ، وبلغ عددهم في الجاهلية ألف مقاتل ، وبنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس بدارهم عند مسجدهم ، وبنو أمية بن زيد أخوة بني وائل بدارهم التي يمر فيها سيل مذينب بين بيوتهم ، ثم يسقي الأموال ، فهي شرقي العهن ، وبنو عطية بن زيد إخوتهم أيضاً بضفنه فوق بني الحبلى ، وابتنوا أطما يقال له : شاش على يسارك في رحبة مسجد قباء مستقبل القبلة ، ووائل ، وأمية ، وعطية بنو زيد هم الجعادرة لأنهم كانوا إذا أجاروا جاراً قالوا له : جعدر حيث شئت ،أي : اذهب حيث شئت ، فلا بأس عليك ،قاله ابن زبالة وسبق عن الشرقي ما يخالفه . وبنو سعد بن مرة بن مالك بن الأوس براتج .

وقال ابن زبالة عقب الكلام على المنازل : إن بني سطبة حين قدموا من الشأم نزلوا ميطان . فلم يوافقهم ، فتحولوا قريباً من حدمان[1] « ثم نزلوا براتج ، فهم أحد قبائله الثلاثة .

وبنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس بدارهم عند الماجشونية والغرس فوق بني الحارث ، لما أوضحناه في الاصل ، وكانوا متفرقين في آطامهم ، فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم ، وسكن رجل منهم عنده ، فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه ، ثم كثروا هناك حتى كان يقال لدارهم : « غزة » ، تشبيهاً بغزة الشأم من كثرة أهلها

---

(١) صوابه : جذمان كعثمان والذال معجمة .

وأما الخزرج ، فنزل بنو الحارث بن الخزرج الأكبر شرقي وادي بطحان ، وتربة صعيب ، ويعرف اليوم بالحارث ، وخرج جشم وزيد ابنا الحارث ، فسكنا السنح أطم لهم ، سميت به الناحية على ميل من المسجد النبوي ، وهو أول العالية .

وخرجت بنو حذارة[1] بن عوف الحارث فسكنوا حرار سعد الشامي السوق وإخوتهم بنو خدرة بن عوف ، فسكنوا قرب البصة ، وكان الأجرد وهو الأطم الذي يقال لبئره : البصة لجد أبي سعيد الخدري .

ونزل بنو سالم وغنم ابني عوف بن عمرو بن الخزرج الأكبر دار بني سالم بطرف الحرة الغربية عند مسجد الجمعة ، ولهم أطم القوافل[2] بطرف بيوت بني سالم مما يلي ناحية العصبة .

وبنو عصية حلفاء لبني سالم عند مسجد بني عصبة قرب قباء .

وبنو الحبلى وهو على ما قاله ابن زبالة : مالك بن سالم بن غنم بن عوف بدارهم المعروفة بهم ، قال ابن حزم : بين دار بني النجار وبين بني ساعدة . وقال ابن هشام : الحبلى سالم بن غنم ، سمي به لعظم بطنه ، فيجمع بأنه كان يطلق عليه وعلى ابنه مالك ، فما سبق في نزول بني عطية فوق بني الحبلى ، المراد به : من كان من بني سالم بن غنم بدار بني سالم ، لا دار مالك هـــذه ، وكان بهذه أطم يقال له : مزاحم ، بين ظهراني البيوت لعبد الله بن أبي .

وبنو سلمة[3] بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن تريد بالمثناة فوق ابن جشم بن الخزرج الأكبر بسند الحرة ، ما بين مسجد القبلتين الى المزاد أطم بني حرام ، سميت به الناحية .

---

(١) ولعل صوابه : بنو خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة كعمرة إذ هو المعروف في القاموس وغيره .

(٢) صوابه : قواقل .

(٣) بنو سلمة بكسر اللام وليس في العرب سلمة بكسر اللام سواهم .

وبنو سواد بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد القبلتين الى أرض ابن عبيد الديناري ، ولهم مسجد القبلتين .

وبنو عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد الخربة الى جبلهم الدويخل ، ولهم مسجد الخربة والأطم المواجه له ، والأطم الذي عند قبلته .

وبنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجدهم الصغير بالقاع بين مقبرة بني سلمة الى المزاد أطمهم ، ولهم أطم بالسهل بين أرض جابر بن عتيك والعين [1] التي عملها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم ، كان لعمرو جد جابر ابن عبد الله بن عمرو .

وبنو مري بن كعب بن سلمة حلفاء بني حرام معهم ، ولهم أطم غربي حائط جابر بن عتيك مما يلي جبلي بني عبيد ، وكانت بنو سلمة كلها بهذه الدور ، وكلمتهم واحدة ، وملكوا عليهم أمة بن حرام ، فلبث فيهم زماناً حتى دخل بينه وبين صخر من بني عبيد أمر لإرادته أخذ بعض ما خلف أبوه ، وكان مثرياً ليقسمه في بني سلمة ، فضربه صخر بالسيف ، وحالت بينه وبين صخر بنو عبيد وبنو سواد ، فنذر أمة أن لا يأويه ظل بيت حتى يقتلوا صخراً ، أو يؤتى به فيرى فيه رأيه ، وجلس عند الظرب الذي غربي مسجد الفتح في الشمس ، فبلغ قومه ، فأتوه بصخر ، فعفا عنه ، وأخذ الذي أراد من ماله ، وروي أنهم قالوا للنبي ﷺ : إن السيل يحول بيننا وبينك ، وأرادوا التحول ، فقال : « ما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل » — يعني سلعاً — فتحولوا ، فدخلت حرام الشعب ، وصارت سواد وعبيد إلى السفح .

والمعروف : أن النبي ﷺ قال لهم : « اثبتوا فإنكم أوتادها » ، وإنما نقل بني حرام إلى الشعب المعروف بهم من سلع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكلم ناساً كانوا به من بني ناغصة من اليمن ، فانتقلوا بهم إلى الشعب الذي تحت مسجد

---

(١) ويسمى هذه العين ايضاً : عين مروان .

الفتح ، وابتنت بنو حراء بشعبهم من سالع مسجدهم الكبير ، بناه غلام رومي شروه من أعطياتهم كما رواه يحيى ، وآثار هذا المسجد بينة اليوم هناك .

ونزل بنو بياضة وزريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن عضب ابن جشم بن الخزرج الأكبر ، وبنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك ، وبنو غدارة وهم بنو كعب بن مالك ، وبنو أجدع وهم بنو معاوية بن مالك بدار بني بياضة شامي بني سالم ممتدة بالحرة الغربية إلى بطحان قبلي بني مازن ، وكان بهـــا نحو عشرين أطما ، منها : عقرب في شامي المزرعة المسماة بالرحابة في الحرة على القفارة ، وسويد : في شامي الحائط المسمى بالحماضــة ، واللوى في حد السرارة ، بينه وبين زاوية الجدار الشامي الذي يحيط على الحماضة عشرون ذراعاً ، والسرارة : ما بين اللوى إلى الجدار الذي يقال له : بيوت بني بياضة ، والجدار الذي بناه زياد بن عبد الله لبركة السوق وسط السرارة ، وهذه البركة هي التي ذكرهـا في كلام ابن شبة في سيل رانونا . وكان لبني حبيب الأطم الذي في أدنى بيوت بني بياضة دون الجسر الذي عنـد ذي ريش ، فلبثوا وأمرهم جميـع حتى هلك زريق ، فأوصى بنيه إلى عمه حبيب ، فكلفهم النضح بأيديهم ، فقتلوه ، فحالف بنوه بني بياضة على بني زريق ، فخرجت بنو زريق ، فسكنوا دارهم الـتي في قبلة المصلى والسور الموجود اليوم ، والموضـع المعروف بذروان ، وما والاه من داخل السور ، ثم اصطلحوا على أن قطعوا لبني حبيب طائفة من دورهم دية ، فقبلوا ذلك ، وانتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب من بني بياضة ، فنزلوا الناحية التي ودت بنت زريق ، وتخلف بعض بني حبيب ببني بياضة ، فمكثوا ما شاء الله ، ثم إن عبيد بن المعلى من بني حبيب قتل حصن بن خالد الزرقي ، فأراد بنو زريق قتله ، ثم ودوه من مالهم على أن يحالفهم بنو المعلى ويقطعوا حلفهم مع بني بياضة ، ففعلوا .

وقال ابن حزم : إن من بني حبيب ، عبد الله بن حبيب بن عبـد حارثة وإنه والد أبي جبيلة الذي جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود كما سبق ، وكان

بنو غدارة بن مالك أقل بطون بني مالك بن عضب عدداً مع شراسة وشدة أنفس ، فقتلوا قتيلاً إما من بني اللاين ، أو من بني أجدع ، وأبى أهل القتيل الدية ، فانتقلوا من دار بني بياضة إلى بني عمرو بن عوف ، فحالفوهم وصاهروهم ، وكان بين بطنين من بطون بني مالك بن عضب ميراث في الجاهلية ، فاشتجروا فيه ، ثم دخلوا حديقة بني بياضة ، وأغلقوها ، واقتتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف ، فسميت : حديقة الموت ، وكان بنو مالك بن عضب سوى بين [1] زريق ألف مقاتل في الجاهلية ، ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر في أربع منازل .

بنو عمرو وبنو تعلبة بن الخزرج بن ساعدة دار بني ساعدة ، بين سوق المدينة من المشرق مما يلي شاميه ، وبين بني ضمرة ، ولهم الأطم الذي بدار أبي دجانة الصغرى عند بضاعة ، والأطم المواجه مسجد بني ساعدة ، وكان آخر أطم بني بالمدينة .

وبنو قشبة بن الخزرج بن ساعدة شرقيهم قرب بني جديلة [2] عند خوخة عمرو الضمري .

وبنو أبي خزيمة بن تعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة رهط سعد بن عبادة الدار التي يقال لها : جرار سعد ، وهي جرار كان يسقى فيها الماء ، وهي نهاية سوق المدينة كما سيأتي ، وبعض بني الحارث بن الخزرج نزلوا بها أيضاً كما سبق ، فهو المراد من حديث : عبادة سعد ببني الحارث إلا أن يكون سعد اتخذ الموضع المعروف ببني الحارث منزلاً آخر بأن تزوج فيهم .

وبنو وقش وبنو عنان إبني ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة دارهم التي بقرب جرار سعد نحو مسجد الراية ، ونزل بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم ،

---

(١) صوابه : بني زريق .

(٢) صوابه : حديلة الحاء وفتح الدال .

فبنو غنم بن مالك شرقي المسجد النبوي ، وهو لهم ، وكان لهم الأطم المسمى بقويرع [1] موضع دار حسن بن زيد ، وهي التي في قبلة رباط مراغة بينها الشارع .

وبنو مغالة وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك ، ومغالة أمهم غربي المسجد بجهة باب الرحمة ، ولهم فارع أطم حسان بن ثابت ، وبيرحاء .

وبنو جديلة وهو معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار شامي المسجد وشرقيه قرب البقيع ، وبقربهم بيرحاء ، ولهم الأطم الذي يقال له : مشعط غربي مسجد أبي بن كعب ، وفي موضعه بيت أبي نبيه .

وفي « المشارق » : قال الزبير : كل ما كان بالمدينة عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل المسجد النبوي بنو مغالة ، والجهة الأخرى بنو جديلة ، وهم بنو معاوية ، وهم من الأوس .

قلت : كونهم من الأوس وهم ، وليس من كلام الزبير ، والذي قاله أهل النسب وغيرهم : ماسبق ، وسبب الوهم أن في الأوس أيضاً بني معاوية أهل مسجد الإجابة ، كما سبق ، وكذا التبس الأمر على المطري ، فجعل مسجد الإجابة ومنزلته لبني معاويه بن عمرو بن مالك بن النجار ، وجعل منزلة بني جديلة عند بيرحاء منزلة بني معاويه بن مالك بن النجار أيضاً ، ثم قال في بني دينار : إنهم بين دار بني معاوية أهل مسجد الإجابة ، ودار بني جديلة اهـ . والصواب ماقدمناه .

وبنو مبذول وهو عامر بن مالك بن النجار ، قرب بقيع الزبير شرقي بني غنم ، وقبلتهم ، ونزل بنو عدي بن النجار غربي المسجد النبوي فيما قاله المطري ، لكن منهم أنس بن مالك ، وكانت داره شامي المسجد في المشرق ، ولهم أطم الزاهرية كان في دار النابغة عند المسجد الذي في الدار ، وبنو مازن بن النجار شرقي بني زريق لناحية القبلة . وقال المطري : قبلي البصة ، وتسمى الناحية اليوم : أبو مازن ، وبنو دينار ابن النجار خلف بطحان ، وماقاله المطري في منزلهم مردود

---

(١) صوابه : فويرع بالفاء .

لما سيأتي في مسجدهم ، فهذه منازل بني النجار ، سمي به لأنه ضرب رجلا فنجره ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر .

وفي الحديث : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الاشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » قالوا : ولبثت الأوس والخزرج بالمدينة ماشاء الله وكلمتهم واحدة ، ثم وقعت بينهم حروب كثيرة لم يسمع في قوم أكثر منها ولا أطول ، قيل : إنها بقيت مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام ، وأولها حرب سمير بضم المهملة مصغراً من الأوس قتل رجلا من بني ثعلبة حليفاً لمالك بن العجلان ، ثم حرب كعب بن عمرو ، ثم حرب يوم السرارة موضع بين بني بياضة والحماضة ، ثم يوم الديك موضع أيضاً ، ويوم فارع ، ويوم الربيع ، وحرب حضير بن الاسلت ، وحرب حاطب بن قيس إلى أن كان آخر ذلك يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين على الاصح قتل فيه سراتهم ، وسببه أن الظفر في أكثر تلك الحروب كان للخزرج ، فذهبت الأوس لتحالف قريظة ، فأرسلت لهم الخزرج : لئن فعلتم فأذنوا بحرب ، فقالوا : لا ندخل بينكم ، فقالت الخزرج : فأعطونا رهائن ، فأعطوهم أربعين غلامـاً تفرقوا في دورهم ، فحالفت بطون من الأوس الخزرج منهم عمرو بن عوف ، وقال سائرهم : والله لانصالح حتى ندرك ثأرنا ، فتقاتلوا ، وكثر القتل في الأوس لما خذلهم قومهم ، فاشتوروا في أن يحالفوا قريشاً ، فأظهروا أنهم يريدون العمرة و [كان] بينهم [أن من أراد حجاً أو عمرة] لايتعرض لمريدها ، وأجار أموالهم البراء بن معرور .

وعن أفلح بن سعيد أن الأوس خرجوا جالين من الخزرج حتى نزلوا على قريش بمكة ، فحالفوهم ، فقال الوليد بن المغيرة : مانزل قوم على قوم إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم ، فاقطعوا حلفهم ، قالوا : بأي شيء ؟ قال : إن فيهم حميـة ، فقولوا

لهم : إنا نسينا شيئاً وهو أنا قوم إذا كان النساء بالبيت ، فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده ، فنفرت الأوس ، وقطعوا الحلف ، فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت الى خيبر ، فافتخرت الخزرج عليهم في أشعارهم ، وقال عمرو ابن النعمان البياضي : ياقوم ان بياضة أنزلكم منزل سوءٍ ، والله لايمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير ، وأقتل رهنهم ، وكان لهم غزار المياه وكرام النخل فبلغهم ذلك ومن كان بالمدينة من الأوس ، فحالفوا قريظة والنضير ، ثم أرسلوا بذلك للنبيت فقدموا ، فأخذت الخزرج في قتل الرهن ، فقال كعب بن أسد القرظي : إنما هي ليلة ثم تسعة أشهر ، وقد جاء الحلف ، وأرسلوا للأوس : انهضوا إلينا فنأتيهم جميعاً ، وامتنع عبد الله بن أبي من قتل الرهن ، وقال لقومه : أنتم البغاة والأوس تقول : منعونا الحياة فيمنعونا الموت ، مايموتون أو يهلكون عامتكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سحرك ، فقال ، والله لاأحضركم ، ولكأني انظر إليك قتيلاً يحملك اربعة في كساء ، فرأست الخزرج عمرو بن النعمان بن رجيلة ، وقيل : بل جده رجيلة ، فاقتتلوا في بعاث عند أعلى قورى ، ورئيس الاوس حضير الكتائب والد أسيد بن حضير ، وكان النصر أولا للخزرج ، فثبت حضير الاوس ، فرجعوا ، فكانت الدبرة على الخزرج ، وقتل حضير الكتائب ، وعمرو بن النعمان ، وجيء بعمرو يحمله أربعة ، وحلفت اليهود لنهدمن حصن ابن أبي ، وكانت أخته تحت أبي عامر الراهب الملقب بالفاسق والد حنظلة الغسيل أحد بني ضبيعة بن زيد من الاوس ، فلما أحاطو بحصنه ، قال : هؤلاء أولادكم وقد نهيت الخزرج فعصوني ، وكانوا من أولاد بني النضير ، فأجاروه من الاوس وقريظة ، ثم لم يزل يتحيل حتى ردهم حلفاء الخزرج ، وذهب في ذلك اليوم أشراف الاوس والخزرج ممن لا ينقاد لان يكون تحت حكم غيره لشدة شكيمته غير ابن أبي ، فلذا قالت عائشة رضي الله عنها : كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم الاسلام .

وقال أهل السير : إنه ﷺ قدم المدينة وسيد أهلها ابن أبي ، ولم يجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره ومعه في الأوس

رجل شريف مطاع هو أبو عامر الفاسق ، وكان قد ترهب ولبس المسوح ، وزعم انه ينتظر خروج النبي ﷺ ، فشقيا بشرفهما .

الفصل الثالث في إكرام الله تعالى لهم بالنبي ﷺ ، ومبايعتهم لـــه بالعقبة الأولى والثانية ، وهجرته ﷺ ونزوله بقباء .

كان النبي ﷺ قبل الهجرة يعرض نفسه في كل موسم على القبائل ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ، ويقول : « لا أكره أحداً على شيء ، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي » فيأبونه ويقولون : قوم الرجل أعلم به ، وقدم مكة أبو الجيسر[1] في فتية من بني عبد الأشهل يطلبون حلف قريش ، فعرض النبي ﷺ نفسه عليهم ، وقال : « هل لكم في خير مما جئتم له » وتلا عليهم القرآن ، ثم قال : « بايعوني واتبعوني ، فإنكم ستجتمعون بي » ، فقال إياس بن معاذ ، وقيل : عمرو بن الجموح : هذا والله خير لكم مما جئتم له ، فانتهره أبو الجيسر[1] ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا ، فكانت وقعة بعاث .

قال ابن اسحاق : ولما أراد الله تعالى إظهار دينه ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج ، قال : « أمن موالي[2] يهود ؟ قالوا : نعم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وكان مما صنع الله تعالى لهم في الإسلام : أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علم وكتاب ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم في بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، قال

---

(١) صوابه : أبو الحيس .

(٢) أي : من حلفائهم .

بعضهم لبعض : تعلمون أنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم إليه ، وقالوا : انا تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا الى بلادهم ، فلما جاؤوا قومهم ، لم يبق دار من دورهم الا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، وهم أي أصحاب هذه العقبة ستة نفر من الخزرج ، منهم : أسعد بن زرارة ، وقال غيره : سبعة ، وقيل : فيهم اثنان من الأوس : أبو الهيثم بن التيهان من بني جشم أخو عبد الأشهل ، وعويم ابن ساعدة من بني أمية بن زيد .

قال ابن اسحاق : فلما كان الموسم يعني من العام المقبل ، وافاه منهم اثنا عشر رجلا ، فذكر الستة الأولين ، وأربعة من الخزرج أيضاً ، وأبا الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة ، قال : فبايعهم النبي ﷺ عند العقبة على بيعة النساء ، أي: على وفق بيعة النساء التي نزلت بعد الفتح (على أن لا يشركوا بالله شيئا ...) الى آخر الآية . [الممتحنة : ١٢] ولم يكن أمر بالقتال ، بل ذلك قبل نزول الفرائض ماعدا التوحيد والصلاة ، وأرسل معهم مصعب بن عمير يفقههم في الدين ، ويعلمهم الإسلام . وقيل : بل بعثه اليهم بعد ذلك يطلبهم هو وابن أم مكتوم ، وكان مصعب بن عمير يؤم بهم ، ويقرئهم القرآن ، وهو أول من سمي بالمقرىء ، فنزل على أسعد ابن زرارة ، وجمع بهم أول جمعة في الاسلام بمعونة أسعد بن زرارة .

وروى أبو داود أن ذلك كان في هزم البيت[1] من حرة بني بياضة ، وكانوا أربعين في نقيع يقال له : نقيع الخضمات .

ولابن اسحاق أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظفر ، فدخل به حائطا لبني ظفر على بئر يقال لها : بئر مرق وعند البيهقي : فخرج به إلى دار بني عبد الأشهل فدخل به حائطا من حوائط

---

(١) صوابه : النبيت .

بني ظفر ، وهي قربة لبني ظفر دون قرية بني عبد الأشهل يقال لها : بئر مرق . انتهى .

قال ابن اسحاق : فجلسا واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، فلما سمع بذلك سعد ابن معاذ ، وأسيد بن حضير سيدا بني عبد الأشهل يومئذ .

قال سعد وكان ابن خالة أسعد بن زرارة لأسيد : لا أبالك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما ، وانههما أن يأتيا دارنا ، فإنه لولا أسعد مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، فأخذ أسيد حربته ، ثم أقبل عليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال لمصعب : هذا سيد قومه قد جاء ، فاصدق الله فيه ، قال : فوقف عليهما متسمتا[1] فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ، فاعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهت كف عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا : فيما يذكر عنهما ، والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ، قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثيابك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام ، ففعل ذلك ، ثم قال : إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ، ثم انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليهم سعد مقبلا . قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما وقف قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله مارأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك ، فقام سعد مغضباً مبادراً ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع

---

(١) صوابه : متشتماً .

منها ، فوقف عليها متشتماً ثم قال : يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، أتغشانا في دارنا بما نكره ، وقد قال أسعد لمصعب : أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنـــك ماتكره . قال سعد : أنصفت ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ، ثم قال : كيف تصنعون إذا أسلمتم ؟ فذكرا له ما تقدم . ففعله ، ثم عمـد إلى نادي قومه ومعهم أسيد بن حضير ، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقـد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب بـه . فلما وقف عليهم قال : يابني عبـد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيـكم ؟ قالوا : سيدنا أفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قـال : فوالله ما أمسى في دار بني عبـــد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة . ورجع مصعب إلى أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو النـاس إلى الإسلام ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون الا مـا كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس الله ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن صيفي بن الأسلت وكان شاعراً لهم قائداً يطيعونه . فوقف بهـــم عن الإسـلام حتى هاجر رسول الله ﷺ . ومضى بدر وأحـد والخندق ثم أسلموا كلهم .

وللطبراني عن عروة في قصة اسلام بني عبـد الأشهل قال : ثم إن بني النجار اشتدوا على أسعد بن زرارة . وأخرجوا مصعباً . فانتقل الى سعد بن معاذ . فلم يزل يدعو ويهدى على يديه حتى قـل دار من دور الأنصار الا أسلم فيهـا ناس . وأسلم أشرافهم . وأسـلم عمرو بن الجموح . وكسرت أصنامهم . وكان المسلمون أعـــز أهلها .

وقال ابن اسحاق في ذكر العقبة الثانية : ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة . وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبي ﷺ ومبايعته في الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك . حتى قدموا مكة . فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق . حتى أراد الله بهم ماأراد من كرامته والنصر لنبيه ﷺ وإعزاز الإسلام وأهله .

قال كعب بن مالك : فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا . فنمنا تلك الليلة في قومنا في رحالنا ، حتى اذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، تسلل القطا مستخفين ، فاجتمعنا في الشعب [1] عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب احدى نساء بني مازن ، واسماء بنت عمرو بن عدي احدى نساء بني سلمة .

ولابن اسحاق : من الأوس : أحد عشر رجلا . ومن القبائل : أربعة حلفاء : الخزرج وكان من بني الحارث بن الخزرج اثنان وستون رجلا . وكأنه أدخل في الخزرج حلفاءهم الأربعة . والا فتزيد العدة على ثلاثة وسبعين ، أربعة .

ولرزين عن عبادة بن الصامت نحو حديث كعب ، الا أنه قال : فلما كان العام المقبل أتينا رسول الله ﷺ ونحن سبعون رجلا وامرأتان من قومنا ، فواعدنا رسول الله ﷺ عند شعب العقبة عن يسارك وأنت ذاهب الى منى ، فلما توافينا عنده جاء رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس رضي الله عنه .

وفي حديث كعب : فجاء ومعه العباس ، فتكلم فقال : إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه وهو في عز ، وقد أبى إلا الانحياز إليكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما وعدتموه إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وذاك ، وإلا

(١) شعب عقبة المبايعة على يسارك وأنت ذاهب إلى منى .

فمن الآن ، قال : فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم ، فدعا إلى الله ، وقرأ القرآن ، ورغب في الاسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » ، قال : وأخذ البراء بن معرور بيده فقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أصحاب الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر ، فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله تعالى أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن العباس بن عبادة بن نضلة أخا بني سالم ابن عوف ، قال : يا معشر الخزرج : هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والاسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على ما ذكرت لكم ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنا نأخذه على ما قلت ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : « الجنة » ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه . قال عاصم : ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد في أعناقهم .

وقال غيره : أراد التأخير تلك الليلة رجاء أن يحضر عبد الله بن أبي بن سلول ، فيكون أقوى للأمر .

قال ابن اسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول

من ضرب على يده ، وبنو عبد الاشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

وفي حديث كعب المتقدم : إنه البراء بن معرور ، ثم تتابع القوم

ولأحمد ، والحاكم في « الإكليل » : أن عبد الله بن رواحة قال : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : « أشترط لربي أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل ، فنزل (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...) الآية [التوبة : ١١١] وقال رسول الله ﷺ كما في حديث كعب : أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً تسعة مں الخزرج ، وثلاثة من الاوس .

وعن عبد الله بن ابي بكر بن حزم ، أن رسول الله ﷺ قال للنقباء : « أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام » ، قالوا : نعم .

وفي خبر رزين المتقدم ، عن عبادة بن الصامت عقب ذكر النقباء : فبيناهم في ذلك ، إذ صرخ الشيطان يقول : يا أهل الجباجب وهي المنازل ، هل لكم في الصباة قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هذا ابن أزب العقبة ، لأفرغن لك أي عدو الله ، ارجعوا الى رحالكم » ، فقال له العباس ابن عبادة بن نضلة : والذي بعثك بالحق نبياً ، لئن شئت لنميلن بأسيافنا غداً على منى . فقال له : « لم أومر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم » ،

وفي حديث كعب نحوه قال : فرجعنا الى مضاجعنا ، فلما أصبحنا ، غدت علينا رجلة [1] قريش حتى جاؤونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه

---

(١) صوابه : جلة قريش .

بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون بالله : ما كان من هذا شيء ، وما علمناه ، وقد صدقوا ، لم يعلموه . وروي أنهم أتوا عبد الله بن أبي ، فقال لهم : إن هذا الامر جسيم ، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته كان ، ثم إنهم قالوا لرسول الله ﷺ : أتخرج معنا ؟ قال : ما أمرت به ، وأذن النبي ﷺ لاصحابه في الهجـرة الى المدينة ، وأقام ينتظر الاذن في الخروج ، فتوجه بين العقبتين جماعة ، منهم : ابن أم مكتوم ، ويقال : أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة بعد رجوعه من هجرة الحبشة ، ثم توالى خروجهم بعد العقبة الاخيرة أرسالا ، منهم عمر بن الخطاب ، وأخوه زيد ، وطلحة ، وصهيب ، وحمـزة ، وزيد بن حارثة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وعثمان بن عفان وغيرهم رضي الله عنهم ، حتى لم يبق معه ﷺ إلا علي بن أبي طالب ، والصديق ، كذا قاله ابن اسحاق وغيره ، فلما رأت قريش ذلك حذروا خروجه ﷺ إليهم ، فاجتمعوا بدار الندوة وفيهم أبو جهل ، وجاءهم إبليس في صفة شيخ نجدي وصوب قول ابي جهل لما اختلفوا فيما يفعلون بالنبي ﷺ : أرى أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيفاً سيفاً ؛ فيضربونه ضربة رجل ، فيتفرق دمه في هذه البطون ، فلا تقدر لكم بنو هاشم على شيء ، فأخبر جبريل رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ...) الاية [الانفال : ٣٠] فقال النبي ﷺ لعلي : « نم على فراشي وتسج ببردي ، فان يخلص إليك منهم أمر فترد هذه الودائع الى اهلها » ، واتى أبا بكر فأعلمه ، وقال : « قد أذن لي » ، فقال : الصحبة يا رسول الله ، وكان إنما حبس نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، فعرض على النبي ﷺ إحـدى راحلتيه كان قد أعدهما ، فقال : بالثمن ، فقال : هي لك به ، فأخذ القصوى ، وقيل : الجدعاء ، وثمنها ثمانمائة

درهم ، فذهب أبو بكر رضي الله عنه الى عبد الله بن أريقط ، ويقال : أريقد من بني الديل من كنانة ، فاستأجره وكان على دين قومه هادياً خريتاً ، أي : ماهراً بالهداية ، وواعداه أن يأتيهما بعد ثلاث غار ثور ، ثم انصرف رسول الله ﷺ الى منزله ، فجاء علي رضي الله عنه ، فاجتمعت قريش على باب الدار ، فقال ابو جهل ؟ لا تقتلوه حتى يجتمعوا يعني الخمسة ، ثم أخذ ﷺ حفنة من تراب ، فرماها في وجوههم ، فأخذ على أبصارهم ، ولم على أصمختهم ، فجعل على رأس كل رجل منهم تراباً ، ثم أتى منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فخرجا ، وأتيا الغار ، وجاء للمشركين رجل كان بعيداً منهم ، فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : أن نصبح فنقتل محمداً ، قال : قبحكم الله وخيبكم ، أو ليس قد خرج عليكم وجعل على رؤوسكم التراب ؟ قال أبو جهل : أو ليس هو ذاك مسجى ببردة الآن ؟ فلما أصبحوا قام علي عن الفراش ، فقال أبو جهل : صدقنا ذلك المخبر ، فاجتمعت قريش ، وأخذت الطرق ، وجعلت الجعائل لمن جاء به ، فانصرفت أعينهم ، ولم يجدوا شيئاً ، ومرو بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت ، وجاء الديلي بعد ثلاث بالراحلتين ، وذلك بعد العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً ، فخرجا لهلال ربيع الأول يوم الاثنين ، وقيل : الخميس ، وقد أقام ﷺ بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة ، وقال عروة : عشراً ، ولم يعلم بخروجه إلا عليّ وآل أبي بكر ، فانطلق بهما الدليل ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما يردفه أبو بكر رضي الله عنه ، ويعقبه ، فأخذ بهم في أسفل مكة حتى أتى بهم طريق السواحل أسفل من عسفان ، ثم عارض الطريق على أمج ، ثم نزل من قديد على خيام أم معبد الخزاعية . وقيل : سلك على أسفل أمج حتى عارض الطريق بعد أن جاوز قديداً ، واتفق في مسيرهم قصة سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد ، وأقامت قريش أياماً لا يدرون أين أخذوا فسمعوا صوتاً على أبي قبيس يقول :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد ... من الامن لا يخشى خلاف المخالف

فقالت قريش : لو علمنا من السعدان ؟ فقال :

أيا سعد سعد الأوس كن أنت مانعاً ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتبوآ ... من الله في الفردوس زلفة عارف

فعلموا أنه أخذ طريق المدينة .

قال رزين : والأقرب ماذكره غير من سماعهم لهذه الأبيات قبل الهجرة ، ثم سمعوا قائلا بأسفل مكة ، وقيل : بأبي قبيس يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبد

الأبيات المشهورة . وكان ﷺ مر بأم معبد ، فاستسقاها لبناً ، واتفق ظهور المعجزة في حلبه اللبن من شاة لها عجفاء لم يكن لها لبن ، ثم ارتحلوا ، فجاء أبو معبد ، فأخبرته وسقته من اللبن ، فخرج في إثرهم ليسلم عليهم ، فيقال : أدركهم ببطن ريم ، فبايع وانصرف ، ولما شارف النبي ﷺ المدينة لقيه أبو بريدة [1] الأسلمي في سبعين من قومه بني سهم ، فقال نبي الله ﷺ : من أنت ؟ فقال : بريدة ، فقال : يا أبا بكر ! برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن ؟ قال : من أسلم ، فقال لأبي بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من بني سهم ، قال : خرج سهمك ، فقال بريدة للنبي ﷺ : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله ، فأسلم بريدة ومن معه ، فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ : لاتدخل المدينة [2] ، إلا ومعك لواء ، فحل عمامته ، ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه ﷺ ، فقال : يا رسول الله ننزل على من ؟ فقال : إن ناقتي هذه مأمورة ، ولقي ﷺ الزبير كما في « الصحيح » ، وقيل : لقي طلحة في ركب من المسلمين

(١) صوابه : بريدة .

(٢) هذا يفيد أن تسمية هذه البلدة بالمدينة قديمة ، والمشهورة : أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سماها بالمدينة بعد الهجرة .

تجاراً قافلين من الشام ، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً ، وسمع المسلمون بخروج رسول الله ﷺ ، فكانوا يخرجون كل يوم الى الحرة أول النهار ، فينتظرونه ، فما يردهم الا حر الشمس ، فبعد أن رجعوا يوماً أوفى رجل من اليهود على أطم لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين ، فلم يملك اليهودي نفسه أن قال بأعلى صوته : يا بني قيلة - يعني الأنصار - هذا جدكم يعني حظكم الذي تنتظرونه ، فثار المسلمون الى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم .

ولرزين : نزل في ظل نخلة ، ثم انتقل الى دار كلثوم ، وفي نسخة طاهر بن يحيى من كتاب أبيه : أناخ الى عذق عند بئر غرس [١] قبل أن تبزغ الشمس وما يعرف رسول الله ﷺ من أبي بكر ، فجعل الناس يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطمهم الذي يقال له : شقيف [٢] فأمهل أبو بكر رضي الله عنه ساعة ، ثم ذكر أنه قام ، فستر رسول الله ﷺ بردائه ، فعرف القوم رسول الله ﷺ ، قال محمد بن معاذ : قلت لمجمع بن يعقوب : ان الناس يرون أنه جاء بعدما ارتفع النهار وأحرقتهم الشمس ، قال مجمع : هكذا أخبرني أبي ، وسعيد بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قالا : ما بزغت الشمس الا وهو في منزله ﷺ .

قلت : وفي مسلم : أن قدومهم كان ليلا ، والذي قاله الأكثر : نهاراً .

وقوله : « بئر غرس » ، لعله تصحيف عذق لبعد الغرس من منزله ﷺ على كلثوم بقباء ، بخلاف بئر عذق . وفي « الصحيح » أنهم لما قدموا قام أبو بكر

---

(١) صوابه : بئر أريس .

(٢) صوابه : شنيف بالنون .

للناس أي يتلقاهم ، فطفق من جاء الأنصار ، أي من لم يكن رأى النبي ﷺ يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ . اهـ . ولما نزل رسول الله ﷺ على كلثوم ، قال لمولى له : يا نجيح ! فقال ﷺ والتفت لأبي بكر رضي الله عنه : « أنجحت ، أو أنجحنا ، فقال : أطعمنا رطباً ، فأتى بقنو من أم جردان فيه رطب منصف وفيه زهو فقال : ما هذا ؟ فقال : هـذا عذق أم جردان ، فقال ﷺ اللهم بارك في أم جردان » [1] وكان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة ، وكان عزبا ، وسمي منزله منزل العزاب ، فلذلك قال قوم : انه ﷺ نزل عليه .

وفي « الصحيح » ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في عمرو بن عوف .

وفي رواية : على المدينة ، والأكثر : أن ذلك اليوم يوم الاثنين ، وشذ من قال : يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على ما جزم به ابن النجار والنووي ، ونقله ابن الجوزي عن الزهري ، وهو رواه ابن سعد عن ابن اسحاق فالعجب من الزين المراغي حيث نقله عن ابن النجار والنووي فقط ، وتعجب منه ، وكأنه فهم أن مرادهما به دخول باطن المدينة نفسها . وقيل : كان قدومه قباء في سابعه ، وقيل : لليلتين خلتا منه ، وقيل : لنصفه ، فأقام الثلاثاء والأربعاء والخميس كما جزم به ابن حبان .

ولابن عائذ عن ابن عباس رضي الله عنهما : مكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجداً ، فكان يصلي فيه ، ثم بناه عمرو بن عوف ، فهو الذي أسس على التقوى .

ولابن زبالة عن قوم من بني عمرو بن عوف : أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً .

---

(١) صوابه : أم جرذان بالذال المعجمة .

وللبخاري عن عروة : بضع عشرة ليلة .

وعن أنس : أربع عشرة ليلة ، وهو أولى بالقبول من غيره .

وأقام علي رضي الله عنه بعد مخرجه ﷺ أياماً ، قيل : ثلاثة حتى أدى للناس ودائعهم ، ثم لحق رسول الله ﷺ بقباء ، فنزل على كلثوم بن الهدم ، وكانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس ، وكذا الأوس لما كان بينهم من العداوة ، وكان أسعد بن زرارة قتل نبيل بن الحارث يوم بعاث ، فقال ﷺ : أين أسعد بن زرارة ؟ فقال سعد بن خيثمة ، ومبشر ورفاعة ابنا عبد المنذر : كان قد أصاب منا رجلاً يوم بعاث ، فجاء أسعد اليه متقنعاً ليلة الأربعاء بين العشاءين ، فقال ﷺ : جئت الى هاهنا وبينك وبين القوم ما بينك وبينهم ! قال : لا والذي بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك في مكان الا جئت ، ثم بات عند النبي ﷺ حتى أصبح ، ثم غدا فقال ﷺ لسعد بن خيثمة ومبشر ورفاعة : أجيروه ، قالوا : أنت فأجره ، فجوارنا في جوارك ، فقال : يجيره بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري ، ثم ذهب لأسعد بن زرارة في بيته ، فجاء به يخاصره يده في يده ظهراً حتى انتهى به الى بني عمرو بن عوف ، ثم قال الأوس : يا رسول الله كلنا له جار ، فكان يغدو ويروح الى رسول ﷺ ، وسيأتي تأسيسه ﷺ لمسجد قباء قبل تحوله منها في الفصل الثاني من الباب الخامس .

الفصل الرابع : في قدومه ﷺ باطن المدينة وسكناه بدار أبي أيوب ، وشيء من خبره في سني الهجرة .

وفي « الصحيح : عن أنس بعدما ذكر ما سبق من اقامته ﷺ ببني عمرو ابن عوف : ثم أرسل الى بني النجار ، فجاؤوا بالسيوف .

وفي رواية : فجاؤوا للنبي ﷺ وأبي بكر ، فسلموا عليها وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب حتى نزل جانب دار أبي أيوب .

وللبيهقي : أنه ﷺ لما شخص [1] اجتمعت به بنو عمرو بن عوف ، فقالوا : خرجت ملالاً لنا ، أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟ قال : اني أمرت بقرية تأكل قريتي ، فخلوها أي ناقته فإنها مـأمورة حتى أدركته الجمعة في بني سالم ، فصلى في بطن الوادي ذي الجمعة وادي ذي صلب .

وله عن عمارة بن خزيمة أنه ﷺ دعا براحلته يوم الجمعة ، وحشد المسلمون ، وهم حوله بالسلاح ، وركب ﷺ ناقته والناس عن يمينه وشماله وخلفه ، منهـم ماشي وراكب فاعترضه الأنصار فما يمر بدار إلا قالوا : هلم إلى العز والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويدعو ويقول : إنها مأمورة خلوا سبيلها ، فمر ببني [illegible] ، فقام إليه عتبان بن مالك ، ونوفل بن عبـد الله بن مالك بن العجلان ، وهو آخذ بزمام راحلته يقول : يارسول الله انزل فينا فإن فينا العدد والعدة والحلقة ، ونحن أصحاب العصا [2] والحدائق والدرك يارسول الله ، كان الرجل يدخل هـذه الحجرة خائفاً : فيلجأ إلينا ، فنقول له : قوقل حيث شئت ، فيجعل يتبسم ويقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، وقام إليه عبادة بن الصامت ، وعباس بن الصامت بن نضلة ، فجعلا يقولان : يارسول الله انزل فينا . فيقول : انها مأمورة ، فلما أتى مسجد بني سالم ، وهو المسجد الذي في الوادي ، جمع بهم ، فخطبهم ، ثم أخـذ عن يمين الطريق حتى جاء بني الحبلى ، وأراد أن ينزل الى عبد الله بن أبي ، فلما رآه وهو عند مزاحم محتبياً ، قال : اذهب الى الذين دعوك فانزل عليهم ، فقال سعد بن عبادة : لاتجد يارسول الله في نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها ، ولكن هذه داري فمر ببني ساعدة ، فقال له سـعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو ، وأبو دجانة : هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد ، وسعد يقول : يا رسول الله ليس في قومي رجل أكثر عذقاً ولا فم بئر مني

---

(١) بمعنى : ارتفع . قاموس .

(٢) صوابه : أصحاب الغضا .

مع الثروة والجلد والعدد والحلقة [1] ، فيقول رسول الله ﷺ : بارك الله عليكم ويقول : يا أبا ثابت خل سبيلها فإنها مأمورة ، فمضى ، واعترضه سعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، وبشر بن سعد ، أي : من بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله لا تجاوزنا ، فإنا أهل عدد وثروة وحلقة ، فقال : بارك الله فيكم خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، واعترضه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمرو ، أي من بني بياضة ، يقولان : يا رسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة ، نحن أهل الدرك ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم مر ببني عدي بن النجار وهم أخواله ، فقام أبو سليط ، وصرمة بن أبي أنيس في قومهما ، فقالا : يا رسول الله نحن أخوالك ، وهلم إلى العدد والمنعة والقوة مع القرابة ، لاتجاوزنا إلى غيرنا ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا لك ؛ فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

ويقال : أول الأنصار اعترضه بنو بياضة ، ثم بنو سالم ، ثم سال لابن أبي ، ثم مر على بني عدي بن النجار حتى انتهى الى بني مالك بن النجار .

ولابن أسحاق : اعتراض بني سالم أولا ، ثم وازنت راحلته بني بياضة ، واعترضوه ، ثم وازنت دار بني الحارث كذلك ، ثم مرت بدار بني عدي وهم أخواله دنيا ، أي : لأن سلمى بنت عمرو احدى بني عدي بن النجار كانت أم جده عبد المطلب وبنو مالك بن النجار إخوتهم ، ومنزله ﷺ بدار بني غنم منهم . وجاء في رواية : أن القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه ، قال : إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك . وفي رواية ليحيى : أنه ﷺ تيامن بعد مجاوزة بني سالم ، فأتى منزل ابن أبي ، ثم مضى في الطريق وهي يومئذ فضاء ، حتى انتهى إلى سعد ابن عبادة ، ثم اعترضت له بنو بياضة عن يساره ، ثم مضى حتى أتى بني عدي ابن النجار ، ثم أتى منزل بني مازن بن النجار ، فقامت إليه وجوههم ، ثم انتهى إلى باب المسجد ، وقد حشدت بنو مالك بن النجار ، فهم قيام ينتظرونه إلى أن

---

(١) الحلقة : الدرع .

طلع ، فهش إليه أسعد بن زرارة ، وأبو أيوب ، وعمارة بن حزم ، وحارثة ابن النعمان يقول : يارسول الله قدعلمت الخزرج أنه ليس ربع أوسع من ربعي، فبركت بين أظهرهم ، فاستبشروا ، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجع الحنين،فساءهم ذلك ، وجعلوا يعدون بجنبيها حتى أتت إلى زقاق الحبشي بئر جمل ، فبركت، ثم كر عودها على بدئها حتى بركت على باب المسجد ، وضربت بجرانها ،وعدلت بثفناتها ، وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه في النزول عليهم ، فأخذ رحله فأدخله، فنظر النبي ﷺ إلى رحله وقد خط ، فقال : المرء مع رحله ،

وللحاكم عن أنس أنه ﷺ قال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبي أيوب .

وعند ابن عائذ ، وسعيد بن منصور ، أن الناقة استناخت به أولاً ، فجاءه ناس ، فقالوا : المنزل يارسول الله ، فقال : دعوها ، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ، ثم تحلحلت ، فنزل عنها ، فأتاه أبو أيوب ، فقال: منزلي أقرب المنازل ،فائذن لي أن أنقل رحلك ، قال : نعم ، فنقل رحله ، وأناخ الناقة في منزله .

وقال الواقدي : أخذ أسعد بن زرارة بزمامها فكانت عنده .

وعن مالك بن أنس ، أن الناقة لما أتت موضع المسجد ، بركت وهو عليها، وأخذه ﷺ الذي كان يأخذه عند الوحي ، ثم ثارت من غير أن تزجر ، وسارت غير بعيد ، ثم التفتت ، ثم عادت إلى المكان الذي بركت فيه أول مرة ، فبركت ، فسري عنه ، فأمر أن يحط رحله .

وفي « شرف المصطفى » ﷺ : لما بركت الناقة على باب أبي أيوب ، خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال النبي : أتحببنني ؟ قلن : نعم . فقال : والله وأنا أحبكن . قالها ثلاثاً . قال رزين : وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

والغلمان والولائد يقولون : جاء رسول الله ﷺ فرحاً به .

ولأبي داود عن أنس : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه ﷺ .

ولابن ماجه عنه : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء .

ولابن اسحاق عن أبي أيوب الأنصاري : لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي ، نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو . فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي . اني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي . فاظهر أنت فكن في العلو . وننزل نحن فنكون في السفل . فقال : يا أبا أيوب ! انه أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت . قال : فكان رسول الله ﷺ في سفله . وكنا فوقه في المسكن . فلقد انكسر حب [1] لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رأس رسول الله منه شيء فيؤذيه .

وذكر غيره : أن أبا أيوب لم يزل يتضرع إلى النبي ﷺ حتى تحول ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل .

وأفاد ابن سعد أن إقامته ﷺ بهذه الدار سبعة أشهر بتقديم السين على الباء ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، وقد ابتاعها المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ، فتصدق بها ، ثم بيعت ، فاشتراها الملك المظفر شهاب الدين بن غازي بن الملك

---

(١) الحب : الجرة ، وغطاؤه : كرامة ، ولذا يقال : حباً وكرامة . قاموس .

العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب بن شادي ، واتخذها مدرسة المذاهب الأربعة ، تعرف اليوم بـ « المدرسة الشهابية » ، ووقف عليها أوقافاً بدار ملكه ميافارقين[1] ، ووقفا آخر بدمشق ، وكان لها بالمدينة وقف من النخل يعرف بالمليكي ، فشمله وغيره ماعم الأوقاف من تصرفات نظارها العجيبة ، وكذا ما كان بها من الكتب النفيسة تفرقت أيدي سبأ ، وآل حالها إلى التعطيل من سكنى الفقراء بخلواتها ، وفي إيوان قاعتها الصغرى الغربي خزانة صغيرة جداً مما يلي القبلة فيها محراب يقال : إنها مبرك ناقته ﷺ ، وبعث ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه ، وسودة زوجته ، وأم أيمن زوج زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد ، فلما قدموا أنزلهم في بيت حارثة بن النعمان ، وخرج عبد الله ابن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر ، وكتب ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع[2] فيه يهود ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، وشرط لهم ، وآخى بين أصحابه من المهاجرين والانصار ، والتأم شمل الحيين الاوس والخزرج ببركته ﷺ ، وكانت إقامته ﷺ بالمدينة الشريفة بعد الهجرة عشر سنين إجماعا .

السنة الاولى كان فيها ماسبق ، وما سيأتي من بناء المسجد النبوي ، وزيد في صلاة الحضر ركعتان على القول به ، ووعك أصحابه ، فدعا بنقل الوباء ، وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة » . ثم عقد لواءً لابن عمه عبيدة بن الحارث على ستين من المهاجرين ، وهي أول راية عقدت في الإسلام ، ورمى فيها سعد بن أبي وقاص بسهم ، فكان أول سهم رمي به في الإسلام ، فالتقى مع أبي سفيان بن حرب ، وقيل : عكرمة بن أبي جهل في مائة من المشركين ببطن رابغ ، ويعرف بـ « ودان » ، وقيل : إن ذلك في الثانية ، ثم عقد لواءً لعمه حمزة على ثلاثين من المهاجرين ، قيل : ومن الأنصار ليعترض عير قريش ، فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب ،

---

(١) أشهر مدينة بديار بكر . (٢) وادع بمعنى صالح .

فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وقدم بعضهم هـذه على التي قبلها . وقال : إن لواء حمزة هو السابق ، وقيـل : أول راية عقدت لعبد الله بن جحش ، ثم بنى بعائشة رضي الله عنها وهي بنت تسع ، وكان عقد عليها بمكة وهي بنت ست . ثم عقد لواءً لسعد بن أبي وقاص في عشرين يريد عير قريش ، وأسلم عبد الله بن سلام أول قدومه ﷺ ، وناصبت أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغياً وحسداً منهم : حيي بن أخطب ، وأبو رافـع الاعور ، وكعب بن الأشرف ، وعبـد الله بن صوريا ، والزبير بن باطا ، ولبيـد بن الاعصم ، ودخل منهم جماعة في الإسلام نفاقاً ، وأري عبـد الله بن زيد الأذان ، وقيل : إنـه في الثانية ، وكان النداء قبله : الصلاة جامعة .

السنة الثانية فيها زوج علياً بفاطمة رضي الله عنها ، ولها خمس عشرة سنة ، وقيل : ثماني عشرة سنة ، ثم غز بنفسه إلى الابواء[1] وهي من ودان على ستة أميال ، فيقال لها : غزوة ودان أيضاً ، ثم غزا فيها بنفسه في مائتين من أصحابه ناحية رضوى ، يريد تجار قريش ، وهي « غزوة بواط » ، ثم أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في أثره في المهاجرين ، فانتهى إلى بدر ، وفاته كرز ، ثم بعث عبد الله بن جحش في سرية ، وهم الذين قتلوا عمرو بن الحضرمي في الشهر الحرام ، واستاقوا العير من نخلة[2] على يوم وليلة من مكة ، فكانت أول غنمية في الاسلام .

---

(١) الأبواء من ودان ، وودان هورابغ كما سبق قريبا ، فتكون على هذا عند عقبة هرشى أو قريبا منها كما يؤخذ من كلامه الآتي في مساجد الطريق التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم في ذهابه إلى مكة ورجوعه منها . وقد دفن والده صلى الله عليه وسلم بالابواء في قول اعتمده جماعة ورجح

(٢) هما نخلتان ؛ يمانية : وهي وادي شولة والحديدة والزيمة ، وشامية : وهي الوادي المعروف بالمضيق ، وكلاهما في طريق الطائف .

ثم خرج إلى العشيرة يعترض عيراً لقريش ، ففاتته ، فوادع بني مدلج وحلفاءهم ، ثم نزلت فريضة الصوم في شعبان ، فصاموا رمضان .

ثم غزوة « بدر الثانية » التى أعز الله بها الإسلام في رمضان ، وكان معه الانصار ، ولم تخرج معه قبل ذلك ، وكان المسلمون ثلثمائة وبضعة عشر ، معهم ثلاثة أفراس ، والمشركون ألفاً معهم مائة فرس ، ثم قتل عمير بن عدي العصماء زوج يزيد الخطمي ، كانت تؤذي رسول الله ﷺ في الشعر ، وذلك اليوم أول ماأعز الله الإسلام بدار بني خطمة ، وقتل سالم بن عمير أحد البكائين أبا غفل اليهودي ، وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف يحرض على النبي ﷺ ، ثم خطب قبل الفطر بيومين يعلم الناس زكاة الفطر ، وفرضت زكاة الاموال ، وقيل : في التالتة ، وقيل : في الرابعة ، وقيل : قبل الهجرة .

ثم غزا بني قينقاع لانه كان قد وادع يهود وهم يرجعون إلى ثلاث طوائف : بني قينقاع ، والنضير ، وقريظة . فأول من نقض العهد منهم : بنو قينقاع ، فتلوا رجلاً من المسلمين ، فحاصرهم ، فألقى الله الرعب في قلوبهم ، فنزلوا على حكمه ، فأراد قتلهم ، فاستوهبهم منه عبد الله بن أبي ، وكانوا حلفاءه ، فوهبهم له ، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات .

ومما أصاب ﷺ من سلاحهم درعه السغدية بالمهملة ثم الغين المعجمة ، قيل : وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت .

ثم غزا « غزوة السويق » في ذي القعدة ، ثم صلى صلاة العيد ، ثم ضحى بكبش ، ثم بنى علي بفاطمة رضي الله عنها ، وتوفيت ابنته رقية رضي الله عنها .
السنة الثالثة ثم قال ﷺ : « من لي بكعب بن الأشرف ؟ » وكان أبوه عربياً من نبهان حالف بني النضير ، فشرف فيهم ، وتزوج بنت أبي الحقيق ، فأولدها كعباً ، وكان شاعراً ، فهجا المسلمين بعد بدر ، وخرج إلى مكة ، فحرض قريشاً ، فانتدب له محمد بن مسلمة في نفر فقتله .

ثم غزا « غزوة الكدر » ، ويقال : « قرقرة الكدر » ، ويقال : « نجران » يريد بني سليم .

ثم غزا « غزوة أنمار » ، ويقال : « ذي أمر » ، فاتفقت قصة دعثور ، ويقال : غورث ، ونذرت به غطفان ، فهربوا ، ولم يذكر أبو حاتم « ذات الرقاع » وتخلا لانه يرى اتحادهما مع ما ذكر .

ثم « سرية القردة » بالقاف كسجدة ، ماء بنجد ، وأميرها زيد بن حارثة ، فلقي عير قريش ، فيهم : أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة هي عظم تجارتهم ، فأخذها .

ثم « غزوة أحد » في شوال ، وقيل : كانت سنة أربع لما قتل من كفار قريش من قتل يوم بدر ، ورجع فلهم[1] وسلمت عيرهم التي كانت مع أبي سفيان ، جهزوا بها جيشاً ، وحركوا من أطاعهم من القبائل ، فساروا وقائدهم أبو سفيان ابن حرب وهم ثلاثة آلاف فيها مائة فرس ، حتى طلعوا من بين الجماوين ، ثم نزلوا ببطن الوادي الذي قبل أحد .

وقال ابن اسحاق : نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر ، وتمنوا لقاء العدو ، ورأى ﷺ ليلة الجمعة بقراً تذبح ، وأن سيفه ذا الفقار انقصم من عند ظبته ، أو قال : به فلول ، قال : وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينة ، قال : وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت ، وقال ابن أبي : لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة ، فما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه ، فقال أولئك القوم : يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم ، وأبى كثير منهم

---

(١) فلهم : أي المنهزمون منهم .

إلا الخروج ، فصلى الجمعة ، ولبس لأمته ، ثم أذن بالخروج ، فندم ذو الرأي منهم ، وقالوا : امكث كما أمرتنا ، فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل ، فخرج بهم ، وهم ألف ليس معهم فرس ، وقيل : معهم فرسان .

قال المطري : خرجوا على الحرة الشرقية حرة واقم ، وبات بالشيخين موضع بين المدينة وبين أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد ، وغدا صبح يوم السبت إلى أحد . انتهى .

ويؤخذ مما نقله ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ومما رواه الطبراني ، ومما سيأتي في الشوط ، أنهم خرجوا من جهة ثنية الوداع شامي المدينة ، حتى إذا بلغوا الشوط انخذل ابن أبي المنافق في ثلث الناس من أهل النفاق والريب ، وقال : أطاعهم وعصاني .

ونقل ابن سيد الناس أيضاً : أن النبي ﷺ أدلج يعني بعد مبيته بالشيخين في السحر ، ودليله أبو خيثمة الحارثي ، فحانت الصلاة يعني الصبح ، فصلى ، وانخزل حينئذ ابن أبي من ذلك المكان بثلثمائة ، ونقل الأقشهري أنه ﷺ عرض من عرض ، ورد من رد بالشيخين ، وصلى المغرب بذلك الموضع ، وبات به ، وأدلج في السحر وهو يرى المشركين ، فانتهى إلى موضع القنطرة [1] فحانت الصلاة ، فصلى بأصحابه الصبح وعليهم السلاح ، واقتضى كلامه أيضاً أن ابن أبي انخزل بعد مجاوزة الشيخين ، وسمي موضع انخزاله الشوط أيضاً ، وفيه نظر لما سيأتي في الشوط من كونه في شامي ذباب ، ومنه قصد ﷺ ناحية الشيخين ، والطريق الشرقية ، ومضى حتى سلك في حرة بني حارثة ، ودليله

---

(١) هي قنطرة العين التي تمر في المسيل قبل جبل عينين ، ولعلها كانت في موضعها الآن من عين المصرع على الطريق ، وجبل عينين هو جبل الرماة الذي عليه البيوت قبلي قبة حمزة رضي الله عنه .

أبو خيثمة أخو بني حارثة ، فنفذ به في حرتهم وبين أموالهم لما قال ﷺ : « من رجل يخرج بنا عن القوم من كثب ؟ » ، أي : من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم ، فمن قال : إن ابن أبي انخذل من الشوط مخالف لمن قال : إنه انخذل بعد مجاوزة الشيخين ، ثم مضى ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين الجبل عن يساره ، وتعبـأ للقتال ، وهو في سبعمائة رجل ، وأمَّر على الرماة ، وهم خمسون : عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وقال له : انضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك ، وجعلهم على جبل عينين ، وصف المشركون بالسبخة . وتعبؤوا للقتال ، وبارز مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ، وهو صاحب لواء المسلمين طلحة بن عثمان من بني عبد الدار صاحب لواء المشركين ، فقتله ، وقتل أصحاب لوائهم وهم تسعة ، وقيل : أحد عشر . واحداً بعد واحد . وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم ، وحملت خيل المشركين ، فنضحهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، وهزم المشركون هزيمة بينة ، فدخل المسلمون عسكرهم ، فانتهبوه ، فرأى ذلك الرماة ، فتركوا أو جماعة منهم مكانهم من الجبل ، ودخلوا العسكر ، فحملت عليهم خيل المشركين ، فمزقوهم ، وقتلوا من ثبت من الرماة وأميرهم ، وانتقضت صفوف المسلمين ، ونادى إبليس : قتل محمد ، أخراكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، وثبت رسول الله ﷺ ما يزال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ، ويرمي بالحجارة ، وثبت معه عصابة من الصحابة ، وانهزمت طائفة منهم ، وانطلق بعضهم فوق الجبل ، فصار ﷺ يدعوهم في أخراهم قاصداً ناحية الجبل ، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب ، وأكرم الله تعالى بالشهادة من أكرم من عباده المسلمين ، وكان أول من عرف رسول الله

بعد الهزيمة ، وتحدث الناس بقتله : كعب بن مـــالك الأنصاري ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين . أبشروا هذا رسول الله .

ولما أسند رسول الله ﷺ في الشعب ، أدركه أبي بن خلف . فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً ، فمات عدو الله بسرف ، وكسرت رباعيته ﷺ . وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ﷺ ، ولما انتهى إلى الشعب ، علت عالية من قريش الجبـل فقال : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، فلم يستطـع وقـد كان بدن وظاهر بين درعين ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض بـه حتى استوى عليها ، وصلى يومئذ الظهر قاعداً من الجراح ، والمسلمون خلفه قعوداً ، ونادى أبو سفيان عند انصرافه : موعدكم بدر العام القابل ، فقال ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد ، ثم خرج بعد الوقعة مرهباً لعدوه ، حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، فأخذ في وجهه ذلك أبا عزة الجمحي ، فضرب عنقه .

وتزوج حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنها في شعبان على الأصح ، وزينب بنت خزيمـة في رمضان ، فماتت بعد شهرين أو ثلاثة ، وولد الحسن بن علي في منتصف رمضان ، وعلقت أمـه بالحسين ، وتزوج عثمان أم كلثوم رضي الله عنها ، وحرمت الخمر ، ويقال في التي بعدها ، ويقال : بل سنة ثمان .

السنة الرابعة في المحرم ، منها قصة قتل القراء ببئر معونة ، ثم « غزوة الرجيـع » موضع ببلاد هذيل في صفر ، وذكرها ابن اسحاق في الثالثة .

ثم « غزوة بني النضير » وذكرها الزهري في الثالثـة قبل أحـد ، وقيـل : كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف ، جاءهم النبي ﷺ ، فهموا بالغدر به ، فأتاه الخبر من السماء ، فأظهر أنه يقضي حاجة ، ورجع مسرعاً إلى المدينة ، فأمر

بحربهم ، وقطع النخل والتحريق ، وحاصرهم ست ليـــال ، فسألوا أن يجلوا من أرضهم على أن لهم ماحملت الإبل ، فاحتملوا إلى خيبر والشام ، وكانت أشرافهم بـــني الحقيق ، وحيي بن أخطب ، فكانوا فيمن سار إلى خيبر ، فدان لهم أهلها ، ثم كانت بدر الموعد وهي بدر الثالثة ، تم مقتل أبي رافع سلام [1] ويقال : عبـد الله بن أبي الحقيق ، ثم رجم اليهوديـــين ، وتزوج أم سلمة ، وقيل : في الثانية ، وفيها كانت « غزوة ذات الرقاع » عند ابن اسحاق ، وقيل : في الخامسة .

وذكرها البخاري بعد خيبر ، لما صح من حضور أبي موسى الاشعري بها، وهو من أصحاب السفينة ، ولا مانع من تعددها .

السنة الخامسة : فك سلمان من الرق ، ثم خرج إلى « دومة الجندل » ، كسف القمر في جمادى الآخرة ، فصلى بهـــم صلاة الكسوف ، وجعلت اليهود يضربون بالطساس ، ويقولون : سحر القمر .

ثم وفد بلال بن الحارث المزني ، فكان أول وافد مسلم إلى المدينة .

ثم قدم ضمام بن ثعلبة ، ثم غزا « المريسيع » في شعبان ، وفيها أنزلت آية التيمم بسبب الاحتباس لعقد عائشة رضي الله عنها ، والاشبه : أنها وبني المصطلق متحدتان .

ثم « الخندق » على الاصح ، وقيل : في التي قبلها ، سميت بذلك لحفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي ، وتسمى بالاحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب ، ونزل فيها صدر سورة الاحزاب ، وذلك أن حيي بن أخطب خرج في نفر من قومه ، فحرض قريشا على الحرب ، وسعى ابن أبي الحقيق في غطفان ، ووعدهم بنصف تمر خيبر ، واستمدوا بحلفائهم من أســـد ، وخرج أبو سفيان بن

(١) صوابه : ابن سلام .

حرب بقريش ومن أجابهم من بني سليم ، فصاروا عشرة آلاف ، والمسلمون ثلاثة وقيل : ألفـاً ، والمشركون أربعة ، ونزلت قريش بمجتمع الاسيال برومة بين الجرف وزغابة ، وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى إلى جانب أحد ، ويقال : بباب نعمان ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع ، والخندق بينه وبين القوم ، والنساء والذراري في الآطام ، وتوجـه حيي ابن أخطب إلى بني قريظة ، فلم يزل بهم حتى غدروا ، وبلغ ذلـك المسلمين ، فاشتد بهم البلاء ، وكان الذين جاؤوهم من فوقهم كما في التنزيل : بنو قريظة ، ومن أسفل منهم : قريش وغطفان ، وكانت مدة الحصار عشرين يوماً كما قاله ابن عقبة ، وأسلم نعيم بن مسعود ، ولم يعلموا به ، فسعى في تخذيلهم ، ثم بعث الله تعالى عليهم ريحاً لا تقر لهم قراراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقال أبو سفيان : والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا قريظة ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا ، فتحملت قريش وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم ، وسمعت غطفان ، فانشمروا راجعين ، فقال ﷺ : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا .

ثم « غزوة قريظة » ، انصرف ﷺ لمـا أصبح عن الخندق إلى المدينة ، فجاءه جبريل ظهراً وهو في المغتسل قد رجّل أحـد شقي رأسه على فرس وعليه اللأمـة ، وأثر الغبار ، وقال : ما وضعت الملائكة السلاح بعـد ، وما رجعت إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم ، فمزلزل بهم ، وأدبر جبريل ومن معه من الملائكة ، حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الانصار ، فأمر النبي ﷺ بلالا ، فأذن في الناس : من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، وقدم علياً برايته إليهم ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليـلة ، وقيل : خمس عشرة ، وقيل : عشرة ، حتى أجهدهم الحصار ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فنزلوا على حكمه ﷺ ، وكانوا حلفاء الاوس ، فقال لهم : ألا ترضون أن يحكم فيكم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال :

فذلك إلى سعد بن معاذ ، وكان قد أصابه سهم في أكحله في الخندق ، فأتوا به ، فحكم أن تقتل الرجال ، وتقسم الاموال ، وتسبى الذراري والنساء ، فقال ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » أي سموات ، فخندقت لهم خنادق بسوق المدينة ، وضربت أعناقهم فيها ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، فإنه كان قد عاهد كعب بن أسـد رئيس قريظة لئن رجعت قريش وغطفان لأدخلن معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فدخل في حصنه ، فكان ذلك ، وكانوا ستمائة ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل : ثم قسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، فكانت أول فيءٍ وقعت فيه السهام ، وأخرج منه الخمس ، واصطفى لنفسه ﷺ ريحانة بنت عمرو بن خنافة ، فكانت عنـده حتى توفي ، وقيل : أعتقها وتزوجها ، وماتت في حياته وهو الأثبت عند الواقدي . ثم انفجر جرح سعد بن معاذ ، فمات شهيداً .

ثم كانت سرية عبيد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بعرنة ، وأسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي رضي الله عنهما ، وتزوج زينب بنت جحش . وقيل : في الثالثة ، وبسببها نزلت آية الحجاب .

السنة السادسة في أولها : أتى ثمامة بن أثال أسيراً ، ثم كسفت الشمس ، ونزل حكم الظهار ، وقتل المشركون سرية محمد بن مسلمة ، فلم يفلت غيره .

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مائة إلى فدك .

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى « دومة الجندل » ، ثم أجدب النـاس ، فاستسقى في رمضان بالمصلى ، فسقوا ، ثم أرسل زيـد بن حارثة في سرية لوادي القرى ، ثم كانت الحديبية ، ثم أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح النبي ﷺ وكانت ترعى بالغابة وما حولها ، فنذر بهم سلمة بن الاكوع ، وسار ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة ، ولذا سميت « غزوة ذي قرد » .

والذي في « صحيح مسلم » : أنها بعد الانصراف من الحديبية ، خلاف ما في كتب السير . ثم كانت قصة العرنيين الذين اجتووا المدينـة . فبعثهم ﷺ الى لقاحه . وكانت ترعى بالجماوين . وفي رواية : بذي الجدر . فقتلوا الراعي . واستاقوها . فبعث في طلبهم وهو بالغابة مرجعه من ذي قرد ، فخرجوا بهـم نحوه ، فلقوه بالزغابة ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسملت أعينهم ، وصلبوا هناك .

ثم غزا بني المصطلق ، ومر في انصرافه على المريسيع ، وفيهـا كانت قصة الافك ، قاله أبو حاتم . والأشبـه : أن الافك في المريسيع المتقدمة في الخامسة لما ثبت في « الصحيح » ، من تنازع سعد بن معاذ ، وقد مات في الخامسة مع سعد بن عبادة في أصحاب الافك ، وتزوّج ﷺ جويرية بنت الحارث رئيس بني المصطلق ، فأعتق الناس ما بأيديهم من أسراهم ، وفي هذه الغزوة قال ابن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ، وفرض الحج في هذه على الصحيح وقيل : قبل الهجرة ، وقيل : في الخامسة ، وقيل : في الثامنة ، وقيل : في التاسعة .

السنة السابعة : كتب إلى الملوك ، وبعث إليهم رسله ، وكانت قصة أبي سفيان مع هرقل ، وسحرته يهود ، ثم كانت خيبر ، واصطفى صفية بنت حيي من المغنم ، فأعتقها وتزوجها ، وأهديت له مارية القبطية ، وبغلته دلدل ، وسمته زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم ، ثم سار إلى وادي القرى ، فحاصر أهله ، وفي رجوعه قصة النوم عن صلاة الصبح ، ورويت في غزوة تبوك لما كان منها على ليلة ذاهباً ، وقيل : في الرجوع منها ، ورويت في الرجوع من الحديبية وجاءته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وتزوجها ، ثم كانت عمرة القضية ، وتزوّج ميمونة بنت الحارث الهلالية .

السنة الثامنة : « غزوة مؤتة » ، ثم « الفتح » ، ثم « هوازن » ، ثم « الطائف » ، وولد ابنه إبراهيم من مارية ، وتوفيت ابنته زينب زوج أبي العاص ابن الربيع .

السنة التاسعة : هجر نساءه شهراً ، وتتابعت الوفود ، وأمّر على الحج أبا بكر رضي الله عنه ، ثم نزلت براءة ، فأرسل بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السنة العاشرة : قدم عدي بن حاتم بوفد طيىء ، ثم وفد بني حنيفة ، ثم وفد غسان ، ثم وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المباهلة ، ثم جاء جبريل عليه السلام يعلم الناس دينهم ، ثم « غزوة تبوك » ، وهي آخر الغزوات ، وذكرها ابن اسحاق في التاسعة ، ثم حجة الوداع ، ثم مرض ﷺ لعشر بقين من صفر على ما قاله أبو حاتم ، وتوفي يوم الاثنين إجماعا لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول عند الجمهور ، وقيل : غير ذلك ، وصلي عليه في حجرته بغير إمام ، وقيل : بوسط الروضة .

وفي « مستدرك الحاكم » ، و « مسند البزار » : أنه ﷺ أوصى أن يصلوا عليه أرسالا بغير إمام ، ودفن ليلة الاربعاء ، وقيل : يوم الثلاثاء بعد أن عرف الموت في أظفاره .

وقال قائلون : بدفنه بمسجده ، وآخرون بالبقيع ، ثم اتفقوا على دفنه ببيته ، فحمل بالفراش ، وحفر له في موضع الفراش ، وكان قد أوصى صلى الله عليه وسلم في مرضه بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، ولم يتفرغ أبو بكر رضي الله عنه لإخراجهم ، فأجلاهم عمر رضي الله عنه وهم زهاء أربعين الفاً .

الباب الرابع

في عمارة مسجدها الأعظم النبوي ومتعلقاته والحجرات المنيفات

وفيه ستة عشر فصلا

الأول : في عمارته ﷺ له ، وذرعه في زمنه وما يتميز به .

قد تلخص لنا من كلام أهل السير أن ناقته ﷺ بركت عند باب مسجده ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا المنزل إن شاء الله » ، ثم أخذ في النزول ، فقال : (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) [المؤمنون : ٢٩] وكان مربداً ، أي : يجفف فيه التمر لغلامين[١] يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين في مسجد ابتناه به أسعد بن زرارة ، وكان يجمع بهم فيه .

وفي « صحيح البخاري » في باب الهجرة بعد ذكر تأسيس مسجد قباء : ثم ركب رسول الله ﷺ راحلته ، فسار يمشي معه الناس ، حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته : هذا إن شاء الله تعالى المنزل ، ثم دعا الغلامين ، فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقال : بل نهبه لك يارسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة

(١) هما ابنا رافع بن عمرو بن النجار .

حتى ابتاعه[1] منها ، ثم بناه مسجداً ، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنائه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

هـذا الحمال لا حمال خيبر   هـــذا أبرُّ ربنـــا وأطهر

ويقول : اللهم إن الأجر أجر الآخرة ، فـارحم الأنصار والمهاجره . اهـ .

وفي رواية للبخاري أيضاً : أن النبي ﷺ أرسل إلى مـــلأ بني النجار بسبب موضع المسجد ، فقال : يابني النجار ! ثامنوني بحائطـكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنـه إلا إلى الله ، وهذا يوافق ما في رواية لغيره : أن الغلامين أعطياه النبي ﷺ ، وقيل : كانا في حجر أبي أيوب ، وأنه أرضاهما ، ودفعه النبي ﷺ. وقيل : بل في حجر معاذ بن عفراء ، وأنه أرضاهما عنه . وقيل : كانا في حجر ابني عفراء ، وقيل : إن أسعد بن زرارة عوضهما عنه نخـــلًا له في بني بياضة ، فيجمع بأنهما كانا في حجر كل من المذكورين ، وأنهما بذلاه مجاناً ، فامتنع ﷺ من ذلـك ، وأخذه بثمنه ، ثم إن كلا من المذكورين لرغبته في الخير بذل لهما شيئاً عنه ، فنسب ذلك إليه .

لكن قال الواقدي : إنه ﷺ اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فلعله رغب في الخير أيضاً ، فدفع العشرة مـع دفع أولئك ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخـذ أولاً بعض المربد في بنائه الأول سنة قدومه ، ثم أخذ بعضاً آخر لما سيأتي من أنه بناه ثانياً ، وزاد فيه ، فكان الأداء من مال أبي بكر في أحدهما ، ودفع الآخرين في الأخرى .

وفي « الصحيحين » أن النبي ﷺ لمـــا أخـذه كان فيـه نخل[2] ، وقبور المشركين ، وخرب ، فأمر النبي ﷺ بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت ،

---

(١) أي : بعشرة دنانير كما سيأتي ، بهذا احتج الحنفية على صحة التصرف من غير البالغ .

(٢) وكان فيه شجر غرقد أيضا .

وبالخرب فسويت ، فصفوا النخل قبلة له ، وجعلوا عضادتيه حجارة ، فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخره ، فانصر الأنصار والمهاجره .

ويذكر أن هذا البيت لابن رواحة .

قلت : وكأن معنى صف النخل قبلة له جعلها سواري لسقف القبلة .

ففي « الصحيح » كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل .

ولابن زبالة في خبر عن ابن شهاب ، قال بعد ذكر أخذ المربد : فبناه مسجداً ، وضرب لبنه من بقيع الخبخبة ناحية بئر أبي أيوب بالمناصع ، والخبخبة : شجرة كانت تنبت هناك .

وليحيى عن خارجة بن زيد بن ثابت : بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين في ستين ذراعاً أو يزيد ، وابن لبنه من بقيع الخبخبة ، وجعله جداراً ، وجعل سواريه شقة شقة ، وجعل وسطه رحبة ، وبنى بيتين لزوجتيه .

قال زيد بن السائب : وبقيع الخبخبة : بين بئر أبي أيوب وتلك الناحية ، وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة .

وقال عبد العزيز بن عمر : الخبخبة : يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق ، وتلقاها عند مسجد يحيى بن طلحة بن عبيد الله .

قلت : والذي تلخص لنا : أن الراجح أن بئر أبي أيوب هذه ، هي المعروفة اليوم ببئر أبي أيوب على يسار الخارج من درب البقيع إذا وصل إلى مشهد سيدنا إبراهيم ، كان على يساره طريق يمر بطرف الكومة التي هناك يتوصل منها إلى حديقة تعرف بأولاد الصيفي ، بها البئر المذكورة ، ينزل إليها بدرج ، فتلك ناحية الخبخبة . وماذكره من الذرع محمول على البناء الأول .

ففي كتاب رزين مالفظه : عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان بناء

مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى ، ثم كثروا ، فقالوا : يارسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فبنى بالذكر والأنثى ، وهو ابنتان مختلفتان ، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة ، وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا في العرض ، وكان مربعاً . اهـ .

فهذا الذرع في البناء الثاني ، وكذا ماروى يحيى في خبر عن أسامة بن زيد عن أبيه قال : وكان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك ، فهو مربع .

ويقال : إنه كان أقل من مائة ذراع ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره إلى جهة القبلة اليوم ، وباب عاتكة الذي يدعى باب عاتكة ، ويقال : باب الرحمة ، والباب الذي كان يدخل منه ﷺ وهو باب آل عثمان اليوم ، أي : المعروف اليوم بباب جبريل ، وهذان البابان لم يغيرا بعد صرف القبلة ، ولما صرفت سد الباب الذي كان خلفه ، وفتح هذا الباب حذاءه ، أي في محاذاة المسدود خلف المسجد ، أي تجاهه ، كما قال المجد ، فكان المسجد له ثلاثة أبواب : باب خلفه ، وباب عن يمين المصلى ، وباب عن يسار المصلى . اهـ .

وقد صرح ابن زبالة فيما رواه من طريق ابن جريج ، عن جعفر بن عمرو ، بأن النبي ﷺ بنى مسجده مرتين ، وقال : بناه حين قدم أقل من مائة في مائة ، أي : في أقل من مائة أيضاً ، فلما فتح الله عليه خيبر ، بناه وزاد عليه مثله في الذور . اهـ .

وهذه الرواية ليس فيها تحرير الذرع ، فليحمل على ما سبق من استقراره على المائة . ويستفاد من قوله في الدور : أنه زاد فيه من الجهات كلها ، خلاف مارواه ابن زبالة أيضاً من أنه زاد فيه من المشرق والمغرب دون القبلة والشام ، ومما يؤيد

تعدد بنائه صلى الله عليه وسلم لمسجده وزيادته فيه . مارواه الطبراني عن أبي المليح عن أبيـــه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب البقعة التي زيدت في مسجد المدينة وكان من الأنصار : « لك بها بيت في الجنة » ، فقال : لا ، فجاء عثمان ، فقال له : « لك بها عشرة آلاف درهم » ، فاشتراها منه ، ثم جاء عثمان للنبي صلى الله عليه وســـلم فقال : يارسول الله اشتر مني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري ، فاشتراها منه ببيت في الجنة ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لبنة ، ثم دعا أبا بكر رضي الله عنه ، فوضع لبنة ، ثم دعا عمر رضي الله عنه ، فوضع لبنة ، ثم جاء عثمان ، فوضع لبنة ، ثم قال للناس : ضعوا ، فوضعوا . ويشهد له مارواه الترمذي وحسنه ، عن ثمامة بن حزن في حديث إشراف عثمان رضي الله عنه على النـاس يوم الدار من قوله : أنشدكم بالله وبالإسلام ، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ؟ » ، فاشتريتها من صلب مالي ... الحديث » . وأخرجه أحمد ، والدارقطني بنحوه ، وأخرجا أيضا عن الأحنف بن قيس نحوه .

ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه : كانوا يحملون اللبن إلى بنـاء المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، ثم قال : فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عارض لبنة على لبنة ، فظننت أنها ثقلت عليه ، فقلت : ناولنيها يارسول الله ، فقال : « خذ غيرها ياأبا هريرة ، فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة » ، وهـذا في البناء الثاني ، لأن إسلام أبي هريرة متأخر ، وكذا مافي الصحيح في ذكر بناء المسجد : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ ، فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » ، لأن البيهقي روى في « الدلائل » عن عبد الرحمن السلمي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لأبيه عمرو : قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال ﷺ فيه ما قال ، قال : أي رجـــل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بنى

رسول الله ﷺ المسجد ، فكنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فمر على رسول الله ﷺ ... وذكر نحو رواية « الصحيح » ثم قال : فدخل عمرو على معاوية فقال : قتلنا هذا الرجل ، وقد قال رسول الله ﷺ فيه ما قال ، فقال : اسكت فوالله ماتزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله علي وأصحابه ، جاؤوا به حتى ألقوه بيننا ، وإسلام عمرو رضي الله عنه كان في السنة الخامسة ، فلم يحضر إلا البناء الثاني .

ولابن زبالة ، ويحيى ، عن شهر بن حوشب ، لما أراد رسول الله ﷺ تحجر بناء المسجد ، قيل له : عريش كعريش أخيك موسى عليه السلام سبع أذرع ، أي : في السماء ، لما في « الإحياء » عن الحسن : لما أراد رسول الله ﷺ أن يبني مسجد المدينة ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ، ولا تزخرفه ، ولا تنقشه .

وفي « الدلائل للبيهقي » ، من طريق يعلى بن شداد ، عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالاً ، فأتوا به النبي ﷺ ، فقالوا : يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه ، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال : مابي رغبة عن أخي موسى ، عريش كعريش موسى .

وروى البيهقي عقبه عن الحسن في بيان عريش موسى عليه السلام ، قال : إذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف .

ولابن زبالة عن ابن شهاب : كانت سواري المسجد في عهد رسول الله ﷺ جذوعاً من جذوع النخل ، وكان سقفه جريداً وخوصاً ، ليس على السقف كثير طين إذا كان المطر سال المسجد طيناً ، انما هو كهيئة العريش .

وروى يحيى عن محمد بن يحيى صاحب مالك رضي الله عنه أنه قال : فيما كان انتهى الينا من ذرع مسجد النبي ﷺ من القبلة الى حده الشامي أربعة وخمسون

ذراعاً وثلثا ذراع ، وحده من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعاً .

قلت : وهو محمول على ذرعه قبل أن يزيد فيه ﷺ ، ثم استقر الأمر فيه على رواية المائة في مائة كما سنوضحه .

وقد اقتضى كلام ابن النجار ومن تبعه من المتأخرين : التعويل في ذرعه على رواية السبعين ، أي : من القبلة إلى الشأم . وفي الستين ، أي : من المشرق إلى المغرب ، ولم يعولوا على ذكر مازيد فيه . فقال ابن النجار : إن حدود مسجده ﷺ الذي كان في زمنه من القبلة الدرابزينات التي بين الأساطين التي في قبلة الروضة ، ومن الشأم الخشبتان المغروزتان في صحن المسجد . وأما من المشرق إلى المغرب ، فهو من حجرة النبي ﷺ إلى الاسطوان الذي بعد المنبر ، وهو آخر البلاط . اهـ .

والخشبتان غير معروفتين اليوم ، والمعروف اليوم حجران في صحن المسجد عند بالوعة هناك .

قال المطري : يذكر أنهما حد المسجد من الشام والمغرب ، وقد أوضحنا معنى هذه العبارة في الأصل ، وقد عبر بهما العز بن جماعة بدل الخشبتين في كلام ابن النجار ، وعبر في حد المغرب بقوله : إلى الاسطوانة السابعة من المنبر ، أي : التي بعد المنبر في المغرب ، وقد أدخل ابن النجار في الذرع من حد القبلة عرض جدار المسجد النبوي الذي كان بينه وبين المنبر النبوي قدر ممر الشاة ، لأن جدار المسجد من المسجد ، فهو داخل في الذرع المتقدم ، فاندفع استشكال المطري ، بأن الدرابزينات المذكورة بينها وبين المنبر مقدار أربعة أذرع وربع ذراع ، فكيف يكون الحد من جهة القبلة ! وقال : بل هي متقدمة على الحائط القبلي ، إذ المنبر لم يغير من جهة القبلة . اهـ .

قلت : لكن قد غير المنبر بعد المطري من جهة القبلة أيضا كما أوضحناه في

الأصل ، وصار بين المنبر في زماننا وبين الدرابزينات المذكورة ثلاث أذرع ونصف فقط ، وبنى المطري على ذلك أن الحجرين المذكورين ليسا على ذرعة المسجد الأول يعني السبعين لتقدمها إلى جهة القبلة بنحو أربع أذرع .

ولو اعتبر الذرع من الدرابزينات المذكورة لم يقل ذلك ، فقد اختبرتـــه بالذراع الذي قدمنا وصفه في حدود الحرم ، فكان ذلك سبعين ذراعاً . والذي في كتاب ابن زبالة من أصحاب مالك رحمه الله ، وكتاب يحيي من أصحاب أصحابه عن جماعة من أهل العلم ، أن علامة حد المسجد النبوي من جهة القبلة ، حروف المومر ، أي : الرخام الذي المنبر وسطه .

ذكر ابن زبالة في وصفه هذا الرخام : أنه كان ثلاث أذرع في قبلة المنبر ، ومن غربي المنبر مثل ذلك ، ومن شرقيه مثل ذلك .

قلت : وقد انكشف لنا الرخام المذكور عند خفض أرض المسجد ، وحفرها لتكون مستوية مع أرض المصلى الشريف ، فظهرت حروفه من جهة القبلة متأخرة عن الدرابزينات المذكورة أرجح من ذراع ، فالدرابزينات المذكورة متقدمة عن حد المسجد في القبلة بهذا المقدار فقط ، وهـذا الرخام موجود اليوم تحت الحصباء والتراب الذي هناك ، فعلم أن من حد بذلك أدخل عرض جدار المسجد النبوي في التحديد ، لما رواه يحيى من أن عمر بن عبد العزيز أحضر رجالاً مـن قريش ، فأروه المسجد الأول ، فعلمه عمر فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعاً وأكثر من ذراع اه .

فمـا زاد على ذلك من الثلاث الأذرع الرخام في قبلة المنبر ، إنمـــا هو عرض الجدار .

وأما مانقله ابن زبالة ، ويحيى في حد المسجد من جهة الشأم ، فقد قالا عقب ماسبق : وعلامته من الشأم أربعة طيقان من ناحية المشرق والمغرب ، وعلامـــة

الطيقان الأربع أنهن مخضرات الأجواف بالفسيفساء كلهن ، أي بالفصوص الخضر المذهبة التي كان المسجد مزخرفاً بها قبل الحريق الاول ، وهي الفسيفساء .

قلت : ويوضح محل ذلك مانقله المرجاني عن الحارث المحاسبي أنه قال :ومنتهى طوله ، أي : المسجد النبوي من قبلته إلى مؤخره حد إتمام الرابع من طيقان المسجد اليوم ، ومازاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الاول .

قال يعني المحاسبي : وقد روي عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحـــذاء عضادة الباب الثاني من الباب الذي يقال له : باب عثمان رضي الله عنه ، أعني العضادة الآخرة السفلى ، وهو أربعة طيقان من المسجد . اه .

وباب عثمان هو المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام ، والثاني منـــه هو المعروف اليوم بباب النساء ، وقد كان باب النساء الرابع من أبواب المسجد مما يلي القبلة في جهة المشرق زمن مالك والمحاسبي ، كما أن باب الرحمة كان هو الرابع من أبوابه مما يلي القبلة في المغرب ، كما يؤخذ مما سيأتي ، فاتضح أن المراد من الطيقان أبواب المسجد ، وقد رأيت بعض الاقدمين عبر بذلك عن أبواب المسجد الحرام ، فاتضح رد ماعليه المتأخرون في تحديد المسجد النبوي ، وأن المعتمد رواية المائة في ذرعه دون غيرها ، لان مقدار ذلك يقرب من المائة ، ويزيد هذا وضوحاً أن في في كتاب ابن زبالة ويحيى في بيان حده من المشرق والمغرب مالفظه .

وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم : هو الى الفرضتين اللتـــين في الاسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية ، والتي في القبر ، وقد تلخص لنا من كلامه في مواضع أن مربعة القبر هي اللاصقة بجدار الحجرة الشريفة عندهـــا مقام جبريل كما سيأتي ، وكانت ركن رحبة المسجد في المشرق عند نهاية السقف القبلي قبل زيادة الرواقين الآتي ذكرهما في مؤخره ، وأن المربعة الغربية هي التي كانت ركن رحبة المسجد في المغرب مقابلة لمربعة القبر ، كما يصرح بـــه ماذكروه في بيان الحاجز الذي عمل لمنع ماء المطر من الرحبة أن يغشى المسقف القبلي ،والمربعة

الغربية اليوم مثمنة ، كما ثنوا ما ظهر من مربعة القبر بالرخام ، وما يلي الحجرة منها في الحائز باق على تربيعه ، فالأسطوانة التي دون المربعة الغربية هي الخامسة من الأساطين التي في غربي المنبر ، لأن السادسة من المنبر في محاذاة صف المربعة المذكورة ، فالخامسة من القبر هي المشار إليها بالتحديد ، كما سيأتي إيضاحه ، والأسطوانة التي دون مربعة القبر هي اللاصقة اليوم بالشباك الدائر على الحجرة ، وهي بين أسطوان الوفود ومربعة القبر ، وهي الخامسة من الأساطين التي في شرق المنبر ، فجدار الحجرة الأول كان فيما بين مربعة القبر والتي في غربها .

ولذا قال ابن زبالة عقب ما سبق : وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول : الجدار من المشرق في حد القناديل التي بين الأساطين التي في صفها أسطوانة التوبة ، وبين الأساطين التي تلي القبر ، وأروقة عمر بن عبد العزيز من ورائها في الأسطوانة التي تلي القبر . انتهى .

ويوضحه مانقله المرجاني عن الحارث المحاسبي ، لأنه ذكر في تحديد المسجد ستة أساطين شرقي المنبر ، وأن الجدار إلى القناديل ، ثم قال : والروضة مابين القبر والمنبر ، فما كان منها في الأسطوانة السادسة التي جددت هنالك ، عن يمين المنبر[1] ، فليس من المسجد الأول ، إنما كان من حجرة عائشة رضي الله عنها ، فوسع به المسجد ، وهو من الروضة . انتهى .

فيؤخذ منه أن الجدار كان في محاذاة القناديل الآخذة من القبلة إلى الشأم في الرواق الذي بين مربعة القبر وبين الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم ، فعمر بن عبد العزيز هو الذي أخره إلى الاسطوانة اللاصقة بالقبر .

وقد أسند ابن زبالة أيضاً عن غير واحد من أهل العلم : أن مسجده ﷺ

---

(١) قوله : عن يمين المنبر ، غير ظاهر ، ولعل الصواب : عن يسار المنبر ، وهذه السادسة غير موجودة اليوم .

كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر من الشق الآخر ، أي : الشرقي إلى أسطوانة التوبة ، أي : فاسطوانة التوبة وهي الرابعة من المنبر في المشرق كانت موضع الجدار ، فتكون الأساطين كانت ثلاثة في المشرق أيضاً ، ويكون جدار المغرب كان في موضع الأسطوانة الرابعة من المنبر في المغرب .

وقد صرح في موضع آخر : بأنه كان ثلاث أساطين مما يلي المشرق ، وثلاث أساطين مما يلي المغرب ، وهذا كله في البناء الأول ، لأنه ذكر عقبه علامات المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ مقدمه من مكة ، ثم قال : وعلامة مسجد رسول الله ﷺ الذي بناه مقدمه من خيبر ، قالوا : ترك رسول الله ﷺ المسجد من القبلة في تلك البنية على حده الأول ، وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الأسطوانة التي دون المربعة التي عند القبر ، وعلامة تلك الأسطوانة أن لها نجافاً طالعاً في الرحبة من بين الأساطين ، ومن المغرب إلى الأسطوانة التي تلي المربعة ، أي لكونها دون المربعة المذكورة في المغرب التي لها نجاف أيضاً من بين الأساطين ، وشهر ذلك بحجارة تحت الحصباء ، منها أزقة عند الأسطوانة التي بين أسطوانة التوبة وبين القبر في صف الاساطين التي لها نجاف ، ومن المغرب مثل ذلك بأزقة من حجارة في الارض . اه .

ولم أفهم معنى قوله: أزقة، وقد صرح في موضع آخر ببنيان ما استقر عليه الامر في المسجد النبوي ، فقال : إنه عن شرقي المنبر أربع أساطين ، وعن غربيه أربع أساطين اه .

فتلخص : أن جداره كان في موضع الاسطوانة الخامسة من الجهتين كما قدمناه ، إلا أنه يزيد على الاسطوانة الخامسة في المشرق شيئاً مما بينها وبين الاساطين اللاصقة بجدار القبر على ما سبق عن مالك وغيره : في كونه كان في موازاة القناديل هناك .

قلت : ويؤيد ذلك أنه قد ظهر عند تأسيس دعائم القبة الآتي ذكرها درج

عند باب مقصورة الحجرة الشامي في موازاة الحد المذكور يقابل الباب المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام ، فالظاهر : أنه كان هناك قبل نقله إلى محله اليوم ، وبهذا كله يظهر رد ماعليه المتأخرون في حدود المسجد النبوي ، وغلط من توهم منهم أن عمر بن عبد العزيز بنى حائزه على الحجرة من جهـــة المغرب في طرف الروضة الشريفة من المسجد ، وانتقصها بـه لاجل المصلحة ، فـــلم يبنه إلا في أرض الحجرة .

والظاهر : أن الجدار الداخل الذي عليه الحائز هو جدار الصفة ، وقد ذرعت من جدار الحائز المذكور إلى الاسطوانة الخامسة من المنبر في المغرب ، فكان نحو مائة ذراع ، إنما ينقص عنها نحو أربع أذرع أو خمس ، وقد كان في جدار القبلة تجاه الاسطوانة الخامسة من غربي المنبر التي كان أسفلها مربعاً طراز آخــــذ من سقف المسجد إلى العصابة السفلى الظاهرية ذهب في حريق زماننا ، وبقي موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين ، لم تذهب إلا عند هدم الجدار ، فقد كان علامة لما يحاذي نهـاية المسجد النبوي من هذه الجهة ، خلاف مازعمه المطري ، من أنه علامة لنهاية زيادة عثمان رضي الله عنه ، وهو مردود بلا شك لما سيأتي من أن عمر رضي الله عنه زاد من جهـــة المغرب دون المشرق ، وأنه جعل عرض المسجد مائة وعشرين ذراعاً ، فيكون زاد على المسجد الأصلي عشرين ذراعاً في هذه الجهة ، وهي أسطوانتان كما يعـلم بما ذكر في ذرع مابين كل أسطوانتين ، ولما سيأتي من أن عثمان رضي الله عنه زاد بعده في المغرب أسطوانة فقط ، وأن الوليد زاد بعده أسطوانتين ، وعليه استقر أمر الزيادة في المغرب ، ولا شك أن من الاسطوانة الخامسة المحاذية للطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربي اليوم خمس أساطين فقط ، فثلاث منها لعمر وعثمان رضي الله عنهما ، وثنتان للوليد ، فلو كان الطراز المذكور نهـاية زيادة عثمان رضي الله عنـه لكان بعده أسطوانتان للوليـد ، فتبقى ثلاث أساطين زيدت بعد الوليد ، ولا قائل به ، وإنما أوقع المطري في ذلك

اعتماده لان نهاية المسجد النبوي في المغرب الاسطوانة التي بعد المنبر ، وهو عجيب لانه جازم بأن موضع المنبر لم يغير باتفاق ، فكيف يجعل النبي ﷺ منبره الذي يقف عليه لمخاطبة أصحابه في طرف مسجده ، ولا يتوسطهم ، وإنما الصواب ما قدمناه ، وإنما أطلنا في ذلك لدفع ماتقدم من التوهم ، ولما اتضح ما أسلفناه للمقر الشجاعي شاهين الجمالي ناظر الحرم النبوي ، اتخذ لأعالي الاسطوانة الخامسة من المنبر من صف الاساطين التي في قبلة المنبر طرازاً متصلا بالسقف بدلا عن الطراز الذي كان تجاهها في جدار القبلة ، ونقش فيه ما حاصله : أن ذلك هو الذي استقر عليه الامر في نهاية المسجد النبوي وحده ، وفقنا الله وإياه لحفظ الحدود ، وألحقنا بالمقربين الشهود ، ويتفرع على ذلك ما قيل في اختصاص المضاعفة بالمسجد النبوي دون مازيد فيه ، وقد حققنا المسألة في الاصل فراجعه .

الفصل الثاني : في مقامه ﷺ للصلاة قبل تحويل القبلة وبعدها وما يتعلق به .

وفي « الصحيح » عن البراء بن عازب : كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ،فأنزل الله تعالى (قدنرى تقلب وجهك في السماء) [البقرة :١٤٤]، فتوجه نحو الكعبة ،وقال السفهاء من الناس وهم اليهود : (ما ولاّهمُ عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة : ١٤٢] .

وصلى مع النبي ﷺ رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الانصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

ولمسلم عنه ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً على الشك أيضاً .

وفي رواية له ، ولابن خزيمة وغيرهما عنه : ستة عشر شهراً من غير شك ، وكذا لاحمد بسند صحيح ، عن ابن عباس ، وللبزار والطبراني من حديث عمرو ابن عوف سبعة عشر شهراً . وكذا للطبراني عن ابن عباس ، وجمع بأن من جزم

بستة عشر افق من شهر القدوم ، وشهر التحويل شهراً ، وألغى الايام الزائدة ، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً . ومن شك تردد في ذلك ، إذ القدوم في ربيع الاول بلا خلاف ، والتحويل في نصف رجب من الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور . ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس . وقال ابن حبان : سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام ، بناءً على أن القدوم في ثاني عشر ربيع الاول .

وبقيت روايات شاذة أشرنا لها في الاصل ، منها : لابن ماجه : ثمانية عشر شهراً ، وخرج بعضهم عليها مافي الروضة عن ابن حبيب وأقره أنه قال : حولت في الظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان ، كان ﷺ في أصحابه ، فحانت الظهر في منازل بني سلمة ، فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين إلى القدس ، ثم أمر في الصلاة باستقبال القبلة وهو راكع في الركعة الثانية ، فاستدار ، واستدارت الصفوف خلفه ، فأتم الصلاة ، فسمي مسجد القبلتين . انتهى .

وليحيى عن سعيد بن المسيب : صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وصرفت القبلة قبل بدر بشهرين ، والثبت عندنا أنها صرفت في الظهر في مسجد القبلتين .

وقال ابن سعد : يقال : إنه ﷺ صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام ، فاستدار ودار معه المسلمون . ويقال : زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة ، وصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أمر ، فاستدار إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب ، فسمّي مسجد القبلتين .

قال ابن سعد : قال الواقدي : هذا أثبت عندنا .

وقال رزين : إن تحويل القبلة كان في بني سلمة بمسجد القبلتين في صلاة الظهر وقيل : كان في مسجد رسول الله ﷺ في صلاة العصر .

وفي « الصحيح » أن أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر .

قال الحافظ ابن حجر : التحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر ، ومر المار على قوم من الانصار وهم بنو حارثة ، والمار عباد بن بشر في صلاة العصر ، فأخبرهم ووصل الخبر أهل قباء في صلاة الصبح ، فلا منافاة بين الروايات .

وللطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ لما هاجر الى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس ، أمره الله ان يستقبل بيت المقدس ... » الحديث .

وفي رواية أنه كان يصلي إلى الكعبة ، ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة ، فنسخت مرتين .

وحكى ابن عبد البر الاختلاف في صلاته ﷺ بمكة ، هل كانت إلى الكعبة ، أو بيت المقدس ، ثم قال : وأحسن من ذلك قول من قال : كان يصلي بمكة مستقبل القبلتين يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس .

ولأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه .

وليحيى عن الخليل بن عبد الله الأزدي ، عن رجل من الانصار ، ان رسول الله ﷺ أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل ، فقال : ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كل جبل بينه وبين القبلة ، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة لايحول دون نظره شيء ، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام بيده ، فأعاد الجبال والشجرة والأشياء على حالها ، وصارت قبلته الى الميزاب .

وعن نافع بن جبير مرفوعاً : ماوضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت الى الكعبة ، فوضعتها أؤمها . وعن ابن شهاب مرفوعاً نحوه .

وفي « العتبية » قال مالك : سمعت ان جبريل عليه السلام هو الذي أقام لرسول الله ﷺ قبلة مسجده ، ورواه ابن شاذان من طريق مالك عن زيد بن اسلم ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، لكن بسند فيه ضعيف .

ولابن زبالة عن ابي هريرة رضي الله عنه . كان مصلاه ﷺ الذي صلى فيه الناس إلى الشأم في مسجده : ان تضع موضع الاسطوان المخلق اليوم خلف ظهرك ثم تمشي إلى الشأم حتى إذا كنت يمنى باب آل عثمان ، كانت قبلته ذلك الموضع .

وعبر عنه المطري بقوله : حتى إذا كنت محاذياً باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل عليه السلام ، والباب على منكبك الأيمن ، وأنت في صحن المسجد ، كانت قبلته في ذلك الموضع .

ثم قال المطري ما حاصله : إن الاسطوانة المخلقة هي التي خلف ظهر الإمام عن جهة يساره يعني المتوسطة في الروضة المعروفة بأسطوان عائشة الآتي بيانها ، مع قول ابن زبالة فيها : بأن النبي ﷺ صلى إليها المكتوبة بضعة عشر يوماً بعد أن حولت القبلة ، ثم تقدم إلى مصلاه الذي وجاه المحراب ، أي : الكائن في جدار القبلة ، ولذا ترجم عليها ابن النجار : بأسطوانة النبي ﷺ التي كان يصلي إليها ، أي : قبل أن يتقدم الى مصلاه الذي استقر عليه الأمر لإيراده في الترجمة كلام ابن زبالة هذا ، وهو قرينة لما قاله المطري في تنزيل الوصف بالمخلقة في رواية أبي هريرة رضي الله عنه هده عليها .

لكن قد ذكر ابن زبالة في بيان محل الجذع ، ومصلي النبي ﷺ الذي استقر عليه الامر ، عن عبد العزيز بن محمد ، أن الاسطوانة [1] الملطخ بالخلوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها [2] موضع الجذع الذي كان النبي ﷺ يخطب إليه ، بينها وبين القبلة اسطوانة ، وبينها وبين المنبر اسطوانة .

---

(١) صوابه : الاسطوان .

(٢) صوابه : بحذائها .

قال خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك : إذا عدلت عنها قليلا ، وجعلت الجزعة التي في المقام بين عينيك ، والرمانة التي في المنبر إلى شحمة أذنك ، قمت في مقام رسول الله ﷺ أي : الذي استقر عليه الأمر ، وهذه الأسطوانة المعينة بقول ابن النجار ، وكان الجذع موضع الأسطوانة المخلقة التي على يمين محراب النبي ﷺ عند الصندوق .

وسيأتي عن المطري ما يقتضي تصويب ما عبر به ابن زبالة في محل الجذع دون ما عبر به ابن النجار .

وعبر يحيى عن الرواية الثانية في الجذع المتضمنة لكونه عند الاسطوانة التي عن يسار المصلى الشريف من ناحية القبر ، يقول : كان موضعه عند الاسطوانة المخلقة التي تلي القبر ، أي : تلي جهته التي عن يسار الاسطوانة المخلقة التي كان النبي ﷺ يصلي عندها التي هي عند الصندوق ، هذا لفظه ، وهو مصرح بأن كلًا من الاسطوانتين يوصف بالمخلقة ، وأن التي عند الصندوق هي التي كان النبي ﷺ يصلي عندها ، أي : وهي التي تكون محاذية ليمين الواقف في المصلى الشريف .

وقد ذكر ابن زبالة ما يقتضي أنها علم للمصلى الشريف ، فقال في أمر الخيزران بتخليق المسجد ، فزادوا في خلوق اسطوانة التوبة ، والاسطوانة التي هي علم على مصلى النبي ﷺ .

وقال ابن النجار : قال مالك بن أنس : أرسل الحجاج إلى أمهات القرى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة بمصحف ، وكان في صندوق عن يمين الاسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي ﷺ .

قلت : وبهذا وبما قبله يعلم أن وضع الصندوق عند المصلى الشريف كان قديماً ، وأنه كان صندوق مصحف . ولذا ثبت في « الصحيح » قول يزيد بن عبيد : كنت آتي مع سلمة بن الاكوع ، فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف ،

فقلت : إنك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة ، قال : فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها .

ولمسلم : أنه كان يتحرى موضع المصحف يسبح فيه ، وذكر أن النبي ﷺ كان يتحرى ذلك . وفي رواية له : وراء الصندوق .

ولابن زبالة : كنت آتي مع سلمة إلى سبحة الضحى ، فيعمد إلى الاسطوانة دون المصحف ، فيصلي قريباً منها . ومن العجيب توهم بعضهم أن المراد بذلك كله أسطوانة عائشة رضي الله عنها ، لما سبق عن المطري من وصفها بالمخلقة ، مع ماسبق من أن الصندوق عند المخلقة ، وقد اتضح بما سبق إطلاق المخلقة على أساطين متعددة .

وفي « العتبية » وصف اسطوانة التوبة أيضاً بالمخلقة ، بل لم أر ما سبق عن المطري من وصف أسطوانة عائشة بالمخلقة لغيره ، وتبعه عليه من بعده ، حتى صار هو المشهور .

والظاهر : أن المخلقة حيث أطلقت فإنما يراد بها التي هي علم المصلى الشريف ، فقد قال مالك : أحب مواضع التنفل في مسجد رسول الله ﷺ مصلاه حيث العمود المخلق . وعبر ابن وهب عن ذلك بقوله : أما النافلة فموضع مصلاه ، وأما الفريضة فأول الصفوف . وقال ابن رشد : كون العمود المخلق كان قبلة النبي ﷺ أو أقرب إلى قبلته ، قول ابن القاسم وسماعه .

قلت : وليس ذلك خلافا محققاً ، بل المراد كونه أقرب إلى قبلته ، فقد حكى ابن رشد أيضاً قول مالك في « العتبية » : ليس العمود المخلق قبلة النبي ﷺ وقبلة النبي ﷺ هو حذو قبلة الإمام ، أي : المحراب بالجدار القبلي ، قال : وإنما قدمت القبلة حذو قبلة النبي ﷺ سواء . انتهى .

ولم يكن للمسجد محراب في عهده ﷺ ، ولا في عهد الخلفاء بعده ، حتى اتخذه عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد ، واحتاط في أمره .

قال ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده : لمـــا صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة ، دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي ، فقال لهم : تعالوا إليّ ، احضروا بنيان قبلتكم ، لا تقولوا : غير عمر قبلتنا ، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً .

قال المطري : وكان الحائط القبلي يعني الأول محاذياً لمصلى النبي ﷺ لما ورد أن الواقف في مصلى النبي ﷺ تكون رمانة المنبر الشريف حذو منكبه الأيمن ، فمقام النبي ﷺ لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول ، وإنما جعل هـــذا الصندوق الذي في قبـلة مصلى النبي ﷺ سترة بين المقام وبين الاسطوانات . انتهى .

وتوهم الأقشهري أن الصندوق المذكور في موضع مصلى النـبي ﷺ ، وأن موقف الإمام اليوم خلفه ، وهو غلط كما أوضحناه في الأصل ، وقد قال محمد بن يحيى صاحب مالك : وجدنا ذرع مابين مسجد النبي ﷺ الذي كان بعهده إلى جدار القبلة اليوم الذي فيه المحراب عشرين ذراعا وربعاً . وهـذه هي الزيادة التي زيدت بعد النبي ﷺ . اهـ .

قال الزين المراغي : وقد اعتبرته من وجه سترة مصلى النبي ﷺ إلى جدار القبلة ، فكان كذلك ، وبه يظهر أن المصلى الشريف لم يغير عن مكانه ، وأن الصندوق إنما جعل في مكان الجدار الأول . انتهى .

وقد اعتبرت ما ذكره من جدار القبلة قبل هدمه إلى طرف صندوق السترة الذي يلي المصلى هناك ، فكان ذلك احدى وعشرين ذراعاً ونصفاً وربعاً ، يرجح قيراطاً ، واتضح لنا من شهود اللبن القديم الذي أخرج من الحجرة ، ومن مشاهدة عرض جدارها ، أن عرض الجدار كان ذراعاً ونصفاً راجحا ، فـــإذا أسقط كان الباقي عشرين ذراعاً وربعاً ، ووضع الصندوق هنـاك من الأمر القديم كما سبق ،

ولذا قال النووي في « مناسكه » ، وفي « الإحياء » : إنه — يعني المصلي — يجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله ﷺ . اهـ .

واستقبال السارية بأن يجعلها تلقاء جهة يمينه ، فيقف في طرف حوض المصلى مما يلي الاسطوانة المذكورة لما سبق من قول ابن زبالة عن غير واحد : وإذا عدلت عنها قليلا وجعلت الجزعة بين عينيك . الخ .

وقد اتضح لنا محل المنبر الأصلي شبه حوض من حجر كما سيأتي ، في جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان في الحجر ، بها آثار الرصاص بحيث لايخفى على من أحاط علماً بأوصاف المنبر القديم أنها محل عموديه اللذين كان بأعلاهما رمانتاه ، كانا محكمين بالرصاص في تينك الفرضتين ، فقمت في طرف المصلى الشريف الذي يلي المنبر ، وأقمت في الفرضة التي تلي الروضة عموداً ، فكان ذلك في محاذاة يميني .

وأما التعريف بالجزعة والدائرة ، فإنما كان ذلك قبل الحريق الأول كما قال المطري ، لأن اللوح الخشب الذي جعل في قبلة الصندوق بعد الحريق المذكور يحجب عن مشاهدة مافي المحراب القبلي .

قال : وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة يجتمع إليها النساء والرجال ، ويقال : هذه خرزة فاطمة الزهراء ، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها ، فربما وقعتا وانكشفت العورة ، فأمر بقلعها الصاحب زين الدين أحمد بن محمد المصري المعروف بابن حناء في مجاورته سنة إحدى وسبعمائة ، وفيها أزال أيضاً بدعة العروة الوثقى من الكعبة .

قلت : ولعل هذه الجزعة المشار إليها بقول ابن عبد ربه : وعلى ترس المحراب يعني بجدار القبلة فضة ثابتة غليظة في وسطها مرآة مربعة ، ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها ، ثم فوقه إزار رخام فيه نقوش تحتها صفائح ذهب مثمنة ،

فيهـا جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلق بخلوق فيه الوتد الذي كان صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأول . اهـ .

وقد وسع المحراب القبلي عما كان عليه ، وزيد في طوله ، وتغير عن محله بعد الحريق الثاني ، وأبدل الصندوق الذي كان أمام المصلى النبوي ، واللوح الذي كان في قبلته بدعامة فيها محراب مرخم مرتفع يسيراً عن أرض حوض المصلى الشريف ، ووسع الحوض المذكور يسيراً على يد متولي العمارة الشمس ابن الزمن ، فمن تحرى في القيام محاذاة هذا المحراب ، كان المصلى الشريف عن يمينه لما سبق عن «الإحياء» وغيره ، فينبغي تحري طرف الحوض المذكور الذي يلي المنبر ، فقد ذرعت مابين محل المنبر الأصلي وبين الطرف المذكور ، فكان أربع عشرة ذراعاً وشبراً ، كما حرره ابن زبالة صاحب مالك وغيره في ذرع ما بين المنبر والمصلى الشريف ، وكذا اختبرت ما بين هذا الطرف وبين أسطوانة التوبة في المشرق ، فوافق ما ذكره ابن زبالة أيضاً .

وذكر أبو غسان صاحب مالك : أن ما بين الحجرة الشريفة في المشرق ، وبين مقام النبي ﷺ ثمان وثلاثون ذراعاً ، وأن مابينه وبين المنبر الشريف أربع عشرة ذراعاً وشبراً ، وقد اختبرته من الجهتين ، فلم يصح إلا إلى طرف الحوض الغربي ، فعلم أن الزيادة وقعت فيه شرقياً ، وأن المحافظ عليه طرفه الغربي ، ولذا قال أبو غسان كما سبق قبيل الباب الثالث : إن ذرع ما بين المنبر والقبر يعني جداره ثلاث وخمسون ذراعاً ، وجملة ما ذكره من الذرع هنا اثنتان وخمسون ذراعاً وشبراً ، فبقية الذراع الثالث والخمسين هو عرض الموقف ، وعرض هذا الحوض ذراعان ونصف وثمن ، وكان ينزل إليه بدرجة لارتفاع أرض مقدم المسجد عن أرضه نحو الذراع لتكاثف ما يفترش به المسجد من الحصباء على طول السنين ، فوطىء مقدم المسجد ، وخفض حتى ساوى أرض الحوض المذكور ، ولله الحمد .

وسماه ابن جبير في رحلته : بالروضة الصغيرة . وقال : إن الإمام يصلي بالروضة الصغيرة التي إلى جانبها الصندوق . قال : وبإزائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال : إنه على بقية الجذع الذي حن للنبي ﷺ ، وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ، وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق . انتهى .

ولما سقطت أساطين الروضة في حريق زماننا ، ظهر في بعضها قطع من جذوع النخل مثبتة بالرصاص المجعول في جوف خرز الأساطين ، وهذا لا يصنع إلا للتبرك ، وأظنه من الجذوع التي كانت في زمنه ﷺ ، وكذا ما وجد من اللبن القديم بين الحجارة الموجودة في جدار الحجرة عند عمارتها ، فهو شاهد لما ذكر ابن جبير ، لكن ذكر المجد اللغوي أن الاسطوانة التي هي علم للمصلى الشريف ، كان بها خشبة ظاهرة محكمة تقول الناس : إنها من الجذع الذي حن للنبي ﷺ ، وأن المطري قال : إن الامر ليس كذلك ، وأن العز ابن جماعة أمر بإزالتها ، فأزيلت عام خمس وخمسين وسبعمائة .

قال المجد : ورأى بعض العلماء أن إزالتها كانت وهماً منها ، وأن الظاهر كونها من الجذع . انتهى . ولم ينقل بقاء شيء من الجذع غير أنه كان قريباً من هذه الاسطوانة ، والظاهر : أن العود الذي كان يستمسك به النبي ﷺ في قبلته ، ثم يلتفت لتسوية الصفوف ، جعل في تلك الاسطوانة لقربها من محله الأول ، فبقيت منه تلك البقية فيها ، وإن ذكر ابن النجار أنه موجود في زمانه بالمحراب القبلي ، وسبق عن ابن عبد ربه مايقتضيه لاحتمال أنه لم يثبت كله هناك :

تنبيه : بوب البخاري لقدركم ينبغي أن يكون بين المصلي والسترة ، ثم روى حديث : كان بين مصلى رسول الله ﷺ ، وبين الجدار ممر الشاة ، وحديث : كان جدار المسجد عند المنبر ، ما كادت الشاة تجوزها ، أي : المسافة وهي مابين المنبر والجدار .

وقوله : كان بين مصلى رسول الله ﷺ أي : مقامه في صلاته ، كما في رواية أبي داود .

وقوله : وبين الجدار ، أي : جدار المسجد مما يلي القبلة كما صرح به في « الاعتصام » فلم يرد بالمصلى موضع السجود ، وإن قاله النووي .

واشار البخاري بالحديث الثاني كما قال ابن رشد إلى قيامه ﷺ في الصلاة على منبره لما عمل ، فاقتضى أن مابين المبني والجدار ، وهو ممر الشاة يؤخذ عنه موضع قيام المصلي ، وإن اقتضى التأخر عند السجود ، فقد ثبت رجوعه ﷺ القهقرى للسجود في صلاته على المنبر ، ولايخفى مافي قول ابن الصلاح : وقدروا ممر الشاة بثلاث أذرع إذ هي حريم المصلى ، لحديث : صلاته ﷺ في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع كما في « الصحيح »

وجمع الداودي : بأن الأقل ممر الشاة ، والأكثر ثلاث أذرع ، وقيل :الأول في حال القيام والقعود ، والثاني في حال الركوع والسجود .

وقال البغوي : يستحب الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود .

ولأبي داود : اذا صلى احدكم الى سترة ، فليدن منها لايقطع الشيطان عليه صلاته .

وروى يحيي بسند فيه ضعيف ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أرى صفحة خد رسول الله ﷺ في مسجده اليمنى يتيامن .

وعن عروة قال : كان الزبير بن العوام وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتيامنون ويقولون : البيت تهامي .

قال يحيي عقبه : سمعت غير واحد من مشايخنا ممن يقتدى به يقول : المنبر على القبلة . انتهى .

وقد قال أصحابنا : كل موضع صلى فيه رسول الله ﷺ وضبط موقفه تعين، ولا يجتهد فيه بتيامن ولا بتياسر ، لأنه صواب قطعاً ، إذ لا يقر على خطأ ، بخلاف محاريب المسلمين ، فيجتهد فيها باليمنة واليسرة ، وقد اتضح أن الحوض الذي ظهر به آثار المنبر القديم متيامن ، كما يظهر من موضع منبر زماننا عليه ، فإني حرصت على بقائه .

الفصل الثالث في خبر الجذع والمنبر ، وما يتعلق بهما وبالأساطين المنيفة .

في « الصحيح » : كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر ، فكان عليه ، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار .

وللنسائي : اضطربت تلك السارية ، فحنت كحنين الناقة الخلوج : أي : التي انتزع ولدها .

ولأحمد وابن ماجه : فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع ، وانشق . وفيه : فأخذ أبي بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد ، فلم يزل عنده حتى بلي وعاد رفاتاً .

وعند الدارمي : فأمر به ﷺ أن يحفر له ويدفن :

ولابن زباله تحت المنبر : وقيل : دوين المنبر عن يساره ، وقيل : شرقيه إلى خلفه ، وقيل : دفن في موضعه الذي كان فيه .

وفي « التحفة » جاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فحولوها [1] .

وفي « مسند الدارمي » من حديث بريدة : كان النبي ﷺ إذا خطب قام ، فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه : فأتي بجذع نخلة ، فحفر له ، وأقيم إلى جنبه قائماً للنبي ﷺ ، فكان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام عليه ، استند فاتكأ عليه ، فبصر به رجل ورد المدينة ، فقال : لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به ، لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وإن شاء قام ، فبلغ النبي ﷺ

---

(١) أي : السارية .

فقال : ائتوني به ، فأتوه به ، فأمره ﷺ أن يصنع له المراقي الثلاث ، أو الأربع » ، وهي الآن في مسجد المدينة ، فوجد النبي ﷺ في ذلك راحة ، فلما فارق الجذع وعمد إلى هذه التي صنعت له ، جزع الجذع ، فحن كما تحن الناقة ، فزعم ابن بريدة عن أبيه : أن النبي ﷺ حين سمع حنينه رجع إليه ، فوضع يده عليه وقال ، اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت أن أغرسك في الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها ، فتحسن زينتك ، وتثمر ، فيأكل أوليـاء الله من ثمرتك ، وتخلد ، فعلت ، فزعم أنه سمع من النبي ﷺ وهو يقول له : نعم قد فعلت مرتين ، فسئل النبي ﷺ ، فقال : اختار أن أغرسه في الجنة .

وفيه عند عياض : قال : اختار دار البقاء على دار الفناء ، وكان الحسن إذا حدث به بكى وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه .

قال عياض : وحديث حنين الجذع مشهور ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر رجلاً .

واعتمد المطري في بيان محل الجذع على ماسبق عن ابن زبالة في الفصل قبله ، فقال : وكان هذا الجذع عن يمين مصلى رسول الله ﷺ لاصقاً بجدار المسجد القبلي في موضع كرسي الشمعة اليمنى التي توضع عن يمين الإمام المصلي في مقام رسول الله ﷺ ، والأسطوانة التي قبلي الكرسي ، متقدمة عن موضع الجذع ، فلا يعتمد على قول من جعلها في موضع الجذع .

قلت : يشير إلى رد ما سبق عن ابن النجار ، من أن الجذع كان في موضعها .
وأما الرواية الأخرى المتقدمة عن يحيى في ذلك ، فشاذة أو مؤوّلة .
وفي « الأوسط » للطبراني بسند ضعيف : أن رسول الله ﷺ كان يصلي

إلى سارية في المسجد ويخطب إليها ، ويعتمد عليها ، فأمرت عائشة رضي الله عنها ، فصنعت له منبره هذا ... فذكر الحديث .

وأشهر الأقوال : أن الذي صنع المنبر : « باقوم » بموحدة وقاف ، قيل : وهو باني الكعبة لقريش ، وقيل : باقول باللام بدل الميم ، وأشبه الأقوال بالصواب فيما قاله الحافظ ابن حجر : إنه ميمون ، وقيل : صباح غلام العباس ، وقيل : غلامه كلاب ، وقيل : مينا غلام امرأة من الأنصار .

وليحيى عن أنس : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها ، فلما كثر الناس قال : ابنو لي منبراً ، فبنوا له منبراً له عتبتان ، وكأنه أطلق اسم البناء على تأليفه من خشبة[1] . لكن حكى بعض أهل السير أنه كان يخطب على منبر من طين أولاً .

وفي بعض طرق حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان : كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه ، فيجيء الغريب ، فلا يدري أيهم هو ، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه ... الحديث » .

وفي بعض طرقه : أنه جاء والنبي ﷺ يخطب أي على ذلك الدكان ، ولعله المراد بما سبق في الفصل الرابع من الباب الأول من قوله في حديث قدومه ﷺ ، ووعك أصحابه : أنه جلس على المنبر ، ثم رفع يديه ... الحديث » ، فإنه في بدء الهجرة .

وفي « الصحيح » في قصة الافك : ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، وهي متقدمة كثيراً على ما جزم به ابن سعد من أن اتخاذه كان سنة سبع .

وجزم ابن النجار بأنه كان في الثامنة ، ويرجحه ذكر تميم والعباس في قصة

---

(١) وفى رواية : من خشب .

عمله من خشب . وفي الهبة من « صحيح البخاري » ، فجاؤوا به يعني المنبر ، فاحتمله النبي ﷺ ، فوضعه حيث ترون .

وفي رواية ليحيى : انه درجتان ومجلس ، نقله ابن النجار عن الواقدي .

وللدارمي في صحيحه[1] عن أنس : فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة . وسبق في رواية للدارمي هذه المراقي الثلاث أو الأربع على الشك . وفي « صحيح مسلم » : هذه الثلاث درجات من غير شك ، فأطلق على المجلس درجة .

وليحيى عن ابن أبي الزناد : أن النبي ﷺ كان يجلس على المجلس ، ويضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه ، قام على الدرجة الثانية ، ووضع رجليه على الدرجة السفلى ، فلما ولى عمر رضي الله عنه ، قام على الدرجة السفلى ، ووضع رجليه على الأرض إذا قعد ، فلما ولي عثمان رضي الله عنه ، فعل ذلك ست سنين من خلافته ، ثم علا إلى موضع النبي ﷺ ، قالوا : فلما استخلف معاوية زاد في المنبر ، فجعل له ست درجات ، وكان عثمان أول من كسا المنبر قبطية ، قالوا : فلما قدم معاوية عام حج ، حرك المنبر وأراد أن يخرجه إلى الشآم ، فكسفت الشمس يومئذ حتى رؤيت النجوم ، فاعتذر معاوية رضي الله عنه إلى الناس وقال : أردت أنظر إلى ما تحته ، وخشيت عليه من الأرضة .

وفي رواية له : ان معاوية كتب إلى مروان بذلك ، فقلعه ، فأصابتهم ريح مظلمة بدت فيها النجوم نهاراً ، فقال مروان : إنما كتب إلي أن أرفعه من الأرض ، فدعا النجاجرة ، فعمل هذه الدرجات ، ورفعوه عليها وهي يعني الدرجات التي زادها ست درجات ، ولم يزد فيه أحد قبله ولا بعده .

قال ابن النجار فيما رواه عن ابن أبي الزناد : إنه صار بما زاد فيه مروان تسع درجات بالمجلس ، فلما قدم المهدي قال لمالك : أريد أن أعيده على حاله ،

---

(١) وهو خطأ ، صوابه : مسنده .

فقال له مالك : إنما هو من طرفاء الغابة ، وقد سمر إلى هذه العيدان ، وشد ، فمتى نزعته خفت أن يتهافت ، فانصرف المهدي عن ذلك .

قال ابن زبالة : وطول منبر النبي ﷺ خاصة ذراعان في سماء ، وعرضه أي عرض مقعده ذراع في ذراع ، وتربيعه سواء ، وعرض درجه شبران ، لأن كل درجة شبر ، وقد أوضحنا بقية ماذكره من وصفه في الاصل مع ما ذكره ابن النجار ، وأن طول المنبر في السماء بعد ما زيد فيه أربع[1] أذرع ، وصار امتداده في الارض سبع أذرع بتقديم السين بإضافة عتبة الدكة الرخام التي المنبر فوقها ، وتلك العتبة ذراع ، فامتداد المنبر بدونها ست أذرع ، وبينا وهم من نقل خلاف هذا ، وقد سمى ابن النجار الرخام الذي كان المنبر عليه دكة لارتفاعه كما قال : شبراً وعقداً .

وسماه ابن جبير في رحلته : حوضاً ، قال : وارتفاعه شبر ونصف ، وقد ظهرت لنا كذلك عند خفض أرض مقدم المسجد ، ولما حفرت من أجل تأسيس المنبر الرخام اتضح أنها مجوفة كالحوض ، وما بين فرضتي عمودي المنبر فيها خمسة أشبار .

وقد ذكر ابن جبير أن ذلك سعة المنبر ، قال : وهو مغشى بعود الابنوس ، ومقعد رسول الله ﷺ ظاهر من أعلاه ، وقد طبق عليه لوح من الابنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه ، فيدخل الناس أيديهم إليه للتبرك به ، وهو شاهد لقول سند في الطراز : إنه جعل على المنبر النبوي منبراً كالغلاف ، وجعل في المنبر الاعلى طاق مما يلي الروضة يدخل الناس منها أيديهم يمسحون المنبر النبوي ، ويتبركون به . انتهى . وكان هذا مما تجدد بعد ابن زبالة .

لكن ابن النجار أدرك هذا المنبر ، وهو المراد من وصفه كما أوضحناه في الاصل .

---

(١) لعله أربعة أذرع بالتاء المثناة ، وكذا ماتجده من قوله : ست وسبع .

وقال المطري : حدثني يعقوب بن أبي بكر من أولاد المجاورين ، وكان أبوه أبو بكر فراشاً بالمسجد ،كان حريقه يعني الاول على يـده : ان المنبر الذي زاده معاوية ، ورفع المنبر النبوي عليه ، تهافت على طول الزمان ، وأن بعض خلفاء بني العباس جدّده ، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبي ﷺ أمشاطاً للتبرك ، وعمل المنبر الذي ذكره ابن النجار .

قال يعقوب : سمعت ذلك من جماعة بالمدينة يوثق بهم ، وأن المنبر المحترق هو الذي جدّده الخليفة المذكور ، وهو الذي أدركه ابن النجار ، لان وفاته قبل الحريق المذكور .

قلت : ابن عساكر تلميذ ابن النجار ، وقد أدرك الحريق المذكور ، وذلك المنبر ، ومع ذلك قال في « تحفته » : قد احترقت بقايا منبر النبي ﷺ القديمة ، وفات الزائرين لمس رمانة المنبر التي كان يضع ﷺ يده الكريمة عليها ، ولمس موضع جلوسه ، ولمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة ، وفيه ﷺ عوض من كل ذاهب .

قلت : ولما حفروا جوف الدكة المتقدمة لتأسيس هذا المنبر ، شاهدت فيما يلي القبلة منها قطعاً كثيرة من أخشاب المنبر المحترق أعني الذي كان فيه بقايا المنبر النبوي ، وضعت حرصاً على إبقاء البركة بذلك المحل ، وقد أعيد مابقي من تلك الاخشاب لذلك المحل عند تأسيس هذا المنبر الرخام ، ولما احترق المنبر المذكور في حريق المسجد سنة أربع وخمسين وستمائة كما سيأتي ، أرسل المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين وستمائة منبراً له رمانتان من الصندل ، فنصب في موضع المنبر النبوي ، فخطب عليه عشر سنين ، ثم أرسل الظاهر ركن الدين البندقداري منبراً ، فقلع منبر صاحب اليمن ، ونصب منبر البندقداري مكانه ، وطوله أربع أذرع في السماء ، ومن رأسه إلى عتبته سبع أذرع يزيد قليلاً ، وعدد درجه تسع بالمقعد ،

وبقي يخطب عليه إلى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة .

قال المراغي : فبدا فيه أكل الأرضة ، فأرسل الظاهر برقوق منبراً آخر سنة سبع وتسعين ، فقلع منبر الظاهر بيبرس . انتهى .

واستمر منبر برقوق إلى أن أرسل المؤيـــد منبراً عـام عشرين وثمانمائة ، فقلع منبر برقوق .

وجعل الحافظ ابن حجر منبر المؤيد هذا بدل منبر بيبرس ، لأنه لم يطلع على إتيـان منبر برقوق ، ومنبر المؤيد هـذا هو المحترق في زماننا سنـة ست وثمانين وثمانمائة ، ولم يكن وضعه من جهة القبلة صحيحاً ، بل قدّم لجهة القبلة ، إذ بينه وبين الدرابزين الذي في قبـلة الروضة ثلاثة أذرع ونصف فقط ، وقـد سبق عن المطري : أن ذرع مابينهما أربـع أذرع وربـع .

وقـال العز ابن جماعـة : ثلاث أذرع بذراع العمل ، وهي تزيـد على ماقاله المطري يسيراً ، إلا أن يريد الذراع المستعمل بالمدينة ، فيوافقه .

ثم اتضح لنا من ظهور الحوض المتقدم وصفه الذي بـه الفرضتان لقوائم المنبر النبوي صواب ماقاله المطري وغيره ، وأن هـذا المنبر مقدّم الوضع في القبلة بمـا يقرب من ذراع ، وكذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضاً على دكة الحوض المذكور نحو ذراع أيضاً ، لأنه جيء بـه مصنوعا وكان كبيراً ، فقدموه لجهة القبلة خشية من تضييق الرواق أمام المنبر ، فظهر أنه محرف عن وضع تلك الدكة التي بأسفله من طرفه الشامي نحو المغرب قدر شبر لما سبق في التنبيه بالفصل قبله من تيامن الدكة المذكورة ، وكان طوله في السماء دون قبته ، وقوائمها ستة أذرع وثلث ، وامتداده في الأرض ثمانية أذرع ونصف راجحة ، وعدد درجة تسع بالمقعد ، وارتفاع المقعد ذراع ونصف ، ولما احترق بنى أهل المدينة في موضعه منبراً من آجر طلي

بالنورة ، وجعلوه على حدوده ظناً منهم صواب وضعه ، واستمر يخطب عليه إلى أثناء رجب سنة ثمان وثمانين ، فهدم وحفر لتأسيس هذا المنبر الرخام الأشرف قايتباي ، ونقضت الدكة المتقدم وصفها من جانبها الشامي ، وحفروا منها نحو القامة في الأرض ، ولم يبلغوا نهايتها ، فعلموا إحكامها وأعادوها ، وسوّوا ما كان مجوّفاً منها ، وحرصت في وضعه على أن تتبع[1] به محل المنبر الأصلي من ناحية القبلة والروضة ، لأنه الذي حرص عليه الأقدمون في اتباع وضعه ﷺ ، وإنما زيد فيه من جهة الشام والمغرب ، فلم يوافق على ذلك متولي العمارة لغلبة الحظوظ النفسية ، وزعم أن المعوّل عليه ما وجده من آثار المنبر المحترق في زماننا ، لا ما ذكره الأقدمون من المؤرخين ، وما شهد به الحال من ظهور حوض الدكة المتقدمة ، وآثار القوائم بها ، فوضعه مقدماً للقبلة عن الحوض المذكور بعشرين قيراطاً من ذراع الحديد ، وزاد في تحريفه لجهة المشرق عن تيامن الحوض ، فستر محل فرضة عمود المنبر مما يلي الروضة وجاوزها بمقدار خمس أصابع انتقص بها الروضة المستفادة من تحديده ﷺ ، ولم يبال بتفويت ولي الأمر المنقبة العظيمة في إعادة حدود المنبر النبوي المحافظ عليها ، مع أن هذا المنبر الرخام أقصر في الامتداد في الأرض من المحترق بنحو ثلاثة أرباع ذراع ، وعدد درجه كالمحترق ومحل فرضة العمود الأصلي منه قبيل عموده بأزيد من قيراط على نحو ذراعين ، وشيء من طرفه القبلي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقد سبق أن عثمان أول من كسا المنبر ، وقيل : معاوية رضي الله تعالى عنهما .

وفي زماننا يجعل على بابه في يوم الجمعة ستر من حرير يؤتى به من مصر ، وكذا المصلى النبوي ، وذلك مع كسوة الحجرة الشريفة ، وسيأتي الكلام عليها .

وأما الأساطين المنيفة ، فمنها الاسطوانة التي هي علم على المصلى الشريف ،

---

(١) لعله : اتبع ، وفي نسخة قلمية : على أن نتبع بالنون وهي مناسبة لقوله الآتي في اتباع وضعه صلى الله عليه وسلم ، وفي نسخة أخرى قلمية: على أن يتبع به وهي أوضح .

وتقدم أنها تعرف بالمخلق ، وأن الجذع الذي كان يخطب عليه ﷺ ويتكىء عليه كان أمامها ، وأنه كان في محل كرسي الشمعة هناك ، وأن سلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عندها .

ومنها : أسطوانة عائشة رضي الله عنها ، وتعرف بأسطوانة القرعة والمهاجرين ، ووصفها المطري بالمخلقة ، نقل ابن زبالة أنها الثالثة من المنبر ، والثالثة من القبر ، والثالثة من القبلة ، والثالثة من الرحبة ، أي : قبل زيادة الرواقين الآتي ذكرهما متوسطة للروضة صلى إليها النبي ﷺ المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوماً ، ثم تقدم إلى مصلاه الذي وجاه المحراب في الصف الاوسط ، وان أبا بكر وعمر والزبير ، وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها ، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ، ويقال لذاك المجلس : مجلس المهاجرين .

وفي « الأوسط » للطبراني عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن في مسجدي لبقعة قبل هذه الأسطوانة ، لو يعلم الناس ما صلوا فيها إلا أن يطير لهم قرعة » وعند عائشة رضي الله عنها جماعة من أبناء الصحابة ، فقالوا : يا أم المؤمنين ، وأين هي ؟ فاستعجمت عليهم ، ثم خرجوا ، وثبت عبد الله بن الزبير ، فقالوا : إنها ستخبره ، فارقبوه في المسجد حتى تنظروا حيث يصلي ، فخرج بعد ساعة ، فصلى عند الأسطوانة التي صلى إليها عامر بن عبد الله ابن الزبير ، فقيل لها : أسطوانة القرعة ، قال عتيق : وهي الواسطة بين القبر والمنبر ، وذكر ما تقدم من وصفها .

ورواه ابن النجار أخذاً من ابن زبالة بلفظ : لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان ، فسألوها عنها ، فأبت أن تسميها ، فأصغى إليها ابن الزبير ، فسارته بشيء ، ثم قام فصلى الى التي يقال لها : اسطوانة عائشة رضي الله عنها .

وفي خبر ابن زباله : متيامناً الى الشق الأيمن منها ، وزاد ابن النجار في خبر صلاة المكتوبة إليها بضعة عشر يوماً ما لفظه : وكان يجعلها خلف ظهره ، والمراد أنه كان يستند إليها إذا جلس هناك ، لاجعلها كذلك في الصلاة اليها ، لما رواه هو عن زيد بن أسلم قال : رأيت عند تلك الاسطوانة موضع جبهة النبي ﷺ ، ثم رأيت دونه موضع جبهة أبي بكر رضي الله عنه ، ثم رأيت دون موضع أبي بكر موضع جبهة عمر رضي الله عنه .

وفي خبر ابن زبالة ، عن إسماعيل بن عبد الله ، عن أبيه : بلغنا أن الدعاء عندها مستجاب

ومنها : اسطوانة التوبة ، وتعرف بأبي لبابة بن عبد المنذر أخي بني عمرو بن عوف من الأوس ، أحد النقباء ارتبط اليها لأنه كان حليف بني قريظة ، فاستشاروه في النزول على حكم النبي ﷺ ، وأجهش اليه النساء والصبيان يبكون، فقال لهم : نعم ورق لهم ، وأشار بيده الى حلقه وهو الذبح ، قال : فوالله مازالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله ، فلم يرجع الى النبي ﷺ ، ومضى فارتبط الى جذع موضع أسطوانة التوبة بسلسلة ربوض ، — والربوض الثقيلة — بضع عشرة ليلة ، حتى ذهب سمعه ، فما كاد يسمع ، وكاد بصره يذهب ، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة ، وإذا أراد أن يذهب لحاجته ، ثم يأتي فترده في الرباط ، وأنزل الله تعالى فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا اللهَ والرسُّول وتخونوا أماناتكم ... الآية) [الانفال : ٢٧] وحلف لا يحل نفسه حتى يحله رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « أما لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذا فعل ذلك ، فما أنا الذي أطلقه حتى يتوب الله عليه » فأنزلت توبته سحراً في بيت أم سلمة ، فحله ﷺ ، فعاهد الله تعالى أن لا يطأ بني قريظة أبداً ، وقال : لا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

وقيل : سبب ارتباطه بها تخلفه في غزوة تبوك ، فلما جاء النبي ﷺ جاءه

فأعرض عنه ، فارتبط بسارية التوبة التي عند باب أم سلمة سبعاً بين يوم وليلة ، رواه البيهقي في « الدلائل » عن سعيد بن المسيب .

وروي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) [التوبة : ١٠٢] قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبي ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، فقال النبي ﷺ : « من هؤلاء ؟ » قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك ... الحديث » وفيه توبة الله عليهم وإطلاقهم .

ونقل ابن النجار عن إبراهيم بن جعفر أن السارية التي ربط إليها ثمامة بن أثال الحنفي ، هي السارية التي ارتبط إليها أبو لبابة .

ولابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر ، عن محمد بن كعب : أن النبي ﷺ كان يصلي نوافله الى اسطوانة التوبة .

قال عمر بن عبد الله : وكان النبي ﷺ إذا صلى الصبح انصرف إليها . وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر ، وضيفان النبي ﷺ ، والمؤلفة قلوبهم ، ومن لا بيت له إلا المسجد ، وقد تحلقوا حولها حلقا ، بعضها دون بعض ، فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح ، فيتلو عليهم ما أنزل الله تعالى عليه من ليلته ، ويحدثهم ويحدثونه ، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى ، فلم يجدوا إليه مجلساً ، فتاقت أنفسهم إليه ، وتاقت نفسه إليهم ، فأنزل الله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ...) الى منتهى الآيتين [الكهف : ٢٨ - ٣٠] .

ولابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ كان إذا اعتكف ، طرح له فراشه ، ووضع له سرير وراء اسطوانة التوبة .

وللبيهقي بسند حسن : أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف يطرح له فراشه أو سريره إلى اسطوانة التوبة مما يلي القبلة يستند إليها .

ونقل عياض عن ابن المنذر ، أن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ، كان له موضع في المسجد ، قال : وهو مكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي كان يوضع فيه فراش النبي ﷺ إذا اعتكف .

وفي خبر لابن زبالة : أن اسطوانة التوبة بينها وبين القبر اسطوانة ، وأن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول : هي الثانية من القبر ، والثالثة من الرحبة ، أي : قبل زيادة الرواقين في مؤخر سقف مقدم المسجد .

قال ابن زبالة : بينها وبين القبر الشريف عشرون ذراعاً .

قلت : فهي الرابعة من المنبر ، والثانية من القبر ، والثالثة من القبلة ، والخامسة في زماننا من رحبة المسجد ، وهي بين اسطوانة عائشة رضي الله عنها ، وبين الاسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة ، وكان فيها محراب من الجص يميزها عن غيرها ، زال بعد الحريق الثاني ، وتوهم البدر ابن فرحون أنها اللاصقة بالشباك المذكور وقد أوضحنا رده في الأصل .

ومنها : اسطوانة السرير .

اسند ابن زبالة ، ويحيى في بيان معتكف النبي ﷺ مع ما سبق في اسطوانة التوبة ، عن ابن عمر ، أن محمد بن أيوب قال : إنه كان للنبي ﷺ سرير من جريد فيه سعفة [1] يوضع بين الاسطوانة التي وجاه القبر ، وبين القناديل ، كان يضطجع عليه رسول الله ﷺ .

قلت : هذه الأسطوانة هي اللاصقة بالشباك اليوم شرقي أسطوانة التوبة ، وكأن السرير كان يوضع مرة عند أسطوانة التوبة ، ومرة في هذا الموضع ، أو كان يوضع عند أسطوانة التوبة قبل أن يزيد النبي ﷺ في مسجده ما سبق أنه زاده في المشرق ، فلما زاد فيه نقل السرير إلى هذا المحل .

(١) في نسخة قلمية : فيه سعفه ، ولعله الصواب .

ويؤيد هذا أن ابن زبالة لما ذكر ماسبق في حد المسجد النبوي عن جمهور الناس ، قال : واحتجوا بأن رسول الله ﷺ كان يعتكف في المسجد في موضع مجلس بني عبد الرحمن ، وأن عائشة رضي الله عنها كانت ترجل رأسه وهو معتكف في المسجد وهي في بيتها .

وفي « الصحيح » عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يحتجر حصيراً بالليل ، فيصلي عليه ، ويبسطه في النهار ، فيجلس عليه .

وبين أحمد في روايته : أن ذلك كان على بيت عائشة رضي الله تعالى عنها . أي : الذي يلي الروضة ، وقد سبق أن الجدار الشرقي كان في موازاة القناديل .

ومنها : اسطوانة المحرس ، وتسمى اسطوانة علي بن أبي طالب لأنها مصلاه ، كما سيأتي في التي بعدها .

وقال يحيى : حدثنا موسى بن سلمة رضي الله تعالى عنه ، قال : سألت جعفر بن عبد الله بن الحسن عن أسطوانة علي رضي الله تعالى عنه ، فقال لي : هذه المحرس ، كان علي رضي الله عنه يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما يلي باب رسول الله ﷺ يحرس النبي ﷺ .

قال المطري : هي في مقابلة الخوخة التي كان رسول الله ﷺ يخرج منها من بيت عائشة رضي الله تعالى عنها إلى الروضة ، وهي خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال .

قلت : ويصلي عندها أمراء المدينة اليوم .

ومنها : أسطوانة الوفود خلف المحرس من الشمال ، كان النبي ﷺ يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته ، كانت تلي الرحبة قبل زيادة الرواقين ، وكانت تعرف بمجلس القلادة يجلس إليها سراة الصحابة وأفاضلهم ، قاله المطري . وبينها وبين مربعة القبر الآتية : الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم .

ولابن زبالة عن غير واحد ، منهم : عبد العزيز بن محمد ، أن الأسطوانة التي في صف اسطوانة التوبة ، بينها وبين اسطوانة التوبة مصلى علي بن طالب رضي الله عنه ، وأنه المجلس الذي يقال له : مجلس القلادة ، وكان يجلس فيه سراة الناس قديماً . وفهم الأقشهري من هـذا أن مجلس القلادة صفة لاسطوانة علي فوصفها به .

ومنها : أسطوانة مربعة القبر ، ويقال لها : مقام جبريل ، وهي في حائز الحجرة عند منحرف صفحته الغربية إلى الشمال ، بينها وبين أسطوانة الوفود الأسطوانة التي فيها مقام جبريل عليه السلام ، كانت هي الثالثة .

وليحيى وابن زبالة : عن مسلم بن أبي مريم وغيره ، كان باب بيت فاطمة رضي الله عنها في المربعة التي في القبر . قال سليمان : قال لي مسلم : لا تنس حظك من الصلاة إليها ، فإنها باب فاطمة . أي : وقد كان ﷺ يأتيه حتى يأخذ بعضادتيه ويقول : السلام عليكم أهل البيت ، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجْسَ أهل البيت ويطهِّرَكُمْ تطهيراً) [الأحزاب : ٣٣] رواه يحيى عن أبي الحمراء .
وفي رواية له : « كل يوم ، فيقول : الصلاة الصلاة ... الحديث » .
وقد حرم الناس التبرك بها ، وبأسطوانة السرير لغلق أبواب الشباك الدائر على الحجرة الشريفة .

ومنها : اسطوانة التهجد . أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه ، كان رسول الله ﷺ يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت [1] الناس ، فيطرح وراء بيت علي رضي الله تعالى عنه ، ثم يصلي صلاة الليل ، فرآه رجل ، فصلى بصلاته ، ثم آخر ، فصلى بصلاته حتى كثروا ، والتفت فإذا بهم ، فأمر بالحصير فطوي ، ثم دخل ، فلما أصبح جاؤوه فقالوا : يا رسول الله ، كنت تصلي بالليل فنصلي بصلاتك ، فقال : إني خشيت أن تنزل عليكم صلاة الليل ، ثم لا تقوون عليها .

(١) اي : انصرفوا .

قال عيسى : وذلك موضع الأسطوانة التي على طريق باب النبي ﷺ مما يلي الزور .

قلت : الزور : بالزاي ، أي : الموضع المزور خلف الحجرة من حائزها . وصحفه بعضهم فقال : الدورة . وفي خط الأقشهري : دوره .

قال عيسى : وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل ، قال مربي ابن الحنفية وأنا أصلي إليها ، فقال : أراك تلزم هذه الأسطوانة ، هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا ، قال : فالزمها فإنها كانت مصلى رسول الله ﷺ من الليل .

قال ابن النجار : هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة رضي الله عنها من جهة الشمال ، وفيها محراب إذا توجه المصلي إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل .

قال المطري : وحولها الدرابزين أي المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة ، وقد كتب فيها بالرخام : هذا متهجد النبي ﷺ .

قلت : وقد اتخذ في موضعها بعد الحريق الثاني دعامة عند بناء القبة ، واتخذوا فيها محراباً مرخماً .

ومقتضى ما سبق في حدود المسجد ، خروج الموضع المذكور عنه ، وأنه كان يواجه الخارج من باب عثمان ، وقد اتضح أن درجه التي ظهرت عند باب الحجرة الشامي كانت مستقبلة الشام ، فلم يكن الموضع المذكور في طريق المارة ، وهذه الاسطوانة هي آخر الأساطين التي ذكر لها أهل التاريخ فضلا خاصاً ، وإلا فجميع سواري المسجد لها فضل .

ففي البخاري عن أنس : لقد أدركت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب ، فجميع سواريه تستحب الصلاة عندها ، إذ لا تخلو من صلاة كبار الصحابة إليها .

قال ابن النجار : وله عن أهل السير ، أن محمد بن مسلمة لما جد ماله ، جاء بقنو ، فجعله في المسجد بين ساريتين ، فجعل الناس يفعلون ذلك ، وكان معاذ

ابن جبل يقوم عليه ، وكان يجعل حبلاً بين الساريتين ، ثم يعلق الأقناء على الحبل ، ويجمع العشرين أو أكثر ، فيهش عليهم بعصاً من الأقنـاء ، فيأكلون — أي أهل الصفة — وهم أضياف الإسلام ، كما في « الصحيح » ، وهي ظلة كانت في مؤخر المسجد يأوي إليها المساكين على أشهر الأقوال ، قاله عياض .

وقال الحافظ الذهبي : إن القبـلة كانت في شمالي المسجد ، فلما حولت بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة .

الفصل الرابع في حجره ﷺ ، وحجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها .

سبق في بناء المسجد أنه ﷺ بنى بيتين لروجتيه على نعت بناء المسجد — يعني سودة وعائشة رضي الله تعالى عنها ، إذ كانت عائشة زوجـه حينئذ ، وإن تأخر البناء بها ، ثم بنى بقية الحجر عند الحاجة إليها .

قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله ، وكلما أحدث رسول الله ﷺ أهـــلا نزل له حارثة عن منزل ، أي محل حجرة ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ وأزواجه ، ذكره ابن الجوزي .

ولابن زبالة عن محمد بن هلال : أدركت بيوت أزواج النبي ﷺ كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة[1] في القبـلة وفي المشرق والشـام ، ليس في غربي المسجد شيء منها ، وكان باب عائشة رضي الله عنها يواجه الشام ، وكان بمصراع واحد من عرعر ، أوساج .

ولابن الجوزي في « شرف المصطفى » عن مالك بن أبي الرجال ، عن أبيه ، عن أمه : أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام ، وفي وجه المنبر هذا أبعدها ، ولما توفيت زينب أدخل ﷺ أم سلمة بيتها .

وليحيى عن عبـد الله بن يزيد الهذلي : رأيت بيوت أزواج رسول الله ﷺ

(١) معناها : منتشرة .

كانت من لبن ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين ، عددت تسعة أبيات بحجرها ، وهي ما بين بيت عائشة رضي الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي ﷺ إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم .

وقوله : يلي باب النبي ﷺ : أي : يقابل جهته في المغرب ، وهو باب الرحمة قبل أن ينقل إلى محله اليوم ، ومنزل أسماء المذكور سيأتي أنه كان في مقابلة الباب الذي بعد باب النساء في الشام ، فالحجر التي في الشام كانت من عضادة باب النساء التي تقدم أنها كانت حد المسجد في الشام إلى الباب المذكور ، ثم ذكر يحيى في روايته : أن بيت أم سلمة وحجرتها من لبن ، وذكر قصة لها مع النبي ﷺ في ذلك ، وأن عطاء الخراساني قال : أدركت الحجر من جريد على أبوابها المسوح من شعر ، قال عمران بن أبي أنس : كان فيها أربعة أبيات بلبن ، ولها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها ، على أفواهها مسوح الشعر ، ذرعت الستر ثلاث أذرع في ذراع وعظم الذراع .

وقال السهيلي عن الحسن البصري : كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا مراهق ، وأنال السقف بيدي ، وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجره من أكسية من خشب عرعر .

ونقل مالك عن الثقة عنده : أن الناس كانوا يدخلون حجر أزواج النبي ﷺ يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبي ﷺ ، قال : وكان المسجد يضيق عن أهله ، قال : وليست من المسجد ، ولكن أبوابها شارعة في المسجد ، ولم يتعرضوا لمحل المشربة التي اعتزل فيها رسول الله ﷺ لما آلى من نسائه شهراً .

وقال ابن سعد : أوصت سودة ببيتها لعائشة رضي الله عنها ، وباع أولياء صفية بيتها من معاوية ، واشترى من عائشة رضي الله عنها منزلها ، وشرط لها سكناها حياتها . وقيل : بل اشتراه ابن الزبير منها ، وشرط لها ذلك .

ولابن زبالة عن هشام بن عروة : قال : إن ابن الزبير ليعتد بمكرمتين ما يعتد

أحد بمثلها ، أن عائشة رضي الله عنهـــا أوصت له ببيتها وحجرتها ، وأنه اشترى حجرة سودة ، وكله يقتضي أن الحجر كانت من ملك نسائه ﷺ ، وقـد أوضحنا مافيه في الأصل ، فراجعه .

وليحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه : أن بيت فاطمة رضي الله عنها في الزور الذي في القبر ، بينه وبين بيت النبي ﷺ أي منزل عائشة خوخة ، أي : كوة ، ثم روى أن مخرج النبي ﷺ كان هناك ، فكان إذا قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة رضي الله عنها ، فعلم خبرهم ، وأن عائشة رضي الله عنها دخلت المخرج جوف الليل ، فجرى بينهما كلام ، فسألت فاطمة النبي ﷺ أن يسد الكوة ، فسدها ، وأردفه بقول عائشة : يارسول الله ندخل كنيفك فلانرى شيئاً من الأذى ، فقال : الارض تبلع مايخرج من الانبياء من الأذى ، فأشعر بأن المخرج موضع الكنيف ، وأنه كان خلف حجرة عائشة رضي الله عنها بينها وبين بيت فاطمة في الزور ، أي : الموضع المزور كالمثلث في حائز عمر بن عبد العزيز .

وله ايضاً عن مسلم بن أبي مريم : عرض بيت فاطمة إلى الأسطوانة الـــتي خلف الأسطوانة المواجهة الزور ، وكان بابه في المربعة التي في القبر .

ولابن شبة عنه قال : عرس علي بفاطمة رضي الله عنها إلى الأسطوانة التي خلف الأسطوانة المواجهة الزور ، وكانت داره في المربعة التي في القبر .

قال سليمان : قال مسلم : لاتنس حظك من الصلاة إليها فإنه باب فاطمة الذي كان علي يدخل إليها منه ، وقد قدمناه في اسطوانة مربعة القبر بنحوه .

وسبق في اسطوانة التهجد أنها خلف بيت فاطمة . قال ابن النجار : وحول بيتها اليوم مقصورة ، وفيها محراب ، وهو خلف حجرة النبي ﷺ .

قلت : المقصورة اليوم دائرة عليه ، وعلى الحجرة الشريفة كما سيأتي في المحراب المذكور خلف الزور الذي في حائز الحجرة ، بينه وبين موضع يحترمـــه الناس

يذكر أنه موضع قبر فاطمة رضي الله عنها على الخلاف الآتي فيه ، وقد بنى متولي العمارة دعامة هناك بدا عند حفر أساسها لحد قبر ، وتلحض أن بيتها كان فيما بين مربعة القبر واسطوانة التهجد ، وأنه عرس بها الى الاسطوانة التي إليها المحراب المذكور ، كما أوضحناه في الاصل .

لكن قال ابن شبة في بيان بيتها وموضعه من المسجد : بين دار عثمان بن عفان التي في شرقي المسجد ، وبين الباب المواجه دار اسماء بنت حسن بن عبد الله في شرقي المسجد ، أي : الباب الذي كان يلي باب النساء في شاميه ، وسيأتي أنه كان مقابلاً لرباط النساء المعروف اليوم برباط السبيل ، ويبعد امتداد بيتها من محاذاة دار عثمان ومربعة القبر الى هناك ، والأول أولى في بيانه .

قال المطري : وأدخل عمر بن عبد العزيز بعض بيتها في الحائز الذي بناه محرفاً على الحجرة الشريفة يلتقي على ركن واحد ، وبقي بقيته من جهة الشمال .

وللطبراني عن أبي ثعلبة ، كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم بدأ ببيت فاطمة ، ثم يأتي بيوت نسائه .

وليحيي عن علي رضي الله عنه : زارنا رسول الله ﷺ ، فعملنا له خزيرة ، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن ، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا ثم ، وضأت رسول الله ﷺ فمسح رأسه وجهته ولحيته بيده ، ثم استقبل القبلة ، فدعا بما شاء ، ثم أكب على الأرض بدموع غزيرة يفعل ذلك ثلاث مرات ، فتهينا رسول الله ﷺ أن نسأله ، فوثب الحسين على ظهر رسول الله ﷺ وبكى ، فقال له : بأبي وأمي مايبكيك ؟ فقال له : ياأبت رأيتك تصنع شيئاً مارأيتك تصنع مثله ، فقال له رسول الله ﷺ : يا بني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم مثله قط ، وان حبيبي جبريل عليه السلام أتاني واخبرني أنكم قتلى ، وان مصارعكم شتى ، فأحزنني ذلك ، فدعوت لكم بالخيرة .

الفصل الخامس في الأمر بسد الأبواب وماالستثني منها .

بوب البخاري بقول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » ، وقال : قاله ابن عباس عن النبي ﷺ ، وقد وصله في الصلاة بلفظ : سدوا عني كل خوخة ... فذكره هنا بالمعنى ، ثم أسند في الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ وقال : « إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ماعند الله ، قال : فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، فتعجبنا ابكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أمنّ النـاس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوّة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر » .

وفي رواية مسلم عنه : « خوخة إلا خوخة أبي بكر » . والخوخة : طاقة تفتح في الجدار للضوء ، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها ، وهو المراد هنا ، ولذا أطلق عليها باب .

وقيل : لايطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق ، وبين ابن عباس رضي الله عنه في روايته أن ذلك كان في مرضه ﷺ الذي مات فيه .

ولمسلم من حديث جندب : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس ليال ... فذكره .

وفي « طبقات ابن سعد » ، عن معاوية بن صالح ، أن ناساً قالوا : أغلق أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله ﷺ : « قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر ، وإني أرى على باب أبي بكر نوراً ، وأرى على أبوابكم ظلمة » .

وعن أبي الحويرث : لما أمر رسول الله ﷺ بالأبواب تسد إلا باب أبي بكر ، قال عمر : يارسول الله ! دعني أفتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ : « لا » ، قيل : كنى بالبـاب عن الخلافة ، وبالأمر

بالسد عن طلبها ، أي : لا يطلبها إلا هو ، وإليه جنح ابن حبان ، وأيد بأن منزل أبي بكر رضي الله عنه بالسنح من العوالي ، فلا تكون له خوخة إلى المسجد ، ورد بأن السنح منزل زوجته الأنصارية ، وكانت أسماء بنت عميس معه ، وأم رومان ، وقد قال ابن شبة : إن الدار التي أذن له في إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة له ، ولم تزل في يد أبي بكر رضي الله عنه حتى باعها .

وقال أيضاً : اتخذ أبو بكر داراً في زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى ، واتخذ منزلا آخر عند المسجد ، وهو الذي جاء فيه حديث « سدوا عني هذه الأبواب إلا باب أبي بكر » .

قال أبو غسان : أخبرني اسماعيل بن أبي فديك : أن عمه أخبره : أن الخوخة الشارعة في دار القضاء في غربي المسجد : خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي قال فيها رسول الله ﷺ : « سدوا عني هذه الأبواب إلا ما كان من خوخة أبي بكر » ، واتخذ أبو بكر رضي الله عنه أيضاً بيتا بالسنح . انتهى .

ودار القضاء[1] هي رحبة القضاء كانت فيما بين باب السلام وباب الرحمة ، والخوخة الشارعة فيها سيأتي ذكرها في أبواب المسجد .

والمراد : أن خوخة أبي بكر رضي الله عنه كانت في موازاتها ، فلما زادوا في المسجد حوّلوها عن يمينها ، كما حوّلوا باب عثمان إلى موضعه اليوم .

وكذا قال ابن زبالة : حدثني محمد بن اسماعيل عن اسحاق بن مسلم ، أن الخوخة التي إلى جنب باب زياد في غربي المسجد الشارعة في رحبة القضاء ، هي يمين خوخة أبي بكر ، لما زيد في المسجد نحيت فجعلت يمناها ، أي : محاذية لها من جهة اليمين ، ولما سدّت مع ما سدّ من أبواب المسجد ، جعلت باباً لحاصل في المسجد ، ولما ابتنيت المدرسة الأشرفية[2] فيما بين باب السلام وباب الرحمة ، جعل

---

(١) هي الآن المدرسة المحمودية التي على يسار الداخل إلى باب السلام .

(٢) هي الآن المدرسة المحمودية .

متولي العمارة للحاصل المذكور ثلاثة أبواب نافذة للمسجد تلي باب السلام ، ومحل الخوخة منها الباب الثالث على يسار الداخل من باب السلام .

قال الحافظ ابن حجر : وفي أحاديث سدّ الأبواب ما يخالف ظاهره ما سبق ، كحديث سعد بن أبي وقاص : أمر رسول الله ﷺ بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد ، وترك باب عليٍّ ، أخرجه أحمد والنسائي ، وسنده قوي . زاد الطبراني في « الأوسط » ورجاله ثقات : فقالوا : يارسول الله سددت أبوابنا ، فقال : « ما أنا سددتها ، ولكن الله تعالى سدّها » .

وعن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد ، فقال رسول الله ﷺ : سُدُّوا هذه الأبواب إلا باب عليٍّ ، فتكلم ناس في ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمرت بشيء فاتبعته » ، أخرجه أحمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أمر رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فسدّت إلاّ بابَ عليٍّ .

وفي رواية : أمر بسد أبواب المسجد غير باب عليٍّ ، فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره ، أخرجها أحمد والنسائي ورجالها ثقات .

وعن جابر بن سمرة نحوه ، أخرجه الطبراني .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : كنا نقول في زمن رسول الله ﷺ : رسول الله ﷺ خير الناس ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ولقد أعطي عليٌّ ثلاث خصال ، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم ، زوّجه رسول الله ﷺ ابنته ، وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد ، وأعطى له الراية يوم فتح خيبر ، أخرجه أحمد ، وإسناده حسن .

وللنسائي من طريق العلاء بن عوار بمهملات ، قال : قلت لابن عمر : أخبرني عن علي وعثمان ... فذكر الحديث » . وفيه : وأما عليٌّ فلا تسأل عنه أحداً ،

وانظر إلى منزله[1] من رسول الله ﷺ قد سدّ أبوابنا في المسجد وأقرّ بابه ، ورجاله رجال الصحيح ، إلا العلاء ، وقد وثقه ابن معين وغيره .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً ، وكل طريق منها صالح للاحتجاج ، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات مقتصراً على بعض طرقه ، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته ، وليس ذلك بقادح ، وأعله أيضاً لمخالفته الأحاديث الصحيحة في باب أبي بكر ، وزعم أنه من وضع الرافضة .

قال الحافظ ابن حجر : وقد أخطأ في ذلك خطأ شنيعاً لرده الأحاديث الصحيحة بتوهم المعارضة مع إمكان الجمع ، وقد أشار إليه البزار فقال : رواه أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصة علي ، وأهل المدينة في قصة أبي بكر ، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة ، فالجمع بما دل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، يعني الذي في الترمذي مرفوعاً : « لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك »

والمعنى : أن باب علي رضي الله عنه كان لجهة المسجد ولم يكن له باب غيره . فلذلك لم يؤمر بسده ، أي بخلاف أبي بكر رضي الله عنه ، فكان له باب من خارج المسجد ، وخوخة إلى المسجد ، كما صرح به الكلاباذي . أي : فمن روى استثناءه رأى أنه المحتاج الى الاستثناء لما ذكر ، بخلاف باب عليّ ، فإنه خص بما هو أزيد من إبقاء الباب . ومن روى باب عليّ أراد دفع توهم أنه سد ، أو يقال وهو أوضح : أنهم أمروا أولا بسد الأبواب إلا باب عليّ ، فسدوها وأحدثوا خوخاً[2] يستقربون الدخول منها بعد الاستئذان فيه ، فأمروا آخراً بسدها إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه ، ويؤيده أن في رواية ليحيى وغيره : أن حمزة بن عبد المطلب خرج يجر قطيفة له وعيناه تذرفان يبكي يقول : يارسول الله أخرجت عمك

---

(١) صوابه إلى منزلته .

(٢) جمع خوخة .

وأسكنت ابن عمك ، فقال : ما أنا أخرجتك ولا أسكنته ، ولكن الله أسكنه ، فذكر حمزة دال على تقدم قصة علي .

وللبزار وفيه ضعفاء قد وثقوا ، عن عليٍّ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « انطلق فمرهم أن يسدوا أبوابهم ، فانطلقت فقلت لهم ، ففعلوا إلا حمزة ، فقلت : يارسول الله فعلوا إلا حمزة ، فقال : قل لحمزة فليحوّل بابه » فقلت له ، فحوّله ... الحديث .

وله أيضاً عنه ، أن النبي ﷺ أرسله إلى أبي بكر رضي الله عنه أن سد بابك ، فاسترجع ثم قال : سمع وطاعة ، ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه ، ثم إلى العباس رضي الله عنه وقال مثله ، فذكر العباس هنا بدل حمزة يظهر كونه وهماً لأنه إنما قدم عام الفتح .

وفي خبر لابن زبالة ويحيى ؛ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : نادى منادٍ : أيها الناس سدوا أبوابكم ، فتحسحس الناس ولم يقم أحد ، ثم خرج الثانية فذكر مثله ، فخرج فقال : أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أن ينزل العذاب ، فخرج الناس مبادرين ، وخرج حمزة بن عبد المطلب يجر كساءه .. الحديث ».

ولهما أيضاً عن عمرو بن سهل أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب الشوارع في المسجد ، فقال له رجل من أصحابه : يارسول الله دع لي كوة أنظر إليك منها حين تغدو وحين تروح ، فقال : لا والله ولا مثل ثقب الابرة .

قلت : إن ثبت هذا في القصة الأولى حمل على أن الإذن في اتخاذ الخوخ بعد منعها .

والظاهر : أن الجدرات التي كان فيها الأبواب كانت لهم لا للمسجد ، وأنه ﷺ رأى المصلحة في منعهم عنها ، ويحتمل أنها كانت جدرات المسجد ، فمكنهم ﷺ من ذلك أولاً ؛ ثم رأى المصحلة في المنع .

وقال المحب الطبري ومن خطه نقلت : خوخات الصحابة المأمور بسدها ، الله أعلم هل كانت من أصل البناء ، أو فتحت بعده . يعني في جدار المسجد ؟ فإن كان الأول ، فلايخالف ماقلناه من أن من صلى في شباك فتح في جدار المسجد تعدياً لايبعد إلحاقه بالصلاة في الموضع المغصوب ، وإن صح الثاني أمكن أن يستدل به على جواز مثل ذلك ، وإن بعد عن القياس وأمكن أن يقال : إنه خصيصاً لهم تسهيلا عليهم في حضور الجماعة ، ثم لما مرنوا على ذلك أمر بسدها وخص ، أبا بكر رضي الله عنه إظهاراً لمرتبته ، وقد أكثرت البحث عن ذلك ، فلم أر من تعرض له ، ولعلهم اكتفوا بذكر منع التصرف في حائط الجدار دون إذن حتى بدق الوتد ، فجدار المسجد كذلك . انتهى .

وقال السبكي : الذي يظهر من قواعد الشافعي منع فتح الباب ونحوه في جدار المسجد ، ولايكاد الشافعية يرتابون فيه ، فإنهم يحترزون عن تغيير الوقف جداً ، ولما فتح شباك الطيبرسية في جدار الجامع الأزهر عظم ذلـك عليّ ورأيته من المنكرات ، إذ لامصلحة للجامع فيه ، وكذا كل ماكان لمصلى غير المسجد ، قال: وحيث لم يجز الفتح ، فيظهر أنه لايجوز الاستطراق من غير ضرورة ، وأنه لولا إقراره ﷺ لما فتحته قريش من باب الكعبة في غير محله لم يجز الدخول منه ، وفي كلامه مايقتضي أن ماقاله مقتضى كلام المذاهب الأربعة ، وبـه يعلم رد الترخيص في جواز الفتح إذا حصل هدم الجدار أو انهدامه ، لأن ترك الفتحات في الجدار تغيير للوقف ، ولأن قريشاً إنما فعلوا ذلك في الكعبة بعد هدمها ، وقد سبق كلام السبكي فيه ، والظاهر القطع بمنع مثل ذلك في مسجد المدينة ، لأنه ظهر من غرض الشارع ﷺ فيه المنع مطلقاً ، وتوهم أن ذلك كان في جداره ، فلا يمتنع في جدار بناه غيره غلط بين .

الفصل السادس في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد واتخاذه البطيحاء بناحيته

في « الصحيح » و « سنن أبي داود » أن أبا بكر لم يزد في مسجد رسول الله ﷺ شيئاً .

قال أهل السير : لاشتغاله بالفتح ثانياً ، ولا ينافيه ما لأبي داود أيضاً من أن سواريه نخرت في خلافة أبي بكر ، فبناها بجذوع النخل ، إذ المنفي الزيادة .

وفي « الصحيح » و « السنن » أيضاً : أن عمر رضي الله تعالى عنه زاد فيه ، وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، وبه يرد مافي رواية لابن زبالة من أن عمر رضي الله عنه جعل أساطينه من لبن ، ونزع الخشب ، قال : ومده في القبلة ، وكان جدار عمر من القبلة على أول أساطين القبلة التي إليها المقصورة ، أي : التي كانت بين صف الأساطين التي تلي القبلة على الرواق القبلي .

ولأحمد عن نافع ، أن عمر رضي الله عنه زاد في المسجد من الاسطوانة الى المقصورة ، وقال عمر : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينبغي أن نزيد في مسجدنا » مازدت .

ولابن زبالة عن مسلم بن حباب ، أن النبي ﷺ قال يوماً وهو في مصلاه : لوزدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبله ، فأدخلوا رجلا وأجلسوه في موضع مصلى رسول الله ﷺ ، ثم رفعوا يد الرجل وخفضوها حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار رسول الله ﷺ من الزيادة ، فقدم عمر القبلة ، فكان موضع جدار عمر في موضع عيدان المقصورة ، أي المتقدم بيانها .

قال اليافعي : وكان ذلك سنة سبع عشرة .

ولابن سعد ويحيى وبعضهم يزيد على بعض ماحاصله : أن المسلمين لما كثروا قال عمر للعباس رضي الله عنها : إن المسجد قد ضاق ، وقد ابتعت ماحوله من المنازل أُوَسِّعُ به إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين ، فأما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك ، فإما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال ، وإما أن

أخطك حيث شئت من المدينة وأبنها لك ، وإما أن تصدّق بها على المسلمين ، فقال : لا ولا واحدة منها ، هي قطيعة رسول الله ﷺ خطها لي وبناها معي ، فاختلفا ، فجعلا بينهما أبي بن كعب ، فانطلقا إليه ، فقصا عليه القصة ، فحدثهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن الله أوحى إلى داود عليه السلام أن ابن لي بيتاً أذكر فيه ، فخط له خطة بيت المقدس ، فإذا تربيعها بزاوية بيت لبعض بني إسرائيل ، فسأله داود عليه السلام أن يبيعه ، فأبى بعد أن ضاعف له الثمن ، فحدّث داود نفسه أن يأخذه منه ، فأوحى الله تعالى إليه : أمرتك أن تبني لي بيتاً ، فأردت أن ندخل فيه الغصب وليس من شأني الغصب ، وإن عقوبتك أن لا تبنيه ، قال : يارب فمن ولدي ؟ قال : فمن ولدك ، فأعطاه سليمان ، فلما قضى أبي للعباس رضي الله عنه قال : قد تصدّقت بها على المسلمين ، فأما وأنت تخاصمني فلا .

وللبيهقي قبيل كتاب الرجعة من « سننه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من ذلك ، وقد اتفق للعباس مع عمر رضي الله عنهما قصة في ميزاب بهذه الدار لأنه كان يصب في المسجد . وفي رواية : على بابه ، فنزعه عمر ، فقال العباس رضي الله عنهما : والله ماشدّه إلا رسول الله ﷺ بيده ، فقال عمر رضي الله عنه : والله ماتشدّه إلا ورجلاك على عاتقي ، فردّه مكانه .

وليحيى عن ابن عمر : أن هذه الدار كانت فيما بين موضع الأسطوانة المربعة التي تلي دار مروان ، أي : وهي الخامسة من المنبر التي كان يقابلها الطراز في جدار المسجد على ماسبق في حدوده ، وإنما ذهب تربيعها عقب حريق زماننا ، أي بينها وبين باب السلام .

وفي كلام يحيى في موضع آخر مايبين أنه بقي من هذه الدار بقية دخلت في دار مروان التي في محلها اليوم ميضأة باب السلام ، وأن عثمان أدخل منها شيئاً في زيادته .

وفي النسخة التي رواها طاهر بن يحيى عنه : أن النبي ﷺ خط لجعفر بن أبي طالب وهو بأرض الحبشة داراً ، فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصفها بمائة ألف ، فزاده في المسجد . وفي النسخة التي رواها ابن ابنه نسبة ذلك لعثمان ، والظاهر : أن كلا منها زاد بعضها .

وليحى في خبر عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن المسجد على عهد عمر كان طوله ، أي : من القبلة إلى الشام أربعين ومائة ذراع ، وعرضه عشرين ومائة ذراع ، أي من المشرق إلى المغرب .

ويتلخص مما قدّمناه في حدود المسجد النبوي ، أن زيادته كانت قدر أسطوانتين في المغرب ، ولم يزد في المشرق شيئاً لإبقائه الحجر الشريفة ، فنهاية المسجد في زمنه الأسطوانة السابعة من المنبر في المغرب ، وذلك يقرب من مائة وعشرين ذراعاً ، وسيأتي في الفصل بعده ما يفهم خلافه ، وهذا أرجح ، وزيادته من القبلة الرواق المتوسط بين الروضة ورواق القبلة الذي كان عليه المقصورة المحترقة ، وذلك نحو عشرة أذرع ، فتكون زيادته في الشام ثلاثين ذراعاً على رواية المائة في ذرع طول المسجد النبوي . وقد سبق أن بعض الحجر الشريفة كانت في الشام ، فكأن زيادته في الشام كانت حولها لأنه لم يدخلها في المسجد .

وقال رزين في روايته : وطول السقف أي ما بينه وبين الأرض أحد عشر ذراعاً ، وجعل سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة ، وبنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة . وكذا في رواية يحيى ، وقال فيها أيضاً ما حاصله : أنه جعل له ستة أبواب ، بابين عن يمين القبلة وهما باب مروان المعروف اليوم بباب السلام ، وباب عاتكة وهو المعروف اليوم بباب الرحمة ، وبابين عن يسارها ، وهما الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ ، وباب النساء ، وبابين خلف القبلة ، يعني في جهة الشام ، ولم يغير باب عاتكة ، ولا الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ .

قال المطري : وهو باب جبريل عليه السلام ، وما قاله من عدم التغيير فيه

مسلم ، لأنه لم يزد في المشرق شيئاً ، بخلاف باب عاتكة ، لأنه زاد في المغرب ، فالمراد بكونه لم يغيره أنه أخره في محاذاة الباب الأول .

ولابن شبة ، ويحيى عن أبي عمرة : زاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد من شاميه ، ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ .

ولهما عن ابن أبي ذئب ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو مدّ مسجد رسول الله ﷺ إلى ذي الحليفة لكان منه .

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لو بني هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي » ، وكلها شواهد لما نقل عن مالك رضي الله عنه من عموم المضاعفة لما زيد في المسجد النبوي ، خلاف ما قاله النووي رحمه الله تعالى .

ولهما بسند جيد عن سالم بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى في ناحية المسجد رحبة تدعى البطيحاء ، ثم قال : من أراد أن يلفظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً ، فليخرج إلى هذه الرحبة . زاد ابن شبة : قال محمد بن يحيى : وقد دخلت تلك البطيحاء في المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضي الله عنه .

ولابن شبة في موضع آخر مايبين أنها كانت في جهة شرقي المسجد مما يلي مؤخره زمن عمر بجهة رباط خالد بن الوليد المعروف برباط السبيل .

ولابن شبة عن السائب بن يزيد قال : كنت مضطجعاً في المسجد ، فحصبني رجل ، فرفعت رأسي ، فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : اذهب فأتني بهذين الرجلين ، فجئت بهما ، فقال : من أنتما ، أو : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد مافارقتكما حتى أوجعكما جلْداً ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ؟ !

وليحيى عن نافع نحوه وزاد : إن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات .

ولابن زبالة ويحيى ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر رضي الله عنه مرّ بحسان بن ثابت وهو ينشد في المسجد ، فلحظ إليه ، فقال حسان : قد كنت

أنشد وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة ، فقال : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » ؟ قال : اللهم نعم . وهو في « الصحيح » بنحوه ، زاد يحيى : فانصرف عمر رضي الله عنه وقد عرف أنه يريد بمن هو خير منك النبيّ ﷺ .

وفي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينصب لحسان منبراً في المسجد ، فيقوم عليه يهجو الكفار . والنهي عن تناشد الأشعار في المسجد محمول على أشعار الجاهلية والمبطلين .

الفصل السابع في زيادة عثمان رضي الله تعالى عنه واتخاذه المقصورة .

في « الصحيح » و « سنن أبي داود » عن ابن عمر عقب ماسبق عنها في زيادة عمر : ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

فقول أبي داود في روايته الأخرى : ثم إنها أي جذوع النخل التي كان مبنيا بها نخرت في خلافه عثمان رضي الله عنه ، فبناها بالآجر ، فلم تزل ثابتة حتى الآن ، مؤول بأنه بنى أعاليها بالآجر ، وإلا فما في « الصحيح » أصح .

ولمسلم عن محمود بن لبيد ، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن يدعه على هيئته ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من بنى مسجداً لله بنى الله له مثله في الجنة . ومعنى أحبوا أن يدعه على هيئته : أي : بجذوع النخل واللبن ، كما فعل عمر رضي الله عنه ، فإنما كرهوا منه بناءه بالحجارة المنقوشة لا مجرد توسعته .

وليحيى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، لما ولي عثمان سنة أربع وعشرين كلمه الناس أن يزيد في مسجدهم ، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة ، حتى إنهم ليصلون في الرحاب ، فشاور فيه أهل الرأي من الصحابة ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه ، فصلى الظهر بالناس ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ،

ثم قال : أيها الناس إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه ، وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتا في الجنة » وقد كان لي فيه سلف وإمام سبقني عمر ابن الخطاب ، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسعته ، فحسن الناس يومئذ ذلك ، ودعوا ، فأصبح فدعا العمال ، وباشر ذلك بنفسه ، وكان يصوم الدهر ويصلي الليل ، وكان لايخرج من المسجد ، وأمر بالقصة المنخولة تعمل ببطن نخل[1] وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين ، فكان عمله عشرة أشهر .

وقال الحافظ ابن حجر : كان بناء عثمان رضي الله عنه للمسجد سنة ثلاثين على المشهور . وقيل : في آخر سنة من خلافته ، وهي سنة خمس وثلاثين ، ولعله بنى فيه حينئذ غير البناء الأول .

ولابن شبة عن أبي صالح قال كعب ومسجد النبي ﷺ يبنى : والله لوددت أنه لا يفرغ من برج إلا سقط برج ، فقيل له : ياأبا إسحاق أما كنت تحدثنا أن صلاة فيه أفضل من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام ، فقال : بلى ولكن فتنة نزلت من السماء ليس بينها وبين أن تقع إلا شبر ، ولو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت ، وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان ، فقال رجل : وهل قاتله إلا كقاتل عمر ؟ قال : بل مائة ألف أو يزيدون ، ثم يحل القتل مابين عدن[2] أبين إلى دروب الروم .

وليحيى عن خارجة بن زيد : هدم عثمان المسجد وزاد في قبلته ، ولم يزد في

---

(١) المسماة الآن بالحنيكة .

(٢) عدن اسم لبلدة معروفة في اليمن بساحل البحر الأحمر أضيفت إلى أبين كأبيض رجل من حمير لأنه سكنها ، كذا في « مجمع البحار » .

شرقيه ، وزاد في غربيه قدر اسطوانة ، وبنـــاه بالحجارة المنقوشة ، والقصة ، وعسب النخل ، والجريد ، وبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ، وجعل فيه طيقاناً مما يلي المشرق والمغرب ، وذلك قبل أن يقتل بأربع سنين ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً .

وعن إبراهيم بن الحارث أن عثمان زاد من القبلة ، فوضع جداره على حـــدّ المقصورة اليوم ، أي : حد جدارها القبلي ، وزاد فيه من المغرب اسطوانة بعد المربعة .

قلت : وفي صف الأسطوانة السابعة من المنبر اسطوانة مربـع أسفلها ، فهي المرادة لما قدمناه في زيادة عمر ، وإن لم يكن في صف الأساطين التي تلي القبلة ، بـل في الصف الذي خلف محراب الحنفية [1] وليس المراد بالمربعة هنـا الأسطوانة الرابعة من المنبر ، وإن زعمه المطري لما أوضحناه في الأصل ، فنهاية المسجد في زمنه من المغرب الثامنة من المنبر ، وهناك اسطوانة مربـع أسفلها تواجه الداخل من باب السلام ، الظاهر أنهـا علامة لنهاية زيادته ، وابتداء زيادة الوليد ، إذ منها للجدار الغربي أسطوانتان وهما للوليد كما سيأتي .

والمراد : والمربعة الغربية التي سبق في حدود المسجد أنها كانت ركن صحته قبل زيادة الرواقين هناك ، وهي السادسة من المنبر ، فتكون نهاية زيادة عمر ، ونهاية زيادة عثمان التي تليها ، وهي السابعة ، فيبقى للوليد ثلاثة أساطين في المغرب وسيأتي في زيادته مايفهم منه ذلك أيضاً وإن كان مردوداً ، فيتحرر من ذلـــك قولان في نهايه زيادة عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وأرجحها الأول .

ولابن شبة نقلا عن بن أبي يحيى ، أنـه كانت لأبي سبرة بن أبي رهم دار موضعها عند الأسطوانة المربعة التي في المسجد اليمانية الغربية ، وكانت جديدة ، ودار كانت هناك لعمار بن ياسر ، فأدخلتـا في المسجد . انتهى .

وعبر ابن زبالة في إدخالها أيضاً بالصيغة المبنية للم يسم فاعله ، فقال : وأدخل

---

(١) هو المحراب المسمى في زماننا بالمحراب السليماني .

فيه من المغرب دار كانت لطلحة بن عبيدالله ، ودار كانت لأبي سبرة ... الى آخره . والظاهر : أن ذلك أدخل مفرقاً في الزيادات الثلاث .

وليحيى عن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس : بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده حجارة منقوشة ، وبها عمد الحديد فيها الرصاص ، وسقفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائـة ذراع ، وجعل أبوابه ستة على ما كان على عهد عمر : باب عاتكة أي : المعروف بباب الرحمة والباب الذي يليـه أي في جهة محاذاته من المشرق ، وهو باب النساء ، وباب مروان ، أي : المعروف بباب السلام ، والباب الذي يقال له : باب النبي ﷺ ، أي : لكونه كان يدخل منه ، وهو باب جبريل عليه السلام ، وبابين في مؤخر المسجد ، وماذكره في الطول يقتضي أنه لم يزد على ماسبق من الذرع زمن عمر سوى عشرين ذراعاً ، فعشرة منها في القبلة لأنه زاد فيها الرواق الذي يليهـا ، وعشرة في الشام ، خلاف ما سبق أنه زاد فيه إلى الشام خمسين ذراعاً . وينبغي تأويله على أن الزيادة بلغت ذلك خمسين بضم مازاده عمر ليجامع ماسيأتي في زيادة الوليد ، وإلا فالأرجح رواية المائة والستين للطول .

وماذكره في العرض مردود لما سبق من كونـــه لم يرد في المغرب سوى أسطوانة واحدة ، وللاتفاق على أنه لم يزد في المشرق شيئاً ، ولم يدخل الحجر الشريفة ، ومعلوم أن من جدار المسجد الغربي إلى جدار الحجرة الشريفة لم يبلغ خمسين ومائة ذراع ، ولو بلغه فأين زيادة الوليد المتفق عليها في المغرب ، ولعله توهم إدخال الحجرة الشريفة في الذراع .

ولابن زبالة عن عبد الله بن عمر بن حفص : مد عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التي إليها المقصورة اليوم ، ثم زاد عثمان أي : في القبلة حتى بلغ جداره اليوم . قال : فسمعت أبي يقول : لمـا احتيج إلى بيت حفصة قالت : فكيف بطريقي إلى المسجد ؟ فقال لها : نعطيك أوسع من بيتك ، ونجعل لـك

طريقاً مثل طريقك ، فأعطاها دار عبيد الله بن عمر ، وكانت مربداً . فالقائل : نعطيك ، عثمان ، لأنه أورده في زيادته .

ثم روى عقبة أن عثمان قدم جـــدار القبلة لموضعه اليوم ، وأدخل بقية دار العباس مما يلي القبلة والشام والمغرب ، وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر رضي الله عنها مما يلي القبلة ، فأقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد .

ولابن زبالة وابن شبة ، ويحيى ، عن عبد الرحمن بن سعد ، عن أشياخه : أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت فيه كوى ينظر الناس منها إلى الإمام ، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذي جعلها من ساج حين بنى المسجد ، زاد الأول والأخير عن عيسى بن محمد بن السائب وغيره ، واستعمل عليها عثمان بن السائب بن خباب ، وكان رزقه دينارين في كل شهر ، فتوفي عن ثلاثة رجال ، فتواسوا في الدينارين ، فجريا في الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم .

قال ابن زبالة : قال مالك بن أنس : لما استخلف عثمان عمل مقصورة من لبن يصلي فيها الناس[1] خوفاً من الذي أصاب عمر ، وكانت صغيرة .

قلت : لكن في « العتبية » قال مالك : أول من جعل المقصورة مروان ابن الحكم حين طعنه اليماني ، وجعل فيها تشبيكاً . انتهى .

وليحيى عن عبد الحكم بن عبد الله بن حنطب : أول من أحدث المقصورة مروان ، بناها بالحجارة المنقوشة ، وجعل لها كوى ، وكان بعث ساعياً إلى تهامة ، فظلم رجلاً يقال له : دب ، فجاء ، فقام حيث يريد أن يقوم مروان حتى أراد أن يكبر ضربه بسكين ، فلم تصنع شيئا ، فقال مروان : ماحملك على هذا ؟ قال : بعثت عاملك فأخذ ذودي وتركني وعيالي لا نجد شيئاً ، فقلت : اذهب إلى الذي

---

(١) صوابه : الامام .

بعثك فاقتله ، فحبسه مروان ، ثم أمر به فاغتيل سرّا ، فكانت المقصورة . ولابن شبة أيضا نحوه .

وقال النووي : أول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية رضي الله عنه حين ضربه الخارجي . انتهى . وجعلها المهدي من ساج أيضاً ، وخفضها ، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد ، فأوطأها مع المسجد ، وجعلها على الرواق الذي يلي القبلة كله ، وسماه ابن جبير بلاطاً ، فقال : والبلاط المتصل بالقبلة تحويه مقصورة تكتنفه طولاً من غرب إلى شرق [1] والمحراب فيها . انتهى . وقد احترقت في الحريق الأول .

الفصل الثامن في زيادة الوليد واتخاذه المحراب والشرفات والمنارات والمنع من الصلاة على الجنائز به زمنه .

نقل رزين : أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان لم يزد فيه عليٌّ ولا معاوية رضي الله تعالى عنهم ، ولا يزيد ، ولا مروان ولاابنه عبد الملك شيئاً ، حتى كان الوليد بن عبد الملك ، وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال وقال له : من باعك فأعطه ، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال ، فإن أبي أن يأخذه ، فاصرفه إلى الفقراء ، ثم ذكر ما قاله غيره من إدخاله الحجر الشريفة .

ونقل الزين المراغي عن السهيلي أنه قال : إن الحجر والبيوت خلطت بالمسجد في زمن عبد الملك بن مروان ، قال : ويرده تصريح رزين وغيره بضد ذلك . انتهى .

ولعل المراد أن عبد الملك جعلها للمسلمين يصلون فيها لضيق المسجد ، وهي على حالها كما يشير إليه ما قدمناه عن مالك من الصلاة فيها ، وإلا فقد نقل ابن

(١) قال بعض الأفاضل من أهل المدينة : الذي يظهر من كلامهم أن المقصورة كانت في موضع المحراب العثماني الذي هو داخل في جدار القبلة ، وليس لها اليوم أثر ، ولا يعلم متى تركت والله أعلم .

زبالة عن غير واحـــد من أهل العلم سماهم في كتابه إدخال الوليد لحجر أزواج النبي ﷺ .

وللواقدي عن عطاء الخراساني : أدركت حجر أزواج النبي ﷺ ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ يأمر بإدخالها ، فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً من ذلك اليوم .

قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ينشأ ناس من المدينة ، ويقـــدم قادم من الآفاق ، فيرى ما اكتفى بـه رسول الله ﷺ في حياته ، ويكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر فيها .

وقال ابن زبالة : حدثني عبد العزيز بن محمد ، عن بعض أهل العلم قال : قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً ، فبينا هو يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ ، إذ حانت منه التفاتة ، فإذا بحسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم في بيت فاطمة في يده مرآة ينظر فيهـا ، فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبـد العزيز فقال : لا أرى هذا قد بقي بعد ، اشتر هذه المواضع ، وأدخل بيت النبي ﷺ المسجد واســـدده .

وفي خبر ليحيى : أنه لما نزل من خطبته ، أمر بهدم بيت فاطمة ، وإن حسن بن حسن ، وفاطمة بنت الحسين أبوا أن يخرجوا منه ، فأرسل اليهم الوليد : إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم ، فأبوا أن يخرجوا ، فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما ، فنزع أساس البيت وهم فيه ، فلما نزع قـالوا لهم : إن لم تخرجوا قوّضناه عليـكم ، فخرجوا منـه حتى أتوا دار عليٍّ نهاراً .

وفي خبر لابن زبالة : أن الوليد كتب إلى عمر بن عبـد العزيز يأمره بالزيادة في المسجد ، وأن يشتري هـذا المنزل ، فأبوا ، وقال حسن : والله لا نأكل له ثمناً ، قال : وأعطاهم به سبعة آلاف دينار أو ثمانية ، فأبوا ، فكتب إلى الوليد

بذلك ، فأمره بهدمه وإدخاله ، وطرح الثمن في بيت المال ، ففعل ، وانتقلت منه فاطمة بنت حسين بن علي إلى موضع دارها[1] بالحرة ، فابتنتها .

ولابن زبالة أيضاً عن غير واحد من أهل العلم : أن عمر[2] لما جاءه كتاب الوليد بعث إلى رجال من آل عمر[3] ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أبتاع بيت حفصة ، وكان عن يمين الخوخة أي خوخة آل عمر ، وكان بينه وبين منزل عائشة الذي فيه قبر النبي ﷺ طريق ، وكانتا يتهاديان الكلام وهما في منزلهما من قرب ما بينهما ، فقالوا : ما نبيعه بشيء ، قال : إذاً أدخله في المسجد ، قالوا : أنت وذاك ، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها ، فهدم البيت وأعطاهم الطريق ، ووسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوانة ، وكانت قبل ذلك ضيقة تدر مايمر[4] الرجل منحرفاً .

وفي خبر ليحيى عن مالك بن أنس : أن الحجاج قال لعبد الله بن عبد الله بن عمر : يعني منزل حفصة ، قال : لا والله ما كنت لآخذ لبيت رسول الله ﷺ ثمناً ، قال : إذاً والله أهدمه ، قال : والله لا تهدمه إلا على ظهري ، فأمر الحجاج بهدمه وهو فيه ، فجاءت بنو عدي عبد الله فقالوا : ما أضعفك هو يتأسف على قتل أبيك وينزع عن قتلك ، فأخرجوه ، فهدمه الحجاج ، وكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بعرض الثمن على عبد الله ، فإن أبى جعل له مكرمة بدله في المسجد ، فجعل له عمر الخوخة التي في قبلة المسجد التي إلى دار حفصة اليوم .

وله أيضاً عن ابن وردان عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز قال لعبد الله :

---

(١) موضعها عند بيت آل هاشم وعندها في الشمال مسجد واجهته المفتوحة من الشمال وعليها لوحة رخامية وهي على يمين الطريق الذاهب في المدرج وفي جانبها الغربي مسجد بني دينار المعروف عند العامه بمسجد الخضر .

(٢) هو عمر بن عبد العزيز .

(٣) هو عمر بن الخطاب .

(٤) صوابه : دار الدقيق بالدال المهملة كما في نسخة .

أجعل لكم باباً تدخلون منه ، وأعطيكم دار الرقيق[1] مكان هذا الطريق ، وما بقي من الدار فهو لكم ، ففعلوا ، فأخرج بابهم في المسجد ، وأعطاهم دار الرقيق ، وقدّم الجدار في موضعه اليوم ، وزاد في المشرق ما بين الأسطوانة المربعة ، أي مربعة القبر إلى جدار المسجد اليوم ، ومعه عشر أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام ، أي : جعل عشر أساطين مصفوفة في رحبة المسجد من مربعة القبر إلى الشأم ، أي : وبعدها الأربع الآتي ذكرها للسقائف ، وهي المسقف الشامي المقابل للمسقف القبلي ، قال : ومده في المغرب أسطوانتين ، وأدخل فيه حجرات أزواج النبي ﷺ ، ودور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي كان يقال لها : القرائن ، وسمعنا من يقول : القرائن : جنابذ ثلاث لعبد الرحمن بن عوف .

وفي خبر لابن زبالة : أن عمر رضي الله عنه لما سام آل عبد الرحمن بن عوف بدارهم امتنعوا من البيع ، فهدمها عليهم . قال عبد الرحمن بن حميد : فذهب لنا متاع في هدمهم .

ولابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده : كانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشأم من الأسطوانة المربعة التي في القبر أربع عشرة أسطوانة ، منها عشرة في الرحبة ، وأربع في السقائف الأولى ، أي : التي كانت بالمسقف الشامي قبل زيادة المهدي ، قال : وزاد من الأسطوانة التي دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين في السقائف ، فدخل بيت النبي ﷺ في المسجد ، وبقي ثلاث أساطين في السقائف . اه .

ويستفاد منه أن الست التي زادها في المشرق والمغرب ، منها ثنتان فقط في المغرب ، لأن من الأسطوانة التي دون مربعة القبر السابق ذكرها في حدود المسجد النبوي وهي التي إليها المقصورة اليوم إلى الجدار الشرقي أربع أساطين .

وقوله : وبقي ثلاث أساطين ، أي : من هذه الأربع في السقائف ، أي : المسقف الشرقي كما هو اليوم .

---

(١) صوابه : دار الدقيق ، بالدال المهملة ، كما في نسخة .

وقوله في رواية يحيى : مابين المربعة ، محله أن الزيادة إنما هي من نحو وسط الرواق الذي بين المربعة والتي دونها ، لأن الجدار كما سبق كان هناك في موازاة القناديل ، فلم يحتسب التي دون المربعة في الزيادة ، فيفهم أن له ثلاثة في المشرق ، وثلاثة في المغرب ، لكن يرد هـذا تصريح رواية يحيي بأنه مده في المغرب أسطوانتين ، وأنه لم يذكر الست في المشرق والمغرب ، وإنما صرح بالست من اعتبر الأسطوانة دون المربعة .

وظاهر قوله : وزاد إلى الشأم إلى آخره مع ما سبق من رواية يحيى ، أن نهاية زيادته في الشأم بعد أربع عشرة أسطوانة من مربعة القبر ، فيوافق ما سيأتي من أن المهدي زاد عشر أساطين في هذه الجهة لأنها الباقية بعد الأربع عشرة إلى مؤخر المسجد ، والأولى من هـذه الأساطين الباقية كان أسفلها مربعاً بقدر الجلسة في الصف الأوسط من المسقف الشرقي علامة لزيادة المهدي ، وقد ذكرنا في الاصل محملا آخر بعيداً لرواية ابن زبالة هـذه ، وهو أن الأربع عشرة جعلها كلها رحبة في زمنه ، وكانت الرحبة قبله عشرة ، فيكون له أربع أساطين للسقائف ، فيكون له ثمان عشرة أسطوانة ، والباقي للمهدي ست فقط ، وهو الموافق لما في خبر ليحيى عن قدامة بن موسى يتضمن : أن ذرعه يعني زمن الوليد طولاً مائتا ذراع ، فإن ما ذكرناه يقرب من ذلك ، لكنه قال : وعرضه في مقدمه مائتين ، وفي مؤخره ثمانين ومائة ذراع .

قال : وهو من قبل كان مقدمه أعرض . اه . وهو خطأ ، لأن المسجد لم ينقص عرضه ، وذرع عرضه اليوم من مقدمه في القبلة مائة ذراع وسبعة وستون ذراعاً ونصف ، ومن مؤخره في الشأم مائة وخمسة وثلاثون ذراعاً ، وقد صرح ابن زبالة في ذرع عرض المسجد في زمنه بقريب من ذرعنا كما سيأتي .

وفي خبر لابن زبالة : أن الوليد كتب إلى ملك الروم : إنا نريد أن نعمر

مسجد نبينا الأعظم ، فأعني فيه بعمال وفسيفساء ، فبعث إليه بأحمال من فسيفساء ، وبضعة وعشرين عاملا . وقال بعضهم : بعشرة عمال ، وقال : بعثت إليك بعشرة يعدلون مائة ، وبثمانين ألف دينار ، وبهذه السلاسل التي فيها القناديل .

وليحيى عن قدامة بن موسى : فبعث إليه بأربعين من الروم ، وبأربعين من القبط ، وبأربعين ألف مثقال من ذهب ، وبالفسيفساء ، وأخمر عمر النورة التي تعمل بها الفسفيساء سنة ، وحماوا القصة من نخل منحولة بالشقائق ، وعمل الأس بالحجارة ، والجدار بالحجارة المطابقة ، والقصة ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص .

وفي خبر لابن زبالة : أن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين ، أي : بتقديم التاء الفوقية ، وبناه بالحجارة المنقوشة وقصة بطن نخل ، وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب ، وهدم حجر أزواج النبي ﷺ ، ونقل لبنها ولبن المسجد ، فبنى به داره بالحرة ، فهو فيها اليوم له بياض على اللبن .

قال : فبينا العمال يعملون في المسجد إذ خلاهم ، فقال بعض عمال الروم : ألا أبول على قبر نبيهم ، فتهيأ لذلك ، فنهاه أصحابه ، فلما همّ بذلك ، اقتلع فألقي على رأسه ، فانتثر دماغه ، وأسلم بعضهم ، وعمل أحدهم على رأس خمس طاقات في جدار قبلة صحن المسجد صورة خنزير ، فأمر به عمر فضربت عنقه .

وقال بعض عمال الفسفساء : إنما عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها اه .

وليحيى عن النضر بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء ، فأحسن عملها نقده ثلاثين درهما .

وذكر هو وابن زبالة : ما كان فيه من الكتابات داخله وخارجه على أبوابه تركناه لزواله ، ووصف ابن عبد ربه في « العقد » ما كان داخلا في جدار المسجد

من وزرات الرخام ، وطراز الفسفيساء والذهب ، ثم قال : وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء ، أولها وآخرها ، ورؤوس الأساطين مذهبة ، عليها أكف منقشة مذهبة ، وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضاً . اهـ .

ولابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده : كان في موضع الجنائز ، أي : شرقي المسجد زمان الوليد نخلتان يصلى على الموتى عندهما ، فأراد عمر قطعهما حين ولي عمل المسجد للوليد وذلك سنة ثمان وثمانين ، فاقتتلت فيهما بنو النجار ، فابتاعهما عمر فقطعهما ، ولا ينافيه ما سبق من هدمه المسجد سنة إحدى وتسعين ، وفيها عزل عن المدينة ، وكأنه أخره للتأهب .

لكن في رواية لابن زبالة : ابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد سنة ثمان وثمانين ، وفرغ منه سنة إحدى وتسعين ، وفيها حج الوليد .

وليحيى عن حفص بن مروان : أن عمر مكث في بنائه ثلاث سنين .

ولابن زبالة عن إبراهيم بن محمد الزهري عن أبيه : لما قدم الوليد المدينة حاجاً بعد فراغ المسجد ، جعل يطوف فيه ، وينظر إلى بنيانه ، فلما رأى سقف المقصورة ، قال لعمر : ألا عملت السقف كله مثل هذا ؟ قال : إذاً تعظم النفقة جداً ، قال : وإن .

وفي رواية لغيره : أتدري يا أمير المؤمنين كم أنفقت على جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال : وكم ؟ قال : خمسة وأربعين ألف دينار ، قال : والله لكأنك تنفقها من مالك .

وليحيى : فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد ، التفت إلى أبان بن عثمان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن يزيد قال : كان عمل القبط مقدم المسجد ،

وكانت الروم تعمل ماخرج من السقف جوانبه ومؤخره ، فسمعت سعيد بن المسيب يقول : عمل هؤلاء أحكم ، يعني القبط .

وليحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه : مات عثمان وليس في المسجد شرفات، ولا محراب ، فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي عمل الرصاص على طنف المسجد والميازيب التي من الرصاص ، وقيل : إنما عمل الشرفات عبد الواحد بن عبد الله النصري في ولايته سنة أربع ومائة . ولم تعد الشرفات بعد الحريق الأول حتى جددت سنة سبع وستين وسبعمائة في أيام الأشرف شعبان بن حسين .

ولابن زبالة ويحيى عن محمد بن عمار عن جده : أن عمر بن عبد العزيز جعل للمسجد أربع منارات في زواياه الأربع .

قال كثير بن جعفر : وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبد الملك ، أذن المؤذن ، فأطل عليه ، فأمر بها فهدمت إلى ظهر المسجد ، وبابها على المسجد بما يلي دار مروان من قبل المسجد ، أي : فصار للمسجد ثلاث منارات فقط .

قال ابن زبالة : وطول كل واحدة ستون ذراعاً ، وذكر في موضع آخر : بضعاً وخمسين ، وأن أقصرهن الغربية الشامية . قال : وعرض كل واحدة ثماني أذرع في ثمان .

وذكر ابن جبير : أن المنارتين الشاميتين صغيرتان على هيئة برجين ، بخلاف اليمانية الشرقية ، فإنها على هيئة المنارات . اهـ .

ولم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة الرابعة الغربية اليمانية سنة ست وسبعمائة في دولة الناصر محمد بن قلاوون على يد شيخ الخدام كافور المظفري المعروف بالحريري ، وظهر عند الحفر لأساسها خوخة مروان الآتي ذكرها في ركن المسجد الغربي ، وبابها عليها من ساج لم يبل .

قال البدر ابن فرحون : أسفل من أرض المسجد بقامة ، ثم وجدوا تحصيب المسجد برمل أسود يشبه أن يكون من سلع ، ثم بلغوا الماء ، ولم يوجد أثر ولا صحة لما ذكر بعضهم من أن مئذنة كانت هناك تشرف على دار مروان . انتهى .

قلت : وهذا لا يمنع صحة ماسبق لاحتمال أنها كانت على باب المسجد وسطحه من غير أساس في الأرض لقصر المنارات حينئذ ، مع أن دار مروان متقدمة على زيادة ابن ابنه الوليد قطعاً ، وصنيع يحيى يقتضي أن بناءها زمن عثمان ، وأن شيئاً مما دخل فيها من دار العباس أدخل في زيادة الوليد ، فالباب الذي ظهر إنما هو فيما اتخذه الوليد هناك بدلاً عن باب مروان ، وصارت هذه المنارة أطول المنارات ، حتى عرفت بالطويلة ، وطولها خمسة وتسعون ذراعاً بتقديم التاء الفوقية ، من أعلى هلالها ، لكن لما هدمت المنارة المقابلة لها في المشرق المعروفة بالرئيسية[1] بسبب الحريق الحادث في زماننا أعيدت أعني الرئيسية[1] أطول من هذه ، إذ طولها يزيد على المائة بعد أن كان ينقص عن الثمانين ، ثم ظهر في المنارة الرئيسية ميل للتساهل في المبالغة لتأسيسها ومؤنها ، فأعيدت بعد أن بلغ بأساسها الماء ، وزيد في طولها ثانياً مع الإحكام التام حتى صار طولها أزيد من مائة وعشرين ذراعاً على يد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم الشريف ، وشاد عمائره بأمر الأشرف قايتباي ، وذلك في عام اثنين وتسعين وثمانمائة .

وطول الشرقية الشامية المعروفة بالسنجارية ثمانون إلا ذراعا ، وطول الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين ، كل ذلك من الهلال إلى الأرض خارج المسجد ، وهذا السياق ظاهر في أن الوليد أول من اتخذ المنارات .

ولأبي داود والبيهقي : أن امرأة من بني النجار قالت : كان بيتي من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر ... الحديث » .

---

(١) في المطبوع : الرسيسة ، وهو خطأ .

ولابن زبالة : حدثني محمد بن إسماعيل وغيره قال : كان في دار عبد الله بن عمر أسطوانة في قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب ، والأسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها : المطهار ، وهي في منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر .

وله عن موسى بن عبيدة ، أن عمر بن عبد العزيز استأجر حرساً للمسجد لا يحترف فيه .

وعن كثير بن زيد قال : نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يصلى على الجنائز فيه .

وعن عثمان بن أبي الوليد : أن عروة قال له : تضربون الناس في الصلاة في المسجد على الجنائز ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما إن أبا بكر قد صلي عليه في المسجد .

وليحيى ما يقتضي : أن ذلك كان قبل زمن الوليد ، فإنه روى عن المقبري أنه رأى حرس مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا على الجنائز ، وقد تلخص مما رواه ابن شبة أن الذي استقر عليه الأمر : أنهم كانوا يحملون موتاهم حتى يصلي عليها النبي ﷺ عند بيته في موضع الجنائز .

وفي « صحيح مسلم » من حديث عائشة رضي الله عنها أنها أمرت أن يمر بجنازة ابن أبي وقاص في المسجد فيصلى عليه ، فأنكر الناس ذلك عليها ، فقالت : ما أسرع ما نسي الناس ، ما صلى رسول الله ﷺ على سهل بن بيضاء إلا في المسجد .

وفي رواية : والله لقد صلى رسول الله ﷺ على ابني بيضاء في المسجد سهل وأخيه ، ويفهم منه أنه كان نادراً [1].

وليحيى بسند جيد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد . وفي رواية له : أن عمر بن الخطاب صلى على أبي بكر

---

(١) يحفظ ولا يقاس عليه ، وهي واقعة حال فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكررها .

في المسجد ، وأن صهيباً صلى على عمر بن الخطاب في المسجد عند المنبر ، ولابن شبة : أن الجنازة وضعت تجاه المنبر .

وذكر ابن النجار ما سبق عن حرس عمر بن عبد العزيز ، ثم قال : إن هذه السنة في الجنائز باقية إلى يومنا إلا في حق العلويين ، ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم ، والباقون يصلى عليهم خلف الحائط الشرقي ، أي من المسجد ، أي : موضع الجنائز .

وفي زماننا يصلى على الجنائز بالمسجد ، ويحض الأعيان بالروضة ، إلا ما كان من من جنائز الشيعة غير الأشراف ، فإنهم منعوا من إدخال جنائزهم إلى المسجد في دولة الظاهر جقمق ، وذكرنا في الأصل كلاماً حسناً في كيفية وضع الجنازة بين القبر والمنبر فراجعه .

الفصل التاسع في زيادة المهدي .

ونقل ابن زبالة ويحيى ، أن المسجد لم يزل على حاله ما زاد فيه الوليد إلى أن همّ أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه ، ثم توفي ولم يزد فيه ، حتى زاد فيـــه المهدي فلا يغتر بما ذكروه فيه من الكتابات للخلفاء على جدران المسجد ، كالسفاح أول خلفاء بني العباس وغيرهم من الأمراء بعمارة مسجد الرسول ﷺ والزيادة فيـه ونحوه لكتابته لمن تجددت ولايته وإن لم يزد .

قال ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم : لم يزل المسجد على حاله ، ما زاد فيه الوليد حتى ولي أبو جعفر يعني المنصور ، فهم بالزيادة ، وكتب إليه الحسن ابن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ويقول : إن زيد في المسجد من المشرق توسط القبر الشريف المسجد النبوي ، فكتب إليه أبو جعفر : عرفت الذي أردت ، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان رضي الله عنه ، فتوفي أبو جعفر ولم يزد فيه شيئاً ، ثم حج المهدي يعني ابن أبي جعفر سنة ستين ومائة ، فقدم المدينة منصرفه عن الحج ، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة إحدى وستين ، وأمر بالزيادة فيـه ،

وولى بناءه عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الملك بن خبيب [1] الغساني ، فمات ابن عاصم ، فولي مكانه عبد الله بن موسى الحمصي وزاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام ، ولم يزد في القبلة ، ولا في المشرق والمغرب شيئاً ، وذلك عشر أساطين في صحن المسجد إلى سقائف النساء ، أي : إلى آخر سقائف النساء ، وخمساً لسقائف النساء ، أي : من العشرة المذكورة : وقد أدرك ابن زبالة هذه العمارة .

وقد روى ذلك يحيى عنه وعن غيره ، وأقره ، وهو مخالف لمقتضى ما سبق من أن طول المسجد زمن الوليد مائتا ذراع لاقتضائه أنه صار بزيادة المهدي هذه ثلاثمائة ذراع ، وقد صرح ابن زبالة أن ذرع المسجد مائتا ذراع وأربعون ذراعاً ، واختبرت أنا ذرعه ، فكان مائتي ذراع وثلاثة وخمسين ذراعاً ، وهذا التفاوت لاختلاف الأذرعة ، والمعول عليه ما هنا لما سبق ، وقد أدركت في المسقف الشرقي أسطوانة هي التاسعة مما يلي جدار المسجد الشامي أسفلها مربع مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة هي الخامسة عشر من مربعة القبر ، فهي علامة لابتداء زيادة المهدي ، لأن الذرع منها إلى آخر المسجد يقرب من المائة ، ولأن الوليد إذا كان له أربع عشرة أسطوانة من مربعة القبر كما سبق ، كان الجدار الشامي زمنه في هذا المحل ،وكانت هي معدودة من العشر التي زادها المهدي ، وقد اقتضى ما سبق أن المسقف الشامي المعبر عنه بسقائف النساء ، كان خمس أساطين ، وهو اليوم أربع فقط نقصوه أسطوانة لما زيد في المسقف القبلي رواقان بمؤخره .

وفي خبر لابن زبالة : أن مما أدخله المهدي من الدور دار مليكة ، وكانت لعبد الرحمن بن عوف أدخل بعضها في المسجد ، وبعضها في رحبة المشارب ، وبعضها في الطريق ، وأدخل دار شرحبيل بن حسنة ، وبقيت منها بقية ، فابتاعها

(١) في نسخة : ابن شبيب .

يحيى بن برمك ، فأدخلت في الحش حش طلحة ، وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها : دار القرى[1] ، ودار المسور بن مخرمة ، وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة .

وفي خبر ليحيى : أن المهدي زاد في المسجد من جهة الشأم إلى منتهاه اليوم ، ثم خفض المقصورة ، وكانت مرتفعة ذراعين من الأرض ، فوضعها في الأرض على حالها اليوم ، فسد على آل عمر بن الخطاب خوختهم التي في دار حفصة ، وأمر بسدها ، فتكلموا فيها حتى كثر الكلام ، ثم ذكر مصالحتهم على ما سيأتي فيها من جعلها شبه السرب في الأرض خارج المقصورة .

ويؤخذ من كلام ابن زبالة ويحيى في ذكر ما كان مكتوباً على أبواب المسجد زمن المهدي : أنه زخرف المسجد بالفسيفساء كما فعل الوليد ، ويشهد لذلك بقية أدركناها في مؤخر المسجد مما يلي المنارة الغربية الشامية زالت في حريق زماننا ، وليس في كلام متقدمي المؤرخين أن المسجد الشريف زيد فيه بعد المهدي ، بل كلامهم كالصريح في نفيه .

وقال الزين المراغي ما لفظه : وقيل : إن المأمون زاد فيه ، وأتقن بنيانه أيضاً في سنة ثنتين ومائتين .

قال السهيلي : وهو على حاله ، ورزين ينكر ذلك ، ويمكن الجمع بأنه جدده ولم يزد . انتهى .

قلت : لم أر في كلام رزين تعرض[2] لحكاية ذلك حتى ينكره ، وهو بعيد جداً ، لأن من أدرك زمن المأمون من مؤرخي المدينة لم يذكروا ذلك ، نعم في « المعارف » لابن قتيبة بعد ذكر زيادة المهدي : وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ،

---

(١) لعلها هي اليوم دار الضيافة .

(٢) صوابه : تعرضا :

ووسعه ، وقرأت على موضع زيادة المأمون أمر عبد الله بعمارة مسجد رسول الله ﷺ سنة ثنتين ومائتين ، وذكر أشياء من الأمر بالعدل وتقوى الله تعالى ، وكأنه أخذ نسبة الزيادة من هذا ، ولا دلالة فيه ، وقد حكى يحيى وابن زبالة أمثال هذه الكتابة لمن لم يزد في المسجد ممن تجددت ولايته من الخلفاء ، وسيأتي بيان عدد أبواب المسجد وبيان محالها في الثامن عشر .

الفصل العاشر فيما يتعلق بالحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة ، والحائز الذي أدير عليها ، وصفة القبور الشريفة بها .

تقدم : أنها بنيت لما بني المسجد على نعت بنائه الأول من لبن وجريد النخل ، ويؤخذ مما سبق أن البيت كان مبنياً باللبن ، وله حجرة من جريد النخل مستورة بمسوح الشعر ، وكان عمر بن الخطاب أبدل الجريد بجدار .

فلابن سعد ، عن عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبي زيد قالا : لم يكن على عهد النبي ﷺ على بيت النبي ﷺ حائط : فكان أول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال عبيد الله بن أبي زيد : كان جداره قصيراً ، ثم بناه عبد الله بن الزبير . اهـ .

وقال الحسن البصري : كنت أدخل بيوت رسول الله ﷺ وأنا غلام مراهق ، وأنال السقف بيدي ، وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجره من أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر .

ولابن عساكر ، عن داود بن قيس ، قال : أظن عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحواً من ست أو سبع أذرع ، وأظن سمكه بين الثمان والتسع نحو ذلك ، ووقفت عند باب عائشة رضي الله عنهـا ، فإذا هو مستقبل المغرب ، ويؤيد كون الباب في المغرب قصة كشفه ﷺ لسجف الباب ، أي ستره

في مرضه ، وترجيل عائشة شعره وهو في معتكفه وهي في بيتها ، لكن سبق في الرابع أن بابها مستقبل الشأم .

ولابن عساكر عن ابن أبي فديك : أنه سأل محمد بن هلال عن بيت عائشة فقال : كان بابه من جهة الشأم . قلت : مصراعاً كان أو مصراعين ؟ قال : باب واحد . قلت : من أي شيء كان ؟ قال : من عرعر أو ساج . ولذا قال ابن عساكر : وباب البيت شامي لم يكن عليه غلق مدة حياة عائشة . اهـ .

والصواب : الجمع بأنه كان له بابان : شامي وغربي ، وهو الذي سبق أن علياً رضي الله عنه كان يجلس عند أسطوانة المحرس في مقابلته .

وقد روى ابن سعد صلاة الصحابة على النبي ﷺ بحجرته ، وفي بعض طرقه : لما قبض رسول الله ﷺ قالوا : كيف نصلي عليه ؟ قالوا : ادخلوا من ذا الباب أرسالاً أرسالاً ، فصلوا عليه ، واخرجوا من الباب الآخر ، وهو صريح في البابين .

وكذا في خبر لأحمد برجال الصحيح : فكانوا يدخلون من ذا الباب ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر .

ونقل ابن زبالة : أنه كان بين بيت حفصة وبين منزل عائشة الذي فيه القبر الشريف طريق ، وكانتا يتهاديان الكلام وهما في منزليهما من قرب ما بينهما ، وكان بيت حفصة عن يمين الخوخة أي خوخة آل عمر كما سبق ، فهو موقف الزائرين اليوم داخل مقصورة الحجرة وخارجها .

وسبق في حدود المسجد النبوي أنه زيد فيه من حجرة عائشة مما يلي الروضة ، والظاهر : أنه مما كان محجراً عليه بالجريد لمرافق البيت ، وأن ما بني عليه من ذلك صفة بيت عائشة التي وقع الدفن بها ، وحائز عمر بن عبد العزيز من المغرب فيما ترك من الحجرة ، لا أنه انتقص به الروضة والمسجد كما وهم فيه بعضهم .

ولابن زبالة عن عائشة رضي الله عنها قالت : مازلت أضع خماري وأنفصل[1]

---

(١) صوابه : وأتفضل

في ثيابي حتى دفن عمر ، فلم أزل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً .

وعن المطلب : كانوا يأخذون من تراب القبر ، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم ، وكانت في الجدار كوة ، فكانوا يأخذون منها ، فأمرت بالكوةفسدت.

وفي « طبقات ابن سعد » : أخبرني موسى بن داود قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قسم بيت عائشة باثنين ، قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة وبينهما حائط ، وكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا [1] فلما دفن عمر رضي الله عنه لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها .

ولابن شبة عن أبي غسان : لم يزل بيت النبي ﷺ الذي دفن فيه ظاهراً ، حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظار المزور حين بنى المسجد في خلافة الوليد ، وإنما جعله مزوراً كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة ، وأن يتخذ قبلة فيصلى إليه .

وعن عروة قال : نازلت عمر بن عبد العزيز في قبر النبي ﷺ أن لايجعل في المسجد أشد المنازلة ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه ، قال : فقلت : فإن كان لابد فاجعل له جؤجؤاً ، أي : وهو الموضع المزور شبه المثلث خلف الحجرة .

قال أبو غسان : وقد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم أن عمر بنى البيت غير بنائه الذي كان عليه ، وسمعت من يقول : بنى على بيت النبي ﷺ ثلاثة جدر ، فدون القبر ثلاثة جدر ، جدار بناء بيت النبي ﷺ ، وجدار البيت الذي يزعم أنه بني عليه ، وجدار الحظار الظاهر .

قلت : لم نجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها في العمارة التي أدركناها غير

---

(١) يعني : بغير ملاءة

جدار واحد جوف الحظار الظاهر ، مبني بالحجارة المنقوشة المطابقة إلا الشرقي منه كما سيأتي ، فإنه حادث البناء بالحجر الغشيم .

وللآجري عن رجاء بن حيوة : كتب الوليد إلى عمر وكان قد اشترى الحجرات : أن اهدمها ووسع بها المسجد ، فقعد عمر في ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فما رأيت أكثر باكياً من يومئذ ، ثم بناها كما أراد ، فلما هدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة ، وكان الرمل الذي عليها قد انهار ، وذكر أمره لمزاحم مولاه بإصلاحها بعد أن أراد أن يقوم فيسويها بنفسه .

وليحيى وابن زبالة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل : كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتي المسجد ، فأبدأ بالنبي ﷺ ، فأسلم عليه ، ثم آتي مصلاي ، فخرجت في ليلة مطيرة ، حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة ، لقيتني رائحة لا والله ماوجدت مثلها قط ، فجئت المسجد ، فبدأت بالقبر فإذا جداره قد انهدم أي من المشرق كما في رواية غيره ، فدخلت ، فسلمت ، فلم ألبث أن سمعت الحسن ، فإذا عمر بن عبد العزيز ، فأمر به فستر بالقباطي ، فلما أصبح دعا وردان البنّاء ، فدخل ، فكشف فقال : لابد لي من رجل ، فكشف عمر ساقه ليدخل ، فكشف القاسم بن محمد ، فكشف سالم بن عبد الله ، فقال عمر : مالكم ؟ قالوا : ندخل معك ، فقال : والله لانؤذيهم بكثرتنا اليوم ، ادخل يامزاحم ، فناوله .

وفي رواية لهما عن محمد بن عبد العزيز الزهري : أنه أمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس ، فبينا هو يكشف إلى أن رفع يده وتنحى واجماً ، فقام عمر فزعاً ، فقال له عبد الله بن عبيد الله : لايروعنك ، فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنها ، فحفر لها في الأساس ، فقال : يا ابن وردان غط ما رأيت

وفي « الصحيح » عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه لما سقط عنهم الحائط

زمن الوليد ، أخذوا في بنائه ، فبدت لهم قدم ، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ ، فما وجدوا أحداً يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : والله ماهي قدم النبي ﷺ ، ماهي إلا قدم عمر .

ولابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم : أن البيت مربع مبني بحجارة سود وقصة ، الذي يلي القبلة منه أطوله ، والشرقي والغربي سواء ، والشامي أنقصها ، وباب البيت مما يلي الشأم مسدود بحجارة سود وقصة ، ثم بنى عمر بن عبد العزيز عليه هذا البناء الظاهر ، وزوّاه لئلا يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين المسجد .

قالوا : والبناء الذي حول البيت بينه وبين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان ، ومما يلي المغرب ذراع ، ومما يلي القبلة شبر ، ومما يلي الشأم فضاء كله ، وفي الفضاء الذي يلي الشأم مركن مكسور ، ومكيل خشب .

قال عبد العزيز بن محمد : يقال : إن البنائين نسوه هناك . اه .

وليحيى عن أبي غسان محمد بن يحيى ، قال : سمعت من يقول في الحظار الذي على قبر النبي ﷺ : مركن وخشبة ، وحديدة مسندة . قال محمد بن يحيى : وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد : هو مركن تركه العمال هناك . وقال محمد بن يحيى : فأما أنا فإني اطلعت في الحظار ، فلم أر شيئاً ، فزعم لي زاعم أنه قد رأى ثم المركن وشيئاً موضوعاً مع المركن ، وأما أنا فلم أره ، ولم أعلم أحداً يدري من أخذه ، ولم أر للبيت الذي في الحظار باباً ، ولا موضع بابه ، وقد أخبرني ابن أبي فديك ، أنه رأى باب بيت النبي ﷺ مما يلي الشأم . اه .

قلت : لم نر للبيت عند انكشافه في العمارة التي أدركناها باباً ولا موضعه ، لا في جهة الشأم ولا في غيرها .

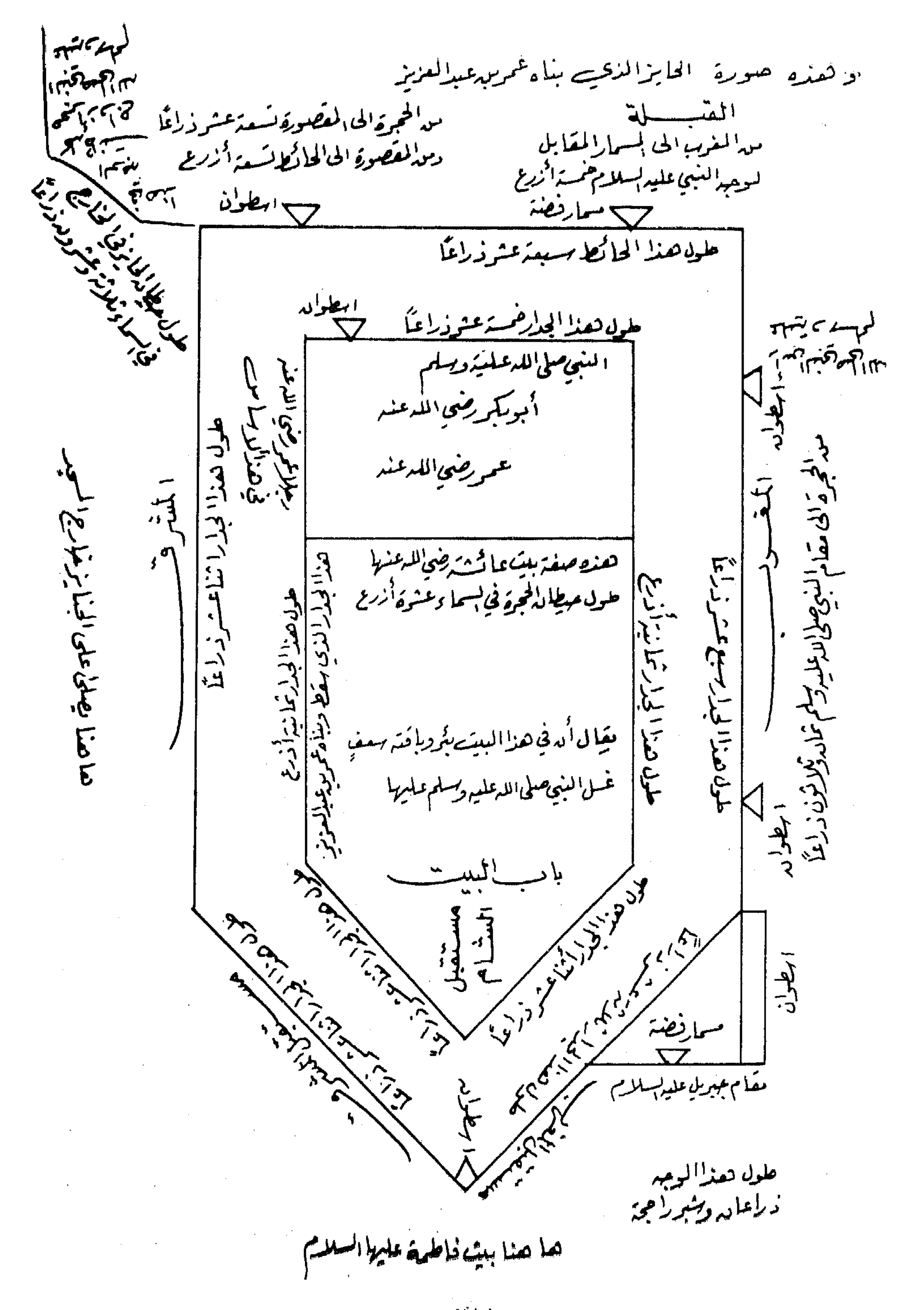
ونقل ابن شبة عن أبي غسان ، أنه اطلع من بين سقفي المسجد ، وعاين

الحظار الظاهر الذي على البيت وما فيه حين انكسر خشب سقف المسجد ، فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته سنــة ثلاث وتسعين ومائة ، وذكر في تصويره الفرجة بين الجدارين في المشرق ثلاثة أذرع ، وبينها في المغرب ذراع ، وبينها في القبلة أقل من ذراع ،ورأس هذه الفرجة مما يلي المشرق ذراع .

قلت : الذي تحرر لنا من مشاهدة ذلك صحة ما ذكره في الفرجة بين القبلتين فإنها مما يلي المشرق نحو ذراع ، فإذا قرب من الوجه الشريف تضيقت نحو شبر ، ثم أقل من ذلك ، وقريب من ابتدائها في المشرق بنـاء يمنع المرور في محاذاة الأسطوانة البارز بعضها في الحائز الظاهر من القبلة نحو عرضها كما سيأتي في تصويره .

وأما الغربيان : فلم يكن بينها فرجة ولا مغرز إبرة ، ومعلوم أن الجدار الظاهر لم يغير عن محله لصحة ما وصفه بـه المؤرخون بالنسبـة إلى الأمور المحاذية له من خارجه ، وشاهد الحال من رؤية البناء الداخل قاض بأنه لم يغير منـه إلا جهة المشرق ، وما يليها من القبلة والشأم كما سنوضحه .

وما ذكره أبو غسان من أن الفرجة بين الشرقيين ثلاثة أذرع مخالف لما سبق عن ابن زبالة ، والظاهر : أنها كانت كما ذكره أبو غسان ، لا على ما ذكره ابن زبالة ، ولا على ما وجدناها عليه ، لأنا وجدناها نحو ذراع اليـد مما يلي الشأم ، ونحو شبر مما يلي القبلة ، لكن وجـد الجدار الشرقي الداخل وما اتصل بـه من القبلة والشأم ليس مبنياً من جنس بناء بقيـة الحجرة ، فإن الحجرة مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة من داخل الجدار وخارجه ، بخلاف هذه الجهة ، ووجد عند نقض جدارها الشامي مـن داخله رأس جـدار من محاذاة الأسطوانة الآتي تصويرها خلف هذا الجدار الشامي ، يشهد الحال أنه كان آخذاً من الشامي إلى ما يحاذيه من القبلي عند الأسطوانة التي هنـاك : وكان ذلك محل الجدار الشرقي من البناء الداخل ، وقد صوّره أبو غسان في محاذاة الأسطوانتين المذكورتين ، فكأنه انهدم ، وعند


وهذه صورة الحايز الذي بناه عمر بن عبد العزيز
القبلة
من المغرب الى المسمار المقابل لوجه النبي عليه السلام خمسة أذرع
مسمار فضة
اسطوان
من الحجرة الى المقصورة تسعة عشر ذراعًا ومن المقصورة الى الحائط تسعة أذرع
طول هذا الحائط سبعة عشر ذراعًا
اسطوانه
طول هذا الجدار خمسة عشر ذراعًا
النبي صلى الله عليه وسلم
أبو بكر رضي الله عنه
عمر رضي الله عنه
هذه صفة بيت عائشة رضي الله عنها
طول حيطان الحجرة في السماء عشرة أذرع
يقال أن في هذا البيت قبرًا وباقيه سقف
غسل النبي صلى الله عليه وسلم عليها
باب البيت
مستقبل الشام
المشرق
المغرب
مسمار فضة
مقام جبريل عليه السلام
طول هذا الوجه ذراعان وشبر راجحة
ها هنا بيت فاطمة عليها السلام

إعادته لم يعـد في محله ، بل وسعوا في الحجرة من الفرجة المذكورة حذراً مما سبق من ظهور ساق عمر رضي الله عنه عند حفر الأساس .

لكن لم ينبه أحد من المؤرخين على ذلك ، غير أن في رحلة ابن عاث النفري حدثت بالمدينة الشريفة ، أو بمدينة السلام ، بأنهم سمعوا منـــذ سنين قريباً من الأربعين هدّة في الروضة ، أي : الحاوية للقبور الشريفة ، فكتب في ذلك إلى الخليفة ، فاستشار الفقهاء ، فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد ، فاختاروا لذلك بدراً الضعيف كان يقوم الليل ويصوم النهار من فتيان بني العباس ، فدلي حتى دخل ، فوجد الحائط الغربي قد سقط ، وهو حائط دون الحائط الظاهر فصنع له لبن من تراب المسجد ، فبناه وأعاده كما كان ، ووجـــد هناك قعباً من خشب أصابه وقوع الحائط فكسره ، فحمل إلى بغداد مع شيء من تراب الحائط ، وكان يوم وصوله إلى بغداد يوماً مشهوداً تجمع لاستقباله الناس ، وعطلت الصناعات والبيـع .

ورحلة ابن عاث سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقـــد قال : قريباً من أربعين سنة ، فيكون ذلك في نحو السبعين وخمسمائة في دولة المستضيء ، فلعل هـذه الواقعة هي التي كان فيهـــا التغيير المذكور ، وكأنه أطلق الغربي على المنهـدم بالنسبة إلى الجدار الخارج الذي يليه في المشرق ، ولم يبن إلا بالحجر لكنه غير منقوش كما قدمناه ، ولعـله أراد باللبن ما وجـد من سترة هناك على رأس الجدار يشهد الحال بتجددها لزيادتها عما ذكره الأقدمون من الذرع .

لكن في كلام ابن النجار ما يقتضي أنـه لم يقـع دخول إلى الحجرة الشريفة من سنة أربـع وخمسين وخمسمائة إلى زمنـــه ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فإنه قال : اعلم أن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوت هدّة في الحجرة ، وكان الأمير قاسم بن مهنا الحسيني ، فأخبروه ، فقال : ينبغي

أن ينزل شخص ليبصر ، ففكروا فيمن يصلح ، فلم يجدوا إلا شيخ شيوخ الصوفية بالموصل عمر النشائي كان مجاوراً بالمدينة ، فذكر أن به فتقاً يحوجه إلى التردد للغائط ، فألزموه ، فاستمهل ليروض نفسه ، ثم أنزلوه في الحبال من الخوخة الآتي ذكرها بالسقف إلى الحظير الذي بناه عمر ، ودخل منه إلى الحجرة ومعه شمعة يستضيء بها ، فرأى شيئاً من طين السقف قد وقع على القبور ، فأزاله ، وكنس التراب بلحيته . قيل : إنه كان مليح الشيبة ، هذا ما سمعته من أفواه جماعة ، والله أعلم بحقيقة الحال في ذلك .

ثم قال ابن النجار : في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة في أيام قاسم أيضاً ، وجدوا من الحجرة رائحة منكرة ، فأمرهم الأمير قاسم بالنزول ، فنزل بيان الأسود الخصي أحد خدام الحجرة مع الصفي الموصلي متولي عمارة المسجد ، ونزل معهما هارون الشادي الصوفي ، فوجدوا هراً هبط في الحائز بين الحجرة والمسجد ، أي : بين الجدارين ومات وجيف ، فأخرجوه وذلك يوم السبت الحادي عشر من ربيع الآخر ، ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هناك . اهـ .

والظاهر : أن قضية ابن عاث متحدة مع ما ذكره ابن النجار ، ولم يقع تحريرها لعدم تدوينها ، ثم ظفرت في كلام بعض حفاظ عصرنا فسح الله في أجله أن مما وقع عند رأس المائة الرابعة ، أنه في سنة سبع وأربعمائة اتفق تشعيث الركن اليماني من الكعبة ، وسقوط جدار قبر النبي ﷺ ، وسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، فعدّ ذلك من أغرب الاتفاق وأعجبه . اهـ .

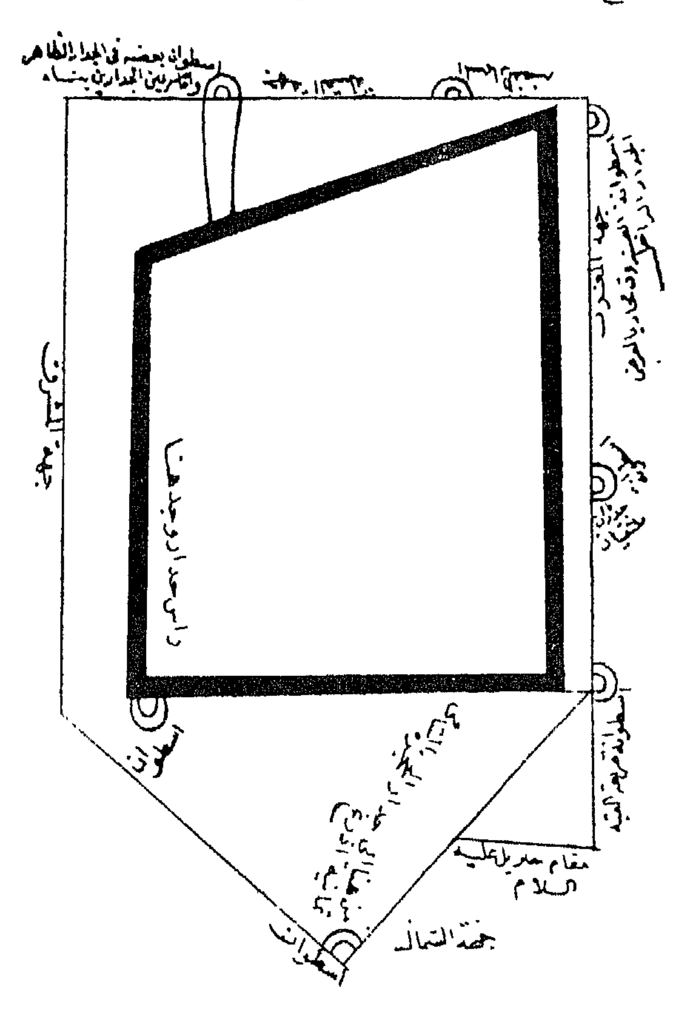
فيستفاد منه سبق ذلك بكثير على ما ذكره ابن عاث وابن النجار ، وقد ذكر ابن النجار تصوير الحجرة الشريفة ، وتبعه عليه ابن عساكر ، والزين المراغي ، وهو مخالف للتصوير الذي نقله ابن شبة عن أبي غسان ، وللتصوير الذي نقله طاهر

ابن يحيى عن أبيه ، ولما شاهدناه من تصوير الحجرة الشريفة ، وقد أوضحنا ذلك في الأصل ، ولا شك أن البناء الذي في جوف الحائز الظاهر مربع ، وقد صوره ابن النجار وأتباعه بصورة البناء الظاهر مخمساً ، فهو خطأ ، وقد ذرعت الحجرة الشريفة من داخلها بجريدة طويلة ، فكان ذرع مقدمها الذي يلي القبلة بين المغرب والمشرق عشرة أذرع وثلثي ذراع ، وذرع مؤخرها مما يلي الشأم أحد عشر ذراعا وربع وسدس ، وذرع عرضها من القبلة إلى الشأم في كل من جانبيها الغربي والشرقي سبعة أذرع بتقديم السين ونصف وثمن ، وهو قريب من الذرع الذي ذكره ابن شبة ويحيى في تصويرهما ، وعرض منقبة الجدار الداخل من الجوانب كلها ذراع ونصف وقيراطان إلا الشرقي المجدد ، فإنه ذراع وربع وثمن فقط ، وعرض منقبة الحائز الظاهر ذراع وربع وثمن ، وارتفاعه في السماء من أرض المسجد حوله ثلاثة عشر ذراعاً وثلث ذراع ، يزيد في بعض الجهات يسيراً ، وهو مبنيّ بالحجر الغشيم ، ورؤيته من داخله شاهدة بأنه زيد في أعلاه نحو نصف ذراع بالآجر لما زيد في الجدار الداخل سترة للسقف الآتي ذكره ليساويه ، ولذا قال أبو غسان : إن ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعاً غير سدس ، فوافق ذلك ذرعنا المتقدم .

وأما ما ذكره ابن النجار ومن تبعه في ذرعه من أنه ثلاثة وعشرون ذراعاً ، فقد أدخلوا في ذلك طول الشباك المتصل من رأس هذا الجدار إلى سقف المسجد ، فإن عمر بن عبد العزيز لم يبلغ بحائزه سقف المسجد ، وقد ذكر ابن النجار أن الجمال الأصفهاني عمل للحجرة أي لحائزها مشبكاً من الصندل والأبنوس ، وأداره حولها مما يلي السقف . اه .

فهو الشباك المذكور ، ولعل الأصفهاني أول من أحدثه ، ولا ذكر له في كلام المتقدمين ، وقد ذكرنا في الأصل ذرع كل صفحة من صفحات هذا الحائز المخمس ، وارتفاع الجدار الداخل في السماء من خارجه بين الجدارين خمسة عشر

ذراعاً ، ومع ذلك فتظهر مساواته للحائز الخارج ، وسببه علوّ أرض المسجد خارج الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع ونصف ، والرحبة التي شبه المثلث بين الجدارين خلف الجـدار الشامي وجدت مجدولة بالحجارة ، وطولها من القبلة إلى الشأم ثمانيـة أذرع ، والأرض من داخل الحجرة منخفضة أيضاً عما بين الحائزين بذراع وربـع ، وهذه الصورة الـتي وجدنا الحجرة الشريفة عليها .



وسيأتي في الرابع عشر ما أحدثه متولي العمارة : الشمس ابن الزمن من التغيير في ذلك ، وتصوير ما استقرّ عليه الأمر .

وذكر ابن النجار : أن على الحجرة أي : سقفها ثوبـاً مشمعاً مثل الخيمة ،

وفوقه سقف المسجد ، وفيه ، أي : فيما تحت المشمع المذكور ، خوخة عليها مرق أي طابق مقفول ، وفوق الخوخة في سقف السطح ، أي : سقف المسجد خوخة أخرى فوق تلك الخوخة ، وعليها مرق مقفول أيضاً ، وبين سقف المسجد وبين سقف السطح فراغ نحو الذراعين ، أي : بين السقف الثاني لسطح المسجد والأول ، فإنه سقفان كما سيأتي بينهما فراغ نحو الذراعين ، وهذا الذي ذكره كان قبل الحريق الأول ، وأما بعده ، فقد أدركت بين سقفي المسجد في سقفه الذي يلي الحجرة ألواحاً مسمرة سمر عليها ثوب مشمع ، وفيها طابق مقفل في محـاذاة وسط بناء الحجرة الداخل ، لا كما قال المطري أنه إذا فتح يكون النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبي ﷺ وبين الحائز الذي بناه عمر بن عبد العزيز ، قال : وسقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد ، وهو خطأ أيضاً ، بل شاهدت عليها سقفاً متقناً عمل بعد الحريق الأول ، لأن آثار خشب السقف المحترق ظهرت لنا تحت هذ السقف المجدّد عليها سترة من لبن ، ولم ير من جدد هذا السقف وضعه في محل تلك الأخشاب لما يترتب عليه من إخراج رؤوس تلك الأخشاب المحترقة من الجدار ، فجعله فوق تلك السترة ، وجدد له سترة نحو نصف ذراع ، وجعله من ألواح ساج على حزم من الساج ، وجعله قطعاً مكلبة بقضبان من الحديد بعضها في بعض ، ولم يجعل فيه طابقاً ، وجعل عليه ستارة من المحابس اليمنية مبطنة .

وقال ابن رشد في بيانه : ولقد أخبرني من أثق به . أنه لا سقف للقبر الشريف اليوم تحت سقف المسجد . اهـ . ووفاة ابن رشد سنة عشرين وخمسمائة ، فهو قبل الحريق الأول بمدة مديدة ، فهو مخالف لقضية كلام المؤرخين ، ولما سيأتي عن مالك رحمه الله في الكسوة ، ولا شك في كونه كان مسقوفاً قبل الحريق لما سبق ، وقد وجدنا بقية ميزابه في العمارة التي أدركناها من عرعر ، ولا شك أيضاً في كونه كان مسقوفاً في الصدر الأول .

ولذا روى الدارمي في صحيحه [1] عن أبي الجوزاء قال : قحط أهـل المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقالت : فانظروا قبر النبي ﷺ ، فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا ، فمطروا حتى نبت العشب ، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم ،فسمي عام الفتق .

قال الزين المراغي : وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة ، أي القبة الزرقاء المحترقة في زماننا ، يفتحونها من جهة القبلة وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء .

قلت : وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة الشريفة ، والاجتماع هناك ، ثم إن الشجاعي شاهين الجمالي لما بنى أعالي القبة الخضراء الآتي ذكرها في الفصل بعدها ، اتخذ في ذلك كوة عليها شباك حديد ، ثم فتح كوة في محاذاتها بالقبة السفلى المتخذة بـدل سقف الحجرة الشريفة الآتي ذكرها في الثاني عشر ، وجعل على هذه الكوة شباكاً أيضاً وجعل على هذا الشباك باباً يفتح عند الاستسقاء للجدب .

وأما صفة القبور الشريفة بالحجرة المنيفة ، فقد اختلف فيها على نحو سبع كيفيات ، ذكرناها في الأصل بأدلتها ، والذي عليه الأكثر : أن قبر النبي ﷺ أمامها إلى القبلة مقدماً ، أي لجدار القبلة كما سيأتي ، ثم قبر أبي بكر رضي الله عنه حذاء منكبي رسول الله ﷺ ، وقبر عمر رضي الله عنه حذاء منكبي أبي بكر رضي الله عنه ، وهذه صفتها .

---

(١) صوابه : مسنده .

(النبي صلى الله عليه وسلم)

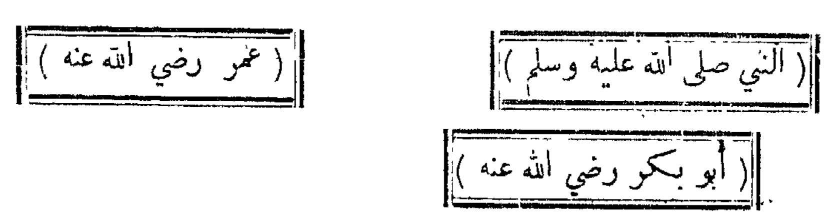
(أبو بكر رضي الله عنه)

(عمر رضي الله عنه)

ونقل المراغي : أن رزيناً ويحيى جزما بهذه الصفة ، وهو كذلك في كلام رزين رواها عن عبد الله بن محمد بن عقيل في خبره المتقدم في انهدام حائط الحجرة .

وأما يحيى فقال في كتابه : حدثنا هارون بن موسى قال : سمعت أبي يذكر عن نافع بن أبي نعيم وغيره من المشايخ ممن له سن وثقة ، وذكر ما تقدم ، وفي النسخة التي رواها ابنه طاهر عند تصوير القبور الشريفة كذلك ، وقال : إنها صفة القبور الشريفة فيما وصف بعض أهل الحديث عن عروة عن عائشة ، ثم ذكر صفة أخرى رواها ابن زبالة عن القاسم بن محمد ذكرناها في الأصل ، وأرجح ما روي عن القاسم بن محمد ما رواه أبو داود والحاكم وصحح إسناده ، عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، قال : دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت لها : يا أمَّه اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه ، فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء . زاد الحاكم : فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً ، وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ ، وعمر رضي الله تعالى عنهما رأسه عند رجلي النبي ﷺ .

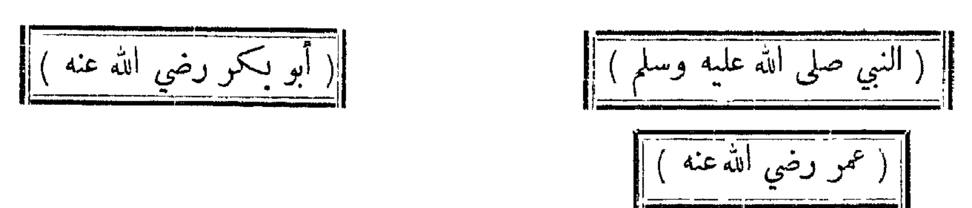
قال ابن عساكر : وهذه صفته :



وليحيى عن اسماعيل بن أبي أويس عن أبيه. واسماعيل صدوق أخطأ في أحاديث

من قبل حفظه ، وأبوه صدوق يهم ، وبقية رجاله ثقات ، عن عمرة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وصفت لنا قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وقبر عمر رضي الله تعالى عنها ، وهذه القبور في سهوة في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها : رأس النبي ﷺ مما يلي المغرب ، وقبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه رأسه عند رجلي النبي ﷺ ، وقبر عمر رضي الله تعالى عنه خلف النبي ﷺ ، وبقي موضع قبر ، وهذه صفة قبورهم على ما وصف ابن أبي أويس عن يحيى بن سعيد ، وعبد الله ابن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

قال ابن عساكر بعد رواية ذلك من طريق ابن زبالة ، وهذه صفته :



قلت : ويردها ماثبت في « الصحيح » ، من أن الذي بدت قدمه عند هدم الجدار إنما هو عمر ، لأن الجدار المنهدم هو شرقي ، ولو صحت هذه الرواية لكان البادي قدم أبي بكر رضي الله عنه ، وأشهر الروايات الأولى ، والثانية صححها الحاكم كما سبق ، فهاتان أرجح ما ورد في ذلك ، وبقية الروايات تركناها لضعفها ، وقد اشتملت رواية أبي داود والحاكم على أن القبور الشريفة لم تكن مسنمة .

ولابن زبالة عن عائشة رضي الله عنها : ربع قبر النبي ﷺ ، وجعل رأسه مما يلي المغرب .

وأما مافي « الصحيح » عن سفيان التمار ، أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنماً ، زاد أبو نعيم في « المستخرج » : وقبر أبي بكر وعمر كذلك ، فلا يعارض ما سبق ، لأن سفيان ولد في زمن معاوية رضي الله تعالى عنه ، فلم ير القبر في أول الأمر ، فيحتمل كما قال البيهقي : أن القبر تسنم لما سقط عنه الجدار .

ولذا روى يحيى عن عبد الله بن الحسين قال : رأيت قبر النبي ﷺ مسنماً زمن الوليد بن هشام ، ويدل لما سبق من بقاء موضع قبر عرض عائشة رضي الله تعالى عنها على عبد الرحمن بن عوف حين نزل به الموت أن يدفن عند النبي ﷺ وصاحبيه كما رواه ابن شبة . وكذا ماروي من إذنها للحسن رضي الله تعالى عنه ومنع بني أمية له ، وكذا قولها لابن الزبير كما في « الصحيح » : لا تدفني معهم ، وادفني مع صواحبي بالبقيع . زاد الاسماعيلي : وكان في بيتها موضع قبر ، ولا ينافيه إرسال عمر رضي الله عنه يسألها أن يدفن مع صاحبيه .

وقولها كما في « الصحيح » : كنت أريده لنفسي فلأوثرنه اليوم على نفسي لاحتمال أن الذي آثرت به هو ما يقرب من قبريهما ، فلا ينفي وجود مكان آخر .

ولذا جاء في رواية : أن موضع القبر الباقي في السهوة الشرقية ، قال سعيد ابن المسيب : فيه يدفن عيسى بن مريم عليه السلام ، والسهوة قيل : كالصفة ، وقيل : شبه المخدع والخزانة .

وللترمذي من طريق أبي مودود ، عن عثمان بن الضحاك ، عن محمد بن يوسف ، عن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، قال : مكتوب في التوراة صفة محمد : وعيسى بن مريم يدفن معه . قال : فقال أبو مودود : وقد بقي في البيت موضع قبر . قال الترمذي : حديث غريب ، وفي بعض النسخ : حسن غريب ، وهكذا قال عثمان بن الضحاك ، والمعروف : الضحاك بن عثمان . اهـ .

ولفظ الطبراني في روايته : يدفن عيسى بن مريم عليه السلام مع رسول الله ﷺ وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيكون قبراً رابعاً ، وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود ، وقد أخرجه أبو ذر الهروي في كتاب « السنة » له من طريقه ، ثم أخرج عقبه من طريق حماد عن أيوب قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : لو أتيت المدينة وأقمت بها ، فإن مت دفنت في الرابع

مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ؟ فقال : والله لأن يعذبني الله عز وجل بكل عذاب إلا النار أحب إليّ من أن يعلم أني أرى نفسي لذلك أهلا .

وليحيى وابن النجار عن كعب الأحبار قال : مامن فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ، ويصلون على النبي ﷺ ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة ﷺ .

وفي صحيح الدارمي [1] نحوه ، وبوّب عليه : باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته ، ورواه البيهقي أيضاً في « شعبه » .

الفصل الحادي عشر : فيما جعل علامة لتمييز جهتي الرأس والوجه الشريفين ، ومقام جبريل عليه السلام من الحجرة الشريفة ، وتأزيزها بالرخام ، وكسوتها ، وتخليقها ، ومعاليقها ، والمقصورة التي أديرت عليها ، والقبة المحاذية لها بأعلى سطح المسجد النبوي الشريف .

أما علامة جهة الرأس الشريف ، فصندوق مصفح بالفضة بأصل الأسطوانة اللاصقة بحائز القبر الشريف عند نهاية الصفحة الغربية منه مما يلي القبلة في صف أسطوانة السرير ، وأسطوانة التوبة ، ولم أعلم ابتداء حدوثه ، وأقدم من ذكره ابن جبير في رحلته ، وكانت قبل الحريق الأول عام ثمانين وخمسمائة ، وقال : إنه قبالة رأس النبي ﷺ .

قلت : وفيه تجوز ، فقد ظهر لنا أنه في محاذاة الجدار الداخل القبلي واللحد الشريف إلى الجدار المذكور كما سيأتي .

والأصل في ذلك ، ما روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنهم ، أنه كان إذا جاء يسلم على النبي ﷺ ، وقف عند الأسطوانة

---

(١) صوابه : مسند الدارمي .

التي تلي الروضة ، أي وهي المتقدمة ، ثم يقول : هاهنا رأس رسول الله ﷺ .

والمراد منه : ما قدمناه ، وكان فوق هذا الصندوق قائم من خشب يحيط بما ظهر من الأسطوانة إلى رأس أعلى رخام الحجرة محتم مصفح بصفائح الفضة المموهة ، فلما احترق مع الصندوق في الحريق الثاني أعيد الصندوق ، وجعل موضع القائم رخام كتب فيه البسملة والصلاة والتسليم على النبي ﷺ وغير ذلك ، وأما علامة الوجه الشريف : فمسمار[1] فضة بينه وبين ابتداء الصفحة الغربية نحو خمسة أذرع ، والمذكور في كلام الأقدمين : التعليم بجعل القنديل على الرأس .

قال ابن أبي مليكة : إذا جعلت القنديل على رأسك ، والمرمرة المدخولة في جدار القبر قبالة وجهك ، استقبلت وجه النبي ﷺ .

قال المطري : هـــذا كان قبل احتراق المسجد ، فإنه لم يكن يقابل الوجه الشريف غير قنديل واحد ، ولما جدد جعل هناك عدة قناديل ، وإنما العلامة اليوم : مسمار فضة في رخامة حمراء . اهـ .

وهو يوهم حدوث التعليم بذلـــك بعد الحريق ، وليس كذلك ، فقد ذكر التعليم به ابن النجار ، فقال عقب نقل كلام ابن أبي مليكة : وهناك اليوم علامة واضحة ، وهي مسمار فضة في حائط الحجرة ، إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه ، فيقابل وجه النبي ﷺ .

وقال ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » : وثم ما هو أوضح علماً من

---

(١) جعلوا الآن بدل المسمار المذكور الكوكب الدري ، وهو قطعة من الماس كبيرة في قدر بيضة الحمام ويقال : ان وزنها مائة واثنين وأربعين قيراطا موضوعة في لوح من الذهب ، مزين بأحجار نفيسة من الماس ، وياقوت ، وزمرد وغيره ، أرسله المرحوم السلطان أحمد خان العثماني سنة ١١١١ هـ ، وفي « مرآة المدينة » لأيوب صبري : الكوكب الدري الذي أرسله إلى الحجرة الشريفة السلطان أحمد خان الثالث ، ابن السلطان محمد خان الرابع في سنة ١٠١٣ هـ .

القنديل ، وهو مسمار صفر في حائط الحجرة إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه ، وكذا قال ابن جبير في رحلته ، وكل هؤلاء كانوا قبل الحريق .

واقتضى كلام الغزالي : أن الواقف تحت القنديل يكون بينه وبين السارية التي عند رأس القبر عند زاويته الغربية ، وهي أسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع ، فهو قريب مما سبق في محل المسمار المذكور .

وقال الأقشهري : إنه سقط سنة عشرين وسبعمائة ، ولم يرد إلى موضعه إلا في رجب عام أربع وعشرين وسبعمائة .

قلت : وقد أخرج في زماننا عند ترخيم الحجرة الأول ، وأعيد إلى محله مع مسمار في أول الصفحة القبلية ، ومسمارين آخرين في طرف الصفحةالغربية ، أحدثها متولي العمارة ابتداءً منه ، ثم أزال الحريق الحادث في زماننا ذلك كله ، ثم أعيد المسمار المذكور فقط إلى محله في الترخيم المتجدد بعد حريق زماننا .

وفي كلام يحيى ما يوهم : أن محل الوجه الشريف بقرب الأسطوانة المتوسطة جدار الحائز ، وبينها وبين المسمار المذكور نحو ثلاثة أذرع ، ومشاهدة الحجرة من داخلها قاضية برد ذلك ، وتشبيك باب المقصورة القبلي الذي أحدثه متولي العمارة ضيق قد يمنع من مشاهدة المسمار إلا بتأمل يشغل القلب ، فإنه في مقابلة الصرعة الثانية منه مما يلي المشرق ، فمن حاذاها كان محاذياً للمسمار المذكور ، وهو مموه بالذهب .

ثم إن المقر الشجاعي شاهين الجمالي ، أبدل الباب المذكور بشباك نحاس ، فاتضح به شهود المسمار المذكور لمن أراده .

وأما مقام جبريل عليه السلام ، فعند مربعة القبر كما سبق فيها ، وكان هناك مسمار فضة في منحرف المربعة إلى الزاوية الشمالية من حائز الحجرة علامة عليه ، ذكره المراغي ، وكأنه سقط ولم يعد . وقد ذكر ابن جبير في رحلته هذا المحل من

الحجرة ، قال : وعليه ستر مسبل يقال : إنه مهبط جبريل عليه السلام . اهـ .

وقد ترجم ابن شبة لمقام جبريل عليه السلام ، ثم ذكر ماسيأتي عنه في باب جبريل ، وسقط من النسخة التي وقعت لنا بقية الكلام فيه ، وسنذكر من كلام ابن زبالة هناك ما يحتمل أنه يريد به هذا المحل .

وأما تأزير الحجرة الشريفة بالرخام ، فلم يذكره ابن زبالة ، لكن ذكر يحيى ما حاصله : أن حجراً كان لاصقاً بجدار القبر قريباً من المربعة كان النبي ﷺ يصلي إليه إذا دخل إلى فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وقال عليّ بن موسى الرضى : إن فاطمة ولدت الحسن والحسين رضي الله عنهم على ذلك الحجر .

قال يحيى : ورأيت الحسين بن عبد الله إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عنه فمسح به ذلك الموضع ، ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ، ففقدناه عند ما أزر القبر بالرخام ، قال راوي كتاب يحيى : الصانع هذا : هو اسحاق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة .

قلت : خلافة المتوكل هذا سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة سبع وأربعين ، فتأزير الحجرة إنما كان في زمنه ، والظاهر أنه فرش أيضاً الرخام الذي حول الحجرة بالأرض لما ذكر من كشف الحصى عن الحجر المذكور للتبرك به .

قال ابن النجار : ثم في خلافة المقتفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة جدده جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكي ، وجعل الرخام حولها قامة وبسطة .

قلت : ولم يذكر أحد من المؤرخين من جدّده بعد ذلك ، والظاهر أنه جدّد بعد الحريق الأول ، وقد جدّد في زماننا في دولة الأشرف قايتباي مرتين ، الأولى : سنة إحدى وثمانين وثمانمائة قبل حريق زماننا ، والثانية : بعده سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وكل ما يوجد اليوم من الرخام بالحجرة وغيرها قد جدّد في العمارة الثانية ، ولم يكن بعد الحريق الأول بجدار المسجد القبلي رخام سوى المحراب

العثماني ، ويسير من جنبتيه ، وفي دولة الظاهر جقمق جعل فيه وزرة كاملة بين المنارتين الشرقية والغربية ، وزادوا في العمارة الثانية ترخيم المنارة الشرقية ، وشيئاً مما بعدها في المشرق ، وترخيم باب السلام ، وعمل المنبر ودكة المؤذنين من الرخام ، وترخيم الدعائم المحدثة حول الحجرة الشريفة .

وأما كسوة الحجرة الشريفة ، فلم يتعرّض لها ابن زبالة ، ولا يحيى مع ذكر ابن زبالة لكسوة المنبر ، وجعل الستوة على أبواب المسجد .

وقال ابن النجار بعد ذكر ترخيم الحجرة وإدارة الأصفهاني للشباك المتقدّم على حائزها وتختيمه بالصندل والأبنوس : ولم تزل الحجرة على ذلك حتى عمل الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح[١] وزير الملوك المصريين[٢] ستارة من الدبيقي[٣] الأبيض وعليها الطروز والجامات المرقومة وخيطها ، وأدار عليها زناراً من الحرير الأحمر مكتوباً عليه سورة (يس) ، وأراد تعليقها على الحجرة ، فمنعه قاسم ابن مهنا أمير المدينة وقال : حتى نستأذن المستضيء بأمر الله ، فبعث إلى العراق يستأذن ، فجاءه الإذن ، فعلقها نحو العامين ، ثم جاءت من الخليفة ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطراز والجامات المرقومة ، وعلى طرازها اسم المستضيء بأمر الله ، فشيلت تلك ، ونفذت إلى مشهد عليّ بالكوفة ، وعلقت هذه عوضها ، فلما ولي الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود ، فعلقت فوق تلك ، فلما حجت الحاجة أم الخليفة وعادت إلى العراق عملت ستارة كالتي قبلها ، ونفذتها ، فعلقت على هذه ، ففي يومنا على الحجرة ثلاث ستاير ، بعضهن على بعض . انتهى .

وظاهره : أن ابن أبي الهيجاء أول من كسا الحجرة ، لكن قال رزين في

---

(١) هو ابن رزيك .

(٢) هم الفاطميين الشيعة الاسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر .

(٣) نسبة إلى دبيق كأمير : بلد بمصر .

ضمن خبر عن محمد بن اسماعيل مالفظه : فلما كانت ولاية هارون الرشيد ، وقدمت معه الخيزران ، أمرت بتخليق مسجد رسول الله ﷺ ، وتخليق القبر ، وكسته الزنانير وشبائك الحرير . اه .

وفي « العتبية » ، قيل لمالك : قلت : إنه ينبغي أن ينظر في قبر النبي ﷺ كيف يكسون سقفه ؟ فقيل : يجعل عليه خيش ، فقال : وما يعجبني الخيش ، فإنه ينبغي أن ينظر فيه . انتهى .

وفي عشر الستين وسبعمائة اشترى السلطان الصالح اسماعيل بن الناصر محمد قرية من بيت مال المسلمين بمصر ، ووقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة والمنبر في كل خمس سنين مرة ، وذكره التقي الفاسي ، والزين المراغي ، إلا أنه قال في كسوة الحجرة : في كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الأسود مرقوماً بالحرير الأبيض ، ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها إلا كسوة المنبر ، فإنها بتفصيص أبيض . انتهى .

والعادة قسم الكسوة العتيقة عند ورود الجديدة ، والحكم فيه كحكم كسوة الكعبة .

وقد قال العلائي : إنه لا تردد في جواز قسمتها ، لأن الوقف عليها كان بعد استقرار العادة بذلك والعلم بها .

وأما تخليق الحجرة الشريفة وكذا المسجد ، فقال ابن زبالة : قدمت الخيزران سنة سبعين ومائة ، فأمرت بمسجد النبي ﷺ يخلق ، وولي ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها ، فقام إليها إبراهيم بن الفضل مولى هشام بن اسماعيل فقال : هل لكم أن تسبقوا من بعدكم ، وأن تفعلوا ما لم يفعله من كان قبلكم ؟ قالت مؤنسة : وما ذاك ؟ قال : تخلقون القبر كله ، ففعلوا ، وإنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل ، وأشار عليهم فزادوا في خلوق أسطوانة التوبة والأسطوانة التي هي علم عند مصلى

النبي ﷺ ، نخلقوها حتى بلغوا بها أسفلها ، وزادوا في الخلوق في أعلاها . انتهى .

وقد ترك أمر الخلوق في زماننا ، وأما معاليق الحجرة الشريفة الـــتي تعلق حولها من قناديل الذهب والفضة ونحوهما ، فلم أقف على ابتداء حدوثها ، إلا أن ابن النجار قال في سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رؤوس الزوار : إذا وقفوا ، أي ، وهو من داخل المقصورة اليوم معلق نيف وأربعون قنديلا كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة ، وفيها اثنان من بلور ، وواحد من ذهب ، وقمر من فضة مغموس في الذهب ، وهذه تنفذ من البلدان من الملوك ، وأرباب الحشمة . انتهى .

وعمل من ذكر مستمر بذلك ، وإذا كثرت رفع بعضها ووضع بالقبة الـتي وسط المسجد ، فاجتمع شيء كثير منه ، فاتفق في سنة إحدى عشرة وثمانمائة أن فوض الناصر فرج لحسن بن عجلان [1] الحسني سلطنة الحجاز كلـــه ، والنظر في إمرة المدينة ، وكان أميرها جماز بن هبة الجمازي فاقتضى رأي حسن تولية ثابت ابن نعير المنصوري ، فبرزت المراسيم له بذلك ، ولم يصل الخبر إلا بعد وفاة ثابت فأظهر جماز العصيان ، وجمـع المفسدين ، وأباح نهب بعض بيوت المدينة ، ثم كسر باب القبة ، وأخذ جميـع ما فيهـا ، وأحضر السلم لإنزال قناديل الحجرة وكسوتها ، فصرفه الله عن ذلك ، ثم ارتحل على جمال السواني ، وزنة ما أخذ من قناديل الفضة سبعة وعشرون قنطاراً ، وخوشخانات مختومة يقال : إنها ذهب ، وصندوقان ذهباً ، ويقال : إنه دفن غالب ذلك ، ثم قتل سنة اثنتي عشرة وثمانمائة ، فلم يعلم مكان ذلك ، ثم تجدد بالحاصل المذكور أشياء ، فأخـذ منها الأمير عزيز ابن هيازع بن هبة الجمازي سنة أربـع وعشرين وثمانمائة جانباً من ذلك زاعماً أنه على سبيل القرض ، فامتحن بعض قضاة المدينة بسببه ، ثم حمل عزيز للقاهرة محتفظاً به ،

---

(١) هو ملك مكة من أولاد قتادة ، وهؤلاء الموجودون الآن أمراء مكة من ذريته .

ومات بها مسجوناً ، ثم لم تزل هذه القناديل في زيادة حتى عدا برغوث بن بتير ابن حريس [1] الحسيني ، ودبوس بن سعد الحسيني الطفيلي على طائفة من المعلق منها حول الحجرة الشريفة في الحجة سنة ستين وثمانمائة صارا يدخلان من دار الشباك التي موضعها اليوم سبيل المدرسة الأشرفية بباب الرحمة ، وكانت خالية فيتسوّران جدار المسجد ، ثم يدخلان من بين سقفي المسجد إلى هناك ، فأخذا شيئاً كثيراً، ولم يطلع على ذلك إلا بعد مدة ، ثم أمسكا وقتلا بعد استرجاع طائفة من ذلك .

ثم بلغنا أن متولي العمارة الشمس بن الزمن ، حسّن للسلطان الأشرف حمل ما اجتمع من ذلك بالقبة إلى مصر ، وصرفه في مصالح المسجد ، فحمل جانب منه قبل الحريق الثاني .

وقد ألف السبكي تأليفاً سماه « تنزل السكينة على قناديل المدينة » ، وذهب فيه إلى جوازها ، وصحة وقفها ، وعدم جواز صرف شيء منها لعمارة المسجد ، وقد لخصناه في الأصل مع مباحث حسنة ، فراجعه .

ومن أحسن ما رأيت من معاليق الحجرة قنديلا من فولاذ كبيراً حسن التكوين محزماً [2] مكفتاً بذهب ، يضيء إذا أسرج فيه ، وعليه مكتوب : إن الناصر محمد بن قلاوون علقه بيده هناك ، وكان بالقبة ، فعلقه الشجاعي شاهين الجمالي قبالة المصلى النبوي .

وأما المقصورة التي أديرت على الحجرة الشريفة ، وبيت فاطمة رضي الله عنها بين الأساطين ، فقد أحدثها السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك أنه لما حج سنة سبع وستين وستمائة أراد جعلها من درابزين خشب ، فقام ما حول الحجرة الشريفة بيده وقدره بحبال ، وحملها معه ، وعمل الدرابزين وأرسله سنة ثمان وستين ، وأداره عليها ، وعمل له ثلاثة أبواب قبلياً وشرقياً وغربياً ، ونصبه

---

(١) وفي نسخة : جريس .

(٢) صوابه : مخرماً .

بين الأساطين التي تلي الحجرة الشريفة ، إلا من ناحية الشام ، فإنه زاد فيه إلى متهجد النبي ﷺ ، وكان ارتفاعه نحو القامة ، فزاد عليه العادل زين الدين كتبغا سنة أربع وتسعين وستمائة شباكاً دائراً عليه ، ورفعه حتى وصله بسقف المسجد ، ثم زيد لهذه المقصورة باب رابع شامي بطرف صحن المسجد عند زيادة الرواقين بمؤخر السقف القبلي سنة تسع وعشرين وسبعمائة في دولة الناصر ، ثم أحدث أمام هذا الباب من جهة الصحن سقف لطيف نحو ستة أذرع يحيط به رفرف ، وبسط بأرضه الرخام سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة في دولة الظاهر جقمق ، ثم احترق ذلك كله في الحريق الثاني عام ست وثمانين وثمانمائة ، فجعلوا بدل الناحية القبلية منها شبابيك نحاس ، وعلى أعلاها شبكة من شريط النحاس كالزرد بين أخشاب متصلة بالعقود المحدثة هناك محيطة بالحجرة الشريفة ، وعلى كل شباك شبكة من الشريط أيضاً لمنع الحمام ، وجعلوا لبقيتها من جهة الشام وما اتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد المشاجر ، وبأعلاه شريط النحاس أيضاً ، وجعلوا أبوابها من الحديد المشاجر أيضاً إلا القبلي ، فمن ساج مشبك ، ثم أبدل بشباك نحاس كما سبق ، وأحدثوا مشبكاً من الحديد المشاجر أيضاً لم يكن قبل ذلك متوسطاً بين مشبك الحجرة الشامي وما يقابله فاصلاً بين الرحبة التي خلف مثلث الحجرة الشريفة وبينها ، وبها بعض المثلث المذكور ، وبه بابان . أحدهما : عن يمين المثلث ، والآخر عن يساره ، فصار ما خلف الحجرة من بيت فاطمة رضي الله عنها كأنه مقصورة مستقلة يدخل منه إلى مقصورة الحجرة .

والظاهر : أن هذا الموضع من بيت فاطمة رضي الله عنها كان به مقصورة قبل الحريق الأول ، لأن ابن النجار قال كما سبق في بيت فاطمة رضي الله عنها : إن حوله اليوم مقصورة ، وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي ﷺ . انتهى .

فهذا مستند الظاهر ركن الدين فيما أحدثه ، وإن كان وسع الدائرة .

قال المطري : وظن الملك الظاهر أن مـا فعله تعظيماً للحجرة الشريفة ،

فحجر طائفة من الروضة مما يلي بيت النبي ﷺ ، ومنع الصلاة فيها مع ما ثبت من فضلها ، فلو عكس ما حجره وجعله خلف بيت النبي ﷺ من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلي الروضة لكان أخف ، ولم يبلغني أن أحداً من أهل العلم والصلاح ممن حضر ولا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك ، [1] أو تفطن له ، أو ألقى له بالا ، وهذا من أهم ما ينظر فيه .

قال الزين المراغي عقبه : إن للظاهر سلفاً في ذلك ، وهو ما حجره عمر ابن عبد العزيز على الحجرة من جهة الروضة ، لكنه قليل . انتهى :

قلت : وهو غلط لما قدمناه في حدود المسجد النبوي وغيره من أن عمر ترك من الحجرة طائفة زادها في المسجد من تلك الجهة ، ولو سلم ما ذكره فذاك لمصلحة حفظ القبر ، وليخالف بناؤه بناء الكعبة ، ولئلا يتأتى استقباله ، وهذه المقصورة بضدّ ذلك .

وقال البدر ابن فرحون : إن سيدي العارف بالله تعالى الشيخ علياً الواسطي بعث إلى الملك الناصر يقول له : أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج إن قضيت لي حاجة واحدة ، وهي إزالة هذه المقصورة ، فبلغه ذلك ، فتوقف ولم يفعل .

قال البدر ابن فرحون : وليته فعل ، لأنها حجرت كثيراً من الروضة ، وطائفة من المسجد . انتهى .

وقال المجد اللغوي عقبه : إن ذلك موجه ، غير أن أحد الأبواب مفتوح دائماً لمن قصد الدخول لصلاة أو زيارة ، وإنما التعطيل من كسل المصلين .

قلت : وماذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه ، فإن الباب المذكور كان مفتوحاً

---

(١) على أن العلماء أنكروا على بيبرس في عمل الشبابيك حول الحجرة ، ولكن العلماء لقرهم لا يقبل قولهم من قديم الزمان .

حتى في أيام الموسم ، كما ذكره العز ابن جماعة في منسكه محاولاً غلقه في تلك الأيام فقط ، لأن المحل يصير مأوى للنساء بأولادهن الصغار ، وربما قذروا هناك.

قال : وقد كلمت الناصر في ذلك ، فسكت ولم يجبني بشيء . انتهى .

وقد حدث بعد غلق الأبواب كلها في الموسم وغيره ، ولا يمكن من الدخول للزيارة إلا من له وجاهة ، أو يتوقع منه دنيا ، فيدخل ليلًا ، فتحقق التعطيل وأزيد منه ، وحرم الناس التبرك بما سبق مما في جوف هذه المقصورة ، وكان ذلك في دولة الأشرف برسباي بسعي نجم الدين بن حجي في ذلك لما ولي ديوان الانشاء، وأنكر عليه الولي أبو زرعة العراقي ، وكان شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر الشرف المناوي يقول : تلك البقعة من المسجد بلاشك ، فإن كان وجود القذر بها مقتضياً لصونها بالغلق والتعطيل ، فليغلق المسجد بأجمعه ، واختصاص مايقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم يكفي فيه الجدران هناك .

قلت : وقد نشأ عن تأبيد هذه المقصورة اشتهارها بالحجرة الشريفة ، ويظن من لاعلم له بالتاريخ أنها ليست من المسجد ، ثم الطامة الكبرى وهو مابتناه متولي العمارة بأرضها من الدعائم العظيمة للقبة الآتي ذكرها بعد تصريحي بأن ذلك غير جائز ، فزعموا أنهم يجعلونها على رؤوس السواري كالأولى من غير انتقاص للارض ، ثم لم يفوا بذلك لما جبل عليه متولي العمارة سامحه الله تعالى .

وأما قبة الحجرة الشريفة المحاذية لها بأعلى سطح المسجد تمييزاً لها ، فلم تكن قبل حريق المسجد الاول ، ولابعده إلى دولة المنصور قلاوون الصالحي ، بل كان قديماً حول مايواري الحجرة في سطح المسجد حظير من آجر مقدار نصف قامة تمييزاً لها عن بقية سطح المسجد حتى كانت سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فعمل هناك قبة مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤوس السواري المحيطة بالحجرة الشريفة في صف أسطوان الصندوق ، وسمر عليها ألواح من خشب ، ومن

فوقها ألواح الرصاص ، وفي أسفلها طاقة يبصر الناظر منها سقف المسجد الأسفل الذي كان به الطابق ، وعليه المشمع ، وكان حول هذه القبة بالسطح الأعلى ألواح رصاص مفروشة فيما قرب منها ، وتحيط بها وبالقبة درابزين من الخشب جعل مكان حظير الآجر ، وتحته أيضا بين السقفين شباك خشب يحكيه ، وكان المتولي لعملها الكمال أحمد بن البرهان الربعي ناظر قوص ، ذكره في الطالع السعيد ، قال : وقصد خيراً وتحصيل ثواب .

وقال بعضهم : أساء الأدب بعلو النجارين ودق الحطب ، قال : وفي تلك السنة حصل بينه وبين بعض الولاة كلام كثير ، فوصل مرسوم بضرب الكمال ، فضرب ، فكان من يقول : إنه أساء الأدب ، يقول : إن هذا مجازاة له ، وصادره الأمير علم الدين الشجاعي ، وخرب داره ، وأخذ رخامها وخزائنها ، ويقال : إنها بالمدرسة المنصورية . انتهى .

وجددت القبة الشريفة المذكورة أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فاختلت الألواح الرصاص عن موضعها ، فخشوا من الأمطار ، فجددت أيضاً ، وأحكمت أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة خمس وستين وسبعمائة ، وأصلح فيها متولي العمارة شيئاً في عمارته الآتية في الفصل بعده ، ثم احترقت في حريق المسجد الثاني ، فاقتضى رأي متولي العمارة سنة سبع وثمانين وثمانمائة اتخاذها متناهية في العلو ، وأن تكون من آجر ، وأن يؤسس لها دعائم عظام بأرض المسجد وعقود حولها ، فاتخذ هذه الدعائم التي في موازاة الأساطين التي إليها المقصورة السابقة ، وأبدل بعض الأساطين بدعائم ، وأضاف إلى بعضها أسطوانة أخرى ، وقرن بينهما ، وحصل فيما بين جدار المسجد الشرقي وبين الدعائم المحدثة هناك ضيق فهدم الجدار الشرقي هنالك إلى باب جبريل ، وخرج بالجدار في البلاط ناحية موضع الجنائز نحو ذراع ونصف ، وأحدث دعامتين عن يمين مثلث الحجرة ويساره ،

الأولى منها في المحل الذي سبق في الرابع أن الناس يحترمونه ، ويقال : إن قبر فاطمة الزهراء به ، فبدا لحد القبر ، وبعض عظامه ، أخبرني بذلك جمع شاهدوه ، ثم لما تمت هذه القبة تشققت أعاليها ، فرمت ، فلم ينفع الترميم فيها لخسة مؤنتها ، ففوّض الأشرف قايتباي أعز الله أنصاره وأعلى في سلوك العدل مناره للشجاعي شاهين الجمالي النظر في ذلك وفي المنارة الرئيسية السابق ذكرها في الثامن ، وولاه شيخ الخدام ، وناظر الحرم ، فاقتضى الرأي بعد مراجعة أهل الخبرة هدم المنارة كلها ، وهدم أعالي هذه القبة ، واختصار يسير منها ، فاتخذ أخشاباً في طاقاتها ، واتخذ سقفاً هناك يمنع ما يسقط عند الهدم بالحجرة الشريفة ، ثم هدم أعاليها ، وأعاد بناءه مع الإحكام بحيث اتخذ في بنائها الجبس الأبيض ، حمله معه من مصر ، فجاءت متقنة ، واتخذ أساقيل شرقي المسجد لصعود العمال في عمارتها وعمارة تلك المنارة ، ولم تنتهك حرمة المسجد بمرورهم ، ولا بعمل شيء من الصنائع كنحت الأحجار ونجر الأخشاب بحيث صار أهل المسجد في دعة وسكون ،وكأن العمارة ليست به ، وكان في زمن غيره كالسوق ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وكان ذلك في عام اثنتين وتسعين وثمانمائة .

الفصل الثاني عشر : في العمارة المتجددة بالحجرة الشريفة ، وإبدال سقفها بقبة لطيفة تحت سقف المسجد ، ومشاهدة وضعها ، وتصوير ما استقر عليه أمرها .

لما أنهي لسلطان زماننا الأشرف قايتباي احتياج المسجد النبوي إلى العمارة ، وفوض للشمس بن الزمن النظر في ذلك عام أحد وثمانين وثمانمائة قبل الحريق الثاني ، اقتضى رأيه تجديد رخام الحجرة الشريفة ، وقد ذكرناه فيما سبق ، فأصلح أصل أسطوان الصندوق بعد نزع ست خرزات منه كانت متشققة ، وأبدلها بست خرزات نقضوها من أسطوان بمسجد قباء ، ثم لما قلعوا رخام الصفحة الآخذة من زاوية حائز عمر بن عبد العزيز الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق ،

وكان هناك انشقاق قديم كان يظهر في الحائز المذكور عند رفع الكسوة ، وقد سدّ الأقدمون خلله بالآجر ، وأفرغوا فيه الجص ، وبيضوه بالقصة ، ثم انشق البياض من رأس الوزرة الرخام إلى رأس الجدار ، فقشروا عنه البياض ، وأخرجوا مافي خلله من الجص والآجر ، فظهر من خلله بناء الحجرة المربع جوف الحائز المذكور من عند ملتقى حائطه الشامي مع المشرقي ، وظهر فيه شق أيضاً عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيه ، قديم أيضاً سده الأقدمون ، ثم اتسع ، فعقد متولي العمارة مجلساً جوف المقصورة عند الجدار المذكور في ثالث عشر شعبان ، ونصب أساقيل هناك ، واستحضرني فحضرت بعد الاستخارة ، فوجدت الأمر قد اتفق عليه ، وتحرر أن سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميله نحوه ، وإدعام الأقدمين الداخل بأخشاب بين الداخل والخارج عند رأسها من المشرق ، فمال الجدار الظاهر لذلك ، فرجح عندي رأي ابن عباس في الكعبة حيث أشار بترميمها ، ورأيت أن ما يطلب هنا من الأدب أوجب ، فحاولت إدعام البناء المذكور ، وقلت : إنه لا يفعل هنا إلا مادعت الضرورة إليه في الحال ، فلم أوافق عليه .

وقال الزكوي قاضي الشافعية سامحه الله تعالى لمتولي العمارة : سرح العمال من الغد للهدم ، ثم بلغني أنهم ألقوا في ذهن متولي العمارة أني حريص على تفويته كون المنقبة في هذه العمارة تكون له ، فشرعوا في صبيحة رابع عشر شعبان في هدم الموضع السابق من الحائز الظاهر ، فهدموا من ملتقى الصفحتين الشرقية والشمالية التي تليها خمسة أذرع على نحو أربعة أذرع من الأرض إلى أعلى الحائز ، فظهر هدم الحريق الكائن بين الجدارين ، وظهر فيه أطراف خشب كثيرة سلمت من الحريق ، ثم نظف ذلك وكان أمراً مهولاً نحو القامة لم يتأت إزالته إلا بالعتل والمساحي ، فبلغوا في تنظيفه الأرض الأصلية وبها حصباء حمراء ، ثم ظهر أنها

مبنية بحجارة مجدولة بها ، والبيت الداخل مربع بأحجار سود على ما سبق في وصفه ولا باب فيه ، وخلف جداره الشامي أسطوان في صف مربعة القبر بعضها داخل فيه ، ثم عزم متولي العمارة على هدم هذا الجدار الشامي من البناء الداخل ، فبدأ برفع سقف الحجرة ، ثم أفاض في عقد قبـــة بدل سقف الحجرة على جدرانها ، فكرهت ذلك لعلمي بأنه يجر إلى هدم غالب جدران الحجرة ، وفيه الاتساع فيما ينبغي الاقتصار فيه على قدر الضرورة ، فأجمع أمره على عمل القبة ، فهدم الجدار الشامي والشرقي إلى الأرض ، وكذا نحو أربعة أذرع من القبلي مما يلي المشرق ، وكذا من الغربي مما يلي الشأم ، وهدموا من علو مابقي منها نحو خمسة أذرع ، ووجدوا في الغربي ومـا يليه من القبلي والشامي دون الشرقي وما يليه منها بعد هـدم السترة المبنية على سقف الحجرة المجدّد بعـد الحريق وسترة السقف المحترق بين فصوص الأحجار وأعلاها مـع رأس الجدر المذكورة لبناً غير مشوي ، طول اللبنة منه أرجح من ذراع ، وعرضها نصف ذراع ، وسمكها ربـع ذراع ، وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد ، وهو نصف ذراع ، والظاهر أنه لما بنيت الحجرة بالأحجار المنقوشة لقصد الإحكام ، وأرادوا أن لا يخلو بناؤهم من بركة اللبن الذي كان في بنائها الأول ، فوضعوه بين الأحجار المبنية بالقصة ، ولم يحصل الخلل إلا في الناحية الخالية منه ، وهي الشرقي وما يليه من القبلي والشامي ، وشاهد الحال في هذه الناحية يقتضي تجددها على ما قدمناه في العاشر ، ولما بلغوا بهدم الجدار الشامي نحو الأرض ، شرعوا في تنظيم[1] الردم الساتر للقبور الشريفة ، فمكثوا فيه يوماً كاملاً مـع كثرتهم ، حتى ملؤوا الحجرة فيما بلغني ، وتجنبت حضور ذلك خوفاً من الوقوع في سوء الأدب ، ووضعوا هذا الردم بزاوية المسقف الغربي مما يلي طرف المسقف الشامي المسمى بالدكاك ، وبنى عليه متولي العمارة دكة بارزة هناك ،

(١) صوابه : تنظيف من النظافة .

وفي صبيحة اليوم الثاني بعث إليّ متولي العمارة : ألا تشرف بمشاهدة وضع الحجرة الشريفة ؟ فحثني داعي الشوق إلى الإجابة ، وبلغ الوجد مني مبلغاً أتم نصابه ، ولله در القائل :

ولو قيل للمجنون أرض أصابها غبار ثرى ليـــلى لجد وأسرعا

فتوجهت مستحضراً عظيم ماتوجهت إليه ، ومتوقع المثول ببيت أوسع الخلق كرماً وعفواً ، وذلك هو المعول عليه ، ولله در القائل :

عصيت فقالوا كيف تلقى محمداً ووجهي بأثواب المعاصي مبرقع

عسى الله من أجل الحبيب وقربه يدار كني بالعفو فالعفو أوسع

وسألت الله تعالى أن يمنحني حسن الأدب في ذلك المحـــل العظيم ، ويلهمني مايستحقه من الإجلال والتعظيم ، وأن يرزقني منه القبول والرضى ، والتجاوز عما سلف ومضى ، فأستأذنت ودخلت من مؤخر الحجرة ، ولم أتجاوزه ، فشممت رائحة عطرة ماشممت مثلهـا قط ، فلمـــا قضيت من السلام والتشفع والتوسل الوطر ، متعت عيني من تلك الساحة بالنظر ، لأتحف بوصفها المشتاقين ، وأنشر من طيب أخبارها في المحبين ، فإذا هي أرض مستوية ولا أثر للقبور الشريفة بها ، وبوسطها موضع فيه ارتفاع يسير توهموا أنه القبر النبوي ، فأخذوا من ترابه للتبرك فيما زعموا لجهلهم بأخبار الحجرة الشريفة . فقد قال الشافعى رداً على من قال :إن النبي ﷺ أدخل قبره معترضاً : هذا من فحش الكلام في الأخبار ، لأن قبر رسول الله ﷺ كان قريباً من الجدار ، وكان اللحد تحت الجدار أي جدار القبلة ،فكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى صار معترضاً . انتهى .

وفي « تحفة ابن عساكر » عن جابر رضي الله عنه : رش قبر النبي ﷺ ، وكان الذي رش على قبره بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى

رجليه ، ثم ضرجه بالماء إلى الجدار ، ولم يقدر على أن يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره وبين حائط القبلة نحواً من سوط .

وفي « طبقات ابن سعد » عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : سقط حائط قبر النبي ﷺ في زمن عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ على المدينة في ولاية الوليد ، فكنت في أول من نهض ، فنظرت الى قبر النبي ﷺ ، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة إلا نحو من شبر ، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة .

وفي خبر عبد الله بن عقيل في قصة سقوط الجدار عند ابن زبالة ويحيى ، أن عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم لما دخل : كيف ترى قبر النبي ﷺ ؟ قال : متطأطئاً ، قال : فكيف ترى قبر الرجلين ؟ قال : مرتفعين ، قال : أشهد أنه رسول الله ﷺ ، وقد قدمنا ما شاهدناه من وصف الحجرة وذرعها في العاشر ، والتفاوت بين داخل أرض الحجرة وما حول الحائز الظاهر من أرض المسجد نحو ثلاثة أذرع ، وآثار الردم الذي أخرج في الجدران نحو ثلاثة أذرع في بعض المواضع ، وفي بعضها نحو ذراعين ، ثم شرعوا في إعادة بناء الحجرة في سابع عشر شعبان ، فاقتضى رأيهم إدخال الأسطوانة الملاصقة لجدار الحجرة الشامي من خلفه في عرض ذلك الجدار ، فزادوا في عرضه من الرحبة التي هناك ، وجعلوه متفاوت العرض ، فأسسوا عرض ما يلي المشرق منه إلى نهاية محاذاة الأسطوانة التي أدخلوها نحو ثلاثة أذرع ، وما يلي المغرب منه دون ذلك بنحو نصف ذراع ، فصارت الجهة الأولى بارزة على الثانية في الرحبة التي هناك كما سيأتي تصويره ، وعقدوا قبواً على نحو ثلث الحجرة الذي يلي المشرق والأرجل الشريفة ليتأتى لهم تربيع محل القبة المتخذة على بقية الحجرة من المغرب ، لأن الحجرة مستطيلة بين المشرق والمغرب كما يعلم مما سبق في ذرعها ، وأدخلوا ما كان بين الجدار الداخل والخارج من المشرق

في عرض حائط القبو المذكور إلى نهاية ارتفاعه ، وكذا فعلوا فيما كان بين الجدار القبلي الداخل والخارج ، سدوه أيضاً حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء إلا من جهة الشأم ، وصار علو القبو المذكور أعني سطحه وما اتصل به مما كان بين الجدارين في المشرق فضاء أيضاً بين القبة وبين الجدار الظاهر في المشرق والجدار الظاهر في القبلة ، واتخذوا له سترة من الشأم، وعقدوا القبة على جهـــة الرؤوس الشريفة بأحجار منحوتة من الأسود ، وكملت من الحجر الأبيض ، وارتفاع القبة من أرض الحجرة إلى محل هلال القبة ثمانية عشر ذراعا وربع ذراع ، ومن أرض الحجرة إلى رأس القبو الذي بني عليه جانب القبة الشرقي نحو اثني عشر ذراعا ، وجعلوا على رأس جدار القبة الشامي بناءً يسيراً مما بقي من اللبن الذي تقدم وجوده فيما هدم من الحجرة ، وكان كثيرا ، فأخذ أكثره .

وذكر لي متولي العمارة ، أنه جعل الميزاب الذي وجد بالحجرة من عرعر ، وقد احترق بعضه في حرق هـــذا البناء ، وتركوا في نحو وسط هـذا الجدار خوخة ، فلما لم يبق إلا هي أدخلوا منهـا شيئاً كثيرا من حصباء عرصة العقيق التي يفرش بهـا المسجد بعد أن غسلوها لتوضع على محل القبور الشريفة ، وكنت قد ذكرت لهم أن القبر الشريف يلي جدار القبلة كما سبق ، وأنه يستنبط مما سبق في كون المسمار من الجدار الظاهر في محاذاة الوجه الشريف : أن ابتداء القبر الشريف من المغرب على نحو ذراعين من الجدار القبلي الداخل ، لأنا إذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين أعني الداخل منهما والخارج ، وهو نحو ثلاثة أذرع كان الباقي ما بين المسمار وطرف الصفحة الغربية نحو الذراعين ، فاستحسنوا ذلـــك ، وتولى الدخول ووضع الحصباء على القبور الشريفة ابن أخي متولي العمارة ، وصهره زوج أخته ، فوضعوا الحصباء على المحل المذكور ، وأخـذوا بالصفة المشهورة في

كيفية القبور الشريفة من كون رأس أبي بكر خلف منكب رسول الله ﷺ ، ورأس عمر خلف منكب أبي بكر رضي الله عنهما ، فوضعوا الحصباء لهما كذلك ، وكان صهر متولي العمارة حنفياً ، فجعلها مسنمة ، وأكثروا في ذلك المحل من البخور بالعود والعنبر وغيرهما من أنواع الروائح ، وعرف المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح ، ولله در القائل :

بطيب رسول الله طاب نسيمها فما المسك ماالكافور ماالمدل الرطب

وألقى جماعة من الناس أوراقاً كتبوا فيها التشفع بالحبيب الشفيع ﷺ ومآرب سألوها ، ثم سدّوا الخوخة المذكورة ، ونصبوا بأعلى القبة هلالا من نحاس أصفر يقرب من سقف المسجد ، فإن القبة المذكورة تحته ، ثم سدوا ماهدموه من الجدار الظاهر وأنا حاضر ، وحضرت في بعض بناء الحجرة متبركا بالعمل فيه ، ولم أحضر غير ذلك طلباً للسلامة ، وأنشدت في ذلك المحل الشريف قصيدتي التي تطفلت بها على واسع كرم الجناب ، الرفيع الحبيب ، الشفيع الحالّ بهذا الحمى المنيع التي أولها :

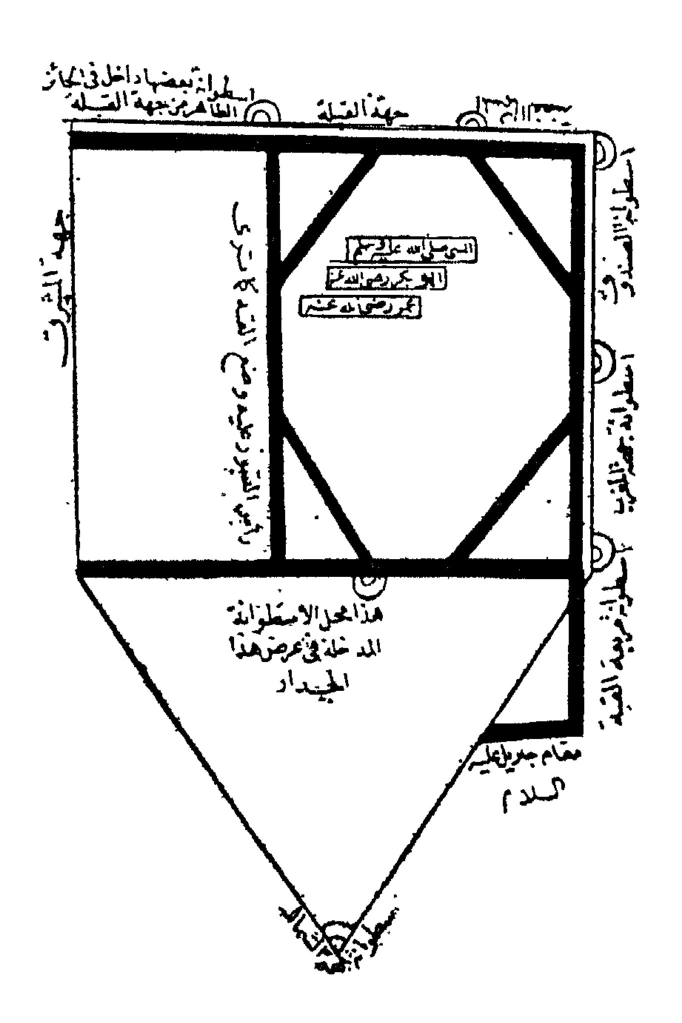
قف بالديار لحيّ في ذرى الحرم وحيّ هذا المحيّا من ذوي أضم

وكان ختم هذا البناء في يوم الخميس سابع شوّال عام أحد وثمانين وثمانمائة ، وصرفوا في ذلك وفي غيره من عمارة المسجد وترخيم الحجرة الشريفة وإعادة منارة مسجد قباء بعد سقوطها وبعض سقفه وإحكام مصرف مياه الأمطار التي كانت تجتمع حول المسجد وتسييرها إلى سروب وسخ عين الأزرق مالاً جزيلاً ، وقد صوّرنا ما استقر عليه الأمر في هيئة الحجرة المنيفة والقبور الشريفة بها ، وجعلنا صورة الحائز الظاهر بالأحمر ،[1] والبناء الداخل بالأسود ، وجعلنا خطاً لرأس القبر ،

---

(١) قوله : بالأحمر إلى آخره ، هذا لا يتيسر في الطبع فلذا جعلنا بدل الأحمر خطاً رفيعاً وبدل الأسود خطاً غليظاً كما ترى اه .

وخطوطاً لما جعل عليه وعلى ما يحاذيه من الجدارات لأركان القبة ، فلا يتوهم أن ذلك بأرض الحجرة الشريفة ، وهذه صورة ذلك .



خاتمة فيما نقل من عمل خندق مملوء من الرصاص حول الحجرة الشريفة ومـــا ناسب سببه .

قال الجمال الاسنوي في رسالة له في منع الولاة من استعمال النصارى : إن

الملك العادل نور الدين الشهيد رأى النبي ﷺ في نومه في ليلة ثلاث مرات وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول : أنجدني أنقذني من هذين ، فأرسل الى وزيره ، وتجهزا في بقية ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين نفراً ، وصحب مالا كثيرا ، وقدم المدينة في ستة عشر يوما ، فزارا ، ثم أمر باحضار أهل المدينة بعد كتابتهم ، وصار يتصدق عليهم ، ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس ، فقال : هل بقي أحد ؟ قالوا : لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة ، فطلبهما ؛ فرآهما ، فإذا هما الرجلان اللذان أشـــار إليهما النبي ﷺ ، فسأل عن منزلهما ، فأخبر أنهما في رباط بقرب الحجرة ، فأمسكهما ومضى إلى منزلهما ، فـلم ير إلا خيمتين ، وكتباً في الرقائق ، ومالاً كثيراً ، فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير ، فرفـع السلطان حصيرا في البيت ، فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة ، فارتاعت الناس لذلك ، وقال لهما السلطان : اصدقاني ، وضربهما ضرباً شديداً ، فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما سلطان النصارى في زي حجاج المغاربة ، وأمالهما بأموال عظيمة ليتحيلا في الوصول إلى الجناب الشريف ونقله ، وما يترتب عليه ، فنزلا بأقرب رباط ، وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد ، والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيـع بعلة الزيارة ، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت ، وحصل رجيف عظيم ، فقـــدم السلطان صبيحة تلك الليلة ، فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاءً شديداً ، وأمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ، ثم أمر باحضار رصاص عظيم ، وحفر خندقاً عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها ، وأذيب ذلـــك الرصاص ، وملىء به الخندق ، فصار حول الحجرة الشريفة كلها سوراً رصاصا إلى الماء . انتهى .

وأشار المطري لذلك مع مخالفة في بعضه ، ولم يذكر أمر الرصاص ، فقال :

ووصل السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس ، وسمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد ، عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان المذكور رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة وهو يقول في كل مرة : يا محمود أنقذني من هذين ، لشخصين أشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح ، فذكر ذلك له ، فقال : هذا أمر حدث بالمدينة النبوية ليس له غيرك ، فتجهز على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، ثم ذكر قصة الصدقة ، وأنه لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ عند دار آل عمر المعروفة بدار العشرة ، فجد في طلبهما ، فلما رآهما ، قال للوزير : هما هذان ، فسألهما عن حالهما ، فقالا : جئنا للمجاورة ، فقال : اصدقاني ، وعاقبهما ، فأقرا أنهما من النصارى ، وأنهما وصلا لكي ينقلا من بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهم ، ووجدهما قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان لجهة الحجرة ، ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت ، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي شرقي الحجرة خارج المسجد ، ثم أحرقا بالنار آخر النهار ، وركب السلطان متوجهاً إلى الشام . انتهى .

ونقل ابن النجار في « تاريخ بغداد » وقوع ما يقرب من ذلك ، وهو أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدي صاحب مصر بنقل النبي ﷺ وصاحبيه من المدينة إلى مصر ، وقال : متى تم لك ذلك شد الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر وكان منقبة لسكانها ، فاجتهد الحاكم في مدة ، وبنى بمصر حائزاً ، وبعث أبا الفتوح إلى نبش الموضع الشريف ، فلما وصل إلى المدينة وجلس بها ، حضر جماعة المدنيين وقد علموا ما جاء فيه ، وحضر معهم قارىء يعرف بالزلباني ، فقرأ في

المجلس (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم) إلى قوله : (إن كنتم مؤمنين) [التوبة : ١٢] فماج الناس وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومن معه ، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت لهم ، فلما رأى أبو الفتوح ذلك ، قال لهم : الله أحق أن يخشى ، والله لو كان علي من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضع ، وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه ، وكيف نهض في هذه المخزية ، فما انصرف النهار حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تزلزل من فوقها حتى دحرجت الإبل بأقتابها ، والخيل بسروجها كما تدحرج الكرة ، وهلك أكثرها وخلق من الناس ، فانشرح صدر أبي الفتوح ، وذهب روعه من الحاكم لقيام عذره .

وفي « الرياض النضرة » للمحب الطبري : أخبرني هارون بن الشيخ عمر بن الزغب وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاح عن أبيه وكان من الرجال الكبار قال : قال لي شمس الدين صواب اللمطي [1] شيخ خدام النبي ﷺ وكان رجلاً صالحاً كثير البر بالفقراء : أخبرك بعجيبة ؟ كان لي صاحب يجلس عند الأمير ، ويأتيني من خبره بما تمس حاجتي إليه ، فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني فقال : أمر عظيم حدث اليوم ، جاء قوم من أهل حلب ، وبذلوا للأمير مالاً كثيراً ليمكنهم من فتح الحجرة الشريفة ، وإخراج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما منها ، فأجابهم لذلك، فلم ألبث أن جاء رسول الأمير يدعوني ، فأجبته ، فقال : يا صواب يدق عليك الليلة أقوام المسجد ، فافتح لهم ، ومكنهم مما أرادوا ، ولا تعترض عليهم ، فقلت : سمعاً وطاعة ، ولم أزل خلف الحجرة أبكي حتى صليت العشاء وغلقت الأبواب ، فلم أنشب أن دق علي الباب الذي حذاء باب الأمير ، أي وهو باب السلام ، ففتحت الباب ، فدخل أربعون رجلاً أعدهم واحداً بعد واحد ومعهم المساحي

---

(١) بفتح فسكون ، نسبة إلى لمطة أرض بأقصى المغرب قبيلة من البربر ، كما في « مراصد الاطلاع » لصفي الدين الحنبلي الحلبي .

والمكاتل والشموع وآلات الهدم والحفر ، قال : وقصدوا الحجرة الشريفة ، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعهم بجميع ما كان معهم ، فاستبطأ الأمير خبرهم فدعاني وقال : يا صواب ألم يأتك القوم ؟ قلت : بلى ولكن اتفق لهم كيت وكيت ، قال : انظر ما تقول ؟ قلت : هو ذاك ، وقم فانظر هل ترى لهم أثراً ؟ فقال : هذا موضع هذا الحديث ، وإن ظهر منك كان بقطع رأسك قال المطري : فحكيتها لمن أثق بحديثه ، فقال : وأنا كنت حاضراً في بعض الأيام عند الشيخ أبي عبد الله القرطبي بالمدينة ، والشيخ شمس الدين صواب يحكي له هذه الحكاية ، سمعتها من فيه . انتهى .

وقد ذكرها مختصرة أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله بن أبي محمد المرجاني في « تاريخ المدينة » له ، وقال : سمعتها من والدي يعني الإمام الجليل أبا عبد الله المرجاني ، قال : سمعتها من والدي أبي محمد المرجاني سمعها من خادم الحجرة ، ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة ، وذكر نحو ما تقدم ، إلا أنه قال : فدخل خمسة عشر ، أو قال : عشرون رجلا ، فما مشوا إلا خطوة أو خطوتين وابتلعتهم الأرض .

الفصل الثالث عشر في الحريق الأول المستولي على ما سبق ، وعلى سقف المسجد ، وما أعيد من ذلك ، ثم الحريق الثاني وما ترتب عليه .

احترق المسجد النبوي أولاً ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أول الليل لدخول أبي بكر بن أوحد الفرّاش الحاصل الذي في الزاوية الغربية الشمالية لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، وترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل فيه مشاق ، فاشتعلت النار فيه ، وأعجزه طفؤها ، وعلقت ببسط وغيرها مما في الحاصل ، وعلا الالتهاب حتى علقت بالسقف مسرعة آخذة قبله ، وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة ، واجتمع معه غالب أهلها ، فلم يقدروا على طفئها ، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق

على جميع سقف المسجد ، وما احتوى عليه من المنبر النبوي ، والأبواب ، والخزائن والمقاصير ، والصناديق ، ولم يبق خشبة واحدة ، أي : كاملة ، وكذا الكتب والمصاحف ، وكسوة الحجرة الشريفة .

قال القسطلاني : وكان عليها حينئذ احدى عشرة ستارة ، وأزالت النار تلك الزخارف التي لا ترضي ، وشوهد من هذه النـــار أن صفة القهر والعظمة الإلهية مستولية على الشريف والمشروف ، وكان هذا الحريق عقب ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرض المدينة وحماية أهلها منهـا لما التجؤوا إلى مسجدها كما سبق ، فطفئت عند وصولها لحرمها ، وربما خطر ببال العوام أن حبسها عنهم ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم في الآخرة مع اقتراف الأوزار ، فاقتضى الحال البيان بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال ، والنـــار مطهرة لأدناس الذنوب ، وقد كان الاستيلاء على المسجد حينئذ للروافض ، والقاضي والخطيب منهم ، وأساؤوا الأدب لما ذكرناه في الأصل عن رحلة ابن جبير ، ولذا وجد عقب الحريق على بعض جدران المسجد :

لم يحترق حـرم النبيّ لحادث ... يخشى عليـــه وما به من عار
لكنها أيدي الروافض لامست ... تلك الرسوم فطهرت بالنـــار

ووجد أيضاً :

قل للروافض بالمدينة مابـــكم ... لقيادكم لـلذم كل سفيــــه
ما أصبح الحرم الشريف محرقا ... إلا لسبِّـــكم الصحابة فيـــه

ولم يسلم من الحريق سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم .

قال المطري : مثل المصحف الشريف العثماني ، وعدة صناديق كبار متقدّمة التاريخ صنعت ، أي : الصناديق بعد الثلاثمائة ، وهي باقية إلى اليوم ، وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد ، وببركة المصحف الشريف العثماني . انتهى.

وقضيته[1] نسبة المصحف المذكور إلى عثمان رضي الله عنه ، وقد ذكرنا في الأصل ما فيه ، وعمرت القبة المذكورة سنة ست وسبعين وخمسمائة .

قال المؤرخون : وبقيت سواري المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل ، وذاب الرصاص من بعض الأساطين ، فسقطت ، ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي ﷺ ، فوقعا جميعاً في الحجرة الشريفة ، وعلى القبور المقدسة ، وفي صبيحة الجمعة عزلوا موضعاً للصلاة ، وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله بن المنتصر بالله ، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق في الموسم ، وابتدىء بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمائة ، وقصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة ، فلم يجسروا على ذلك ، واتفق رأي الأمير منيف بن شيخة[2] بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني مع رأي أكابر الحرم : أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ، فيفعل ما يصل به أمره ، فأرسلوا بذلك ، فلم يصل جوابه لاشتغاله وأهل دولته بإزعاج التتار لهم ، واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة ، فتركوا الردم على حاله ، ولم ينزل أحد هناك .

زاد المجد اللغوي : ولم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزل الأقدام ، ولا يتأتى من كل أحد بادىء بدء الدخول فيه والإقدام . انتهى .

وكنت أتعجب من ذلك ، وأرى أن الأدب والتعظيم في المبادرة لإزالة ذلك ، وظننته يزال من غير ارتكاب سوء أدب ، وصنعت فيه تأليفاً حتى اتفقف العمارة المتقدم ذكرها ، فلما نقضوا الموضع المنشق من الحائز الظاهر ، ظهر أن حصة ما بين الحائزين من الهدم نحو القامة ، فعلمت عذر أهل ذلك الزمان ، ووجه توقفهم ولذا لم أحضر إزالة ما في جوف الحجرة الشريفة بعد الاستخارة .

---

(١) في نسخة : وقضيت .

(٢) في نسخة : شيحه بالحاء المهملة .

وقد اقتضى كلام المطري ومن تبعه : أنهم أعادوا سقف الحجرة على رؤوس سواري المسجد ، وأعادوا الشباك على الحائز الظاهر إلى ذلك السقف ، فصار سقف المسجد سقف الحجرة ، وقد قدمنا في الفصل العاشر رده لمشاهدتنا تسقف الحجرة أسفل السقف المذكور على جدارها الداخل ، ويتصل أيضاً بالخارج من المشرق والمغرب ، وسقفوا في سنة خمس وخمسين المذكورة الحجرة الشريفة وماحولها إلى الحائط القبلي ، والى الحائط الشرقي إلى باب جبريل ، ومن المغرب الروضة جميعها إلى المنبر ، ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة ، فكان في المحرم منها وقعة بغداد ، واستيلاء التتار عليها مع ماأسلفناه في العاشر من الباب الأول ، فوصلت الآلات من صاحب مصر المنصور نور الدين علي بن المعزإيبك الصالحي ، ووصل أيضاً آلات من صاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول ، فعمدوا إلى باب السلام ، ثم عزل صاحب مصر في ذي القعدة سنة سبع وخمسين ، وتولى مكانه مملوك أبيه المظفر سيف الدين قطز المعزي ، واسمه الأول محمود ابن ممدود ، أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأبوه ابن عمه أسر عند غلبة التتار ، فبيع بدمشق ، ثم بمصر ، وتملك في ثامن عشر [ذي] القعدة من سنة سبع.

وفي شهر رمضان من سنة ثمان أعز الله الإسلام على يده بوقعة عين جالوت ، ثم قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر ، وكان العمل في المسجد تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة ، ومن باب جبريل إلى باب النساء ، وتولى مصر آخر تلك السنة الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي البندقداري ، فحصل منه اهتمام بأمر المسجد ، فجهز الآلات وثلاثة وخمسين صانعاً ومايمونهم ، وأنفق عليهم قبل سفرهم ، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي وغيره ، ثم صار يمدهم بالآلات والنفقات ، فعمل في أيامه باقي سقف المسجد من باب الرحمة إلى شمال المسجد ، ثم إلى باب النساء ، وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق

فوق سقف إلا السقف الشمالي ، فإنه جعل سقفاً واحداً ، ولم يزل المسجد على ذلك حتى جدد السقف الغربي والسقف الشرقي اللذان عن يمين صحن المسجد وشماله في أوائل دولة الناصر محمد بن قلاوون الصالحي ، فجعلا سقفاً واحداً يشبه الشمالي ، وذلك في سنتي خمس وست وسبعمائة ، ثم أمر الناصر المذكور سنة تسع وعشرين وسبعمائة بزيادة رواقين متصلين بمؤخر المسقف القبلي ، فاتسع سقفه بهما ، وعم نفعهما إذصار سبعة أروقة ، وكان خمسة كالشمالي ، كما صرح به ابن جبير ، والشمالي اليوم أربعة ، فزادوا منه رواقاً في صحن المسجد لما نقصوا منه الرواقين المذكورين ، ثم حصل في هذين الرواقين خلل ، فجددهما الأشرف برسباي سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة على يد مقبل القديدي من مال جوالي قبرس ، وكانا سقفاً واحـــداً نسبة [1] الشمالي والشرقي والغربي أيضاً موازيـاً للسقف الأسفل من المسقف القبلي والأعلى مرتفع هناك نحو القامة ، وكان يدخل لما بين سقفيه من باب هناك يلي سقف الرواقين المذكورين ، وجدد الأشرف أيضاً شيئاً من السقف الشامي مما يلي المنارة السنجارية ، ثم جدد الظاهر جقمق كثيراً من سقف مقدّم المسجد من الروضة وغيرها في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وفيما قبلها على يد الأمير بردبك الناجي وغيره ، ثم جدد سلطان زماننا الأشرف قايتباي جانباً من المسقف الشرقي بعد هدم عقوده التي تلي صحن المسجد وما يلي المنـارة الشامية الشرقية من سوره إلى طرف دكاك المسقف الشامي ، ثم أعيد ذلك سنة تسع وسبعين وثمانمائة بعد تفويض العمارة للشمس ابن الزمن ، ثم في سنة إحدى وثمانـين ورد متولي العمارة المذكور ، فجدّد كثيراً من السقف الأعلى بمقدم المسجد من الروضة وما يليها ، وكان مولعاً بالتغيير والتبديل ، فاتخذ عقوداً من الآجر على رؤوس السواري الـــتي عليها السقف الأسفل موضع العبارات التي كان السقف الأعلى موضوعاً عليها ، ولم يبال بارتفاع تلك الجهة التي عمرها

---

(١) صوابه : يشبه بالياء والشين

على ما حولها من السقف الأعلى ، وجدّد أيضاً سقف الرواق الذي يلي الأرجل الشريفة في المشرق ، وسقف رواق باب جبريل عليه السلام ، والسقف الأسفل في موقف الزائرين ، وشيئاً مما حول الحجرة الشريفة داخل المقصورة ، وشيئاً من المسقف الشامي وغيره مع عمارة الحجرة المتقدم ذكرها ، وإبدال ما كان عليها من السقف بقبة لطيفة أسفل سقف المسجد المحاذي للقبة الكبرى المعروفة بالزرقاء مع التغيير الآتي فيها .

ثم احترق المسجد النبوي ثانياً في الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان عام ست وثمانين وثمانمائة ، وقد قام رئيس المؤذنين شمس الدين ابن الخطيب يهلل بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية مع بقية المؤذنين ، وقد تراكم الغيم ، وحصل رعد قاصف ، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة الرئيسية ، فسقط شرقي المسجد له لهب كالنار ، وانشق رأس المنارة ، وتوفي الرئيس لحينه صعقاً ، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى عند المنارة المذكورة ، فعلقت النار فيه وفي السقف الأسفل ، ففتحت أبواب المسجد ، ونودي بأن الحريق في المسجد ، فاجتمع أمير المدينة قسيطل بن زهير الجمازي وأهل المدينة بالمسجد كلهم ، وصعد أهل النجدة بالمياه لطفء النار وقد التهبت آخذة من الشمال والغرب ،فعجزوا عن طفئها ، وكادت تدركهم ، فهربوا ونزلوا بما كان معهم من الحبال لاستقاء الماء إلى شمال المسجد ، وسقط بعضهم فهلك ، ولجأ بعضهم مع من حالت النار بينه وبين الأبواب إلى صحن المسجد ، ومات في هذا الحريق المذكور زيادة على عشرة أنفس ، وعظمت النار جداً ، واستولت على سائر سقف المسجد ومافيه منخزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ما بادروا بإخراجه ، وغير القبة التي بالصحن ، وذلك كله في نحو عشرة درج ، وصار المسجد كبحر لجي من نار ترمي بشرر كالقصر ، ويسقط شررها على بيوت الجيران فلا يؤذيها .

وأخبرني أمير المدينة الزيني قسيطل ، أن شخصاً من العرب الصادقين رأى قبل ذلك بليلة أن السماء فيها جراد منتشر ، ثم عقبته نار عظيمة ، فأخذ النبي ﷺ النار وقال : أمسكها عن أمتي .

وأخبرني جماعة أنهم شاهدوا أشكال طيور بيض يحومون حول النار كالذي يكفها عن بيوت الجيران مع هرب كثير منهم لما رأوا تساقط الشرر ، وخرج بعضهم من باب المدينة لعظم ماشاهدوه من الهول ، وظنوا أنهم أحيط بهم ، ولم أشهد ذلك لأني سافرت إلى مكة للاعتمار مستهل رمضان المذكور ، وتركت كتبي بخلوة كنت أقيم بها بمؤخر المسجد ، فاحترقت وقد عوضها [1] الله عز وجل مع مامن به من السلامة وبرد الرضى ، ثم لما أصبحوا بدؤوا بطفء ماسقط على القبة اللطيفة التي جعلت بدلا عن سقف الحجرة الشريفة ، وكان الذي سقط عليهاحريق القبة الزرقاء الظاهرة بالسقف الأعلى ، ورصاصها ، وسقف المسجد الأسفل الذي كان بين القبتين ، والشباك الذي بأعلى الحائز المتقدم ذكره ، ولم يصل إلى جوف الحجرة الشريفة شيء من هدم هذا الحريق ، نحمد الله تعالى لسلامة القبةالسفلى المذكورة ، وعدم تأثير النار فيها مع ماسقط عليها مما هو كأمثال الجبال ، مع أن بعضها من الحجر الابيض الذي يسرع تأثره بالنار ، وقد أثرت هذه النار فيأحجار الأساطين وهي من الأسود ، حتى تهشم بعضها ، وتفتت ، وعدة ماسقط منها مائة وبضع وعشرون اسطوانة ، ومن الله تعالى أيضاً بسلامة الأساطين الملاصقة للحجرة الشريفة ، واحترق المنبر ، وصندوق المصلى الشريف [2] وما يعلوه من الأخشاب والمقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة ، وسقطت أكثر عقود المسجد التي تلي صحنه ، وعلو المنارة الرئيسية ، ثم كتبوا لسلطان زماننا الأشرف قايتباي بذلك ،

---

(١) وفي نسخة : وقد عوضني .

(٢) هو المبني من الخشب على رأس المحراب النبوي كالقبة

ونظفوا مقدم المسجد ، ونقلوا هدمه إلى مؤخره ، وعمل في ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقرباً إلى الله تعالى ، وفي ذلك كله عبرة تامة ، وموعظة عامة ، أبرزها الله تعالى للإنذار ، فخص بها حضرة النذير ﷺ ، وقد ثبت أن أعمال أمته تعرض عليه ، فلما ساءت منا الأعمال المعروضة ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجازى بها في موضع عرضها ، وأنا في وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجار . قال تعالى : (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) [الاسراء . ٥٩] وقال تعالى : (ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون) [الزمر : ١٦] ومن العجيب أنه لم يتأت إخراج ردم هذا الحريق من مؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق ، فشاهدوا هذه العبرة العظيمة ، ورأوا مااجتمع من آثارها كالآرام [١] والتلول الجسيمة ، ثم بالقعدة الحرام قبيل دخول الحجاج مكة من العام الثاني أرسل الله سيلاً عظيماً بمكة ملأ مابين الجبلين ، وعلى جدار أبواب المعلاة ، وارتفع في جوف الكعبة أزيد من قامة ، وهدم دوراً كثيرة ، وذهب فيه من الأموال والأنفس مالا يحصيه إلا الله تعالى ، ووجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه نحو ثمانين نفساً ، وقيل : مائة ، ولم أقف في سيول الجاهلية والإسلام على مثله ، ولم يتأت إخراج ذلك الردم بعد جمعة بالمسجد كالأردام [١] حتى قدم الحجاج وشاهدوا هذه الآية أيضاً ، ولما وصل القاصد إلى مصر المحروسة ، واتصل علم حريق المسجد بسلطانها الأشرف عظم عليه ذلك ، ورأى أن في تأهيل الله له لعمارة ذلك مزيد التشريف ، وكمال التعريف ، فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية ، ورسم بابطال عمائره المكية [٢] وبتوجه شاهدها السيفي سنقر الجمالي صحبة الحاج الأول بزيادة على مائة من أرباب الصنائع

---

(١) في نسخة : كالآكام

(٢) في نسخة : الملكية

وكثير من الحمير والجمال ، ومبلغ عشرين ألف دينار ، وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور والينبع والمدينة الشريفة ، ثم جهز متولي العمارة السابقة الشمس ابن الزمن أثناء ربيع الأول في ركب صحبته أكثر من مائتي جمل ومائة حمار ، وأزيد من ثلثمائة صانع ، وصارت أحمال المؤن متواصلة قل أن تنقطع براً وبحراً ، وقطعوا من أخشاب الدوم والشجر من جهات المدينة شيئاً كثيراً ، واستقبلوا أمر العمارة بجد واجتهاد ، وهدموا المنارة الرئيسية إلى أساسها، وهدموا من سور المسجد أولاً من ركن المنارة التي بباب السلام في المغرب إلى آخر جدار القبلة ، ثم مايليه من المشرق إلى باب جبريل ، وخرجوا بالجدار هناك في المشرق كما سبق في الحادي عشر ، وأعادوا ذلك ، ووسعوا المحراب العثماني ، وسقفوا مقدم المسجد سقفاً واحداً بعد أن قصروا أساطينه ، وجعلوا عليها عقوداً من الآجر فوقها أخشاب السقف ، وكانت الاساطين قبل واصلة الى السقف كهيئة أساطينه اليوم في المسقف الغربي والشرقي والشامي ، لأن تلك العقود التي سبق أن متولي العمارة جعلها بمقدم المسجد بين السقفين تساقطت عند الحريق على تلك الأساطين ، فهشمتها ، وأفسدت الكثير منها ، وجعلوا على المحراب العثماني قبة على عقود الأساطين بعد أن قرنوا إلى كل أسطوانة ثانية ، وجمعوا في بعضها بين خمس أساطين ، وأزالوا أسطوانة كانت بين الأسطوانة التي إليها المصلى النبوي ، وبين المحراب العثماني ، وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد بدلاً عن القبة التي كانت بسطح المسجد كما سبق آخر الحادي عشر ، وأبدلوا بعض الأساطين مما حول مقصورة الحجرة بدعائم عظيمة ، ولم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من الضيق هناك ، وجعلوا السقف عقوداً فيما بين هذه القبة وبين جدار المسجد الشرقي ، وكذا ما اتصل بها في الشأم إلى محاذاة المتهجد الشريف ، وكذا ما بينها وبين جدار القبلة ، وجعلوا في هذه الناحية قبة لطيفة ، وحولها ثلاث أخر ألطف منها أيضاً تسمى « مجاريد » ، وجعلوا بين هذه العقود

وبين المنارة الرئيسية باذهنجا[1] للضوء والهواء ، وكان باب المنارة بالمغرب ، فنقلوه إلى الشام ، وأحدثوا أمامه أربع درج بأرض المسجد ، وأفردوا محل الباب الأول بخزانة للخطيب ، وكان جلوسه إلى أن يخرج للخطبة في الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة ، وقد أعاد المقر الشجاعي شاهين الجمالي عند تجديد المنارة المذكورة بابها إلى محله الأول ، وأبطل تلك الدرج المحدثة جزاه الله تعالى خيراً ، واتخذوا أيضاً قبتين أمام باب السلام من داخله ، وبنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود ، وزينوه كثيراً ، وكذا زّينوا القباب المذكورة ، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوي ، واتخذوا له محراباً في دعامة ابتنوها في محل الصندوق الذي كان هناك قديماً ، وزخرفوه بالرخام الملوّن ، وكذا المحراب العثماني ، وزادوا في رخامه من جنبيه بأعلى الوزرة على ما كان أولاً ، وأعادوا ترخيم الحجرة وغيرها ، واتخذوا المقصورة على ما سبق في الحادي عشر ، واتخذوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام كما سبق ، وجعلوا فيما يلي باب الرحمة وباب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين ، إحداهما بالمسقف الغربي ، وجعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيراً ،ولا ذكر لهذه الدكاك الشامية في كلام الأقدمين،والظاهر أنها حدثت في عمارة الحريق الأول ، كما حدث هاتان في عمارة الثاني .

وكنت قد توجهت لزيارة والدتي وأهلي ، فرجعت آخر عام سبع وثمانمائة ، فوجدتهم فرغوا من مقدم المسجد ، وجانب من غيره ، ثم هدموا من جدار المسجد من المغرب مابين منارة باب السلام إلى باب الرحمة ، واستبدل متولي العمارة ما يحاذي ذلك من الرباط المعروف بالحصن العتيق بباب السلام ، وما في شاميه من المدرسة الجوبانية ، والدار التي كانت تعرف بدار الشباك بباب الرحمة لاتخاذ

(١) أي : منوراً .

مدرسة ، ورباط السلطان الاشرف أعز الله أنصاره وأعلى في سلوك العدل مناره ، واتخذ في هذ لجانب فتحات كثيرة في ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة ، إلا أن الفتحات الثلاث التي تلي باب السلام جعلوها في الحاصل الذي كان هناك ، وبه باب خوخة الصديق ، وأبوابها الثلاثه نافذة في المسجد ، وجعلوا الفتحة الخامسة من باب السلام باباً ينفذ إلى المسجد يتوصل منـــه إلى المدرسة المذكورة ، وجعلوا على الفتحات التي على الطبقة الثالثة العليـا شبكة من شريط النحـاس لأنها جعلت لمجرد الضوء ، وكان متولي العمارة قد اتخذ مثل ذلك بالجدار القبلي لعزمه على جعل المدرسة هناك ، ثم صرف الله عزمه إلى هذه الناحية ، فسد تلك الفتحات إلا مايحاذي القبة المتخذة للمحراب العثماني ، فجعل لها قمريات من الزجاج ، وشبكات من شريط النحاس ، وكذا جعل لفتحات أحدثها في الجدار الشرقي أيضـاً ، وشرع السلطان أيده الله وسدده في تعويض ما فات من المصاحف والربعات والكتب ، وبعث بطائفة من ذلك على يدي ، ولما قارب المسجد التمام شـــرعوا في المدرسة والرباط المذكورين ، وجعلوا بذلك منارة تلي باب الرحمـة ، وشرعوا أيضاً في رباط بدل رباط الحصن العتيق ، وحمام قبالته بناحية ميضـأة باب السلام ، وفي عمارة سبيل ، وطاحون ، وفرن ، ومطبخ للجشيشة ، ووكالة ذات حواصل في الدور التي اشتروها قبل ذلك من دور العياسا وما يليها في القبلة من أجل السماط الذي أراد السلطان إجراءه بالمدينة الشريفة ، وهو أمر لم يسبق إليه على هـــذا الوجه ، واتخذ لذلك أوقافاً عظيمة متحصل ريعها من الحب سبعة آلاف أردب، وخمسمائة أردب ، ورسم بإبطال مكوس المدينـة ، وعوض أميرها ألف أردب تحمل له في كل سنة إلى ينبع ، وكملت سقف المسجد ، كلها أواخر شهر رمضـان عام ثمان وثمانين وثمانمائة ، وتمت عمارته عقب ذلك .

وفي عام تسع وثمانين بعث السلطان جماعة من الدهانين لمحو ما بلغه من تساهل متولي العمارة في استعمال النيلة في بعض السقف ، وإبداله باللازورد ، وجهز معهم أساقيل لذلك ، فنصبوها ، وأصلحوه ، وتغير خاطره على متولي العمارة بسبب ذلك ، وغيره ، ثم جهز المقر الأشرف البدري أبا البقاء بن الجيعان أسبغ الله عليه النعم وحفظه من النقم في ركب مع جماعة من خواصه ، فقدم سابع القعدة الحرام من العام المذكور ومعه كتب كثيرة في العلوم جعلت وقفاً بالمدرسة الأشرفية ، وآلات السماط من القدور ، وأحمال كثيرة من الدقيق والحب ، وبقايا آلات العمارة صحبها من الينبع مما جهز في المراكب الشريفة ، فقرر أمر السماط لكل نفر في الشهر سبع أردب مصري ، وذلك خمسة أمداد بمد المدينة ، اليوم ، وسوّى في ذلك بين الصغير والكبير ، والحر والرقيق ، فيعطى كل شخص على عدد عياله ما ذكر ، وجعل للآفاقيين لكل نفر رغيفين وما يكفيه من طعام الجشيشة ، وأحسن النظر في أمر المعامير [1] ، وأزاح ما كانوا يتشكون منه

وأخبرني بعض المباشرين لهذه العمارة قبل تمامها ، أن المصروف فيها حينئذ بثمن الآلات والبهائم يزيد على مائة وعشرين ألف دينار ، ثم بعد تمامها بلغ السلطان ما سبق من أمر القبة وميل المنارة الرئيسية ، فانتخب المقر الشجاعي شاهين الجمالي ، وفوض إليه مشيخة الخدام ونظر المسجد والسماط ، فقدم المدينة الشريفة موسم عام أحد وتسعين وثمانمائة ، وأحسن النظر في ذلك كله ، ولما هدم المنارة ظهر أن الخلل كان لعدم المبالغة في حفر أساسها ، فحفره الى الماء ، واتخذ لها أحجاراً سوداً متقنة ، وأحكم بناءها مع الحسن الفائق ، ومزيد الارتفاع ، كما سبق ، وهدم أعالي القبة ، وأعاده على ما سبق في الحادي عشر مع إحكامه لتربيعه

---

(١) في نسخة : المآمير .

سقف مقدم المسجد والزيادة الآتية في مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وغير ذلك .

ثم في أوائل الثامن والعشرين من صفر سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، سقطت صاعقة ثانية على المنارة الرئيسية المتقدم ذكرها ، فأسقطت قبتها وجانباً كبيراً من دورها الأول الذي يقوم عليه المؤذن مع اتخاذه من الأحجار المنحوتة الضخمة ، وسقط جانب من ذلك على ما يليه من سترة المسجد ، ونفذ بعضها من أحد المحاريب الذي عن يمين موقف الزائر تجاه الوجه الشريف ، وشوهد ضوء نارها بذلك المحل المنيف مع الأحجار الساقطة ، وقد ذكرت طرفاً من سر تكرر سقوطها بهذه المنارة في « المجموع الحاوي لما وقع لنا من الفتاوي » ، ثم أعاد المقر الشجاعي ما انثلم من المنارة والسترة في عامه بأمر السلطان الأشرف جزاه الله تعالى خير الجزاء ، وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء ، ومن تأمل ما سبق من العمل عقب الحريق الأول ، وطول مدته ، وأحاط علماً بما أسلفناه عن سلطان زماننا الاشرف في عمارته ، حكم يقيناً بعلو همته ، وفخار منقبته ومرتبته ، وقد ذكرنا ما له بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة ، وبعض مناقبه الجليلة في الأصل ، فراجعه

ومن أعظمها : إجراء عين عرفة ، وعمل السماط [1] المتقدم ، شكر الله صنيعه وحصنه من أعدائه بحصونه المنيعة .

الفصل الرابع عشر : فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة ، والأساطين ، والذرع ، والحواصل ونحوها ، وتحصيبه ، ومصابيحه ، وتخليقه ، وإجماره .

تقدم أن المسقف القبلي كان خمسة أروقة بين المشرق والمغرب ، ثم استقر بعد زيادة الرواقين بمؤخره سبعة ، وان الشامي كان خمسة أيضاً ، كما صرح به ابن جبير ، فنقص منه رواق ، زيد في صحن المسجد والمسقف الشرقي ثلاثة أروقة من القبلة إلى الشأم ، والمسقف الغربي أربعة أروقة كذلك ، وبه صرح ابن عبد ربه ، ثم ابن جبير ، وكذا هو اليوم.

---

(١) هي التكية المقابلة للمدرسة الأشرفية ، وهي الآن تسمى المحمودية .

وسبق في الثامن ما كان المسجد عليه من الزينة بالرخام والفسيفساء والتذهيب وغيره ، وعدد أساطين المسجد مائتان وست وتسعون أسطوانة على ما ذكره ابن زبالة بما في جدار القبر ، وهو ستة ، وقد اختبرت ذلك قبل التغيير المتقدم من متولي العمارة مع إسقاط ما زيد في المسقف القبلي وهو عشرون اسطوانة للرواقين ، وزيادة ما نقص من الشأم وهو عشرة ، فلم يخالف ذلك سوى أسطوانة واحدة ، وسببه أن المسقف الشرقي ثلاثة صفوف ، كل صف من جدار القبلة إلى جدار الشأم ثمان وعشرون اسطوانة ، فكأن ابن زبالة ومن تبعه عدوها كذلك ، وقد انكشف لنا من شهود باطن الحجرة أن الصف الأوسط سبع وعشرون فقط ، لأن كمال عدته يتوقف على وجود أسطوانة في ساحة الحجرة بين الأسطوانة التي سبق إدخالها في جدار الحجرة الشامي وبين الأسطوانة الظاهر بعضها في الحائز من جهة القبلة كما أوضحناه في الأصل .

وذكر ابن زبالة كما سبق أن ذرع مقدم المسجد بين المشرق والمغرب مائة وخمسة وستون ذراعاً ، وعرضه من مؤخره بينهما مائة وثلاثون ذراعاً ، وطوله من اليمن إلى الشام مائتان وأربعون ذراعاً ا

وحورت ذرعه فكان عرضه من مقدمه مائة ذراع وسبعة وستين ذراعاً ، وعرضه من مؤخره مائة وخمسة وثلاثين ذراعاً ، وكان طوله من القبلة إلى الشام مائتي ذراع وثلاثة وخمسين ذراعاً .

وذكر ابن النجار في ذرعه نحوه ، وطول صحنه بين القبلة والشام مائة ذراع واثنان وخمسون ذراعاً ، وعرضه خمسة وتسعون ذراعاً بتقديم التاء الفوقانية على السين ، وإذا أضفت للطول ما تحرر انتقاصه منه للرواق وهو نحو عشرة أذرع قرب مما ذكره ابن زبالة في ذرعه ، والتفاوت لاختلاف الأذرعة ونحوه ، وسبق في التاسع ذكر منائر المسجد وذرعها فراجعه .

وذكر ابن زبالة ويحيى : أن بصحن المسجد أربعاً وستين بالوعة ، عليها أرحاء، ولها صمائم من حجارة يدخل الماء من خلالها ، ولا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فوهتان عند الحجرين المتقدم ذكرهما في حدود المسجد لعلوّ الأرض الآن عما كانت عليه قرب القامة كما سبقت الاشارة إليه

وذكر ابن زبالة تسع عشرة سقاية كانت بصحن المسجد في زمنه في صفر سنة تسع وتسعين ومئة .

قال ابن النجار عقب ذكره . وأما الآن فليس في المسجد سقاية إلا في وسطه .

قلت : وقد ذكرها ابن فرحون ، وانها كانت متقدمة على النخيل بصحن المسجد بناها بعض مشايخ الحرم ، ونصب بها مواجير الماء ، ومصرفاً مرخماً ، ثم كثر شرها ، وصار يدخلها من يتوضأ فيها ، وربما أزال فيها الأذى من استقرب المدى ، فأزيلت عن اجتماع من القاضي شرف الدين الأميوطي ، والشيخ ظهير الدين .

وذكر ابن النجار أيضاً البركة ذات الدرج التي كانت بصحن المسجد غربي النخيل[1] ، ينبع الماء من فوارة في وسطها من العين ، عملها بعض أمراء الشأم ، واسمه شامة .

وقال المطري : إنه كان يتوضأ منها ، فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد ، فسدت لذلك . اهـ .

قال ابن النجار : وعملت أم الخليفة الناصر لدين الله سقاية كبيرة ، أي : للوضوء فيها عدّة من البيوت ، أي : الأخلية ، وفتحت لها باباً إلى المسجد في الحائط الذي يلي الشأم . اهـ .

وبالمسجد من الحواصل القبة التي بصحنه ، وسبق ذكرها في الفصل قبله ، وأمام

(١) لعله كانت شامي النخيل لأني رأيتها بعيني حين عمارة الحرم فكانت شامي النخيل لا غربيه .

كل من المنارات الأربع خزانة يتوصل منها إلى المنارة ، وبجانب باب الغربية الشمالية خزانة لطيفة ، ثم حاصلان كبيران ، وبجانب باب الشرقية الشمالية خزانتان وحاصل ، وبين باب جبريل وباب النساء خزانة ،قال ابن جبير : إنها من أعواد، وهي اليوم من بناء ، وإلى جانبها صندوق يوضع فيه ما يستخرج من القبة من زيت الوقود ، وفي غربي المسجد الحاصل الذي كان بابه في محاذاة خوخة الصديق رضي الله عنه ، وكانت شارعة في رحبة القضاء ، وجعل فيه اليوم ثلاثة أبواب شارعة في المسجد تلي باب السلام كما سبق ، ويطاف لإخراج الناس من المسجد بعد عشاء الآخرة[١] بفوانيس ستة رتبها شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفري الحريري ، وكان الطواف قبله بشعل من السعف يجرون بها في المسجد ، ثم يلقونها خارجه ، وبصحن المسجد أربع مشاعل تشعل في ليالي الزيارات المشهورة ، وما علمت أول من أحدثها ، وبالمسجد سلاسل كثيرة للقناديل عملت بعد الحريق ، والمرتب للوقود منها يزيد وينقص كما لا يخفى ، والنخيل التي بصحن المسجد ذكرها ابن جبير في رحلته .

وغرس أكثرها شيخ الخدّام عزيز الدولة ، وكأن ذلك لم ينكر عليه خوفاً من لسانه ، وتعظيماً لشأنه ، ولم يزل المسجد النبوي بإمام واحد يصلي بالمقام النبوي إلا في أيام الموسم ، فبالمحراب القبلي ، حتى سعى بعض الأتراك في اتخاذ إمام حنفي بعد الستين وثمانمائة في دولة الأشرف إينال .

وأما تحصيب المسجد ، ففي سنن أبي داود عن أبي الوليد ، قال : سألت ابن عمر عن الحصباء التي في المسجد ، فقال : مطرنا ذات ليلة ، فأصبحت الأرض مبتلة ، فجعل الرجل يأتي بالحصباء في ثوبه ، فيبسطه تحته ، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة ، قال : « ما أحسن هذا ! » .

---

(١) في نسخة : بعد العشاء الآخرة .

ولأصحاب السنن عن أبي ذر مرفوعاً : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة ، فإن الرحمة تواجهه ، فلا يمسح الحصباء » .

وليحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزدي ، قال : قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله ﷺ : ما ندري ما نفرش في مسجدنا ، فقيل له : افرش الخصف والحصر ، قال : هذا الوادي المبارك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : العقيق واد مبارك ، قال : فحصبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولابن زبالة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم سفيان بن عبد الله الثقفي على عمر بن الخطاب ، ومسجد رسول الله ﷺ غير محصوب ، فقال : مالكم واد؟ فقال عمر رضي الله عنه : بلى ، قال : فاحصبوه منه ، فقال عمر : احصبوه من هذا الوادي المبارك ، يعني وادي العقيق .

قال المطري : رمل المسجد أي الذي يحصب به يحمل من وادي العقيق من العرصة التي تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادي ، وليس بالوادي رمل أحمر غير ما يسيل من الجماء ، وهو رمل أحمر يغربل ، ثم يفرش في المسجد . اهـ .

وأما مصابيح المسجد ، فقيل : أول من علق المصابيح بالمسجد عمر بن الخطاب لما جمع الناس في التراويح على إمام واحد .

وروى القرطبي في تفسيره ، عن أبي هند قال : حمل تميم الداري من الشام إلى المدينة قناديل وزيتاً ومقطاً ، فلما انتهى إلى المدينة ، وافق ذلك ليلة الجمعة ، فأمر غلاماً يقال له أبو : البراد ، فقام فبسط المقط ، وعلق القناديل ، وصب فيها الماء والزيت ، وجعل فيها الفتل ، فلما غربت الشمس أمر أبا البراد فأسرجها ، وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد ، فإذا هو بها تزهر ، فقال : من فعل هذا ؟ قالوا : تميم الداري يا رسول الله ، فقال : « نورت الإسلام للحديث » .

وأما تخليق المسجد ، فلأبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما : بينا رسول الله

ﷺ يخطب يوماً ، إذ رأى نخامـــة في قبـلة المسجد ، فتغيظ على الناس ، ثم حكها ، وأحسبه قال : فدعا بزعفران ، فلطخها به ، وقال : « إن الله عز وجل قبل وجه أحدكم ، فلا يبزقن بين يديه » .

ولابن شبة بسند جيد عن أبي الوليد قال : قلت لابن عمر : ما بدء الزعفران ؟ يعني في المسجد ، فقال : رأى رسول الله ﷺ نخامة في المسجد ، فقال : ما أقبح هذا ! من فعل هذا ؟ فجاء صاحبها فحكها وطلاها بزعفران ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أحسن من ذاك » .

ورواه يحيى إلا أنه قال : ما كان بدء هذه الصفرة في القبلة ... فذكره » وزاد : فسارع الناس إليه ، فكان هذا بدؤه .

وسيأتي في مسجد بني حرام [1] من الفصل الرابع في الباب الخامس ، أنه أول مسجد خلق .

وقول جابر : فمن هنـاك جعلتم الخلوق في مساجدكم ، وأن المطري وهم ، فجعله مسجد القبلتين .

وقول جابر فيما روى ابن شبة : كان أول من خلق المسجد ورزق المؤذنين عثمان رضي الله عنه ، محمول على أنه رتب له ذلك .

ونقل ابن زبالة عن ابن عجلان ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله على المدينة أن لا يخلق إلا القبلة ، وأن يغسل الأساطين ، قال : فلم تكن الأساطين تخلق في سلطانه ، ثم ذكر قدوم الخيزران سنة سبعين ومائة ، وأمرها بتخليق المسجد مع ما قدمناه في تخليق القبر الشريف .

وأما إجمار المسجد ، فليحيى عن محمد بن اسماعيل عن أبيه ، أنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسفط [2] من عود ، فلم يسع الناس ، فقال عمر رضي

---

(١) هو مسجد القبلتين .

(٢) أي : وعاء .

الله عنه : أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون ، فثبتت سنة في الخلفاء إلى اليوم ، يؤتى كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب .

وله عن عبد الله بن محمد بن عمار عن جده ، فقال : أتى عمر بن الخطاب بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام ، فدفعها إلى سعد جد المؤذنين ، وقال : أجمر بها في الجمعة ، وفي شهر رمضان[1] ، قال : فكان سعد يجمر بها في الجمعة ، وكانت توضع بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حتى قدم إبراهيم بن يحيى ، ومحمد بن العباس المدينة سنة ستين ومائة ، فأمر بها فغيرت ، وجعلت ساذجاً ، وهي اليوم بيد مولى المؤذنين[2] ، قال أبو غسان : هم دفعوها إليه . انتهى .

ولابن زبالة عن نعيم المجمر عن أبيه ، أن عمر رضي الله عنه قال له : تحسن أن تطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم ؟ قال : نعم ، فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة .

وفي « مسند أبي يعلى » ، عن ابن عمر ، أن عمر رضي الله عنه كان يجمر مسجد رسول الله ﷺ كل جمعة .

ولابن ماجه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ، ومجانينكم ، وشراركم[3] ، وبيعكم ، وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم ، وإقامة حدودكم ، وسلّ سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر ، وجمروها في الجمع » .

---

(١) انظر كيف دفعها الى سعد ، وأمره باستعمالها ، وكيف أقر رضي الله عنه وضعها بين يديه مع أنه استعمال لها في العرف ، وقد صرحوا بأن استعمال مجمرة النقد بل وجميع ما صنع منه حرام غير خاتم الفضة وحلي النساء ، وما حليت به آلة الحروب الخ .

(٢) في نسخة : متولي المؤذنين .

(٣) في نسخة قلمية : وشراءكم وهي الصواب ، وأيضاً مناسبة لقوله : وبيعكم .

ولابن أبي عدي الحافظ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صليت العصر مع عثمان أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فرأى خياطاً في ناحية المسجد، فأمر بإخراجه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه يكنس المسجد ، ويغلق الأبواب ، ويرش أحياناً ، فقال عثمان رضي الله عنه : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جنبوا صناعكم مساجدكم » .

قلت : ومن المنكرات تساهل بعض ولاة العمارة في استعمال النشارين ، والنجارين ، والحجارين بالمسجد النبوي لعمل آلاته ، واكتساب أولئك العمال بذلك مع ما يتولد عنه من القمامات والدق العنيف ، مع إمكان عمل ذلك خارجه ، ونقله اليه مصنوعاً ، وقد كانت عائشة رضي الله عنها تسمع الوتد أو المسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد ، فترسل إليهم : لا تؤذوا رسول الله ﷺ ، وما عمل عليّ مصراعيْ داره إلا بالمناصع توقياً لذلك .

وفي خبر رواه المقدسي في كتابه « مثير الغرام » ، عن كعب الأحبار ، أن سليمان عليه السلام قال للعفريت الذي أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس : هل عندك حيلة أقطع بها الصخرة فإني أكره صوت الحديد في مسجدنا هذا ، والذي أمرنا الله به هو الوقار والسكينة ... الخبر الذي أوردناه في الأصل ،والله الموفق .

ولابن أبي شبة ، أن النبي ﷺ كان يتبع غبار المسجد بجريدة .

وللبلاذري عن أبي سعيد مولى أبي أسيد ، قال : كان عمر بن الخطاب يعس في المسجد بعد العشاء ، فلا يرى أحداً إلا أخرجه ، إلا رجلاً قائماً يصلي ، فمرّ بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبي بن كعب ، فقال : من هؤلاء ؟ قال أبي : نفر من أهلك يا أمير المؤمنين ، قال : ما خلفكم بعد الصلاة ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ، فجلس معهم ، ثم قال لأدناهم : خذ في الدعاء ، فدعا ،

فاستقرأهم رجلا رجلا حتى انتهى إليّ ، فقال : هات ، فحصرت وأخذني الكل[1]، فقال : قل ، ولو أن تقول : اللهم اغفر لنـــا ، اللهم ارحمنا ، ثم أخـذ عمر في الدعاء ، فما كان أحد أكثر دمعة ، ولا أشد بكاء منه ، ثم قال : تفرّقوا الآن .

الفصل الخامس عشر : في أبواب المسجد وخوخاته ، وما يميزها من الدور المحاذية لها ، وشرح حال الدور المحيطة به .

الذي تلخص من كلام ابن زبالة ، أن الذي استقر عليه المسجد في عدد الأبواب بعد زيادة المهدي عشرون باباً بخوخة أبي بكر رضي الله عنـه ، لأنهـا كما سيأتي جعلت شارعاً في رحبـــة القضاء ، وأنه كان به أربعة أبواب أخرى ليست عامة للناس ، كانت مما يلي القبلة .

أحدها : باب يدخل منه الأمراء من ناحية دار مروان[2] ، وهي دار الإمارة المقصورة ، وهذا قد سدّ قديماً ، وكان في قبلة المسجد خلاف ما اقتضاه كلام المطري من أنه لم يكن في قبلة المسجد باب سوى خوخة آل عمر الآتية ، لأن ابن زبالة نقل : أن مروان جعل البـاب المذكور في القبلة ، ثم خشي منعه ، فجعل باباً على يمينك حين تدخل ، ثم قال : أخشى أن أمنع المسجد ، فجعل البـاب الثالث أي اللاصق بباب السلام من خارجه موضع السقاية التي هناك .

ثانيهـا : باب عن يمين القبلة في المغرب داخل المقصورة ، يدعى « باب بيت زيت القناديل » ، ذكروا أن مروان عمله ، أي : عند بناء داره ، ثم لما زيد في المسجد نقل حتى سد محله بحائط منار باب السلام الغربي كما سبق في التاسع .

---

(١) في نسخة : الافكل ، يعني : الرعدة وهي الصواب كما قـاله بعض الفضلاء عن كتب اللغة .

(٢) هي الآن تسمى : « مدرسة بشير آغا » أقول : وقد أدخل بعضها الآن في الشارع الجديد الجنوبي للمسجد والبعض الاخر أنشئت فيه المحكمة الشرعية في التوسعة الجديدة للمسجد .

ثالثها : باب عن يسار القبلة في محاذاة الباب قبله ، يدخل منه للمقصورة من موضع الجنائز ، أي بجدار المنارة الشرقية هناك .

رابعها : خوخة آل عمر ذات السرب تحت المقصورة .

قلت : ولم يزل على هذا السرب باب في الرواق المتوسط بين الروضة والرواق القبلي يفتح في زماننا في أيام الموسم لتحصيل شيء شبيه بالمكس يأخذه من كان بيده مفتاحه ممن يدخل لزيارة تلك الدور التي اختلقوا تسميتها بدور العشرة[1]، وغير ذلك ، ويقع به من اختلاط النساء بالرجال وغيره من المناكر مالا يوصف ، فأمر السلطان الأشرف قايتباي جنبه الله الردى ، وأناله سبيل الخير والهدى ، بسده وتعويض من كان بيده المفتاح عما كان يحصل له بسببه صرة في الذخيرة ، فسد من خارج المسجد ، وردم من داخله حتى ساوى أرض المسجد ، وذلك في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقد شرحنا ذلك في الأصل في فصل مستقل .

وفصل ابن زبالة أبواب المسجد العشرين ، فقال : ثمانية من ناحية المشرق ، وثمانية من ناحية المغرب ، منها الخوخة التي يقال لها : خوخة الصديق ، ومما يلي الشأم أربعة . انتهى .

وقال ابن النجار : وأما أبواب المسجد ، فكانت بعد زيادة المهدي ، وذكر تسعة عشر باباً غير باب خوخة الصديق ، وذكر ما سيأتي في مواضعها .

---

(١) اسم مختلق لا أصل له ، ولكن رأيت في تاريخ المراغي المسمى : بـ « تحقيق النصرة في ان دار ابن عمر تسمى دار العشرة » ، ولم ينكر هنا على الاسم ، مع أن المراغي قبل السمهودي بمائة سنة وتاريخه هو عمدة السمهودي ، ويحتمل أن سبب تسميتها بدار العشرة كون سيدنا عمر أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ويحتمل أن سبب تسميتها بذلك كونها كانت لها خوخة من المسجد ينزل إليها بعشير درجات يتبرك بها ، وكان يصير فيها لاجتماع النساء بالرجال من الازدحام ما لا يليق ، فسدها أولو الأمر والنهي لدرء المفاسد كما تقدمت الإشارة إليه .

فقول المطري ومن تبعه : لما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد ووسعه ، جعل له عشرين باباً ، وذكروا الأبواب الآتية بعينها مع الخوخة المذكورة ، وهم كما أوضحناه في الأصل ، ولنذكر ما قالوه في بيان الأبواب العشرين .

الأول : وهو مبتدأ المشرق مما يلي القبلة عند موضع الجنائز باب علي كما صرح به ابن النجار أخذاً من كلام ابن زبالة ويحيى كما أوضحناه في الأصل .

وجعل المطري ومن تبعه الذي بعده أول هذه الجهة ، وأن هذا ثان لقولهم أنه سمي بذلك لكونه في محاذاة بيت علي ، وهو متأخر عن بيت النبي ﷺ ، ويحتمل أن بيت علي كان ينعطف في المشرق على الحجرة الشريفة ، فيحاذي هذا الباب ، وقد سد عند تجديد الجدار الشرقي ، وجعل مكانه شباك يقف الإنسان خارجه ، فيرى الحجرة النبوية .

الثاني : باب النبي ﷺ سمي بذلك لقربه من حجرته ، لا لكونه دخل منه ، إذ لا وجود له في زمنه ، وقد سد أيضاً عند تجديد الحائط .

الثالث : باب عثمان رضي الله عنه ، وهو الباب الذي وضع قبالة الباب الذي كان يدخل منه النبي ﷺ ، ولذا أطلق عليه في رواية ليحيى : باب النبي ﷺ ، وسمي بما سبق لمقابلته لدار عثمان بن عفان ، وسيأتي أنها كانت من الطريق التي تسلك إلى البقيع عن يسار الخارج من هذا الباب إلى الطريق التي في شامي المدرسة الشهابية [1] .

وفي « طبقات ابن سعد » : أن النبي ﷺ خطها لعثمان رضي الله عنه لما أقطع الدور ، قال : ويقال : إن الخوخة التي في دار عثمان اليوم وجاه باب النبي ﷺ التي كان رسول الله ﷺ يخرج منها إذا دخل بيت عثمان . انتهى .

---

(١) هي في الأصل دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ثم بناها الملك شهاب الدين غازي بن الملك العادل ، كما في « آثار المدينة » .

والذي يقابل هذا الباب اليوم من دار عثمان رباط [1] أنشأه الجواد جمال الدين محمد بن أبي المنصور الأصفهاني وزير بني زنكي ، وقفه على فقراء العجم ، وجعل فيه تربة لها شباك لجهة الشباك المتقدم ذكره في الأول . ولما توفي في السجن وكان بينه وبين أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب عهد : من مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحي للمدينة ، دفع أسد الدين للشيخ أبي القاسم الصوفي مالاً صالحاً [2] ، فحمله إلى الحرمين ومعه جماعة يقرؤون بين يدي تابوته ، فلما كان بالحلة ، اجتمع الناس للصلاة عليه ، فإذا شاب قد ارتفع على موضع عال ، ونادى بأعلى صوته :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما … سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمرُّ على الوادي فتثنى رمـــاله … عليه وبالنادي فتثنى أرامـــله

فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ، ثم وصلوا به الى مكة ، فطافوا به حول الكعبة ، وصلوا عليه [3] عندها ، ثم إلى المدينة ، فصلوا عليه ودفنوه بتربته سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وكان له آثار جميلة سيما بالحرمين الشريفين ، وعمل سور المدينة الآتي ذكره .

وفي قبلة رباطه من دار عثمان أيضاً رضي الله عنـه تربة أسد الدين شيركوه حمل إليها من مصر هو وأخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعد موتها سنة ست وسبعين وخمسائة ، وبقية [4] دار عثمان [5] رضي الله عنه في القبلة بيت إلى

---

(١) هو الآن يسمى برباط العجم ، وبابه عن يمين الخارج من باب النساء .

(٢) أي لأجل نقل الجواد الأصفهاني (٣) أي : على الجواد الاصفهاني

(٤) صوابه : وبقية

(٥) موضع دور عثمان رضي الله عنه ، جزء منها أدخل في الشارع الجديد الواقع شرقي المسجد النبوي ، وأما الدار الصغرى فبعضها أدخل في الاستراحة الملكية المملوكة للامير عبد الله بن عبد الرحمن ، وبعضها في الرحبة الواقعة أمام باب جبريل

جنب هذه التربة موقوف على الخدام ، ويعرف هذا الباب بباب جبريل أيضاً ، وكأنه لما ورد من أن جبريل عليه السلام في غزوة بني قريظة أتى على فرس عليه اللأمه حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز .

وقال ابو غسان : علامة مقام جبريل عليه السلام الذي يعرف به اليوم ، أنك تخرج من الباب الذي يقال له : باب آل عثمان ، فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع وشبر ، وهو من الأرض على نحو ذراع وشبر حجراً أكبر من الحجارة التي بها جدار المسجد ، وأشار ابن زبالة لنحو هذا ، ثم قال : ومقام جبريل يمناه داخل في المسجد .

الرابع : باب ريطة بفتح الراء ابنة أبي العباس السفاح ، كان يقابل دارها ، وهي اليوم مدرسة للحنفية [1] بناها بازكوش [2] أحد أمراء الشأم ، وعمل بها مشهداً نقل إليه من الشأم ، ودار أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي مات بها في شرقيها كما سيأتي ، ويعرف هذا الباب بباب النساء ، وعمر بن الخطاب هو الذي أحدثه ، سمي بذلك لقول عمر رضي الله عنه : لو تركنا هذا الباب للنساء، فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات ، رواه أبو داود وغيره مع رد رفع ذلك للنبي ﷺ.

الخامس : كان يقابل دار أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، وفي موضعها اليوم رباط للنساء ، وقد سد هذا الباب عند تجديد الحائط الشرقي من المنارة الشرقية الشمالية إليه أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

---

(١) تعرف اليوم بزاوية السمان وفي مؤخرهاموضع يقال له : بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه معروف يزار، وبالجهة الجنوبية منها دار لجناب الافندي مأمون بري أحد الخطباء والمدرسين بالحرم النبوي

(٢) صوابه : ياركوج .

السادس : كان يقابل دار خالد بن الوليد [1] رضي الله عنه ، وموضعها رباط السبيل الذي للرجال ، ومعها في شماليه دار عمرو بن العاص كما سيأتي ، وقد أنشأ هذا الرباط والذي قبله القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري

السابع : كان يقابل زقاق المناصع [2] الذي بين دار عمرو بن العاص وأبيات الصوافي ، وهو اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن علي العسكري المعروفة بحوش الحسن وكان نافذاً للمناصع خارج سور المدينة ، وفي محل أبيات الصوافي رباط الرجال الذي أنشأ القاضي الفاضل محيي الدين عبد الرحمن اللخمي البيساني [3] ومافي شاميه من دار الرسام .

الثامن : كان يقابل أبيات الصوافي ، أي جانبها الذي به اليوم دار الرسام الذي وقفها الشيخ صفي الدين السلامي على أقاربه ، ثم على الفقراء ، وفي شاميها الباب الذي يدخل منه إلى رباطي النخلة ، وهما رباطا السلامي ، وهذا الباب آخر أبواب جهة المشرق .

وعبر المطري ومن تبعه عن هذا الباب بكونه في مقابلة أبيات الصوافي ، وقال في الباب قبله المقابل لزقاق المناصع : إن زقاق المناصع بين دار عمرو ابن العاص ، ودار موسى بن إبراهيم المخزومي ، ولم أر لدار موسى هذه ذكراً فيما كان مطيفاً بالمسجد من الدور في هذه الجهة ، بل المذكور فيها أبيات الصوافي ، فهذه الدار من جملتها

---

(١) هي التي اشتكى الى النبي صلى الله عليه وسلم شدة ضيقها فقال له : ارفع البناء في السماء ، وسل الله السعة

(٢) زقاق المناصع هو المعروف اليوم بزقاق البدور الذي أوله شرقي المنارة السليمانيـة ، وآخره دور آل الرفاعي ، وعليه فتكون دار عمرو بن العاص على يمينك وأنت داخل إلى زقاق البدور

(٣) هو المتولي على ديوان الانشاء زمن الدولة الصلاحية، وكان أيضاً ناظر دواوين الانشاء زمن الدولة الفاطميـة

التاسع : كان دبر المسجد ، وهو أول أبواب جهة الشأم مما يلي المشرق ، يقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف [1] التي كان عبد الرحمن ينزل بها ضيفان النبي ﷺ ، وبقية دار ابن مسعود ، وفي موضعها اليوم الدار المعروفة بدار المضيف ، وما والى ساباطها في المغرب .

العاشر : كان يقابل بقية دار حميد المذكورة ، وموضعها اليوم رباط الظاهرية والشرشورة .

الحادي عشر : كان يقابل مايلي دار حميد من أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين ، وموضع ذلك المارستان الذي أنشأه أبو جعفر المستنصر بالله سنة سبع وعشرين وستمائة .

الثاني عشر : كان في مقابلة بقية أبيات خالصة في موضوع البيت الذي إلى جنبه زقاق رباط الشيخ شمس الدين التستري ، وهذا آخر أبواب جهة الشأم ، ولا أثر لشيء منها اليوم ، وقد ابتنى الناس في محلها .

الثالث عشر : وهو أول أبواب المغرب فيما يلي الشأم ، كان يقابل دار منيرة مولاة أم موسى ، وكانت من دور عبد الرحمن بن عوف ، ثم صارت لعبد الله ابن جعفر بن أبي طالب ، ثم صارت لمنيرة ، وفي موضعها اليوم الدار التي أنشأها السيد العلامة محيي الدين الحنبلي قاضي الحرمين ومافي قبلتها إلى زقاق القياشين [2]

---

(١) هي الآن تحت نظر السيد ابراهيم أوليا وماحولها وشاميها من الدور ، ولعله ماسميت دار الضيافة بهذا الاسم إلا لكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل أضيافه عند عبد الرحمن بن عوف لشدة غناه وكثرة ماله .

(٢) هو اليوم زقاق الحنابلة وفي أوله على يمينك دار الفاضل الافندي عبد الجليل براده ومقابله باب موصل الى ميضأة السلطان بيبرس وكان هذا الزقاق نافذاً الى الساحة تجاه حوش الجمال ثم اشترى السلطان عبد الحميد الاول آخر دوره من وقف الجبرت . وبناها مدرسة وتسمى الآن بالمدرسة الحميدية ورئاسة ورشها الان لأولاد توفيق أفندي الأئمة بالمسجد النبوي ،

ثم صارت الى دار قاضي الحنابلة هذه ، ووقفتها ، وهذا الباب مسدود اليوم كما يظهر من خارج المسجد .

الرابع عشر : كان يقابل دار منيرة أيضاً ، ويقابله منها اليوم دار موقوفة بيد الخدام في قبلتها زقاق دور القياشين ، وهذا الباب أيضاً مسدود اليوم كما يظهر من خارج المسجد .

الخامس عشر : كان يقابل دار نصير صاحب المصلى ، وفي موضعها الدار التي عن يسار الداخل من زقاق دور القياشين ، وما في قبلتها من داري التي أنشأتها ، وهو مسدود اليوم ، وبقيت قطعة منه تظهر من خارج المسجد ، ودخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه .

السادس عشر : كان يقابل دار جعفر بن خالد بن برمك التي دخل فيها فارع أطم حسان بن ثابت ، وموضعها اليوم المدرسة الكلبرجية إنشاء شهاب الدين أحمد سلطان كلبرجة سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وما في قبلتها ، وهذا الباب دخل في الحائط عند تجديده ، وأسقطه المطري ، وزاد بدله باباً بعد الذي يليه وهو خطأ .

السابع عشر : باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية سمي به لمقابلته لدارها التي صارت ليحيى بن خالد ، ودخلت في دار ولده جعفر المتقدمة ، وفي موضعها اليوم ما في قبلة الكلبرجية من جهة المدرسة [1] التي أنشأها المقر الزيني أبو بكر بن مزهر ناظر ديوان الانشاء بمصر ، ورئيسها ، واتخذ إلى جانب عقد هذا الباب يلصق جدار المسجد قبة لطيفة بسفلها فسقية هيأها لدفنه بلغه الله مراده من خيري الدارين ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة على يد صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلي ، أدام الله النفع به ، ويعرف هذا الباب قديماً بباب

---

(١) هي تحت نظارة بيت الشيخ محمد طاهر الكوراني ، أدخل بعضها في رحبة باب الرحمة والبعض في التوسعة الجديدة .

السوق ، لأن سوق المدينة في جهته ، وبباب الرحمة كما ذكره يحيى في خبر اتخاذه ﷺ الأبواب الثلاثة حيث قال : وباب عاتكة الذي يدعى : باب عاتكة ، ويقال : باب الرحمة . اهـ .

وإنما يعرف اليوم بذلك ، ولم أر من نبه على سبب تسميته به ، غير أن في « الصحيح » عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ... الحديث . وفيه : أن سحابة طلعت من وراء سلع مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت . وسيأتي أن دار القضاء كانت فيما بين باب السلام وباب الرحمة ، هذا ولم يكن في زمنه ﷺ باب في المغرب غير هذا ، وهو في جهة سلع الذي طلعت سحابة الرحمة من ورائه ، ودخل طالبها منه ، فظهر لي أنه سمي باب الرحمة لذلك .

الثامن عشر : باب زياد كان بين باب الرحمة ، وخوخة أبي بكر رضي الله عنه الآتية ، سمي بذلك لأن زياد بن عبيد الله الحارثي خال السفاح إذ كان والياً على المدينة لأبي العباس السفاح هدم دار القضاء ، وجعلها رحبة للمسجد ، واتخذ الباب المذكور فيها ، وكذا الخوخة أيضا هو الذي شرعها فيها ، وكانت دار القضاء لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأوصى أن تباع في دينه ، فبيعت من من معاوية ، فسميت دار قضاء الدين .

وقيل : كانت لعبد الرحمن بن عوف اعتزل فيها ليالي الشورى حتى قضي الأمر ، وبويع عثمان ، وكانت ولاية زياد على المدينة سنة ثمان وثلاثين ومئة .

ونقل ابن زبالة أنه الذي جعل الستور على الأبواب الأربعة ، باب دار مروان ، أي : المعروف بباب السلام ، والخوخة ، أي : الاتية ، وباب زياد ، أي : المذكور ، وباب السوق ، أي : المعروف بباب الرحمة . اهـ .

ووهم من قال : ان دار القضاء دار مروان ، نعم كان لمروان باب شارع في ناحية رحبة القضاء بجانب باب السلام ، فإنه يؤخذ من كلامهم أنها كانت ممتدة من باب السلام الى باب الرحمة ، ولما سد باب زياد وباب الخوخة اتخذ في محلها الحصن العتيق الذي كان ينزله أمراء المدينة قبل ابتنائهم لحصنهم اليوم ، ثم صار رباطاً لغياث الدين سلطان بنجالة سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وما في شاميه من المدرسة الجوبانية التي أنشأها جوبان أتابك عساكر المغلية سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وجعل بهذه الجهة تربة له لم يمكن من الدفن فيها ، وكذا دار الشباك التي كانت بجانب باب الرحمة أنشأها شيخ الخدام الحريري ، ودخل ذلك كله بالمدرسة الأشرفية بعد استبداله .

التاسع عشر : الخوخة المجعولة تجاه خوخة الصديق شارعة في رحبة دار القضاء ، وقد سدت من خارج المسجد ، وصارت باب حاصل له ، وهو من رحبة القضاء وكان بابه مقنطراً ، وقد جعل مربعاً ، وهو الثالث من الأبواب التي على يسار الداخل من باب السلام .

العشرون : باب مروان سمي به لملاصقته لداره الآتية ، وفي موضعها اليوم الميضأة التي أنشأها المنصور قلاوون الصالحي عام ست وثمانين وستمائة ، ويعرف أيضاً بيات السلام ، وباب الخشوع ، وأراد عمر بن عبد العزيز أن يجعل في الأبواب حلقاً ، أي سلاسل ، ويجعلها في الدروب لئلا يدخلها الدواب ، فعمل حلقة باب مروان ، ثم بدا له ، فتركه ، والباقي اليوم من أبواب المسجد كلها أربعة فقط : باب السلام ، وباب الرحمة في المغرب ، وباب جبريل ، وباب النساء في المشرق .

وأما شرح حال الدور المطيفة بالمسجد .

وبه يتضح مأخذنا فيما سبق ، فيتلخص من كلامهم أن أولها من القبلة مما يلي المشرق دار عبد الله بن عمر ذات الخوخة المتقدم وصفها ، وتعرف بدار آل عمر،

وكانت مربداً أعطيته حفصة أم المؤمنين لما احتيج لإدخال حجرتها ، وتسمى دار الرقيق[1] ، وقيل : كانت مربداً يتوضأ فيه أزواج النبي ﷺ ، فاستخلصته حفصة رضي الله عنها ، فورثها عنها عبد الله ، فوقفها .

وفي قول شاذ : إن البيت الذي على يمينك إذا دخلت دار عبد الله من الخوخة التي في المسجد ، فتلقاك خوخة كانت في خوخة الطريق مبوبة ، وتلك الخوخة خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي بقيت له ، وكان هذا بيته باعه من حفصة مع الدار التي في قبلته ، وقد أوضحنا رد ذلك في الأصل ، والمعروف أن البيت الذي على يمين خوخة آل عمر بيت عائشة .

وذكر ابن شبة ، أنها اتخذت داراً غير حجرتها بين دار الدقيق وبين دار أسماء بنت أبي بكر ، ولعل هذا الاشتباه نشأ من هذا ، والذي اقتضاه كلام ابن شبة وابن زبالة أن الدار المعروفة اليوم بعائشة وما يليها في المغرب من جملة دار آل عمر إلى مروان[2] وأن ما في قبلة ذلك إلى آخر دار بني صالح الكبرى كان داراً لحفصة أيضاً ، وأن باب هذه الدار كان شارعاً في زقاق عاصم بن عمر قبالة دير الأطم الذي يسمى فويرعاً ، وسيأتي بيانه ، وزقاق عاصم يمتد هناك في القبلة ، وينعطف للمغرب ، ثم يلي دار عبد الله في المغرب دار مروان بن الحكم ، كان بعضها لنعيم النحام من بني عدي ، وبعضها من دار العباس بن عبد المطلب التي أدخلت في المسجد ، وصارت دار مروان في الصوافي ينزلها الولاة ، وفي موضعها

---

(١) صوابه : دار الدقيق لأنه كان دقيق بيت المال الذي يعطى للفقراء فيها زمن عمر ابن الخطاب .

(٢) تقدم التعريف بها في الصفحة ٣٣٧

اليوم كما سبق الميضأة التي في قبلة المسجد عند باب السلام ، وما في شرقيها إلى دور آل عمر قالوا : وإلى جانبها يعني في المغرب دار يزيد بن عبد الملك ، وكان في موضعها دار لآل أبي سفيان بن حرب كانت أشرف دار بالمدينة بناء ، وأذهبه في السماء ، وكانت دار يزيد متسعة ، قيل له فيها : ليست بدار ، بل مدينة ، وفي موضعها اليوم السبيل والوكالة ، وما اتصل بذلك في القبلة والمغرب من عمارة السلطان الأشرف ، ولم يذكروا شارعاً بين دار يزيد ودار مروان ، وهناك شارع فيه باب الميضأة لعله تجدد بعده ، ثم وجاه دار يزيد دار أويس بن سعد بن أبي سرح بالبلاط ، أي الممتد في المغرب من باب السلام ، كانت لمطيع ابن الأسود ، فناقل بها العباس إلى الدار التي بالبلاط أيضاً المشهورة بمطيع ، فباع العباس هذه من ابن سعد ابن أبي سرح ، وقيل : أقطعها النبي ﷺ مطيعاً ، وموضعها المدرسة الباسطية أنشأها الزيني عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة ، وما يليها من المدرسة الأشرفية ، ثم إلى جنب دار أويس في المغرب دار [١] أبي مطيع ابن الأسود العدوي، وعندها أصحاب الفاكهة، أي الذين يبيعونها ويقال لها :دار ابن مطيع أيضاً ، وهي التي تقدم أنها كانت للعباس ، وقيل : إن حكيم بن حزام ابتاعها هي وداره التي من ورائها في الشام ،وشاركه ابن مطيع ،ثم أخذ ابن مطيع هذه بكل الثمن ، وترك لحكيم التي من ورائها ، وكان يقال لدار أبي مطيع : العنقاء ، قال الشاعر :

إلى العنقاء دار أبي مطيع .

وموضعها اليوم : الدار التي غربي الباسطية تقابل وكالة السلطان ، وفي غربيها سوق المدينة ، وكان قديماً تباع به الفاكهة [٢] كما سبق ، ومحل دار حكيم التي من ورائها ما في شاميها من الدار التي عندها دار العين ، ووصف ابن سعد دار حكيم هذه بأنها عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصواغين ، ثم في

---

(١) دار أبي مطيع التي كان يقال لها : العنقاء ، هي اليوم دار أولاد الأزميري .
(٢) الآن أيضاً تباع فيها الفاكهة وغيرها

غربي المسجد دار ابن مكمل الشارعة في رحبة القضاء ، وهي مما يتشاءم به خراب إلى جنب المسجد يجلس إلى ركنها صاحب الشرط ، وإليها أصحاب الفاكهة ،وفي موضعها اليوم المدرسة الجوبانية ، [1] وما والاها في المغرب ، ويقابلها من شاميها دار النحام العدوي ، الطريق بينهما قدر ستة أذرع ،كان بابها وجاه زاوية رحبة دار القضاء ، وشرقيها الدار المقابلة لباب الرحمة ، فموضعها اليوم مـــا في غربي سبيل المدرسة المزهرية ، ثم إلى جنب دار النحام دار جعفر بن يحيى البرمكي التي دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد ، وأطم حسان بن ثابت المسمى بفارع ، وفي موضع هذه الدار اليوم المدرسة المزهرية ، وما في شاميها من المدرسة الكلبرجية ، ثم إلى دار جعفر دار نصير صاحب المصلى وكانت لسكينة بنت الحسين ، ثم إلى جنبها الطريق إلى دار طلحة بن عبيد الله ستة أذرع ، فموضع دار نصير اليوم داري التي في شامي الكلبرجية ، ووقفتها على قرابتي ، والدار التي في شاميها إلى الطريق التي يدخل منها لدور القياشين التي صارت للخواجا قاوان ، وهي وما يليها دور طلحة ابن عبيد الله ، وفي غربي دور طلحة عند خوخة القواريري أي النافذة للبلاط ، داران اتخذهما الزبير بن العوام ، وتصدق بها على ابنيه عروة وعمرو ، ثم إلى جنب الطريق إلى دور طلحة دار منيرة مولاة أم موسى كانت لعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ، ويستفاد مما سبق في أبواب المسجد في المغرب أنها كانت من الطريق المذكورة إلى شامي الدار التي أنشأها قاضي الحرمين السيد محيي الدين الحنبلي هناك ، ثم إلى جنب دار منيرة في الشام خوخة آل يحيى بن طلحة ، أي : الزقاق الذي

---

(١) المدرسة الجوبانية المذكورة موجودة اليوم يقال لها : رباط الجوبانية يسكنها الفقراء وهي على يمين الداخل على باب الرحمة ، وإلى زماننا يتشاءم الناس بالبيوت التي في غربي الجوبانية مثل بيت الشيخ محمد طاهر الكوراني وما يليها ولها نوادر في الشؤم نسمعه من شيوخ أهل المدينة قريبة إلى الصدق .

ينعطف على الفرن المتخذ مخزناً لقاضي الحنابلة شامي داره هناك في المغرب ، وفي أقصاه دار تعرف بنزيل الكرام تنفذ إلى دور القياشين التي هي دور طلحة ، ثم إلى جنب خوخة آل يحيى حش طلحة بن أبي طلحة الأنصاري خراب صوافي غزال ابن برمك ، ومحل ذلك ما يلي اليوم الفرن المذكور منعطفاً على المسجد من جهة الشأم ، ثم إلى جنب حش طلحة الطريق خمسة أذرع ، وهي التي في شامي الميضأة المتصلة بالمسجد يتوصل منها إلى رباط الشيخ شمس الدين التستري ، ثم إلى جنب الطريق أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين ، وموضعها اليوم دار أحمد رئيسي المؤذنين ، وما في شرقيها من مارستان المنتصر بالله ، ثم إلى جنب أبيات خالصة دار أبي الغيث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، وتعرف بدار حميد اتخذها عبد الرحمن بن عوف بحش طلحة ، وجاء أنه ﷺ أقطع عبد الرحمن الحش ، في مؤخر المسجد نخل صغار لا يسقى ، وكان عبد الرحمن ينزل ضيفان النبي ﷺ بهذه الدار ، وبنى النبي ﷺ فيها بيده فيما زعم الأعرج ، وفي محلها اليوم فيما يظهر رباط الظاهرية وما والاه من الدار المعروفة اليوم بدار المضيف ، ولعل ذلك سبب تسميتها بذلك ، ثم إلى جنب دار أبي الغيث بقية دار عبد الله ابن مسعود التي كانت تدعى دار القرى دخل بعضها في زيادة الوليد وبعضها في زيادة المهدي ، والذي يظهر أن بقية دار ابن مسعود الدار الملاصقة اليوم للمنارة الشرقية الشامية [1].

وظاهر كلامهم : أنها في جانب دار المضيف الشرقي ، وهو بعيد ، ثم من المشرق دار موسى بن إبراهيم المخزومي ، والذي يلي دار المضيف اليوم في المشرق

---

(١) الذي يظهر من كلامه أن دار عبد الله بن مسعود بعضها داخل في المسجد من باب المجيدي وبقيتها المكاتب الشرقية اهـ .

دار لبعض رئيسي المؤذنين ، والميضأة المعطلة ، وبينها وبين دار المضيف زقاق يعرف بخرق الجمل[1] يتوصل منه إلى سور المدينة ، ولعله المعروف قديماً بزقاق الجمل .

قال ابن شبة : اتخذت فاطمة بنت قيس داراً بين دار أنس بن مالك ، وبين زقاق الجمل ، ودار أنس بن مالك ببني جديلة[2] شامي سور المدينة ، ثم إلى جنب دار موسى أبيات قهطيم صوافي ، ومحلها اليوم رباط القاضي الفاضل ، ودار الرسام وقف السلامي الصائر بيتاً للشمس ابن جلال الخجندي ، ثم الطريق وهو زقاق المناصع الذي يتوصل منه اليوم لحوش الحسن ، ثم دار عمرو بن العاص السهمي تصدق بها ، ومحلها ما يلي زقاق المناصع من مؤخر رباط السبيل الذي للرجال ، ثم إلى جنب دار عمر ، ودار خالد بن الوليد انقرض أولاده ، فكانت بيد أولاد أخيه عبد الله بن الوليد ، وهي التي شكا للنبي ﷺ ضيقها ، فقال له : « اتسع في السماء » ، أي : برفع البنـاء في السماء ، ومحلها اليوم مقدم رباط السبيل المذكور ، ثم إلى جنبها دار أسماء بنت الحسين العباسية كانت من دار جبلة بن عمر الساعدي ، ومحلها اليوم رباط السبيل الذي للنساء بالصف الذي قبله ، ثم إلى جنبها دار ريطة بنت أبي العباس ، وكانت من دار جبلة ، ودار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أي أنه أدخل من شرقيها وما يليها من دار أبي بكر الصديق ، لأن دار أبي بكر كما قال ابن شبة : كانت في زقاق البقيع قبالة دار عثمان[3]

---

(١) قد أبطل الزقاق المذكور في حدود سنة ١٢٦٨ وبني موضعه الدار الكبيرة المتصلة بدار الضيافة من جملة أوقاف الحرم بناها مدير الحرم الشريف عبد اللطيف افندي وأبطل الزقاق المذكور وأدخله فيها اهـ .

(٢) صوابه : حديلة .

(٣) دار عثمان هي البيت الذي يسكنه مشايخ الحرم ، ورباط العجم ، ورباط المغاربة ، وما بين ذلك

رضي الله عنه الصغرى التي ببحر زقاق البقيع[1] ، ودار عثمان الصغرى هي رباط المغاربة ، وكانت متصلة بداره الكبرى من خلفها ، ومنها تسور قتلته ، ثم يلي دار ريطة ، الطريق بينها وبين دار عثمان رضي الله عنه العظمى خمس أذرع ، وهي زقاق البقيع ، ثم دار عثمان العظمى التي عند موضع الجنائز ، وعندها المقاعد ، وسبق بيان ما في محلها في الثالث من أبواب المسجد ، ثم بعد دار عثمان في القبلة الطريق خمس أذرع أو نحوها ، يفصل بين دار عثمان وبين المدرسة الشهابية[2] ثم منزل أبي أيوب الأنصاري الذي نزله رسول الله ﷺ ، وفي موضعه اليوم المدرسة الشهابية الموقوفة على المذاهب الأربعة من المظفر شهاب الدين غازي أخي نور الدين الشهيد ، ثم إلى جنب منزل أبي أيوب ، دار جعفر الصادق[3] بن محمد بن الباقر بن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم التي يسقي فيها الماء الذي تصدق به جعفر ، وفيها محراب قبلته ، وأثر محاريب ، وكانت لحارثة بن النعمان ، وقد ملكها الشجاعي شاهين الجمالي ، وبنى بها داره ، وجدد مسجدها وقبالتها في المغرب دار حسن بن زيد بن حسن[4] بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، دخل فيها الأطم الذي يدعى بفويرع ، وفي موضعها اليوم دار الأشرف المنائفة ذات الساباط المتصل بالمدرسة الشهابية ، وما في غربيها إلى دار بني صالح ، ثم قد صار ذلك مع دار جعفر الصادق الماضية لسلطان الحرمين السيد الشريف محمد بن بركات أيده الله تعالى ، وسدّده ، والطريق خمس أذرع بين دار حسن المذكورة ، وبين دار فرج الخصيّ

---

(١) صوابه : ينجر زقاقها إلى البقيع .

(٢) هي منزل أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه التي كانت موقوفة على المذاهب الاربعة ، وهي اليوم المعروفة بزاوية الجنيد ، والمسكن الذي فوقها تحت نظارة آل البالي ،

(٣) دار جعفر الصادق هي الدار التي يسكنها نائب الحرم .

(٤) دار حسن بن زيد بن حسن مكانها اليوم كتبخانة شيخ الإسلام المرحوم عارف حكمة بيك والسباط المتصل بينها وبين المدرسة الشهابية أبطل وبقي فضاء ، والآن لا اتصال بينهما .

مولى أمير المؤمنين التي هي قبلة الجنائز ، وموضعها اليوم رباط مراغة ، فالطريق المذكور هو المقابل لباب المدرسة الشهابية ممتداً في القبلة إلى بيت بني صالح الذي تقدم أنه شارع في زقاق عاصم ، ثم إلى جنب دار فرج دار عامر بن عبد الله ابن الزبير بن العوام ، وفي موضعها اليوم الدار التي في غربي رباط مراغة ، وكذا الدار التي عن يسار خوخة آل عمر إن لم تكن من دار آل عمر .

والظاهر : أنها منها ، ثم ترجع إلى دار عبد الله بن عمر من حيث ابتدأت ، وكانت دار حمزة[1] دبر زقاق عاصم بن عمر ولم يبيّنوا محلها .

الفصل السادس عشر : في البلاط المجعول حول المسجد ، وما أطاف به من الدور غير ما سبق ، وسوق المدينة وسورها .

بوّب البخاري لمن عقل بعيره بالبلاط ، أو باب المسجد ، وأورد حديث جابر : دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فدخلت إليه ، وعقلت الجمل في ناحية البلاط .

وفي حديث اليهوديين فرجما عند البلاط ، وفي رواية : قريباً من موضع الجنائز .

ولأحمد والحاكم : عند باب المسجد .

وفي حديث آخر : أن عثمان أتي بماء ، فتوضأ بالبلاط . وكله مقتض لتقدم البلاط على خلافة معاوية ، ومقتضى نقل ابن شبة وابن زبالة أن معاوية أمر مروان باتخاذه في ولايته ، فبلط ما حوالي المسجد ، وليس خاصاً بغربي المسجد كما اقتضاه قول عياض تبعاً للبكري أنه موضع مبلط بين المسجد والسوق . انتهى . للتصريح بأن معاوية بلط ناحية موضع الجنائز شرقي المسجد ، وهو المراد من حديث رجم اليهوديين ، بل صرحوا بأن حد البلاط الشرقي إلى دار المغيرة بن شعبة التي في طريق البقيع من المسجد ، وحده الهماني[2] إلى زاوية دار عثمان بن عفان رضي الله

---

(١) يظهر أنها الآن دار الشيخ شامل غازي باشا ، ودار الافندي عبد الجليل بري ،

(٢) نسخة : وحده اليماني .

عنه الشارعة على موضع الجنائز ، وحده الشامي إلى وجه حش طلحة خلف المسجد ، وحد البلاط الغربي ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس بالسوق ، وهناك مشهد مالك بن سنان ، وإلى حد دار إبراهيم بن هشام الشارعة على المصلى ، وللبلاط أسراب ثلاثة تصب فيها مياه المطر ، فواحد بالمصلى عند دار إبراهيم بن هشام ، وآخر على باب الزوراء عند دار العباس بالسوق ، ثم يخرج ذلك الماء إلى ربيع في الجبانة عند الحطابين ، أي : شامي سوق المدينة ، وآخر عند دار أنس بن مالك في بني حديلة عند دار بنت الحارث . انتهى ما صرحوا به . فما في الأحاديث السابقة ، من خطاب السامع بما يفهمه في تعريف المحل ، ويتلخص أن البلاط كان حول المسجد ، ويمتد في مقابلة باب الرحمة إلى الصوغ ، وسوق العطارين ، ويستمر حتى يجاوز بيوت أمراء المدينة اليوم ، فيصل إلى مشهد مالك بن سنان ، ويمتد أيضاً في مقابلة باب السلام ، وينعطف حتى يتصل ببلاط باب الرحمة ، ويمتد في مقابلة باب السلام أيضاً في الاستقامة حتى يصل إلى باب المدينة المعروف بباب سويقة [1] ، ثم يصل إلى المصلى عند دار ابن هشام ، وقد علا الكبس على كثير من البلاط ولم يبق ظاهراً منه إلا ماحول المسجد النبوي ، وبعض مافي جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة ، وقد انسدت الأسراب المتقدمة ، وظفر متولي العمارة بالشرقي منها لجهة زقاق المناصع[2] وتتبعه حتى وصل لحوش الحسن ، فوجد الناس قد ابتنوا في طريقه ، وظهر بذلك أنه يخرج خلف السور قرب البئر التي سنذكرها في بئر أنس ، فصرف متولي العمارة بلاليع البلاط إلى سرب وسخ العين لأنه أقرب مأخذاً من تتبع ما ذكر ، والبلاط الآخذ من باب السلام للمصلى هو البلاط الأعظم [3] ، وما كان عن يمين المارّ فيه قاصداً المسجد ، فهو ميمنته ،

---

(١) باب سويقة هو المعروف اليوم باب المصري .

(٢) هو المعروف اليوم بزقاق البدور .

(٣) البلاط كان ممتداً من باب السلام الى المصلى وهو البلاط الأعظم .

وما كان عن يساره فهو ميسرته ، وأول الدور في ميسرته عند المصلى دار إبراهيم ابن هشام [1] ، وفي ميمنته في قبلتها جانحاً إلى المغرب دار سعد بن أبي وقاص[2] الطريق بينها ، ويليها في الميمنة أيضاً دار سعد التي كانت لأبي رافع مولى رسول الله ﷺ فناقله سعد إلى دار بالبقال [3] وفي الميسرة في مقابلة هذه دار لسعد أيضاً الطريق بينها عشرة أذرع ، ودور سعد صدقة ، ثم يلي دار سعد التي كانت لأبي رافع في الميمنة دار آل خراش من بني عامر بن لؤي ، وتعرف بدار نوفل بن مساحق العامري ، وفي دبرها من القبلة كتاب عروة رجل من اليمن كان يعلم ، وفي كتاب عروة مسجد بني زريق ، ثم يلي دار آل خراش في الميمنة دار الربيع التي يقال لها : دار حفصة ، قيل : وكانت هذه الدار قطيعة من النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص ، مع دار آل خراش التى إلى جنبها .

وذكر ابن شبة دوراً ثلاثة في قبلة دار الربيع التي هي دار حفصة ، كل منها في قبلة الأخرى ، وثالثهن في القبلة هي دار عمار بن ياسر ، وشرقي دار عمار دار عبد الرحمن بن الحارث ، وفي غربي الدور المصطفة في القبلة ، كتاب عروة ومسجد بني زريق ، وفي شرقيها زقاق عبد الرحمن بن الحارث . والغرض من هذا معرفة مسجد بني زريق ، والزقاق المذكور ، ثم يلي دار الربيع في الميمنة دار أبي هريرة رضي الله عنه ، ثم يليها في الميمنة زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث ، وسيأتي لهذا الزقاق ذكر في رجوعه ﷺ من صلاة العيد ، وكذا دار أبي هريرة ، والذي ظهر لي بعد التأمل أن هذا الزقاق أول زقاق يلقاك إذا دخلت من باب المدينة تريد المسجد النبوي ، أو على يمينك إذا أقبلت على باب المدينة ، وأن

---

(١) هي لأولاد اسماعيل بري شيخ الفراشين ، وما يتصل بها الى قرب العين .

(٢) الذي يظهر منه أن دار سعد بن أبي وقاص هي المتصلة بالمصلى من غربية المشروطة للامام وما اتصل بها من السبيل وغيره .

(٣) هو رحبة محلة الأغوات الخدام بالمسجد الشريف ، ويقال : بقيع الزبير أيضاً .

مسجد بني زريق في قبلة يمينك حينئذ ، أو قبلة الحوش الذي يمين الداخل من باب المدينة ، وفي الميسرة شامي دار آل خراش ودار الربيع ،دار نافع بن عتبة بن أبي وقاص التي ابتاعها الربيع ، وتعرف بالربيع أيضاً ، ثم في الميسرة دار حويطب ابن عبد العزى ، منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذي إلى دار آمنة بنت سعد ، وبين دار الربيع التي قبل هذه ، ويجنبها ، دار عمرو بن أبي وقاص التي في زقاق حلوة [1] بين دار حويطب وبين خط الزقاق الذي فيه دار آمنة ، وخاتمة البلاط هو الشارع الممتد على يسار الداخل من باب المدينة إلى مشهد مالك بن سنان ، ولعلّ زقاق حلوة ـ وسيأتي ذكره في الآبار ـ هو المعروف اليوم بزقاق الطوال هناك ، ثم يلي زقاق عبد الرحمن بن الحارث في الميمنة دار عبد الرحمن بن عوف ، ثم يليها في الميمنة زقاق أبي أمية بن المغيرة ، ثم يلي الزقاق في الميمنة دار خالد بن سعد ، ويقال لها : دار ابن عتبة ، ثم يلي دار خالد دار أبي الجهم ، ثم دار نوفل بن عدي ، ودار أبي الجهم هي المرادة بقول مالك بن أبي عامر كما في « الموطأ » : كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب ونحن عند دار أبي الجهم بالبلاط .

ويقول موسى بن عقبة : إن رجال بني قريظة قتلوا عند دار أبي الجهم التي بالبلاط ، ولم يكن يومئذ بلاط ، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت [2] التي كانت بالسوق عند دار العباس بن عبد المطلب التي أقطعها له عمر بن الخطاب عند خاتمة البلاط ومشهد مالك بن سنان ، وهو مخالف لما سبق في قصتهم من أن النبي ﷺ خندق لهم خنادق بسوق المدينة ، وضرب أعناقهم بها .

وأما السوق ، فروى ابن شبة عن عطاء بن يسار ، قال : لما أراد رسول الله

---

(١) هو المعروف اليوم : بزقاق الطوال .

(٢) هو البناء المربع المقابل لمشهد مالك بن سنان رضي الله عنه .

ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً ، أتى سوق بني قينقاع ، ثم جاء سوق المدينة ، فضربه برجله ، وقال : هذا سوقكم ، فلا يضيق ، ولا يؤخذن فيه خراج .

ولابن زبالة عن سهل ، ان النبي ﷺ أتى بني ساعدة ، فقال : إني جئتكم في حاجة تعطوني مكان مقابركم فأجعلها سوقاً ، وكانت مقابرهم ما حازت دار ابن أبي ذئب ، أي شرقي السوق عند انتهائه من جهة الشام إلى دار زيد بن ثابت ، أي في شرقيه أيضاً قرب انتهائه مما يلي القبلة ، فأعطوه اياه ، فجعله سوقاً .

ونقل ابن زبالة : أن عرض سوق المدينة ما بين المصلى ، أي : من القبلة إلى جرار سعد بن عبادة وهي جرار كان يسقي الناس فيها الماء بعد موت أمه ، أي : أن الجرار كانت في حده من جهة الشأم قرب ثنية الوداع كما يؤخذ مما ذكروه في الدار التي بناها إبراهيم بن هشام في ولايته لهشام بن عبد الملك ، وأخذ بها سوق المدينة كله ، وسدّ بها وجوه الدور الشوارع في السوق ، وبنى ذلك كله حوانيت وعلالي تكرى ، وجعل فيها الأسواق كلها لقولهم : إنه جعل لهذه الدار باباً شامياً مقابل الثنية خلف زاوية دار عمر بن عبد العزيز التي بالثنية ، وباباً عظيماً عند التمارين يقابل المصلى ، وكان جدارها الشرقي عند خاتمة البلاط التي عند دار العباس بالزوراء قرب مشهد مالك بن سنان ، وسدّ به وجه دار العباس المذكورة ، وما يليها من الدور في الشام والقبلة ، وجعل في هذا الجدار لبني ساعد طريقاً مبوّبة ، وكذا لبني ضمرة ، وكذا لبني الديل ، وطريق لبني الديل في المشرق قرب ثنية الوداع ، وجعل الجدار الآخر في المغرب من التمارين في شامي المصلى ، وسدّ به وجه الزوراء حتى ورد بها خيام بني غفار ، وجعل لمخرج بني سلمة من زقاق ابن جبير باباً مبوّباً عظيماً ، وجعل لسكة أسلم باباً مبوّباً ، ومساكنهم بموضع حصن أمير المدينة [1] اليوم وما حوله في المغرب ، فلم

---

(١) قال الشيخ حسب الله المكي : الحصن في زماننا في محل قلعة المدينة الان على سليع . أقول : وفي زماننا عام ١٣٩٠ هـ أزيلت وأنشىء في محلها عمارة شاهقة سكنية ، وقد أخذ جزء كبير لتوسعة الشارع من جميع جهاتها الأربع النمنكاني .

يزل على ذلك حيـــاة هشام بن عبد الملك حتى توفي ، فقدم بوفاته ابن مكرّم الثقفي ، فلما أشرف على رأس ثنية الوداع صاح : مات الأحول ، واستخلف الوليد بن يزيد ، فوثب الناس على هذه الدار فهدموها ، وعلى عين السوق فسدّوها ، وكان أحدثها في سكك أهل المدينة ، ودخلت في بعض منازلهم ، فقال أبو معروف :

ما كان في هدم دار السوق إذ هدمت سوق المدينة من ظلم ولا حيف
قام الرجال عليهـا يضربون معاً ضرباً يفرّق بين السور والنجف

في أبيات ذكرناها في الأصل ، وما يلي المصلى من المشرق والمغرب من سوق المدينة يسمى بالزوراء لارتفاعه ، قال بعضهم فيما نقل ابن شبة : أدركت سوقاً بالزوراء يقال : سوق الحوص [1] كان الناس ينزلون إليه بـدرج ، ويسمى سوق المدينة بقيـع الخيل لما سبق في الرابـع من الباب الأول عن عائشة رضي الله عنها وبقيـع المصلى .

ولذا روى أحمد والطبراني عن أبي بردة بن نيار ، قال : انطلقنا مع رسول الله ﷺ إلى بقيـع المصلى ، فأدخل يده في طعام ، ثم أخرجهـــا ، فإذا هو مغشوش أو مختلف ، فقال : « ليس منا من غشنا » .

وللطبراني عن أبي موسى » انطلقت مع رسول الله ﷺ إلى سوق البقيـع ، فأدخل يده في غرارة ، فأخرج طعاماً ... الحديث » . فأطلق عليه اسم البقيـع غـير مضاف ، وكذا في حديث ابن عمر : إني أبيـع الإبل بالبقيـع بالدنانير ، وحمله على بقيـع الغرقد وهم .

وقد ذكر ابن شبة أسواق المدينة في الجاهلية والإسلام ، ولم يذكر أنه كان ببقيـع الغرقد سوق لا قبل الدفن به ولا بعده .

---

(١) صوابه : سوق الحرض بضم الحاء والراء المهملتين : الأشنان .

وأما سور المدينة [١] ، فلم يكن لها في الزمن القديم سور ، ومن تأمل ما ذكرناه في الأصل من منازل القبائل من المهاجرين مع منازل قبائل الأنصار علم عظيم سعتها واتصال قراها بعضها ببعض ، ولذا لم تقم الجمعة في قراها مع كثرتهم بها واستيطانهم ، وسيأتي أن قباء كانت مدينة عظيمة متصلة بالمدينة النبوية ، وأول من بنى بالمدينة الشريفة سوراً بعد خراب أطرافها عضد الدولة بن بويه بعد الستين وثلاثمائة في خلافة الطائع لله بن المطيع لله ، ثم تهدم على طول الزمان ، وتخرّب بخراب المدينة ، ولم يبق إلا آثاره ورسمه ، قاله المجد اللغوي .

وقد رأيت آثاره قبلي جبل سلع ، وظاهر ما رأيت من آثاره : أنه كان متصلا بشفير وادي بطحان من المغرب ، وكذا نقل الأقشهري عن صاحب «نور الأقاليم» : أن المدينة الشريفة عليها سور ، وأن مصلى العيد من غربي المدينة داخل الباب . فمنازل جهينة أو غالبها كانت من داخله كما سيأتي في مسجدهم ما قاله المطري من أن ناحيتهم غربي حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينها وبين جبل سلع ، قال : وعندها أثر باب للمدينة يعرف بدرب جهينة ، وما سبق عن المجد نقله عن المطري عن ابن خلكان .

قلت : وهو مخالف لما في « الروض المعطار في أخبار الأقطار » ، من ان اسحاق ابن محمد الجعدي بنى سور المدينة المعروف عليها اليوم ، أي : في زمنه سنة ثلاثة وستين ومائتين ، ولها أربعة أبواب : باب في المشرق يخرج منه إلى بقيع الغرقد ،

---

(١) في العهد العثماني بني سور المدينة الضخم ، بدأ عمارته السلطان سليمان بن السلطان سليم العثماني سنة ٩٣٧ هـ وانتهى سنة ٩٤٨ هـ ومساحة السور الطويلة ٣٠٧٢ ذراع عمل وذراع العمل هو ٧٥ سنتيمتر ،وانظر عن بناء سوار المدينة كتاب « التحفة اللطيفة » في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة » تأليف الشيخ محمد بن خضر الحنفي الرومي ، المنشور في الحلقة - ١٦ - من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

وباب في المغرب يخرج منه إلى العقيق وإلى قباء، وداخل هذا الباب في حوزة السور المصلى الذي كان ﷺ يصلي به العيد ، وباب ما بين الشمال إلى المغرب ، وباب آخر يخرج منه إلى قبور الشهداء بأحد اهـ .

ولعل المنسوب لابن بويه : إنما هو تجديده أو سور غيره ، ففي « الروض المعطار » أيضاً بعد ما سبق : أن المدينة في مستوى من الأرض كان عليها سور قديم ، وهي الآن عليها سور حصين منيع من التراب ، أي اللبن ،بناه قسيم الدولة المعزي ، ونقل اليها جملة من الناس ، ورتب البر اليها . انتهى .

وقال المطري عقب قوله : ولم يبق إلا آثاره حتى جدّد لها جمال الدين محمد ابن أبي المنصور ، يعني الجواد الأصفهاني ، سوراً محكماً حول المسجد الشريف على رأس الأربعين وخمسمائة من الهجرة ، ثم كثر الناس من خارج السور ، ووصل السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ، ثم ذكر ما قدمناه عنه في خاتمة الثاني عشر ، ثم قال : إنه لما ركب متوجهاً إلى الشام صاح به من كان نازلاً حول السور ، واستغاثوا ، وطلبوا أن يبني عليهم سوراً يحفظ أبناءهم وماشيتهم ، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، فبني سنة ثمان وخمسين وكتب اسمه على باب البقيع ، فهو باق إلى تاريخ هذا الكتاب .

قلت : وكذا إلى تاريخ كتابنا هذا .

وصورته في الحديد المصفح به الباب : هذا ما أمر بعمله العبد الفقير إلى الله تعالى محمود بن زنكي بن أقسنقر غفر الله له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وهذا لا تصريح فيه بعمله للسور . وقال البدر ابن فرحون : إن نور الدين الشهيد كمل سور المدينة ، وهو سورها الموجود اليوم . قال : وأما السور الذي كان داخل المدينة ، فإنما أحدثه جمال الدين بن أبي منصور ، وكان وزيراً لوالد الملك العادل

يعني زنكي ، ثم استوزره بعد زنكي غازي بن زنكي ، يعني أخا العادل انتهى .

وقد علمت أن المدة متقاربة في عمل السورين .

وفي كتاب شهاب الدين بن أبي شامة ، قال ابن الأثير : رأيت بالمدينة إنساناً يصلي الجمعة ، فلما فرغ ترحم على جمال الدين يعني الجواد ، فسألناه ، فقال : يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له ، لأننا كنا في ضر وضيق مع العرب لا يتركون لأحدنا ما يواريه ، فبنى علينا سوراً احتمينا به ممن يريدنا بسوء ، فكيف لا ندعو له ! وكان الخطيب في المدينة يقول في خطبته : اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن علي بن أبي منصور ، فلو لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه فخراً ، فكيف وقد أصابت صدقته تخوم الأرض .

وأما عنايته بأهل الحرمين خصوصاً أهل المدينة ، فكانت عظيمة ، وقد ذكرنا في الأصل هنا نبذة من ذلك مع عدد أبواب سور المدينة اليوم[1] ، وذرع ما بين كل باب منها وبين المسجد النبوي ، ولم يزل الملوك يهتمون بعمارة سور المدينة .

وذكر المراغي : أنه جدد في سنة خمس وخمسين وسبعمائة أيام الصالح صالح ولد الناصر ابن قلاوون ، وجدّد أشياء منه سلطان زماننا الأشرف قايتباي .

وذكر البدر ابن فرحون : أن الأمير سعد بن ثابت بن جماز ابتدأ في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة في عمل الخندق الذي حول السور المذكور ، ومات ولم يكمله ، وأكمله الأمير فضل بن قاسم بن جماز في ولايته بعده .

---

(١) أعلم أن السور المذكور خرب بعد ذلك وبقي مدة حتى كان زمن السلطان سليمان ابن السلطان سليم في حدود عام ٩٣٩ هـ ، أمر بتجديده ، وبني على أساس السور القديم في مدة سبع سنين لتعطل العمارة في خلال المدة ، وكان تمامه سنة ٩٤٦ هـ ودائر السور بذراع العمل ٣٠٧٢ وقيل : هو ما بين الاراج والتجويف أربعة آلاف ، والمنصرف عليه مائة ألف دينار ، وكتب على بابه الغربي المعروف اليوم بباب المصري : إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم .

الباب الخامس في مصلى الأعياد بها ، ومساجدها النبوية

ومقابرها ، وفضل أحد والشهداء به ، وفيه ستة فصول .

الأول : في مصلى الأعياد .

قال الواقدي : أول عيد صلى رسول الله ﷺ بالمصلى سنة ثنتين من مقدمه المدينة ، وحملت له العنزة ، وهو يومئذ يصلي إليها في الفضاء ، وكانت العنزة للزبير بن العوام ، أعطاه إياها النجاشي ، فوهبها للنبي ﷺ ، وكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وهي بالمدينة عند المؤذنين ، يعني يخرجون بها بين يدي الأئمة في زمانه .

ولابن شبة وابن زبالة : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : أول فطر وأضحى صلى فيه رسول الله ﷺ للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل ، أي : الذين يصنعونها ويبيعونها . وفي رواية للثاني : صلى في ذلك المسجد وهو خلف المجزرة التي بفناء دار العداء بن خالد .

قلت : وهي دار ابنه حكيم بن العداء بن بكر بن هوازن ، ومنزلهم مع مزينة غربي المصلى ، فلعله المسجد الكبير المعروف بمسجد عليّ رضي الله عنه شامي المصلى مما يلي المغرب متصلاً بشامي الحديقة المعروفة بالعريضي ، لأن سوق المدينة كان هناك ، ولعل نسبته إلى عليّ رضي الله عنه لكونه صلى به العيد الذي صلاه للناس وعثمان رضي الله عنه محصور كما رواه ابن شبة ، ويبعد أن يبتكر عليّ رضي الله عنه الصلاة بموضع لم يصل فيه رسول الله ﷺ ، وكان هذا المسجد قد دثر حتى صار بعض الحاج يدفن فيه الموتى أيام نزولهم هناك ، فجدد بناءه أمير المدينة زين الدين ضغيم المنصوري في ولايته سنة إحدى وثمانين وثمانمائة [1] .

---

(١) وجدده السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٦٨ .

ولابن زبالة : عن إبراهيم بن أمية ، عن شيخ من أهل السن والثقة ، قال : إن أول عيد صلاه رسول الله ﷺ صلى في حارة الدوس عند بيت ابن أبي الجنوب ، ثم الثاني بفناء دار حكيم عند دار جفرة داخلًا في البيت الذي بفنائه المسجد ، ثم الثالث عند دار عبد الله بن درة المزني داخلًا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصلت ، ثم الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى ، ثم صلى داخلا في منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن صلت ، ثم صلى حيث يصلي الناس اليوم .

قلت : دار ابن أبي الجنوب كانت غربي وادي بطحان ، فالمصلى الأول في هذه الرواية هناك ، وأما الثاني فقد سبق الكلام فيه ، وأما الثالث فهو بمعنى قول ابن شهاب كما لابن شبة : أنه ﷺ صلى في موضع آل درة وهم حي من مزينة ، ومنزل مزينة غربي المصلى إلى عدوة بطحان الشرقية إلى قبلة المصلى ، ودار كثير ابن الصلت قبلة مصلى العيد ، كما قال ابن سعد يعني الذي استقر عليه الأمر ، وهو المسجد الآتي ذكره ، ودار معاوية كانت في مقابلة دار كثير إمّا من غربيها أو من شرقيها ، والأول أقرب لما سيأتي في مروره ﷺ إلى قباء ، أنه كان يمرّ على المصلى ، ثم يسلك في موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين .

وأما الرابع وما بعده ، فالظاهر أنها مواضع بقرب مصلى الناس اليوم سيما الرابع ، ولعله المسجد الذي شمالي مسجد المصلى اليوم جانحاً إلى المغرب بوسط الحديقة المعروفة بالعريضي ، المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1] ، ولعله صلى فيه في خلافته ، وأهل الحديقة المذكورة اليوم يمتهنون مؤخره بحبس الدواب فيه ، وهو من المنكرات التي يجب إزالتها ، وقد أنهيت ذلك للناظر عليها شيخ الحرم كما في الأصل .

وقوله : ثم صلى حيث يصلي الناس اليوم ، أي بالمسجد المعروف اليوم بمسجد

---

(١) جدده السلطان محمود خان العثماني سنة ١٢٥٤ هـ .

المصلى ، وهو بمعنى ماروواه ابن شبة عن ابن باكية قال : صلى رسول الله ﷺ العيد عند دار الشفاء ، ثم صلى في حارة الدوس ، ثم صلى في المصلى ، فثبت يصلي فيه حتى توفاه الله تعالى .

ونقل ابن شبة عن شيخه أبي غسان صاحب مالك ، أن ذرع مابين باب مسجد رسول الله ﷺ الذي عنده دار مروان ، أي باب السلام ، وبين المسجد الذي يصلي فيه العيد بالمصلى ألف ذراع اه .

وقد اختبرته إلى مسجد المصلى اليوم ، فكان كذلك ، وهو المراد بقوله في « الصحيح » « أن النبي ﷺ أتى في يوم عيد إلى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت ... الحديث » . فالعلم كان قبل اتخاذ المحل مسجداً ليعرف به المحل ، ودار كثير كانت قبله للوليد ، ثم اشتهرت بكثير وهو تابعي ، فوقع التعريف بذلك ليقرب إلى ذهن المخاطب فهمه ، لقول ابن شبة : اتخذ الوليد بن عقبة بن أبي معيط الدار التي صلى إليها النبي ﷺ العيد وهو يصلي إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندي ، فجلد عثمان الوليد في الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا وبينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هـذه إلى دار كثير بشفير وادي بطحان من العدوة الغربية .

وأما حديث « الصحيحين » وغيرهما : خرج رسول الله ﷺ يوم أضحى إلى البقيع ، فصلى ... الحديث » . فالمراد بقيع المصلى ، وبقيع السوق لما سبق في الفصل قبله لا بقيع الغرقد كما سبق لبعض الأوهام حيث حمل الرجم بالمصلى على بقيع الغرقد ، وقد اشتهر بقيع المصلى في الأشعار ، قال أبو قطيفة :

ألاليت شعري هل تغير بعدنا   بقيع المصلى أم كعهد القرائن

قال المطري : ولا يعرف من المساجد التي ذكر يعني ابن زبالة لصلاة العيد غير المسجد الذي يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضي

يعرف بمسجد أبي بكر ، ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بهـــا يسمى مسجد علي .[1] انتهى ملخصاً .

وعلى باب المسجد الذي يصلى فيه اليوم حجر يتضمن أن شيخ الحرم النبوي عز الدين أمر بتجديده بعد خرابـه وذهابه ، وذلك في أيام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، وانمحت بقية الكتابة .

وابتداء سلطنة حسن هذا سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وقد اوضحنا في الأصل مايقع به في زماننا من البدعة في خروج الإمام منه إلى الدرج التي على يسارالخارج من بابه ، وقيامه عليها في الخطبة ، وليس أمامـه إلا من يصلي خارج المسجد ، ومن بالمسجد خلف ظهره لمخالفته للسنة ، ولما ثبت من قيامـــه ﷺ في مصلاه مستقبل الناس والناس جلوس على صفوفهم كما أوضحناه في الأصل مع بيان أنه ﷺ كان يقوم به على غير منبره بعد أن يصلي العيد ، وأن كثير بن الصلت بنى لمروان منبراً ، فارتقاه قبل الصلاة ، فقال له أبو سعيد : غيرتم والله ، و قول مروان : إن الناس كانوا لايجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة كما في «الصحيح »

قال بعضهم : وإنما كان الناس لايجلسون له بعد الصلاة لسبه من لايستحق السب ، والافراط في مدح بعض الناس .

ولابن شبة فيما جاء في المصلى عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى يستسقي ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ، ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا ، فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ، ولا خيمة .

وعن جناح النجـار قال : خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الى مكة ، فقالت لي : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ، فقالت لي : تمسك به ، فإني سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مابين مسجدي هذا المسجد ومصلاي روضة من رياض الجنة » .

---

(١) وجدده السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٦٧ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر ، فمر بالمصلى استقبل القبلة ، ووقف يدعو .

وأما طريقه ﷺ إلى المصلى ، ففي « الصحيح » أنه إذا كان يوم العيد خالف الطريق .

وفي « الأم » للشافعي ، عن المطلب بن حنطب ، أن النبي ﷺ كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، أي وهي طريق الناس اليوم كما قاله المطري في البلاط الأعظم ، قال : فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار : ودار عمار بن ياسر عند زقاق عبدالرحمن ابن الحارث الذي يسلك إلى البلاط الأعظم ، فيشرع فيه عند دار أبي هريرة الشارعة في البلاط الأعظم كما سبق في الفصل قبله ، ولذا روى ابن شبة عن أبي هريرة أنه قال : ركن باب داري هذا أحب إلي من زنتها ذهباً ، سلك رسول الله ﷺ على داري إلى العيد ، فجعلها يساراً ، فمر على عضادة داري مرتين في غداة واحدة ، أي لمروره على تلك العضادة في الذهاب ، ثم في العود من زقاق عبد الرحمن بن الحارث ، فتكون على يساره في الذهاب والإياب .

ولذا روى ابن شبه أيضاً ، عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ كان يأتي العيد ماشياً على باب سعد بن أبي وقاص ، أي بالبلاط الأعظم ، ويرجع على أبي هريرة ، أي بأن يأخذ في قبلة المصلى على بني زريق حتى يصل دار عمار بن ياسر التي سبق أنها في قبلة الدور التي في ميمنة البلاط الأعظم ، ثم يأتي دار أبي هريرة من الزقاق الذي سبق بيانه .

ولذا روى ابن زبالة عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التي كان ينصرف منها ، وتلك الطريق

والمكان الذي كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلي طريق ابن زريق ، أي التي في قبلة المصلى بين المشرق والمغرب .

ولذا قال الواقدي عن عائشة رضي الله عنها وغيرها : كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية ، أي التي سبق أنها تحاذي دار كثير في قبلة المصلى ،فمن أراد الرجوع من هذه الطريق فلينصرف من قبلة المصلى طالباً جهة القبلة ، ثم يتياسر في المشرق إلى قرب سور المدينة من جهة القبلة ، لان زقاق عبد الرحمن بن الحارث من داخل السور اليوم ، فلا يمكن السلوك فيه .

وهذا كله مقتض لأن المخالفة بين الطريقين لم تكن في كلها كما يعلم مما سبق في البلاط ، ومقتض لكون العود أطول من الذهاب .

وقد روى الشافعي أيضاً طريقاً ثانية العود فيها أبعد من الذهاب بكثير ، عن معاذ بن عبد الرحمن التيمي ، عن أبيه ، عن جده أنه رأى النبي ﷺ رجع من المصلى يوم عيد ، فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا كان عند مسجد الأعرج الذي هو عند موضع البركة التي بالسوق ، قام فاستقبل فج أسلم ، فدعا ، ثم انصرف .

قال الشافعي عقبه : وأحب أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف في موضع، فيدعو الله تعالى مستقبل القبلة . اهـ .

ولذا روى يحيى ، عن محمد بن طلحة ، قال : رأيت عثمان بن عبد الرحمن، ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد ، فيقومان عند البركة التي بأسفل السوق . قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك ، فقال : كان رسول الله ﷺ يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

ولابن زبالة نحوه ، وزاد : وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبلين . قلت : وبركة السوق هي المنهل الذي عند مشهد النفس الزكية [1] قرب ثنية

---

(١) ويقال لها اليوم : عين الزكي .

الوداع ، وفي قبلة المشهد مسجد لعلـه مسجد الأعرج ، وفج أسلم موضع منازلهم بحصن أمير المدينة ، وثنية عثعث الـتي بين الحصن وجبل سلع ومـا هناك من غربي السوق ، ومستقبل ذلك عند المنهل المذكور يكون مستقبلاً للقبلة ، وبقرب هذا المنهل بمنزلة الحـاج الشامي مسجد أنشأه في زماننا قاضي الحرمين السيد العلامة محيي الدين الحنبلي (١) .

الفصل الثاني : في مسجد قباء ، وخبر مسجد الضرار .

في « الصحيـح » عن عروة في خبر قدومه ﷺ قال : فلبث في بني عمرو ابن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، يعني ببني عمرو بن عوف كما في رواية عبد الرزاق عنه .

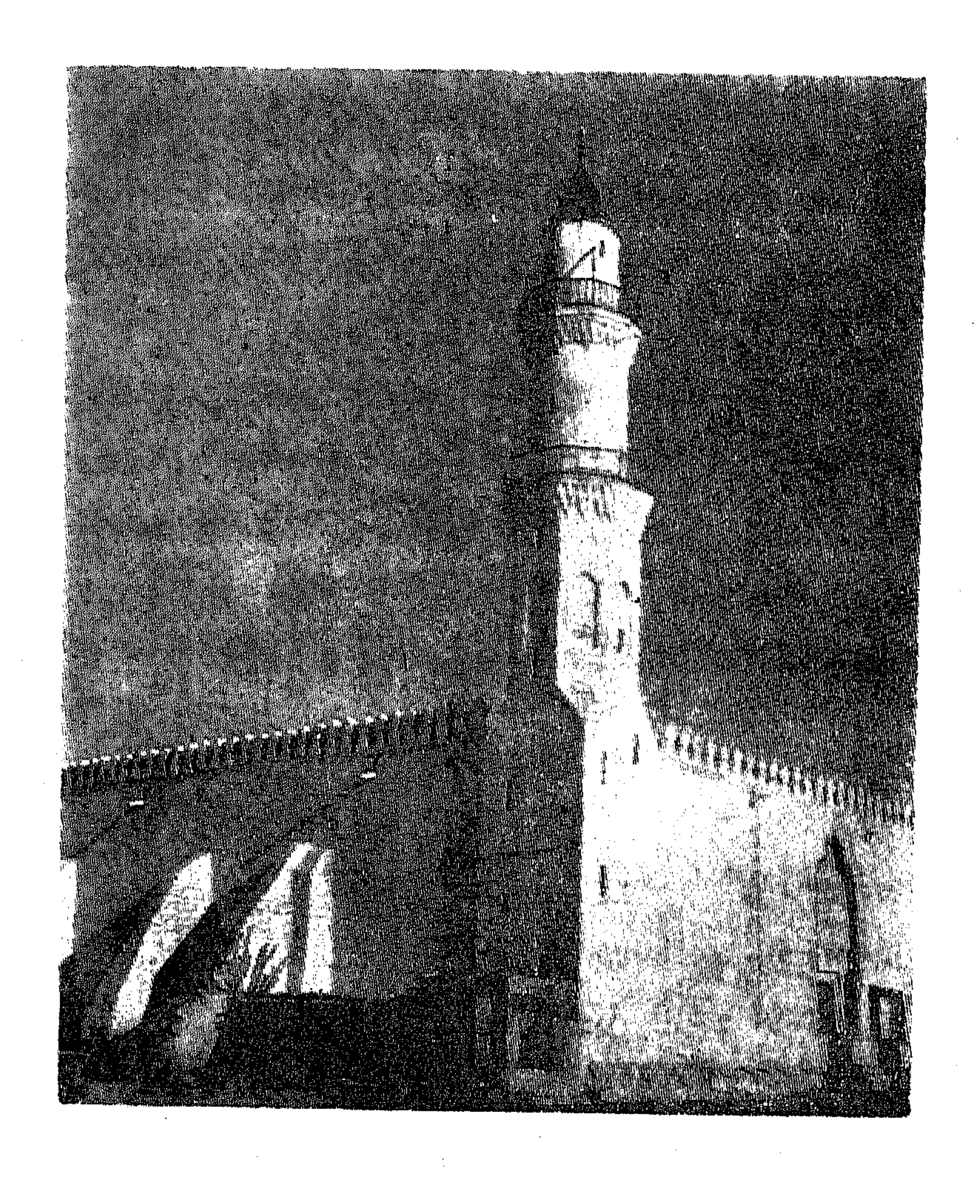
ولابن عائذ عن ابن عباس رضي الله عنهما : مكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجداً ، فـكان يصلي فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذي أسس على التقوى .

وبين ابن زبالة وغيره ، أن موضعه مربـد ، وهو الموضع الذي يجفف فيه التمر كان لكلثوم بن الهدم أخذه منه رسول الله ﷺ فأسسه وبناه مسجداً .

وللطبراني في « الكبير » وفيه ضعيف ، عن جابر بن سمرة قال : لما سأل أهل قباء النبي ﷺ أن يبني لهم مسجداً ، قال رسول الله ﷺ : « ليقم بعضكم فيركب الناقة » ، فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فركبها ، فحركها فلم تنبعث ، فرجع فقعد ، فقام عمر رضي الله عنه ، فركبها فلم تنبعث ، فرجـع فقعد ، فقال رسول ﷺ لأصحابه : « ليقم بعضكم فيركب الناقة » ، فقام علي رضي الله عنه ، فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت ، قـال رسول الله ﷺ : « ارخ

---

(١) هذا المسجد يعرف اليوم بمسجد السبق .



مسجد قبا
أول مسجد أسس على التقوى

زمامها ، وابنوا على مدارها فإنها مأمورة » .

وعنه أيضاً لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه : « انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم » ، فأتاهم ، فسلم عليهم ، فرحبوا به ، ثم قال : « يا أهل قبـاء ائتوني بأحجار من هذه الحرة » ، فجمعت عنده أحجار كثيرة ومعه عنزة له ، فخط قبلتهم بها ، فأخذ حجراً ، فوضعه رسول الله ﷺ ثم قال : « يا أبا بكر

خذ حجراً فضعه إلى حجري ، ثم قال : يا عمر ، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم قال : ياعثمان ، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر ، ثم التفت إلى الناس فقال : « يضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط » .

وللطبراني أيضاً ورجاله ثقات ، عن الشموس بنت النعمان ، قالت : نظرت إلى رسول الله ﷺ حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء ، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره أي يميله ، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه وسرته ، فيأتي الرجل من أصحابه فيقول : بأبي وأمي يارسول الله أكفيك ، فيقول : لا ، خذ مثله حتى أسسه ، ويقول : إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة ، قالت : فكان يقال : إنه أقوم مسجد قبلة ، قلت : لعل هذا في بناء غير الأول بعد تحويل القبلة ، فقد روى ابن شبة ، أن النبي ﷺ لما ورد قباء صلى بهم في مسجد قباء إلى بيت المقدس ، ثم روى أنه ﷺ بنى مسجد قباء وقدّم القبلة الى موضعها اليوم ، وقال : « جبريل يؤم بي البيت » ، وأن ابن رواحة كان يقول وهم يبنون في مسجد قباء :

أفلح من يعالج المساجدا

فقال رسول الله ﷺ : المساجدا ، فقال عبد الله :

يقرأ القرآن قائماً وقاعداً .

فقال رسول الله ﷺ : « وقاعداً »

وقد اختلف في المراد بقوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء .

وعند أبي داود بإسناد صحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : نزلت فيه (رجال يحبون أن يتطهروا) [التوبة : ١٠٨] في أهل قباء ، كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية ، وهذا هو ظاهر الآية كما سبق في الثالث من الباب الثاني ، مع الأحاديث الدالة على أن المراد مسجد المدينة والجمع بأن كلا منهما أسس على التقوى يوم تأسيسه مع بيان السر في تخصيصه ﷺ لمسجد المدينة بالذكر ، لما سئل عن ذلك .

على أن يحيى روى بسند لابأس به ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء » . قال الله جل ثناؤه : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبد الله بن عمر ، وسمرة بن جندب ، فأتينا النبي ﷺ ، فقالوا لنا : انطلق نحو مسجد التقوى ، وانطلقنا نحوه ، فاستقبلنا يداه على كاهل أبي بكر وعمر ... الحديث » .

وفي « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنهما ، كان ﷺ يزور قباء ، أو يأتي قباء راكباً وماشياً ، زاد في رواية لهما أيضاً : فيصلي فيه ركعتين .

وللبخاري والنسائي ، أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً ، وكان عبد الله يفعله .

ولابن حبان في « صحيحه » : كل يوم سبت ، فيرد به على من قال : السبت : الأسبوع .

ولابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر مرسلا ، أن النبي ﷺ كان يأتي قباء صبيحة يوم الإثنين .

وعن محمد بن المنكدر مرسلا ، أن النبيّ ﷺ كان يأتي مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر : عن جابر متصلا .

وفي كتاب رزين ، عن ابن المنكدر ، أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبح سبع عشرة من رمضان . وليحيى عن ابن المنكدر نحوه .

وعن أبي غزية قال : كان عمر بن الخطاب يأتي مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام ، فلم يجد فيه أحداً من أهله ، فقال : والذي

نفسي بيده ، لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر في أصحابه ينقلان حجارته على بطونها ، يؤسسه رسول الله ﷺ بيده ، وجبريل عليه السلام يؤم به البيت ، ومحلوف عمر بالله : لو كان مسجدنا هـذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لي سعفة ، واجتنبوا العواهن ، أي ما يلي القلب من السعف ، فقطعوا السعفة ، فأتي بها ، فأخذ وذمة ، أي سيراً ، فربطها ، فمسحه ، فقالوا : نحن نكفيك ياأمير المؤمنين ، قال : لا تكفونيه .

ولابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذي قرّب منا مسجد قباء ، ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل .

ولابن شبة بسند صحيح ، من طريق عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، قالت : سمعت أبي يقول : لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين ، أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون مافي مسجد قباء لضربوا إليه أكباد الإبل .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد ، وعائشة بنت سعد ، سمعا أباهما رضي الله عنه يقول : سمعنا أبا هريرة يقول : لأن أصلي في مسجد قباء أحب إليّ من أن أصلي في بيت المقدس . قال الحاكم : إسناده صحيح على شرطها .

وللترمذي عن أسيد بن ظهير الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » . قال الترمذي : وفي الباب عن سهل بن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا نعرف لأسيد شيئاً يصح غير هذا الحديث .

ولابن حبان في « صحيحه » ، عن ابن عمر رضي الله عنهما وقد قيل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هـذا المسجد في بني عمرو بن عوف ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى فيه كان كعدل عمرة » .

ولابن ماجه وابن شبة بسند جيد ، عن سهل بن حنيف ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة » . ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

ورواه ابن شبة أيضاً من طريق موسى بن عبيدة وهو ضعيف بلفظ : « من توضأ فأحسن وضوءه ، ثم جاء مسجد قباء ، فركع فيه أربع ركعات ، كان له كعدل عمرة » .

ومن طريق يوسف بن طهمان وهو ضعيف بلفظ : « ما من مؤمن يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلي فيه إلا كان بمنزلة عمرة »

ولابن شبة أيضاً ، عن سعيد بن الرقيش الأسدي قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء ، فصلى ركعتين إلى بعض هذه السواري ، ثم سلم ، وجلس ، وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ما أعظم حق هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلا أن يؤتى ، من خرج من بيته يريده متعمداً إليه ليصلي فيه أربع ركعات أقبله الله بأجر عمرة ، قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يقوي هذه الأخبار ويدل على تظاهرها في العامة والخاصه ، قول عبد الرحمن بن الحكم :

فإن أهلك فقد أقررت عينا　　　من المتعمرات [1] إلى قباء

وأما مصلاه ﷺ من هذا المسجد ، فلابن زبالة عن أبي ليلى ، أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد قباء إلى الأسطوانة الثالثة في الرحبة إذا دخلت من الباب الذي بفناء دار سعد بن خيثمة ، أي : المسدود اليوم ، ومحله بين في الحائط الغربي من خارجه ، كان شارعاً في الرواق الذي يلي رحبة المسجد ، والثالثة في الرحبة ، هي التي عندها اليوم محراب مبني بجرفها الشرقي ، وهذا هو المصلى قبل تحويل القبلة لقول أبي غسان : أخبرني من أثق به من الأنصار من أهل قباء : أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صرف القبلة أن القائم كان يقوم في القبلة الشامية ، فيكون موضع الأسطوان الشارعة في رحبة مسجد قباء التي في صف الأسطوان المخلقة المقدمة ،أي التي سيأتي أن النبي ﷺ صلى إلى حرفها يعني بعد التحويل ، لأنه قال عقبه :

(١) أي : النساء الذاهبات إلى قباء للصلاة فيه التي هي كأجر عمرة .

واخبرني أيضاً أن مصلى رسول الله ﷺ في مسجد قباء بعد صرف القبلة كان إلى حرف الأسطوان المخلق كثير منها ، المقدمة ، أي في صف الأساطين التي تلي محراب القبلة إلى حرفها الشرقي ، قال : وهي دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

قلت : وهي الثالثة في القبلة من أسطوان الرحبة المتقدمة أيضاً ، والمصلى إلى حرفها الشرقي يكون محاذياً محراب المسجد ، وتوصف أسطوان الرحبة بالمخلقة ايضاً .

ولذا روى الواقدي عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش ، قال : كان المسجد في موضع الأسطوان المخلقة الخارجة في رحبة المسجد ثم روى عن ابن رقيش قال : بنى رسول لله ﷺ مسجد قباء ، وقدّم القبلة إلى موضعها اليوم .

قال ابن رقيش : فحدثني نافع ، أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء ، صلى الى الأسطوان المخلقة يقصد بذلك مسجد النبي ﷺ الأول .

وقوله : المخلقة ، أي التي في الرحبة ، بدليل ما بعده وما قبله .

وقوله : وقدّم القبلة إلى موضعها اليوم ، ظاهر في أن المصلى بعد التحويل عند محراب القبلة خلاف ما سبق عن أبي غسان ، فينبغي الجمع بين ذلك .

وأما الدكة المرتفعة يسيراً التي بالرواق الذي يلي الرحبة بمحرابها حجر كتب فيه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ...) الآية [التوبة : ١٠٨] وأن ذلك مقام النبي ﷺ فقد ذكرها ابن جبير في رحلته ، لكنه قال : إنها في رحبة المسجد مما يلي القبلة ، ووصف رحبة المسجد وأروقته وأساطينه بما هو عليه اليوم ، فعلمنا بذلك أن هذه الدكة وذلك الحجر إنما كان بالمحراب الذي عند الأسطوان الثالثة في الرحبة ، وكأنه تهدم بعد ابن جبير ، فأعيد في غير محله ، فلا يعوّل عليه ، فقد صرح ابن جبير بأن ذلك في الرحبة ، وأنه أول موضع صلى فيه رسول الله ﷺ فينبغي إعادته إلى محله ، وبقرب الثالثة في الرحبة محاريب ما علمت أصلها .

وأما الحظيرة التي بصحن المسجد ، فقال ابن جبير : إنها مبرك ناقة النبي ﷺ ، ولم أقف له على أصل في كلام من قبله ، لكنه اليوم مشهور بين الناس .

قال أبو غسان : طول مسجد قباء وعرضه سواء وهو ست وستون ذراعاً ، قال : وطول رحبته الـــتي في جوفه يعني صحنه خمسون ذراعاً وعرضها ست وعشرون ذراعاً .

وذكر ابن النجار نحوه ، فقال : طوله ثمان وستون ذراعاً تشف ، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرته ، فكان كذلك يزيد يسيراً جداً لاختلاف الأذرعة أو رخاوة الحبل الذي قيس به ، وكذلك الرحبة أيضاً لم يقع فيها تغيير .

وقد ذكرنا في الأصل ما ذكره ابن جبير وغيره مـن عدد أروقته وأساطينه وغير ذلك .

وروى ابن شبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن ما بين الصومعة أي المنارة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : وفيه رد لقول المطري ومن تبعه ، أنه لم يزل على ما بناه النبي ﷺ حتى زاد فيه الوليد .

وذكر ابن النجار : أن عمر بن عبد العزيز وسّعه ونقشه بالفسيفساء، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله أروقة ، وفي وسطه رحبة ، فتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير بني زنكي الملوك بالموصل ، أي سنة خمس وخمسين وخمسمائة كما قال المطري ، وفي الحجر الذي بالمحراب المتقدم ذكره أنه جدد بعدد ذلـك سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وجدد فيـــه الناصر بن قلاوون شيئاً سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وجدّد غالب سقفه الأشرف برسباي سنة أربعين وثمانمائة على يد شيخ الخدام قاسم المحلي ، وسقطت منارته سنـة سبـع وسبعين وثمانمائة ، فجددت سنـة

إحدى وثمانين وثمانمائة مع العمارة السابقة بالمسجد النبوي على يد الشمس ابن الزمن بعد هدم المنارة للأساس مع ما يليها من سور المسجد إلى آخر بابه الذي يليها في المغرب ، وأعاده مع سدّ الطيقان التي كانت مفتوحة فيه مما يلي السقف نسبة طيقانه الباقية ، وجدد بعض سقفه ، وابتنى البركة والسبيل المقابلين له بحديقة العيني[1] .

وأما طريقه ﷺ إليه ، فعن إسحاق بن أبي بكر بن إسحاق أن مبدأ رسول الله ﷺ في مركبه إلى قباء أن يمر على المصلى ، ثم يسلك في موضع الزقاق بين دار كثير بن الصلت ودار معاوية بالمصلى ، أي : يمر بين الدارين بجهة قبلة مسجد المصلى إلى ناحية بطحان .

قال : ثم يرجع راجعاً على طريق دار صفوان بن سلمة التي عند سقيفة محرق ، ثم يمر على مسجد بني زريق من كتاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، أي من ناحية زقاق عبد الرحمن بن الحارث السابق في رجوعه ﷺ من المصلى ، وذلك في قبلة سور المدينة اليوم مما يلي درب سويقة ، كما أن الذهاب من جهة الدرب المذكور .

وفي « الصحيح » كان النبي ﷺ إذا ذهب الى قباء يدخل على أم حرام ، وكانت تحت عبادة بن الصامت ، فاقتضى أنه كان يمر بدار بني سالم غربي مسجد الجمعة ، لأن دار عبادة بها .

ومما يتبرك به بقباء دار سعد بن خيثمة في قبلة مسجد قباء ، وفي قبلة ركن المسجد الغربي موضع يسمونه مسجد عليٍّ لعله مسجد دار سعد بن خيثمة .

ولابن شبة : أن النبي ﷺ اضطجع في البيت الذي في دار سعد بن خيثمة .

ولابن زبالة : يزعمون أن النبي ﷺ توضأ من المهراس الذي في داره ، وفي قبلة المسجد أيضاً دار كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه ﷺ لما قدم قباء ثم أهله وأهل أبي بكر ، وبئر أريس سيأتي محلها .

---

(١) وأما البناء الموجود اليوم ، فهو من إنشاء السلطان محمود الثاني جدده بعد الاربعين والمئتين والألف .

وأما مسجد الضرار ، فللبيهقيّ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) [التوبة : ١٠٧] هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتي بجند أخرج محمداً وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ ، فقالوا : إنا قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحب أن نصلي فيه ، فأنزل الله تعالى (لا تقم فيه أبدا) إلى قوله (فانهار به في نار جهنم) [التوبة : ١٠٨] يعني قواعده ، (والله لا يهدي القوم الظالمين) [التوبة : ١٠٩] .

ولابن شبة عن عروة : كان موضع مسجد قباء لامرأة يقال لها : لية ، كانت تربط حماراً لها فيه ، فابتناه سعد بن خيثمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : نحن نصلي في مربط حمار لية ؟ لا لعمر الله ، لكنا نبني مسجداً فنصلي فيه حتى يجيء أبو عامر ، فيؤمّنا فيه ، وكان أبو عامر فرّ من الله ورسوله ، فلحق بمكة ، ثم بالشام فتنصر ، فمات بها ، فأنزل الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا ...) الآيات [التوبة ١٠٧ - ١١٠] ولابن اسحاق عن الزهري وغيره ، أن النبي ﷺ لما قفل من غزوة تبوك ونزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار ، فدعا مالك بن الدخشم ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عاصم بن عدي ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه ، وحرّقاه ، فانطلقا مسرعين ، ففعلا ، وحرقاه بنار في سعف .

وللبغوي : فانطلقوا أي المأمورون بهدمه وإحراقه ، حتى أتوا سالم بن عوف رهط مالك بن الدخشم . فأخذ سعفاً ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجوا يشتدون حتى أتوا المسجد وفيه أهله ، فحرقوه وهدموه ، وتفرق عنه أهله ، فأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة يلقى فيها الجيف والنتن والقمامة .

وقال ابن عطية : الظاهر من قوله : (فانهار به في نار جهنم) ، ومما

صح في خبرهم وهدم رسول الله ﷺ مسجدهم : أنه خارج مخرج المثل ، أي حالهم كمن ينهار بنيانه في نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج .

وعن جابر بن عبد الله وغيره : أنه رأى الدخان يخرج منه على عهد النبي ﷺ ونقل أنهم لم يصلوا فيه أكثر من ثلاثة أيام ، وانهار في الرابع .

قال ابن عطية : وهذا كله باسناد لين ، والأول أصح .

وأسند الطبري عن خلف بن يامين ، أنه قال : رأيت مسجد المنافقين ، ورأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان زمن أبي جعفر المنصور .

قال المطري : ولا أثر لمسجد الضرار ، ولايعرف له مكان فيما بين حول مسجد قباء ولاغيره ، أي خلاف قول ابن النجار ، أنه قريب من مسجد قباء ، كبير حيطانه ، عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وكان بناؤه مليحاً . انتهى .

قال المطري : وهو وهم لاأصل له .

قلت : وماسبق من أمره ﷺ بهدمه وتحريقه وغير ذلك مما سبق ، ظاهر في رده ، وإن قال المجد : إن غير ابن النجار سبقه لذلك ، فهذا البشاري يقول : ومنها مسجد الضرار تطوع العوام بهدمه ، وتبعه ياقوت في « معجمه » وابن جبير في رحلته ولفظ ابن جبير : وهذا المسجد مما يتقرب الناس الى الله برجمه وهدمه ، وكان مكانه بقباء . انتهى .

الفصل الثالث : في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا .

مسجد الجمعة سبق في الرابع من الثالث ، أن النبي ﷺ في خروجه من قباء أدركته الجمعة في بني سالم ، فصلى في بطن الوادي وادي ذي صلب .

ولابن اسحاق : فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في بطن الوادي وادي ذي رانونا ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

وسيأتي أن سيل ذي صلب ، وسيل رانونا يصلان إلى موضع هذا المسجد .

ولابن زبالة : فمر على بني سالم ، فصلى بهم الجمعة في العسيب [1] ببني سالم ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي .

وفي رواية له : فهو المسجد الذي بناه عبد الصمد .

ولابن شبة عن كعب بن عجرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ جمع أول جمعة حين قدم المدينة في مسجد بني سالم في مسجد عاتكة .

وفي رواية له : الذي يقال له : مسجد عاتكة .

قال المطري : في شمالي هذا المسجد أطم خراب يقال له : المزدلف ، أطم عتبان بن مالك ، والمسجد في بطن الوادي صغير جداً مبني بحجارة [2] بقدر نصف القامة ، وهو الذي كان يحول السيل بينه وبين عتبان بن مالك إذا سال ، لأن بني سالم بن عوف كانت غربي هذا الوادي على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله ﷺ أن يصلي في بيته في مكان يتخذه مسجداً ففعل ﷺ

قلت : الذي يظهر ، أن عتبان إنما أراد مسجد بني سالم الأكبر الذي بمنازلهم غربي الوادي ، كما سيأتي ، إذ هو محل إمامته بهم ، ولذا كما قال في « الصحيح » : فإذا كانت الأمطار وسال الوادي الذي بيني وبينهم ، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم ، وقد تهدم بناء هذا المسجد الذي ذكره المطري ، فجدده بعض الأعاجم على هيئته اليوم مقدمه رواق مسقف فيه عقدان بينهما أسطوان وخلفه رحبة ،

---

(١) في نسخة قلمية : في القبيب ، بقاف مضمومة فموحدتين بينهما تحتيه ساكنة مصغراً ولعله الصواب، لأن هذا الموضع الآن مشهور بين الناس بالقبيبة ، ثم رأيته ذكر في حرف الغين المعجمة : الغبيب تصغير غب ، وقال : انه مسجد الجمعة فتعين بهذا التصريح أن هذا هو الصواب .

(٢) نسخة : بالحجارة .

وطوله من القبلة إلى جداره الشامي عشرون ذراعاً ، وعرضه بين المشرق والمغرب مما يلي محرابه ستة عشر ذراعاً ، وجدد سقفه الخواجا شهاب الدين [١] قاوان .

مسجد الفضيخ : صغير شرقي مسجد قبـــاء على شفير الوادي ، على نشز من الأرض ، مرضوم بحجارة سود ، وهو مربع ، ذرعه بين المشرق والمغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة للشأم نحوها .

روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : حاصر النبي ﷺ بني النضير ، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيخ ، وكان يصلي في موضع مسجد الفضيخ ست ليال ، فلما حرمت الخمر خرج الخبر إلى أبي أيوب ونفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخاً ، فحلوا وكاءَ السِّقاء ، فهراقوه فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضيخ ، وكان ذلك قبل اتخاذه مسجداً ، أو قبل العلم بنجاسة الخمر .

ولأحمد ، وأبي يعلى واللفظ له : عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ أتي بجر فضيخٍ ينش [٢] وهو في مسجد الفضيخ ، فشربه ، فلذلك سمي مسجد الفضيخ .

قلت : ولم أر مأخذاً لقول المطري : أنه يعرف اليوم بمسجد الشمس .

قال المجد : ولعله لكونه على مكانٍ عالٍ أول ما تطلع الشمس عليـــه ، ولا يظن أنه المكان الذي أعيدت الشمس فيـه بعد الغروب لعليٍّ رضي الله عنه لما كان النبي ﷺ وهو يوحى إليه في حجر عليٍّ ، فغربت الشمس ، ولم يكن عليٌّ صلى العصر ، فقال النبي ﷺ : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك ، فاردد عليه الشمس .. الحديث » لأن ذلك بالصهباء من خيبر ، فقد أخرج هذا الحديث ابن منده ، وابن شاهين عن أسماء بنت عميس ، وابن مردويه عن أبي هريرة ، وإسنادهما حسن ، وممن صححه الطحاوي ، قال الحافظ ابن حجر : أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات .

---

(١) نسخة : شمس الدين .

(٢) أي : يغلي ويفور وبابه ضرب .

مسجد بني قريظة : قرب حرتهم الشرقية على باب حديقة تعرف بحاجزة .

قال المطري : وقف للفقراء ، وعنده خراب أبيات بشمالي الحديقة من دور بني قريظة ، وأطم الزبير بن باطا القرظي دخل في هـــذا المسجد كما قال ابن زبالة .

ولابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك ، عن علي بن رافـع وأشياخ قومه : أن النبي ﷺ صلى في بيت امرأة من الحضر ، فأدخل ذلك البيت في مسجد بني قريظة ، فذلك المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ شرقي بني قريظة عند موضع المنارة التي هدمت .

وبين ابن زبالة أن الذي أدخل ذلك البيت الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد .

وفي « الصحيـح » نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمـار ، فلما دنا قريباً من المسجد ، قال رسول الله ﷺ للأنصار : « قوموا الى سيدكم او خيركم » ، ثم قال : « هؤلاء نزلوا على حكمك ... الحديث » .

وليس المراد مسجد المدينة لأنه ﷺ لم يكن به ، بل مسجده ببني قريظة كما أشار اليه الحافظ ابن حجر ، قال : وأخطأ من زعم أن لفظ المسجد غلط من الراوي لظنه إرادة مسجد المدينة ، فصوب رواية أبي داود .

فلما دنا من النبي ﷺ ، قال ابن النجار : وهـذا المسجد اليوم باق كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة سقط بعضها ، وهو بلا سقف حيطانه مهدومة ، وكان مبنياً على شكل مسجد قباء .

قال المطري : وكان فيه منارة في مثل موضع منارة قباء ، وأثرها اليوم باق في زاويته الغربية الشمالية ، قال : وقـد انهدم ، وأخذت أحجاره جميعاً ، وبقي

أثره الى العشر الأول بعد السبعمائة ، فبني عليه حظير مقدار نصف قامة .

قلت : وقد جدد حظيره الشجاعي شاهين الجمالي عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وجعل موضع المنارة دكة ، وذرعه نحو ما قال المطري من القبلة الى الشأم أربع وأربعون ذراعاً وربع ، ومن المشرق إلى المغرب نحوها .

مسجد مشربة أم إبراهيم عليه السلام :

روى ابن شبة وغيره ، عن يحيى بن محمد بن ثابت ، أن النبي ﷺ صلى في مشربة أم إبراهيم ، وهي من صدقاته ﷺ الآتية :

قال ابن شهاب بعد ذكرها في الصدقات ، وأنها من أموال مخيريق : وأما مشربة أم إبراهيم ، فإذا خلفت بيت مدراس اليهود ، فجئت مال أبي عبيدة ابن عبيد الله بن زمعة ، فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ، وإنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبي ﷺ ولدته فيها ، وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة . انتهى .

وكان النبي ﷺ أسكن مارية هناك ، والمشربة لغة : الغرفة ، فكان ذلك المكان [(١)] سمي باسمها ، ولذا قال الزبير بن بكار : إن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية بالمال الذي يقال له اليوم : مشربة أم إبراهيم بالقف .

قال المجد : والمشربة مسجد ، أي متخذ بالمحل المذكور شمالي مسجد بني قريظة قريب من الحرة الشرقية في موضع يعرف بالدشت بين نخيل يعرف بالأشراف القواسم من بني قاسم بن إدريس بن جعفر أخي الحسن العسكري .

وذكر المطري نحوه ، وأظن تلك النخيل هي صدقته ﷺ بالمشربة ، وذرع هذا المسجد من القبلة إلى الشأم أحد عشر ذراعاً ومن المشرق إلى المغرب نحو أربعة عشر ذراعاً يتصل به في المشرق سقيفة لطيفة ، وهي كما قال المجد : عريضة [(٢)] صغيرة على روبية حوط عليها برضم لطيف من الحجارة السود .

---

(١) نسخة : المال .

(٢) في نسخة قلمية : عريضة بعين فراء مهملتين فصاد مهملة مصغراً وهو الصواب .

مسجد بني ظفر : من الأوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة .

روى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ظفر . ورواه ابن زبالة ، ويحيى ، عن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة. ورويا أيضاً عن ادريس بن محمد بن يونس بن محمد المظفري عن جده ، أن رسول الله ﷺ جلس على الحجر الذي في مسجد بني ظفر ، وأن زياد بن عبيد الله كان أمر بقلعه ، حتى جاءته مشيخة بني ظفر ، فأعلموه أن رسول الله ﷺ جلس عليه فرده ، قال : فقل امرأة تجلس عليه إلا حملت .

قال يحيى عقبه : وأدركت الناس بالمدينة يذهبون بنسائهم ، حتى ربما ذهبوا بهن في الليل ، فيجلسن على الحجر .

قلت : وأصله ما روى الطبراني برجال ثقات ، عن محمد بن فضالة الظفري وكان ممن صحب النبي ﷺ ، أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر فجلس على الصخرة التي في مسجد بني ظفر اليوم ، ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ، وأناس من أصحابه ، فأمر النبي ﷺ قارئاً فقرأ ، حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً [النساء : ٤١] فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب [1] لحياه ، فقال : « أي رب شهيد على من أنا بين ظهرانيه فكيف بمن لم أر » ؟.

قلت : وليس بهذا المسجد اليوم حجر يجلس عليه إلا ما في كتف بابه عن يسار داخله .

قال المطري : وعند هذا المسجد آثار في الحرة من جهة القبلة يقال : إنها أثر حافر بغلة النبي ﷺ ، وفي غربيه أي غربي أثر الحافر ، أثر على حجر كأنه أثر

(١) في نسخة : اضطربت .

مرفق ، يذكر أن النبي ﷺ اتكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريف عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناس يتبركون بها .

ووصف ابن النجار هذا المسجد في زمنه وقال : إنه يعرف بمسجد البغلة ، وإنه خراب ، وفيه أسطوان واحد ، وحوله نشز من الحجارة فيها أثر حافر بغلة النبي ﷺ . انتهى .

وبه حجر رخام فيه خلد الله ملك الإمام أبي جعفر المنصور المنتصر بالله ، عمر سنة ثلاثين وستمائة ، وذرعته فكان مربعاً طوله من القبلة إلى الشأم إحدى وعشرون ذراعاً ، ومن المشرق للمغرب مثل ذلك . مسجد الإجابة : لبني معاوية بن مالك بن عوف من الأوس ، كما سبق في الثاني من الباب الثالث أخذاً من صريح كلام ابن زبالة وربما وهم المطري في جعله لبني مالك بن النجار من الخزرج ، وما ناقض به ذلك عند ذكر مسجد بني جديلة الآتي في الفصل بعده فاجتنبه .

وفي « صحيح مسلم » من حديث عامر بن سعد عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه . ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف إلينا فقال : « سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها » .

ولابن شبة بسند جيد وهو في « الموطأ » عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك ، قال : جاءنا عبد الله بن عمر في بني معاوية وهي قرية من قرى الأنصار ، فقال : تدرون أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم وأشرت له إلى ناحية منه ، قال : تدرون ما الثلاث التي دعا بهن فيه ؟ قلت :

نعم ، قال : فأخبرني ، قلت : دعا أن لايظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لايهلكهم بالسنين ، فأعطيها ، ودعا بأن لايجعل بأسهم بينهم ، فمنعها ، قال : صدقت فلن يزال الهرج الى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان مع النبي ﷺ ، فمر بمسجد بني معاوية فدخل فركع فيه ركعتين ، ثم قام فناجى ربه ، ثم انصرف .

قال ابو غسان : قال محمد بن طلحة : بلغني أن النبي ﷺ صلى في مسجدبني معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين :

قلت : فليتحر ذلك مع الدعاء قائماً .

قال ابن النجار : وفي هذا المسجد أسطوانات قائمة ، ومحراب مليح ، وباقيه خراب .

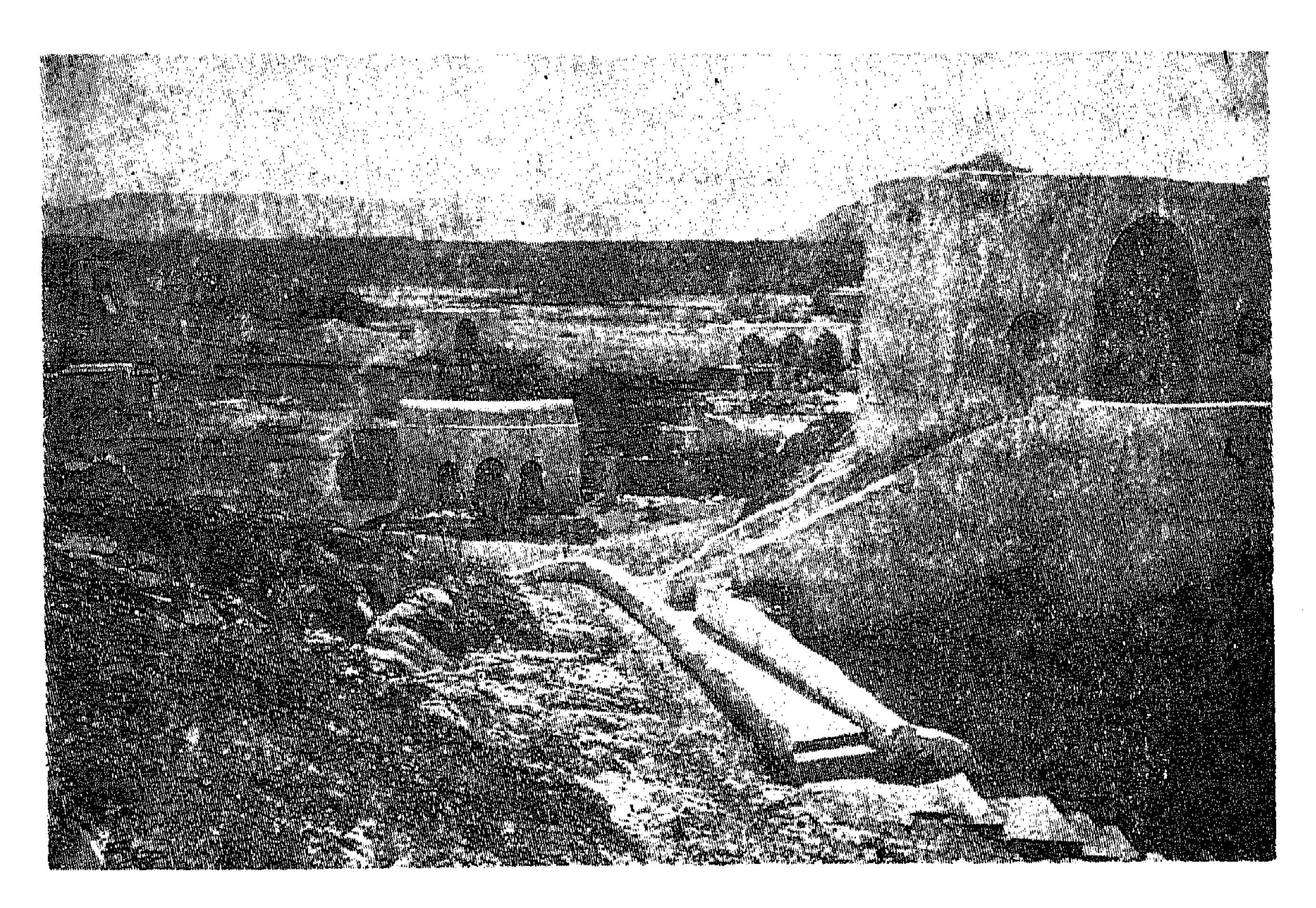
قلت : قد رمم بعد ، وهو شمالي البقيع على يسار السالك إلى العريضي [1] وسط تلول هي آثار قرية بني معاوية ، وذرعه من المشرق إلى المغرب نحو خمس وعشرين ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشأم نحو العشرين .

مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته . وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح ،والأول المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب يصعد إليه بدرجتين شمالية وشرقية هو المراد بمسجد الفتح عند الإطلاق ، ويقال له أيضاً : مسجد الاحزاب ، والمسجد الأعلى .

وفي « مسند أحمد » برجال ثقات ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعرف البشر في وجهه ، قال جابر : فلم ينزل بي

---

(١) لم يذكر قبر علي العريضي ابن جعفر الصادق رحمهما الله في هذا الكتاب . قال الشيخ عبد الجليل براده : ولكن هذا القدر يفهم منه أن القبر كان معلوماً في زمانه .



صورة تمثل مسجد الفتح وقد ظهر على الاكمة مرتفعاً وخلفه المساجد الاخرى ويطلق على الجميع اليوم اسم مساجد الفتح

أمر مهم غليظ إلا توجهت تلك الساعة ، فأدعو فيها ، فأعرف الإجابة.

وفي رواية له : أن النبي ﷺ أتاه ، فوضع رداءه ، وقام فرفع يديه مداً يدعو عليهم ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

ولابن شبة عن جابر ، أن النبي ﷺ قعد على موضع بمسجد الفتح ، وحمد الله ودعا عليهم ، وعرض أصحابه وهو عليه .

وعن سعيد مولى المهدي قال : أقبل النبي ﷺ من الجرف ، فأدركته صلاة العصر فصلاها في المسجد الأعلى .

ورواه ابن زبالة وغيره بلفظ : مر رسول الله ﷺ بمسجد الفتح الذي على الجبل ، وقد حضرت صلاة العصر ، فرقى ، فصلى فيه صلاة العصر .

ولابن زبالة عن المطلب مرسلاً ، أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهب الظهر ، وذهب العصر ، وذهب المغرب ، ولم يصل منهن شيئاً ، ثم صلاهن جميعاً بعد المغرب .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن النبي ﷺ دخل مسجد الفتح ، فخطا خطوة ، ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه إلى الله تعالى حتى رئي بياض إبطيه ، فدعا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا كثيراً ، ثم انصرف .

وعن جابر قال : صلى رسول الله ﷺ من وراء مسجد الفتح نحو المغرب[1] .

ولابن شبة عنه : دعا النبي ﷺ على الجبل الذي عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، فصلى من وراء المسجد ، أي في الرحبة .

قال أبو غسان : وسمعت غير واحد ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذي دعا عليه رسول الله ﷺ من الجبل هو اليوم إلى الأسطوانة الوسطى الشارعة في رحبة المسجد .

ورواه يحيى عن هارون بن بكير عن أبيه عن جده .

قال يحيى : فدخلت مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد ، قال : هذا موضع مصلى رسول الله ﷺ الذي دعا فيه على الأحزاب ، وكان يصلي فيه إذا جاء مسجد الفتح .

قلت : ومحل ذلك اليوم ما يقابل محراب المسجد من الرحبة لتوسطه ، فإنه كان على ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فمسقفه رواق واحد كما هو اليوم ، لكن غيرت أساطينه .

---

(١) أي : في مؤخر ذلك المسجد من الناحية الغربية الشمالية كما بينته رواية ابن شبة بعد .

ويتلخص مما ذكرناه في الاصل : أنه مما يطلب من الدعاء : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين ورب العرش الكريم ، اللهم لك الحمد ، هديتني من الضلالة ، فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت ، ولا معز لمن أذللت ، ولا مذل لمن أعززت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا خاذل لمن نصرت ، ولا معطي لمن منعت[1] ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازق لمن حرمت ، ولا حارم لمن رزقت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لما سترت ، ولا ساتر لما خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ، اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول[2] وبك أصول ، وبك أقاتل ، اللهم ياصريخ المستصرخين والمكروبين ، وياغياث المستغيثين ، ويامفرج كرب المكروبين ، ويامجيب دعوة المضطرين ، صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، واكشف عني كربي وغمي وحزني وهمي كما كشفت عن حبيبك ورسولك ﷺ كربه وحزنه وغمه في هذا المقام ، وأنا أستشفع إليك به ﷺ في ذلك ، فقد ترى حالي ، وتعلم عجزي وضعفي ، ياحنان يامنان ، ياذا الجود والإحسان ، أسألك من خير ما سألك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ ، وأستعيذ بك من شر ما استعاذ منه عبدُك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ ، ويدعو بما أحب .

وينبغي أن يضم لذلك ما دعا به الشافعي عند دخوله على الرشيد في محنته ، فقد روى أبو نعيم من طريق الشافعي ، أن النبي ﷺ دعا به يوم الأحزاب وهو دعاء عظيم ، وإن كان رفعه غير صحيح كما قال البيهقي ، وقد ذكرناه في الأصل .

وتسمية هذا المسجد بمسجد الفتح ، لأن الاستجابة وقعت به ، وجاء حذيفة بخبر

---

(١) في نسخة : لما منعت .

(٢) في نسخة : أجول .

رجوع الاحزاب ليلاً به ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم ، ونصرهم ، وأقر أعينهم ، وكان النبي ﷺ قد قال لهم : أبشروا بفتح الله ونصره كما في مغازي ابن عقبة . وقول ابن جبير : إن سورة الفتح أنزلت به لا أصل له .

ولابن شبة عن أسيد بن أبي أسيد ، عن أشياخهم ، أن النبي ﷺ دعا على الجبل الذي عليه مسجد الفتح ، وصلى في المسجد الصغير الذي بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل .

ولابن زبالة عن معاذ بن سعد ، أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد الفتح الذي على الجبل ، وفي المساجد التي حوله ، وهو ظاهر في أنها ثلاثة غيره ، إذ هي أقل الجمع ، وبه صرح ابن النجار حيث ذكر المسجد الأعلى ، وأنه يصعد إليه بدرج ، ثم قال : وعن يمينه في الوادي نخل كثير ، ويعرف ذلك الموضع بالسيح ، ومساجد حوله ، وهي ثلاثة قبله ، الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارته ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما في الوادي عند النخل . انتهى .

وقال المطري : إنها في قبلة مسجد الفتح تحته ، يعرف الأول منها ، أي : مما يلي المسجد الأعلى ، بمسجد سلمان الفارسي .

والثاني : الذي يلي القبلة ، يعني قبلة مسجد سلمان يعرف : بمسجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

والثالث الذي ذكره ابن النجار لم يبق له أثر .

قلت : في قبلة الثاني المعروف بمسجد أمير المؤمنين جانحاً للمشرق على طرف جبل سلع أثر عمارة بها رضم حجارة ، رأيت الناس يتبركون بالصلاة فيها ، وفي طرفها مما يلي المشرق فلكة من فلك الأساطين مثبتة بالأرض ، فظهر لي أنه المشار إليه بقول ابن النجار قبله : الأول منها خراب وقد هدم ، لأنه أول المساجد من

جهة القبلة ، وليس ثم ما يشتبه به من العمارات ، والناس يقولون اليوم : إنه مسجد أبي بكر رضي الله عنه ، ولعل هذه النسبة هي السبب في خرابه لما يعلم من حال من جدّد هذه المساجد ، مع أني لم أقف على أصل في هذه النسبة ، ولا في نسبة المسجدين المتقدمين في كلام المطري ، وكان المسجد الأعلى قد تهدم ، فجدّده الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء أحد وزراء العبيديين ملوك مصر في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدّد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، فتهدم الثاني منها المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فجدّده أمير المدينة زين الدين ضيغم بن خشرم المنصوري سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عقداً ، وبه مسنّ عليه اسم ابن أبي الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشباً على أسطوان واحد ، وجدد بعض الفقراء بناء المسجد الثالث المنسوب لأبي بكر رضي الله عنه عام اثنين وتسعمائة ، وذرع المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام نحو عشرين ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر ذراعاً ، وذرع الأسفل المسوب لسلمان من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة سبعة عشر ذراعاً ، وذرع الثالث المنسوب لعلي من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعاً ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلي القبلة ستة عشر ذراعاً .

وينبغي التبرك بكهف سلع ، وهو كهف بني حرام ، فقد جاء أن النبي ﷺ جلس به ، وكان يبيت به ليالي الخندق ، وأنه يقرأ العينية[1] التي عند الكهف كما سيأتي في الثاني من الباب السادس .

---

(١) صوابه : بقر العيينة التي عند الكهف ، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم حفر عيناً من كهف بني حرام ، وكانت تسقي حول مساجد الفتح ، وهي من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وتسمى عين النبي صلى الله عليه وسلم .

والظاهر : أنه المراد بما هو في « الاوسط » و « الصغير » للطبراني من أن معاذ بن جبل خرج يطلب النبي ﷺ ، فدل عليه في جبل ثواب ، فخرج حتى رقى جبل ثواب ، فبصر به في الكهف الذي اتخذ الناس إليه طريقاً إلى مسجد الفتح ، فإذا هو ساجد ، قال : فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد ، فلم يرفع حتى أسأت به الظن ، فظننته قبضت روحه ، فقال : « جاءني جبريل بهذا الموضع ، فقال : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : ماتحب أن أصنع بأمتك ؟ قلت : الله أعلم ، فذهب ، ثم جاء إلي فقال : إنه يقول : لاأسوؤك في أمتك ،فسجدت وأفضل ماتقرب به إلى الله عز وجل السجود » .

وجبل ثواب : لم أقف له على ذكر ، لكن وصفه للكهف بما ذكر ظاهر في إرادة الكهف المذكور بسلع على يمين المتوجه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حرام في مقابلة الحديقة المعروفة بالنقيبية التي تكون عن يساره ، فإن عن يمينه هناك مجرى سائلة تسيل من سلع إلى بطحان ، فإذا دخلها وصعد يسيراً في المشرق كان الكهف عن يمينه ، وعنده نقر في مجرى السائلة وأعلى منه في المشرق كهف آخر لكنه صغير جداً .

فالأول هو المراد ، وإذا توجه من هذه السائلة طالباً لمساجد الفتح كان شعب بني حرام على يمينه ، وهو شعب متسع بـه آثار مساكنهم ، وأثر مسجدهم الكبير الذي زاد عمر بن عبد العزيز في بنائه بيّن بها ، ويؤخذ مما ذكرناه في الأصل اختلاف في صلاته ﷺ به بناء على ماروي من أن تحولهم إلى هذا الشعب كان في زمنه ﷺ بإذنه .

وروي : أنه إنما كان في زمن عمر رضي الله عنه ، وأما مسجدهم الصغير فسيأتي في الفصل بعده ، وقد جدد بناء حظير على مسجدهم الكبير ، ثم شاهدت كهفاً آخر في شاميه جانحاً إلى المشرق آخر شعب بني حرام ، وهو أقرب لكونه المراد بما سبق ، غير ان النقر الموجود عند الأول يرجح إرادته .

مسجد القبلتين : قال رزين ، وتبعه من بعده : وهو مسجد بني حرام بالقاع، زاد المطري : أنه الذي رأى النبي ﷺ النخامة في قبلته ، وذكر قصة الخلوق ، وكله وهم كما أوضحناه في الأصل ، بل هذا المسجد الذي بالقاع لبني سواد من بني سلمة ، وليسوا ببني حرام أهل المسجد الذي بالقاع ، وبه قصة الخلوق كما سبق في الأول من الثالث .



مسجد القبلتين

ولذا روى ابن شبة عن جابر أن النبي ﷺ صلى في مسجد الخربة ، وفي مسجد القبلتين ، وفي مسجد بني حرام الذي بالقاع .

ورواه ابن زبالة عن جابر إلا أنه لم يذكر مسجد الخربة ، وسيأتي مسجد بني حرام في الفصل بعده ، وقد سبق في الثاني من الرابع ، أن الأرجح أن تحويل القبلة كان بمسجد القبلتين والنبي ﷺ يصلي به .

وليحيى عن محمد بن الأخنس قال : زار رسول الله ﷺ أم بشر يعني ابن

البراء في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، قال : فحانت الظهر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه في مسجد القبلتين الظهر ، فلما أن صلى ركعتين ، أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب ، فهي القبلة التي قال الله تعالى : (فلنولينك قبلة ترضاها) [البقرة : ١٤٤] فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين .

ولابن زبالة عن محمد بن جابر ، قال : صرفت القبلة ونفر من بني سلمة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له : مسجد القبلتين ، فأتاهم آت ، فأخبرهم وقد صلوا ركعتين ، واستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة ، فبذلك سمي مسجد القبلتين . قال المجد : فعلى هذا مسجد قباء أولى بهذه التسمية لما ثبت في «الصحيحين» من وقوع ذلك به ، وكان هذا المسجد قد تشعث ، فأصلحه وجدد سقفه الشجاعي شاهين الجمالي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة .

مسجد السقيا [1] الآتي ذكرها في الآبار ، شامي البئر المذكورة ، وقريباً منها جانحاً إلى المغرب يسيراً في الطريق المار إلى المدرج ، ذكره أبو عبد الله الأسدي من المتقدمين في المساجد التي تزار بالمدينة .

ولابن زبالة عن عمر بن عبد الله الديناري ، أن النبي ﷺ عرض جيش بدر بالسقيا ، وصلى في مسجدها ، ودعا هناك لأهل المدينة أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم ، وأن يأتيهم بالرزق من هاهنا وهاهنا .

قال : واسم البئر : « السقيا » ، واسم أرضها : « الفلجان » ، وسبق في الرابع من الأول أحاديث من رواية أحمد والترمذي وغيرهما في الصلاة والدعاء بهذا المحل ، فراجعها .

وترجم ابن شبة لمساجده ﷺ ، والمواضع التي صلى بها ، وروي عن مالك

---

(١) هذا المسجد هو القبة التي في خارج باب العنبرية المعروفة اليوم بقبة الرؤوس والبئر قريب منها

في ذلك حديث أبي هريرة : عرض النبي ﷺ المسلمين بالسقيا التي بالحرة متوجهاً إلى بدر ، وصلى بها .

ولم يذكر المطري ومن تبعه هذا المسجد ، بل تردد المطري في محل السقيا كما سيأتي مع توجيهه ، لأنها التي في المحل المذكور ، فتطلبت المسجد به ، فرأيت به رضماً على رويبة هناك ، فأرسلت له بعض العمال ليحفر عن أساسه ، فظهر تربيعه وبقية محرابه ومن جدرانه أزيد من نصف ذراع في دورة مبيضة بالقصة ، فبني على أساسه الأول ، وهو مربع مساحته نحو سبعة أذرع في مثلها .

مسجد ذباب . ويعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما خفي أمره على المطري ، قال : إنه لم يرد فيه نقل يعتمد عليه ، وقال : إنه على ثنية الوداع من يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام . انتهى .

وأطلق على محلة ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبني بالحجارة المطابقة على صفة المساجد العمرية بجبيل يسمى بذباب ، وتهدم بعضه ، فجدده الأمير جانبيك النيروزي سنة خمس أوست وأربعين وثمانمائة .

وقال الأسنوي[١] : في الأماكن التي تزار بالمدينة مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل .

ولابن زبالة وابن شبة ، عن عبد الرحمن الأعرج ، أن النبي ﷺ صلى على ذباب .

وللثاني[٢] : عن ربيح[٣] بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ضرب النبي ﷺ قبته على ذباب .

---

(١) في نسخة : الاسدي .
(٢) أي :لابن شبة
(٣) في نسخة : ربيع

وعن الحارث بن عبد الرحمن ، بعثت عائشة رضي الله عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذباباً وصلبه على ذباب : تعِسْتَ ، صلى عليه رسول الله ﷺ ، واتخذته مصلباً ؟!

قال أبو غسان ما حاصله : ذباب رجل من أهل اليمن قتل غلاماً[1] لمروان .

قال أبو غسان : وأخبرني بعض مشايخنا : أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عروة لزياد بن عبيد الله الحارثي : عجباً تصلبون على مضرب قبة رسول الله ﷺ ، فكف عن ذلك زياد ، وكفت الولاة بعده عنه ، وكان ذباب مضرب قبة النبي ﷺ في أيام الخندق كما سيأتي فيه خلاف قول المطري : إنه ضربها في موضع مسجد الفتح لظنه أن الخندق لم يكن إلا في جهة مسجد الفتح ، وسيأتي رده في الاكتفاء في غزوة تبوك ، فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبيّ معه على حده عسكره أسفل منه نحو ذباب ، أي الجبيل المذكور .

وقال البكري : ذباب جبل بجبانة المدينة .

قلت : والجبانة شامي سوق المدينة كما سيأتي فيها .

وقال الواقدي في كتاب الحرة في وصف اصطفافهم على الخندق : وكان يزيد ابن هرمز في موضع ذباب يحمل راية الموالي ، وصفهم كراديس بعضها[2] خلف بعض إلى رأس الثنية ، يعني ثنيته الوداع ، فلعل السبب في اشتهار هذا المسجد بمسجد الراية ما ذكر ، وقد رأيت لذباب ذكراً في أماكن كثيرة كلها متفقة على وصفه بأنه الجبيل المذكور بحيث لا تردد عندي فيه .

مسجد جبل أحد . لاصق به على يمينك وأنت ذاهب في الشعب للمهراس ، وهو صغير متهدم .

---

(١) في نسخة : عاملا .

(٢) في نسخة : بعضهم .

قال الزين المراغي : ويقال : إنه يسمى مسجد الفسح .

قلت : واليوم الناس يسمونه بذلك ، ويقولون : نزل فيه قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ...) الآية [المجادلة : ١١] .

قال المطري ، يقال : إن النبي ﷺ صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال . انتهى .

وسيأتي في السادس انكار ابن النجار لورود نقل الصلاة به .

ولابن شبة بسند جيد ، عن رافع بن خديج ، أن النبي ﷺ صلى في المسجد الصغير الذي يأخذ في شعب الحرار[1] على يمينك لازق بالجبل .

مسجد ركن جبل عينين الشرقي . على قطعة من الجبل[2] ، وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وكان عليه الرماة يوم أحد ، وقد تهدم غالب هذا المسجد .

قال المطري : يقال : إنه هو الموضع الذي طعن فيه حمزة رضي الله عنه .

وذكر المجد نحوه بزيادة أشياء مما يقوله الناس ، ولم يقفا على مارواه ابن شبة فيه عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد على عينين الظرب الذي بأحد عند القنطرة ، وكأنه يعني بالقنطرة قنطرة العين التي كانت قديماً هناك ، وأشار إليها المطري بقوله عقب ذكر هذا المسجد : وقد تجددت هناك عين ماء جددها الأمير بدر الدين ودي بن جماز ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد . انتهى .

والعين دائرة اليوم ، ولعل القنطرة المذكورة هي المرادة بما سبق في غزوة أحد من صلاته ﷺ بأصحابه الصبح بموضع القنطرة وعليهم السلاح ، ولعل موضعها موضع المسجد الآتي لما سيأتي فيه .

---

(١) في نسخة : الذي بأحد في الشعب الحرار .

(٢) يستفاد منه أنه غير الذي في المسيل ، وهو المذكور بعد هذا ، المعروف بالمصرع ، جدده المرحوم سليم بك .

مسجد الوادي. على شفيره شامي جبل عينين قريب من المسجد قبله ، كان مبنياً بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء العمري .

قال المطري : يقال : إنه مصرع حمزة رضي الله عنه ، وأنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هذا ، فصرع .

وقد نقل ابن شبة أن حمزة رضي الله عنه لما قتل ، أقام في موضعه تحت جبل الرماة ، ثم أمر به النبي ﷺ فحمل عن بطن الوادي .

وقد تلخص لنا مما ذكرناه في الأصل ، أن ابن أبي الهيجاء كان قد جدد هذا المسجد ، وأن المسن المثبت اليوم على قبر حمزة رضي الله عنه إنما هو مسن هذا المسجد ، وعليه مكتوب بعد البسملة وقوله تعالى: (إنما يعمر مساجد الله ...) الآية [التوبة : ٩] : هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ، ومصلى رسول الله ﷺ ، عمره حسين بن أبي الهيجاء سنة ثمان وخمسمائة .

وتسميته بالمصلى : إما لكونه موضع مصلى الصبح على ما سبق في الذي قبله ، ويدل لذلك تسمية الأسدي له بمسجد العسكر ، وإما لما ورد من صلاته ﷺ على حمزة رضي الله عنه ، وإنما ثبت المسن المذكور بقبر حمزة رضي الله عنه لنقلة لما انهدم إلى المشهد ، فظن بعد زوال ملبن الخشب الذي ذكر ابن النجار أنه كان على القبر أن هـــذا مسنه ، فأثبت به ، فلهذا قلعه الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام ، ورده إلى المسجد المذكور ، ثم أعاده بعض الجهلة إلى القبر .

مسجد طريق السافلة . وهي الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضي الله عنه قرب النخيل المعروفة بالبحير[1] ، وعن يمين بقمع الأسواق ، وهو صغير طوله ثمانية أذرع .

وقال المطري : يقال : إنه مسجد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، ولم يرد فيه نقل يعتمد عليه .

---

(١) المعروف اليوم بمسجد أبي ذر .

قلت : في « شعب الإيمان » للبيهقيّ ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه كان برحبة المسجد ، فرأى النبي ﷺ خارجاً من الباب الذي يلي المقبرة ، فخرج على أثره ، فدخل حائطا من الأسواق ، فتوضأ ، ثم صلى ركعتين ، فسجد سجدة أطال فيها ، وأن النبي ﷺ قال له : إن جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى عليّ صلى الله عليه ، ومن سلّم عليّ سلم الله عليه .

ورواه ابن زبالة وغيره ، وفي بعض طرقه ذكر السجود فقط ، وقال : فسجدت لله شكرا .

قلت : والأسواق قريبة من محل هذا المسجد ، فلعله مسجد السجدة المذكورة ، على أن أحمد أخرج هذا الحديث بلفظ : خرج رسول الله ﷺ ، فتوجه نحو صدقته ، فدخل فاستقبل القبلة ، فخرّ ساجداً ، مع أن في جهة هذا المسجد موضعاً يعرف قديماً وحديثاً بالصدقة ، والله أعلم .

مسجد البقيع[1] على يمين الخارج من درب البقيع غربي مشهد عقيل ، وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم ، وبه اليوم أسطوانة قائمة .

وبلغني أنه كان به عقدان سقطا ، وبقاياه شاهدة بأنه كان مبنياً بناء متقناً بالحجارة المنقوشة على هيئة البناء العمري .

وقد ذكره البرهان ابن فرحون في منسكه ، لأنه عقب ذكره المسجدالسابق ،

---

(١) ومن أعجب الامور أن هذا المسجد اتخذ مخزنا للحفارين يضعون فيه ادواتهم ولوازمهم ، وامتهن بذلك مدة طويلة من الدهر حتى جهل ونسي ، وصار لايعرف إلا بمخزن الحفارين ، وبقي كذلك ، وفي سنة ١٢٩٥ هـ كتب الشيخ عبد الغني العمري ، والشيخ حسب الله المكي لمدير الحرم الشريف مصطفى أفندي ، وأخبراه عن ذلك ، وطلبا منه أن يخرج الحفارين ويصونه من الابتذال ويصلح منه مايلزم ، فأسعفهما واهتم لذلك ، وأصلحه بأتم إصلاح ، وجعل له باباً وفرشاً وقناديل وكتب على بابه: هذا مسجد أبي بن كعب الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة .

وأنه لم يرد فيه شيء يعتمد ، قال : وكذلك المسجد الذي في أول البقيع على يمين الخارج من درب الجمعة . انتهى .

وقد ذكر المرجاني : أن بالبقيع مسجداً ، وقال ، من عند نفسه : إنه موضع مصلى النبي ﷺ العيد بالبقيع .

والظاهر : أنه يعني هذا المسجد ، وقد سبق في بيان المصلى رد ذلك .

والذي يظهر : أن هذا المسجد هو مسجد أبي بن كعب ، ويقال له : مسجد بني جديلة لما قدمناه في منازلهم ، بل في كلام ابن شبة مايقتضي مجاورة البقيع لمنازلهم واتصالهم به ، وهو مقتضى ماسبق من أن مشعطاً أطمهم غربي مسجدهم مسجد أبي ، وفي موضعه بيت أبي نبيه .

فقد تلخص من كلام ابن زبالة في قبور أمهات المؤمنين ، وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم ، أن في أول البقيع مما يلي هذه الجهة زقاقاً يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه كما سيأتي ، ولهذا جدده المقر الشجاعي في زماننا عام اثنين وتسعمائة على هيئته الموجودة اليوم ، ولما حفروا عن أساسه أخرجوا منه شيئاً كثيراً من أحجار الوجوه المنحوتة التي بقيت من بنائه الأول ، فأعادوها في حائطه الشامي الذي فيه بابه .

وقد ذكر المطري مسجد أبي فيما علمت جهته ، ولم تعلم عينه ، قال : ومنازلهم عند بيرحا شامي سور المدينة ، وقد سبق في مسجد القبلتين صلاته ﷺ بهذا المسجد .

ولابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصاري ، أن النبي ﷺ لم يصل في مسجد مما في جوبة المدينة [١] إلا في مسجد أبي بن كعب ، ثم ذكر مساجد ستأتي .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان النبي ﷺ يختلف إلى مسجد أبيّ ، فيصلي

---

(١) في نسخة : مما حوته المدينة ،وهو الصواب .

فيه غير مرة ولا مرتين ، وقال : « لولا أن يميل الناس لأكثرت الصلاة فيه » .

ولابن زبالة عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني جديلة وهو مسجد أبي بن كعب .

الفصل الرابع فيما علمت جهته ولم تعلم عينه من مساجدها .

مسجد بني جديلة . على ماسبق عن المطري آخر الفصل قبله مع مافيه .

مسجد بني حرام من بني سلمة . تقدم في مسجد القبلتين ، ووهم من جعله إياه ، وان النبي ﷺ صلى في كل منهما .

ولابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني حرام الذي بالقاع ، وأنه رأى في قبلته نخامة ، وكان لايفارقه عرجون بن طاب [1] يتخصر به ، فحكه : ثم دعا بخلوق ، فجعله على رأس العرجون ، وجعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خلق .

ومنازل بني حرام بالقاع في غربي مساجد الفتح ، ووادي بطحان عند جبل بني عبيد والعين التي أجراها معاوية رضي الله عنه .

مسجد الخربة لبني عبيد من بني سلمة . ومنازلهم عنده إلى جبل الدويخل جبل بني عبيد غربي بني حرام ، وقد سبق في مسجد القبلتين صلاته ﷺ بهذا المسجد .

ولابن زبالة عن يحيى بن عبيد الله بن أبي قتادة ، عن مشيخته ، أن رسول الله ﷺ كان يأتي سلافة أم البراء بن معرور في المسجد الذي يقال له : مسجد الخربة دبر القراصة ، وصلى فيه مراراً ، والقراصة ستأتي في الآبار أنها نخل جابر رضي الله عنه الذي به قصة قضاء الدين بطريق دومة .

مسجد جهينة وبلي .

لابن شبة عن معاذ بن عبد الله ابن أبي مريم الجهني وغيره ، أن النبي ﷺ

---

(١) أي : كان النبي صلى الله عليه وسلم في يده عرجون من نخل بالمدينة يسمى ابن طاب ، وكان ذلك العرجون لا يفارقه .

صلى في مسجد جهينة ، وهو من المساجد التي ذكر يحيى بن النضر الأنصاري أن النبي ﷺ صلى فيها في جوبة المدينة .

ولابن زبالة عن رافع بن مكيث الجهني ، أن أبا مريم الجهني قال للنبي ﷺ : لو خططت لقومي مسجداً ، فجاء النبي ﷺ مسجد جهينة وفيه خيام لبلي ، فأخذ ضلعاً أو محجناً ، فخط لهم ، فالمنزل لبلي ، والخط لجهينة .

وعن عروة أن رسول الله ﷺ خط المسجد الذي لجهينة ومن هاجر من بلي ، ولم يصل فيه .

ومنازل جهينة وبلي ، غربي سوق المدينة مما يلي حصن أمير المدينة ، وفي قبلة ثنية عثعث التي بينه وبين سلع ، ويمتد في المغرب إلى بني حرام من بني سلمة ، فمنازلهم من داخل السور القديم وخارجه ، خلاف ما اقتضاه كلام المطري .

مسجد بيوت المطرفي بمنازل بني غفار .

لابن زبالة عن أنس بن عياض ، عن غير واحد من أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد الذي عند بيوت المطرفي عند خيام بني غفار ، وأنها منازل آل أبي رهم كلثوم بن الحصين الغفاري صاحب رسول الله ﷺ ، وقد سبق في سوق المدينة في جدار دار السوق الغربي بعد ذكر التمارين قوله : حتى ورد بها خيام بني غفار .

ويتلخص من ذلك ، ومما ذكر في منزلهم : أن ذاك مما يلي طرف منزل جهينة الذي يلي ثنية عثعث من القبلة غربي السوق .

مسجد بني زريق من الخزرج .

لابن شبة ، عن معاذ بن رفاعة الزرقي ، أن النبي ﷺ دخل في مسجد بني زريق ، وتوضأ فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرىء فيه القرآن .

ولابن زبالة نحوه ، إلا أنه قال : وعجب من اعتدال قبلتـه ، وإن رافع ابن مالك الزرقي لما لقي رسول الله ﷺ في العقبة أعطاه ما نزل عليه من القرآن بمكة ، فلما قدم جمع قومه فقرأه عليهم في موضعه ، وهو يومئـذ كوم ، وقد سبق في آخر فصول الباب قبله ما حاصله : أنه كان في قبلة الدور [1] التي عن يمين الداخل من باب المدينة الذي يلي المصلى ، إما من داخل السور قرب الباب المذكور ، أو من خارجه عن يمين المقبل على الباب .

وفي حديث السباق : من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق ، قال عياض : وبينهما ميل أو نحوه ، والمحل الذي ذكرناه في قبـلة ثنية الوداع على نحو الميل ، وبجوار بطحان مسجدان [2] اختطها الشمس السلاوي بعد الخمسين وثمانمائة ، فـلا يتوهم لقربها من منازل بني زريق أنه أحدهما .

مسجد بني ساعدة الذي في جوف المدينة وسقيفتهم .

لابن شبة عن العباس بن سهل ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعدة في جوف المدينة .

وعن عبد المنعم بن عياض ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ﷺ جلس في السقيفة التي في بني ساعدة ، وسقاه سهل بن سعد في قدح .

ولابن زبالة عن سهل بن سعد ، قال : جلس رسول ﷺ في سقيفتنا التي عند المسجد ، ثم استسقاني ، فخضت ، أي : مخضت له رطبة ، فشربت ، ثم قال : « زدني » ، فخضت له أخرى ، فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطيب من الآخرة ، فقلت : هما يا رسول الله من شيء واحد .

---

(١) قال بعض فضلاء أهل المدينة المنورة : إنه كان موضع القرقول الذي بناه خالد باشا في المناخة بعد التسعين والمائتين والألف .

(٢) لعله المسجد الذي يقال له اليوم : مسجد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

والجلوس في هذه السقيفة مذكور في « الصحيح » في حديث الجوينية [1] لما رجع رسول الله ﷺ من عندها ، قال : فأقبل حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : « اسقنا يا سهل ... الحديث » .

وبهذه السقيفة كانت بيعة أبي بكر لما اجتمع بها الأنصار عند سعد وهو مريض ، وهو دال على قربها من منزل سعد ، ولذا طلب السقيا من أبيه .

وقد تلخص أن أحد منازل بني ساعدة شرقي سوق المدينة ، وأن السوق كان مقابرهم ، وأن جرار سعد الذي كان يسقي فيها الماء سدها من جهة الشام ، وبها منزل رهطه ، وأنه كان في دار السوق من المشرق لبني ساعدة طريق مبوبة ، فهذا المسجد كان في هذه الناحية ، والسقيفة كانت قرب شامي سوق المدينة ، وغلط رزين فقال : إنها بقباء .

مسجد بني ساعدة الخارج من بيوت المدينة .

لابن شبة عن سعد بن اسحاق أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني ساعدة الخارج من بيوت المدينة ، أي : بمنزلهم الآخر شامي جرار سعد قرب ذباب .

مسجد بني خدارة إخوة بني خدرة من الخزرج .

لابن شبة ، عن شيخ من الأنصار ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خدارة ، وحلق رأسه فيه .

وعن هشام بن عروة : الصلاة فقط .

وعن عمرو بن شرحبيل : أن رسول الله ﷺ وضع يده على الحجر الذي في أطم سعد بن عبادة عند جرار سعد ، وصلى في مسجد بني خدارة ، وتقدم أن منازل بني خدارة بجرار سعد ، فهذا المسجد كان بجهة سقيفة بني ساعدة المتقدم شامي سوق المدينة .

---

(١) في نسخة : الجونية .

مسجد راتج .

لابن شبة عن خالد بن رباح ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد راتج ، وشرب من جاسم ، وهي بئر هناك .

ولابن زبالة عن رجل من بني حارثة : صلاته ﷺ في مسجد راتج ، وسيأتي في الآبار : أن جاسم بئر أبي الهيثم بن التيهان ، وراتج أطم سميت به الناحية كما قاله ابن زبالة ، وذلك شرقي ذباب جانحاً إلى الشام .

مسجد بني عبد الأشهل من الأوس .

ويقال له : مسجد واقم .

ولأبي داود والنسائي ، عن كعب بن عجرة ، أن النبي ﷺ أتى مسجد بني عبد الأشهل ، فصلى فيه المغرب ، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها ، فقال : « هذه صلاة البيوت » .

ولأحمد وابن شبة وابن ماجه من طرق نحوه .

وليحيى في خبر عن محمد بن عمر ، قال : قالوا : وربما خرج رسول الله ﷺ إذا صلى الظهر إلى مسجد بني عبد الأشهل ، فيصلي العصر والمغرب فيه ، ولم تكن دار كان رسول الله ﷺ أكثر لها غشياناً من دار بني عبد الأشهل قبل وفاة سعد بن معاذ وبعد وفاته .

قال المطري : ودارهم قبلي دار بني ظفر مع طرف الحرة الشرقية المعروفة بحرة واقم .

والصواب : أنها في شامي بني ظفر بالحرة المذكورة بين بني ظفر وبني حارثة بجهة القرصة ، وهي ضيعة سعد بن معاذ كما سيأتي .

مسجد القرصة [1] .

---

(١) القرصة : بفتح القاف والراء والصاد المهملتين ، في تلك الجهة محل يقال له : القلصة ، فلعله هي ، وآثار المسجد ظاهرة هناك .

لرزين عن يحيى بن أبي قتادة ، عن مشيخة قومه ، أن النبي ﷺ كان يأتي دور الأنصار ، فيصلي في مساجدهم ، فصلى في مسجد القرصة ، والقرصة ضيعة لسعد بن معاذ .

قال المراغي : لعلها القوصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال لقربها من بني عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها على رابية قريب البئر أثر مسجد والله أعلم .

مسجد بني حارثة من الأوس .

لابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد الحارثي ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني حارثة .

ولابن زبالة مثله وزاد : وقضى فيه في شأن عبد الرحمن بن سهل ، أي : المقتول بخيبر .

وسبق أن بني حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بني عبد الأشهل إلى دراهم بسند الحرة التي بها الشيخان خلاف قول المطري بيثرب .

مسجد الشيخين ، ويقال : مسجد البدائع .

لابن شبة : عن المطلب بن عبد الله ، أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي عند الشيخين ، وبات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحد ، ثم غدا منه إلى أحد .

وعن ابن عباس ، عن سعد ، أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي عند البدائع عند الشيخين ، وبات فيه حتى أصبح . والشيخان : أطمان .

وليحيى نحوه وزاد : أنه على يمينك إذا أردت قناة ، صلى فيه النبي ﷺ العصر والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أحد .

وفي رواية : وعدل من ثم يوم أحد إلى أحد .

قال المطري : الشيخان : موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع

الحرة إلى جبل أحد . اه وسنزيده بياناً في محله .

مسجد بني دينار بن النجار من الخزرج .

ولابن شبة : عن عبد الله بن عقبة بن عبد الملك ، أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يصلي في مسجد بني دينار عند الغسالين .

ولابن زبالة عن أيوب بن صالح الديناري ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، تزوج امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبي ﷺ يعوده ، فكلموه أن يصلي لهم في مكان يصلون فيه ، فصلى في المسجد الذي ببني دينار عند الغسالين ، ومنزلهم كما قال ابن زبالة : بدارهم التي خلف بطحان ، أي : في شقه الغربي مما يلي الحرة ، فما قاله المطري وهم ، وسيأتي أن نقب بني دينار طريق المدرج بالحرة الغربية ، وبه السقيا كما قاله الواقدي .

وسمى الأسدي مسجدهم بمسجد الغسالين لما سبق .

وفي غربي بطحان موضع يعرف بالمغسلة [1] ، قال المجد : كان يغسل فيه ، وهو اليوم حديقة من أقرب الحدائق إلى المدينة . انتهى .

ورأيت بها حجراً عليه كتابة كوفية مالفظه : مسجد رسول الله ﷺ ، وعنده آثار يظهر أنها آثار المسجد ، وقد بنى صاحب المغسلة هناك مسجداً ، وجعل الحجر فيه .

مسجد بني عدي بن النجار ، ومسجد دار النابغة في بني عدي أيضاً .

لابن شبة ، عن يحيى بن النضر ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد دار النابغة ، ومسجد بني عدي . وفي رواية : واغتسل في مسجد بني عدي .

ولابن زبالة : عن هشام بن عروة نحو الأول ، ودار النابغة هي التي روى ابن شبة أن قبر عبد الله والد رسول الله ﷺ بها .

والظاهر : أن دار بني عدي شامي المسجد بجوار بني جديلة ، لأن النضر والد

---

(١) وهي باقية إلى اليوم بذلك الاسم .

أنس من بني عدي ، وسيأتي في الآبار أن بئر داره هناك ، خلاف قول المطري : إن منازلهم غربي المسجد النبوي .

مسجد بني مازن بن النجار .

لابن زبالة : عن يعقوب بن محمد ، أن النبي ﷺ خط مسجد بني مازن ، ولم يصل فيه . وفي رواية : وضع مسجد بني مازن بيده ، وصلى في بيت أم بردة في بني مازن .

قلت : هي مرضعة إبراهيم ابنه ﷺ ، وتوفي عندها ، وحضر ﷺ وفاته ببيتها ، ومنازلهم فيما يلي منازل بني زريق من المشرق للقبلة .

وقال المطري : بالناحية المعروفة اليوم بأبي مازن[1] قبلي البصة .

مسجد بني عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار .

لابن زبالة ، وابن شبة : عن هشام بن عروة ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني عمرو بن مبذول ، ومنزلهم عند بقيع الزبير الآتي .

مسجد بقيع الزبير[2] .

لابن زبالة : عن عطاء بن يسار رحمه الله ، أن النبي ﷺ صلى الضحى في بقيع الزبير ثمان ركعات ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، فقال : « إنها صلاة رغب ورهب ، فلا تدعوها » .

وبقيع الزبير بجوار دور بني غنم شرقي بني زريق بجانب البقال ، وأظن الرحبة التي بحارة الخدام بطريق بقيع الغرقد منه ، وبها اليوم مسجد قديم البناء .

مسجد صدقة الزبير ببني محمم .

لابن زبالة وابن شبة واللفظ له : عن هشام بن عروة ، أن النبي ﷺ صلى في صدقة الزبير في بني محمم .

---

(١) لا يعرف اليوم ، وإنما هناك موضع بئر تسمى زيانة ولعله هو .

(٢) لعله داخل الرستمية التي بيد الأغوات ، والرحبة هي حارة الأغوات .

ولفظ الأول : في المسجد الذي وضعه الزبير في بني محمم .

قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات غربي مشربة أم إبراهيم ، وقبلتها قرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بني محمم من الصدقات النبوية ، ولذا قال الشافعي : وصدقة النبي ﷺ قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ،

وقال أبو غسان : إن النبي ﷺ أقطع الزبير ماله الذي يقال له : بنو محمم[1] من أموال بني النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بني محمم ، فتصدق بها على ولده .

مسجد بني خدرة من الخزرج .

لابن زبالة : عن هشام بن عروة ، أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد بني خدرة . وعن يعقوب بن محمد بن صعصعة أن رسول الله ﷺ صلى في بعض منازل بني خدرة ، فهو المسجد الصغير الذي في بني خدرة مقابل بيت الحية : أي المذكور قصتها في « صحيح مسلم » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الفتى الحديث العهد بعرس ، المستأذن في الخندق في الرجوع لأهله ، ووجوده حية عظيمة منطوية على الفراش كما في الأصل .

وقيل : إنه ﷺ لم يصل في مسجد بني خدرة والأطم الذي يقال له : الأجرد، ويقال لبئره : البصة لجد أبي سعيد الخدري بمنازلهم .

قال المطري : وبعضه باق إلى اليوم ، أي : وهو الذي ابتنى عليه الزكوي ابن صالح المنزل الذي عند البئر الصغرى التي اتخذ لها الدرجة الآتية .

مسجد بني الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح .

لابن شبة وابن زبالة : عن هشام بن عروة ، أن النبي ﷺ صلى فيها ، ومنازل بني الحارث شرقي بطحان وتربة صعيب ، وتعرف اليوم بالحارث ، بإسقاط

---

(١) في بعض النسخ : الذي يقال : بنوان ببني محمم الخ .

بني ، وبقربها السنح على ميل من المسجد النبوي ، وهي منازل جشم وزيد ابني الحارث ، وبه منزل الصديق بزوجته بنت خارجة .

مسجد بني الحبلى رهط أبيّ[1] ابن سلول من الخزرج .

لابن زبالة وابن شبة ، عن هشام بن عروة ، أن النبي ﷺ صلى في مسجدهم .

قال المطري : دارهم بين قباء وبين دار بني الحارث التي شرقي بطحان ، وسبق ما فيه من المنازل .

مسجد بني بياضة من الخزرج .

روى ابن شبة وابن زبالة : عن سعيد بن إسحاق أن النبي ﷺ صلى في مسجدهم .

وللثاني عن ربيعة بن عثمان أن النبي ﷺ صلى في الحرة في الرحابة .

قال ابن زبالة : هي مزرعة شامي أطم بني بياضة ، المسمى بعقرب ، ودار بني بياضة كما سبق شامي دار بني سالم إلى بطحان قبلي بني مازن في الحرة ، وبعضها في السبخة .

ولابن زبالة : عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : وقعت هذه الليلة رحمة فيما بين بني سالم وبني بياضة ، فقالت بنو سالم وبنو بياضة : أننتقل إليها ؟ قال : « لا ، ولكن اقبروا فيها » . ورواه الطبراني عن سعد بن خيثمة بنحوه ، وزاد : فقبروا فيها موتاهم .

مسجد بني خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

لابن شبة : عن هشام بن عروة وعبد الله بن الحارث أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني خطمة .

وعن سلمة بن عبيد الله الخطمي : أن النبي ﷺ صلى في مسجد العجوز في

---

(١) لعل الصواب : رهط ابن أبي بن سلول لأن أبياً والد عبد الله بن أبي المنافق ، وسلول : أم عبد الله ، فتكون زوجة أبي لا أمه .

بني خطمة عند القبر ، أي : قبر البراء بن معرور ، شهد العقبة ، وتوفي قبل الهجرة.

ولابن زبالة نحو ذلك ، وسيأتي في الآبار أنه ﷺ توضأ من ذرع بئر بني خطمة التي بفناء مسجدهم ، وصلى في مسجدهم ، وآثار قريتهم موجودة قرب الماجشونية وتنانير النورة التي هناك كما أوضحناه في الأصل ، خلاف قول المطري: إنهم شرقي مسجد الشمس بالعوالي .

مسجد بني أمية بن يزيد من الأوس .

لابن شبة : عن عمر بن قتادة ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد لهم في بني أمية من الأنصار ، وكان في موضع الكبابين الخربتان ، اللتان عند مال نهيك .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن وائل ، أن النبي ﷺ صلى في تلك الخربة ، وكان قريباً من مصلاه أجم ، فانهدم ، فسقط على المكان الذي صلى فيه فترك وطرح عليه التراب حتى صار كبا [1] ومنزلهم قرب النواعم ، والعهن من أموالهم ، ويمر سيل مذينب بين بيوتهم ، ثم يسقي الأموال ، فيكون بالحرة الشرقية قرب العهن ، خلاف قول المطري : إنهم شرقي دار بني الحارث ، وفيهم كان عمر نازلاً بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزول إلى المدينة مع جاره الأنصاري .

مسجد بني وائل من الأوس .

لابن شبة : عن سلمة بن عبد الله الخطمي ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمس أذرع أو نحوها ، وضربنا ثم وتداً.

وروى ابن زبالة ايضاً صلاته ﷺ به ، والظاهر أن منازلهم بقباء .

وقال المطري : الظاهر أنها شرقي مسجد الشمس .

مسجد بني واقف .

قال المطري ومتابعوه : رهط هلال بن أمية الواقفي من الأوس .

---

(١) بوزن : حق كما ضبطه في أسماء الاماكن .

لابن زبالة عن الحارث بن الفضل ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني واقف .

قال المطري ومتابعوه : ولا يعرف مكان دارهم اليوم إلا أنها بالعوالي .

قلت : سبق أنها عند مسجد الفضيخ من جهة القبلة .

مسجد بني أنيف ، تصغير : أنف ، حي من بليّ حلفاء الأوس .

لابن زبالة عن عاصم بن سويد ، عن أبيه : سمعت مشيخة بني أنيف ، يقولون: صلى رسول الله ﷺ فيما كان يعود طلحة بن البراء قريباً من أطمهم .

قال سويد : فأدركتهم يرشون ذلك المكان ، ويتعاهدونه ، ثم بنوه بعد ، فهو مسجد بني أنيف بقباء ، ودارهم عند المال المعروف اليوم بالقائم بجهة قبلة مسجد قباء في المغرب وعند بئر عذق .

مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء .

نقل المطري عن ابن زبالة : أن النبي ﷺ صلى في المسجد الذي في دارسعد ابن خيثمة بقباء ، وجلس فيه ثم ذكر المطري أشياءفيها مناقشة بيناها في الأصل ، وتقدم في مسجد قباء أن دار سعد هذه تلي مسجد قباء في قبلته .

مسجد التوبة بالعصبة منازل بني حججبى من بني عمرو بن عوف من الأوس .

لابن زبالة : عن أفلح بن سعيد وغيره ، أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم . والهجيم : أطم سبق في منازلهم أنه عند هذا المسجد ، والبئر مضافة اليه .

قال المطري : وليست معروفة اليوم ، والعصبة غربي مسجد قباء ، فيها مزارع وآبار كثيرة ، وما علمت لم سمي بمسجد التوبة ، ولم أر من تعرض له .

مسجد النور .

لابن زبالة : عن فضالة ، أن رسول الله ﷺ صلى في موضع مسجد النور .

قال المطري : ولا يعلم مكانه .

قلت : وكذا سبب تسميته بذلك ، وعد الأسدي مسجد النور فيما يزار بناحية قباء ، ثم ذكر مسجد النور فيما يزار بناحية المدينة .

مسجد عتبان بن مالك ، بدار بني سالم من الخزرج .

لابن زبالة ويحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد ، أن عتبان بن مالك قال : يا رسول الله إن السيل يحول بيني وبين الصلاة في مسجد قومي ، قال : فصلى رسول الله ﷺ في بيته ، فهو المسجد الذي بأصل المزدلف ، زاد يحيى : أطم مالك بن العجلان ، أي : الذي في شامي مسجد الجمعة عند عدوة الوادي الشرقية .

وسبق في مسجد الجمعة أن الظاهر : أن مسجد قومه مسجدهم الأكبر الذي بمنازلهم بعدوة الوادي الغربية .

ولابن شبة : عن سعد بن إسحاق أن النبي ﷺ لم يصل في مسجد بني سالم الأكبر .

وعن عتبان : أن النبي ﷺ صلى في بيته سبحة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا.

مسجد ميثب صدقة النبي ﷺ .

لابن زبالة وابن شبة : عن محمد بن عقبة بن أبي مالك ، أن النبي ﷺ صلى في مسجد صدقته ميثب ، وسيأتي أن ميثب مجاور لبرقة وغيرها من الصدقات .

مسجد المنارتين .

لابن زبالة : عن حرام بن سعد بن محيصة ، أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد الذي بأصل المنارتين في طريق العقيق الكبير .

وعن عبد الله بن البولا : أن أربعة رهط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله ﷺ خرج إلى الجبل الأحمر الذي بين المناوتين ، فإذا بشاة ...الحديث

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه ، أن اسم الجبل « الأنعم » ، وهو الجبل الذي بنى عليه المزني وجابر بن علي الزمعي[1] .

---

(١) في اسماء الاماكن : اليربعي ، فليحرر الصواب

قلت : هو على يمين الآتي من العقيق إذا صار بأعلى الزُّقَيْقَيْن من المدرج ، وقد صعدته ، فرأيت أثر البناء المذكور به ، وأظن المنارتين هما البناءان عن يمين تلك الطريق ويسارها .

مسجد فيفاء الخبار[1] .

قال ابن اسحاق في « غزوة العشيرة » : سلك رسول الله ﷺ على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها ، فثم مسجده ، وصنع له طعام عندها ، فموضع أثافي البرمة معلوم هناك ، واستقى له من ماء يقال [له] : المشيرب ، أي : الذي بين جبال في شامي ذات الجيش .

قال المطري : فيفاء الخبار غربي الجماوات ، وهي يعني الجماوات : الأجبل التي في غربي العقيق اهـ .

وسيأتي أن فيفاء الخبار من جما أم خالد ، وقال ابن عقبة : فيفاء الخبار من وراء الجما .

مسجد بني الجثجاثة وبئر شداد ، بطرف العقيق الذي يلي البقيع .

لابن زبالة عن عمر بن القاسم وغيره : صلى رسول الله ﷺ في مسجد بين الجثجاثة وبين بئر شداد في تلعة هناك ، وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قداقتطع قريباً منه وبناه ، والجثجاثة كان بها قصور وميدان ، وهي بين الخليفة وثنية الشريد ، وذكرنا في الأصل هنا تتمة في دور بالمدينة صلى فيها النبي ﷺ ، أو جلس ، فراجع ذلك .

الفصل الخامس في فضل مقابرها ، وتعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمشاهد المعروفة بها .

في « صحيح مسلم » ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ

---

(١) الخبار كسحاب .

كلما كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ماتوعدون ، غداً مؤجّلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

وفي رواية له عنها بعد ذكر خروجه ﷺ لما كانت ليلتها قالت : ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ... الحديث » ، وفيه : قال : فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت ، فناداني ،فأخفاه منك ، فأخفيته منك ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قلت : فكيف أقول لهم يارسول الله ، قال : « قولي : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، يرحم الله المستقدمين والمستأخرين » .

وفي رواية « الموطأ » قالت : قام رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فلبس ثيابه، ثم خرج ، فأمرت جاريتي بريرة تتبعه ، فتبعته حتى جاء البقيع ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف ، فسبقته ، فأخبرتني ، فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إني بعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم . وفي رواية لابن شبة : أنه قال في دعائه : « اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ».

وفي رواية للبيهقي بيان أن ذلك كان في ليلة النصف من شعبان .

وللترمذي عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ مرّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه ، فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، أنتم لنا سلف ، ونحن بالأثر » .

ولابن شبة : عن أبي موهبة مولى رسول الله ﷺ ، قال : أهبني رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : « إني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع » ، فانطلق معي ،فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى » ثم استغفر لهم طويلاً .

ولابن زبالة عن خالد بن عوسجة ، قال : كنت أدعه ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار ، فمر بي جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله ، فقال لي : أعنْ أثرٍ وقفت ها هنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف رسول الله ﷺ بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

وسيأتي أن من دار عقيل المشهد المعروف به .

قال المراغي : فينبغي الدعاء فيه ، وقد أخبرني غير واحد أن الدعاء هناك مستجاب .

قلت : الأماكن التي دعا بها ﷺ كلها أماكن إجابة ، ولذا يستحب الدعاء فيها .

ولابن شبة وابن زبالة : عن ابن كعب القرظي مرفوعاً : « من دفن في مقبرتنا هذه شفعنا له أو شهدنا له » .

وقد سبق في الحث على الموت بها ذكر الشهادة أو الشفاعه لمن مات بها مع أشياء داخلة في فضل البقيع فراجعه .

وللطبراني في « الكبير » ، وابن شبة ، من طريق نافع مولى حمنة ، عن أم قيس بنت محصن وهي أخت عكاشة ، أنها خرجت مع النبي ﷺ إلى البقيع ، فقال : « يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، كأن وجوههم القمر ليلة البدر » ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، وأنا ؟ فقال : وأنت ، فقام آخر ، فقال : يا رسول الله وأنا ؟ فقال : سبقك بها عكاشة . قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ، فقالت : أراه كان منافقاً .

ولابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلاً : « يحشر من البقيع سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » قال : وكان أبي يخبرنا أن مصعب بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع ومعه

ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول : هي هي ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجد هذه المقبرة في التوراة بين حرتين محفوفة بالنخل ، اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر .

ولابن زبالة عن المقبري : قدم ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت ، فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة ، قال ابن رأس الجالوت : إنها لهي ، قال مصعب : ما هي ؟ قال : إنا نجد في كتاب الله صفة مقبرة في شرقيها نخل ، وغربيها بيوت ، يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطفت مقابر الأرض ، فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد عن جعفر عن أبيه ، قال : أقبل ابن رأس الجالوت ، فلما أشرف على البقيع قال : هذه التي نجدها في كتاب الله كفتة ، لا أطؤها . قال : فانصرف عنها إجلالاً لها .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها في التوراة كفتة محفوفة بالنخيل ، وموكل بها الملائكة ، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها ، فكفؤوها في الجنة .

وللواقدي عن عثمان بن صفوان ، قال : لما حج مصعب بن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت ، فانتهى إلى حرة بني عبد الأشهل ، وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد في كتاب الله [1] أنها تسمى كفتة . قال الواقدي : يعني : تسرع البلا ، وكفتة : يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

ولابن زبالة عن جابر مرفوعاً : « يبعث الله من هذه المقبرة واسمها كفتة مائة ألف كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يسترقون ، ولا يرقون ، ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

---

(١) في نسخة : في كتابنا .

وعن المطلب بن حنطب مرفوعاً : « يحشر من مقبرة المدينة يعني - البقيع - سبعون ألفاً لا حساب عليهم ، تضيء وجوههم غمدان [1] اليمن » وجاء ما يقتضي مثله في مقبرة بني سلمة التي بمنزل بني حرام منهم .

فلابن شبة ، عن أبي سعيد المقبري ، أن كعب الأحبار قال : نجد مكتوباً في الكتاب ، أن مقبرة بغربي المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبري لابنه سعيد : إن أنا هلكت فادفني في مقبرة بني سلمة التي سمعت من كعب .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « مقبرة بغربي المدينة يعترضها السيل يساراً يبعث منها كذا وكذا لا حساب عليهم » .

قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .

وعن عقبة بن عبد الرحمن ، عن جابر وابن أبي عتيق وغيرهما من مشيخة بني حرام مرفوعاً : « مقبرة بين سَيْلَيْن [2] غربية ، يضيء نورها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض .

ولابن زبالة ، عن سهل ، عن أبيه ، عن جده ، قال : دفن رسول الله ﷺ من قتلى أحد في مقبرة بني سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم أحد ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فنقل ، فكان أول من دفن في مقبرة بني حرام .

---

(١) غمدان ، كعثمان .

(٢) هما سيل العقيق الذي يمر غربي مسجد القبلتين ، وسيل رانونا وجفاف المسمى الآن بأبي جيدة لأنه يمر بمساجد الفتح من جهة المغرب ، فتكون المقبرة بينهما ، والظاهر أنها بين مساجد الفتح ومسجد القبلتين .

وسبق في مسجد بني بياضة فضل المقبرة التي بينها وبين بني سالم .

وأما من دفن بالبقيع ، فأكثر الصحابة ممن توفي في حياة النبي ﷺ وبعده به .

وفي « مدارك عياض » عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف . ا هـ .

وكذا سادة أهل البيت والتابعين ، غير أن غالبهم لا يعرف عين قبره ولا جهته ، لاجتناب السلف البناء والكتابة على القبور مع طول الزمان ، فمن المعروف عيناً أو جهة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وعثمان بن مظعون .

لابن زبالة عن قدامة بن موسى : أول من دفن رسول الله ﷺ بالبقيع عثمان بن مظعون ، فلما توفي ابنه إبراهيم ، قالوا : يا رسول الله أين نحفر له ، قال : « عند فرطنا عثمان بن مظعون » .

ولابن شبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه : لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغبت الناس في البقيع ، وقطعوا الشجر ، واحتازت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وعن قتادة بن موسى : كان البقيع غرقداً ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله ﷺ للموضع الذي دفن فيه عثمان : « هذه الروحاء » ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد ، أي التي كانت شرقي مشهد سيدنا إبراهيم إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، أي : ومنها المشهد المعروف به اليوم ، ثم قال النبي ﷺ : « هذه الروحاء » للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

وعن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير ، قال : دفن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بالزوراء موضع السقاية التي على يسار من سلك البقيع ، ثم

مصعد إلى جنب دار محمد بن زيد بن علي ، فيستفاد منه تسمية ذلك الموضـــع بالزوراء وبالروحاء .

ولابن زبالة عن سعيد بن محمد ، أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء .

قال عبد العزيز بن محمد : وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي .

وعن جعفر بن محمد ، أن قبر إبراهيم وجاه دار سعيد بن عثمان التي يقـال لها : الزوراء بالبقيـع ، فهدمت مرتفعاً عن الطريق .

وعن قدامة قـال : دفن إبراهيم إلى جنب عثمان بن مظعون ، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبي طالب من ناحية دار محمد بن زيد .

ولابن شبة عن محمد بن قدامة ، عن أبيه عن جده ، قال : لما دفن النبي ﷺ عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه ، قال قدامة : فلما ضاق البقيـع وجد ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون .

ثم نقل ابن شبة ما يقتضي أن ذلك الحجر فضل من حجارة لحده لما لحده رسول الله ﷺ ، فحمله رسول الله ﷺ فوضعه ، وأن مروان لما ولي المدينة مر عليه ، فأمر به فرمي . وقيل : جعله على قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه .

رقية بنت رسول الله ﷺ .

في حديث الطبراني برجال ثقات ـ وفي بعضهم خلاف ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ قـال : « الحقي بسلفنا عثمان ابن مظعون » .

ورواه ابن شبة وزاد : أن فاطمة رضي الله عنها بكت على شفير القـبر ، فجعل النبي ﷺ يمسح الدموع عـن عينيها بطرف ثوبه ، ثم أشار ابن شبة إلى رواية ما يخالفه من أنه ﷺ خلف عثمان وأسامـــة بن زيد على رقية وهي وجعة أيام بدر ، وأن زيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

والثابت في « الصحيح » أنه ﷺ حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان ، فلعل ما تقدم فيها أو في أختها زينب .

والظاهر : أنهن جميعاً عند عثمان بن مظعون لقوله ﷺ لما وضع الحجر عند رأس عثمان بن مظعون : « أتعلم به قبر أخي ، وأدفن إليه من مات من أهلي » ، رواه ابن ماجه والحاكم .

فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنها .

لابن زبالة عن محمد بن عمر بن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : دفن رسول الله ﷺ فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء [1] مقابل حمام أبي قطيفة ، قال : وثم قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وقبر عثمان بن مظعون .

وسيأتي ما نقله ابن شبة في قبر العباس ، من أنه عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم الذي في دار عقيل ، ويؤيده ما نقله ابو الشيخ ابن حبان في كتاب « السنة الكبير » له من أنه لما أتي بالحسن ليصلي عليه ،قال الحسين لسعيد بن العاص أمير المدينة : تقدم ، فلولا أنها سنة ما قدمتك ، فصلى عليه سعيد بن العاص ، ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم . اهـ .

وكله صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم في المشهد المنسوب إليها ، وأول من ذكر أنها به ابن النجار ، ولم أقف له على مستند غير قوله : إنها دفنت مقابل حمام أبي قطيفة ، وقد اقتصر عليه ابن النجار ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام . اهـ .

وهذا النخل هو الذي قرب مشهد سيدنا إبراهيم في شاميه ، وهو بعيد جداً من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن كان في غربيه ، مع أن بقية الرواية تردّ إرادة ذلك ، وكأن ابن النجار لم يقف عليها، ويبعد كل البعد أن يدفنها ﷺ في فم زقاق أقصى

(١) أي وهو الموضع الذي دفن فيه عثمان بن مظعون ، فإنه تقدم أنه يسمى بالروحاء وبالزوراء ، لا بالروحاء المشهورة في طريق المدينة .

البقيع ، بل ليس هو منه لما سيأتي من أن محل عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن منه ، ويترك ماقارب عثمان بن مظعون مع قوله : وأدفن إليه من مات من أهلي .

ونقل ابن شبة أن النبي ﷺ لم ينزل في قبر أحد إلا خمسة قبور : قبر خديجة بمكة ، وأربعة بالمدينة : قبر ابن لخديجة كان في حجر النبي ﷺ وتربيته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار ، وبين البقيع الذي يتدافن فيه بنو هاشم ، وقبر عبد الله المزني الذي يقال له : ذو النجادين ، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبي بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم .

ثم روى عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنها لما توفيت خرج رسول الله ﷺ ، فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم . قبر فاطمة ، ثم لحد لها لحداً ، فلما فرغ نزل فاضطجع في اللحد ، وقرأ فيه القرآن ، ثم نزع قميصه ، فأمر أن تكفن فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً وقال : « ما أعفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد » ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان ابراهيم أصغرهما . وفي « الكبير » و « الأوسط » للطبراني برجال الصحيح ، إلا رَوْحُ بن صلاح ، وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، عن أنس قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها وقال : رحمك الله يا أمي بعد أمي ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده ، وأمره بحفر قبرها ، قال : فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ، ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين » .

ولابن شبة عن جابر في هـذا حديث طويل ذكرناه في الأصل ، وكذا ما لابن عبد البر عن ابن عباس .

عبد الرحمن بن عوف .

لابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن ، قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما حين نزل به الموت : أن هلم إلى رسول الله ﷺ والى أخويك [1] فقال : « ما كنت مضيقاً عليك بيتك ، إني كنت عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جنب صاحبه » ، قالت : فمروا به عليّ ، فمروا به عليها ، فصلت عليه .

ولابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوه .

وعن عبد الواحد بن محمد ، أن عبد الرحمن بن عوف أوصى إن هلك بالمدينة أن يدفن إلى عثمان بن مظعون ، فلما هلك حفر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ، فدفن هناك .

سعد بن أبي وقاص .

لابن شبة عن أبي دهقان ، قال : دعاني سعد بن أبي وقاص ، فخرجت معه إلى البقيع ، وخرج بأوتاد حتى إذا جـاء من موضع زاوية دار عقيل الشرقية الشامية ، أمرني فحفرت حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ، ثم قال : إن هلكت فادللهم على هـذا الموضع يدفنوني به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع ، فوجدوا الأوتاد ، فحفروا له هناك ودفنوه .

عبد الله بن مسعود .

لابن سعد في « طبقاته » ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ، أن ابن مسعود قال : ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون .

---

(١) أي : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومعنى كلامها رضي الله عنها : تعال للدفن في بيتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه اللذين هما أخواك في الاسلام والصحبة والبشارة في الجنة ، وغير ذلك .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات ابن مسعود رضي الله عنه بالمدينة ، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين .

خنيس بن حذافة السهمي . زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها قبل رسول الله ﷺ من أصحاب الهجرتين .

قال ابن عبد البر : نالته جراحة يوم أحد ، فمات بسببها بالمدينة . قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندي في سيرته : وذلك في الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، وكان عثمان توفي قبله في شعبان من السنة المذكورة . وقيل : في الثانية .

قلت : يشكل عليه أنه ﷺ تزوج بحفصة في شعبان من الثالثة ، وقيل : في الثانية ، فلعل خنيساً كان قد طلقها .

وقال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات على رأس خمسة وعشرين شهراً بعد رجوعه من بدر .

أسعد بن زرارة أحد بني غنم بن مالك بن النجار .

شهد العقبتين وتوفي في الأول .

قال أبو غسان : : أخبرني بعض أصحابنا قال : لم أزل أسمع أن قبر عثمان ابن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء المقبرة التي بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قلت : فينبغي السلام على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم ، ولذا قدمنا ذكرهم معه .

فاطمة بنت رسول الله ﷺ على القول بأنها بالبقيع وهو الأرجح .

لابن شبة عن محمد بن علي بن عمر رضي الله عنها ، أنه كان يقول : إن قبرها زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة في البقيع .

وعن منبوذ بن خويطب ، والفضل بن أبي رافع : أن قبرها وجاه زقاق نبيه[1] ، وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن علي بن حسين بن علي رضي الله عنهم : أن قبرها حـذو الزقاق الذي يلي زاوية دار عقيل .

قال أبو غسان بن معاوية بن أبي مزرد : إنه ذرع من حيث أشار له عمر بن علي ، فوجده خمسة عشر ذراعاً إلى القنـاة ، أي : التي في دار عقيل . وقيل : بينها ثلاثة وعشرون ذراعاً .

وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة ، أن قبرها حـذاء زاوية دار عقيل مما يلي دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبي رافـــع : أن قبرها مخرج الزقاق الذي بين دار عقيل ودار أبي نبيه .

ثم نقل ابن شبـة : أن عبد العزيز بن عمران روى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : دفن عليّ فاطمة رضي الله عنهـا ليلا في منزلها الذي دخل في المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسن بن عبد الله ، أي : الذي في شامي باب النسـاء في المشرق .

قال ابن شبة : وأظن هـذا غلطاً لأن الثبت جاء في غيره ، ثم روي بسـند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبد الله بن عليّ أخبره عمن مضى من أهل بيتـه ، أن الحسن بن عليّ قـال : ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي ، فدفن في المقبرة إلى جنب فاطمة مواجه الخوخة التي في دار نبيه بن وهب ، طريق الناس بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع ، فلما كان زمن

---

(١) هو الزقاق النافذ الملاصق للدار الملاصقة لقبة اسماعيل رحمه الله من جهة الشام كما يدل له كلامه في بيان مشمط أطم بني جديلة .

حسن بن زيد وهو أمير على المدينة ، استعدى بنو محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب على آل عقيل في قناتهم التي في دورهم الخارجة في المقبرة ، وقالوا : إن قبر فاطمة رضي الله عنها عند هذه القناة ، فاختصموا إلى حسن ، فدعاني حسن ، فأخبرته عن عبد الله بن أبي رافع ومن بقي من أهلي .

وعن حسن بن عليّ في قوله : ادفنوني إلى جنب أمي ، فقال حسن بن زيد : أنا على ما تقول ، وأقرّ قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله ، أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة في بيتها الذي أدخل في المسجد ، وأنه وجد كتابا عن أبي غسان فيه ، أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : دفنت في بيتها ، وصنع بها ما صنع برسول الله ﷺ ، إنها دفنت في موضع فراشها .

ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس ، ثم أشار ابن شبة إلى رده بما حدثه أبو عاصم النبيل ، قال : حدثنا كهمس بن الحسن ، قال : حدثني يزيد ، قال : كمدت (١) فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إني لأستحيي من جلالة جسمي إذا أخرجت على الرجال غداً ، وكانوا يحملون النساء كما يحملون الرجال ، فقالت أسماء بنت عميس وأم سلمة : إني رأيت شيئاً يصنع بالحبشة ، فصنعت النعش ، فاتخذ ذلك سنة ، أي : ولو دفنت في بيتها كذلك لم يحتج إليه ، ويتلخص أن الراجح دفنها قرب قبر الحسن ، وهو مقتضى صنيع ابن زبالة أيضاً .

وذكر المسعودي ما حاصله : أن هناك رخامة مكتوب فيها : هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن عليّ ، وعليّ بن الحسين ابن عليّ ، وقبر محمد بن علي ، وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ، ذكره في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ،

---

(١) أي : حزنت .

بل في كلام سبط ابن الجوزي ما يقتضي نقل ذلك عن الواقدي ، وهو مدني ، مولده بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، فهو دال على أن تلك الكتابة قديمة .

وقـال المحب الطبري في « ذخائر العقبى في فضائل ذوي القربى » : أخبرني أخ في الله ، أن الشيخ أبا العبـاس المرسي كان إذا زار البقيـع وقف أمام قبـلة قبة العباس ، وسلم على فاطمة ، وذكر أنه كشف له عن قبرها هناك . اه .

وقيل : دفنت في بيتهـــا ، فقيل : بمؤخره شامي باب النساء كما سبق عن عبد العزيز ، وهو بعيد جداً . وقيل : بمقدمه مكان المحراب الخشب خلف الحجرة داخل مقصورتها .

قال ابن جماعة : وهو أظهر الأقوال ، وظاهر صنيـع يحيى اعتماده حيث قال : حدثنا اسحاق بن موسى قال : حدثنا جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي موسى ، عن أبيه ، عن جده ، أن علياً دفن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ في بيتها في المسجد عند زور[1] قبر النبي ﷺ ، أي : الموضع المزور شبه المثلث .

وقد قدمنا في الحادي عشر من الباب الرابـع ، أن متولي العمارة اتخـذ دعامة للقبـلة[2] عن يمين المثلث المذكور أمام المحراب المذكور ، فبـدا لحد قبر وبعض عظامه ، فحصل للناس أمر عظيم بسببه .

وحكى ابن جماعة في قبرها قولين آخرين ، أحدهما : أنه الصندوق الذي أمام مصلى الإمام بالروضة ، قال : وهو بعيد جداً .

قلت : لم أقف له على أصل ، ولعله اشتبـه على قائله بالمحراب الذي ببيتها ، لأن أمامه صندوقاً أيضـاً ، على أنه سبق أن متولي العمارة لمـــا اتخذ في موضع الصندوق أمام المصلى النبوي دعامة لمحرابه ظهر قبر بدا لحده وبعض عظامه ، وقد حرّف الأقدمون أساس الأسطوانة التي هنـــاك عنه . ثانيها : أنه بالمسجد المنسوب

---

(١) الزور محركا كجبل : الميل .

(٢) لعله للقبة

إليها بالبقيع ، أي البناء المربع في جهة قبلة قبة العباس للمشرق ، وهو المعني بقول الغزالي : ويصلي في مسجد فاطمة .

قال ابن جبير : وهو المعروف ببيت الحزن ، يقال : إن فاطمة أقامت به أيام حزنها على أبيها . والقول بدفنها به من فروع الدفن بالبقيع ، وهو بعيد من الروايات الواردة فيه .

الحسن بن علي رضي الله عنهما .

لابن شبة عن فائد مولى عبادل ، أن عبيد الله بن عليّ أخبره عمن مضى من أهل بيته ، أن حسن بن علي رضي الله عنه أصابه بطن ، فلما عرف من نفسه الموت أرسل إلى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع رسول الله ﷺ ، فقالت : نعم ما كان بقي إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بنو أمية استلأموا هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : لا يدفن فيه أبداً ، فبلغ حسن بن علي ، فأرسل إلى أهله : أما إذا كان هذا فلا حاجة لي به ، ادفنوني في المقبرة إلى جنب أمي فاطمة ، فدفن في المقبرة إلى جنبها .

وعن نوفل بن الفرات نحوه ، وذكر ابن النجار أن مع الحسن في قبره ابن أخيه زين العابدين ، ومحمد الباقر بن زين العابدين ، وجعفر الصادق بن محمد الباقر ، ويشهد له ما سبق عن المسعودي .

وللزبير بن بكار عن أبي روق قال : حمل الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فدفن بالبقيع ، وذكر ابن سعد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضي الله عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة ، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ . ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم هناك .

العباس بن عبد المطلب .

قال أبو غسان : قال عبد العزيز : إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بني قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول : دفن في موضع من البقيع متوسطاً .

صفية بنت عبد المطلب :

قال عبد العزيز : دفنت صفية آخر الزقاق الذي يخرج إلى البقيع عند باب دار المغيرة بن شعبة التي أقطعها عثمان لازقاً بجدار الدار ، فبلغني أن الزبير ابن العوام رضي الله عنه اجتاز بالمغيرة وهو يبني داره ، فقال : يا مغيرة ارفع مطمرك [1] عن قبر أمي ، فأدخل المغيرة جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع وبين باب الدار . اهـ .

والمعروف اليوم بذلك هو المشهد الآتي خارج باب البقيع .

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

قال عبد العزيز : بلغني أن عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان بن الحارث يجول بين المقابر ، فقال : يا ابن عم ، مالي أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داري [2] ، وأمر بقبر فحفر في قاعتها ، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ، ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفي ، فدفن فيه .

وقال ابن قدامة : قيل : إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، ودفن في دار عقيل بعد مقدمه من الحج سنة عشرين . اهـ .

والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ، إذ هو من دار عقيل ، ولم يذكر ابن شبة دفن عقيل بها ، بل ذكر ما سبق عن عبد العزيز ، بل المنقول أن عقيلاً توفي بالشام ، وأول من ذكر أن ذلك مشهد عقيل ابن النجار ، قال :

---

(١) المطمر كالمطمار : خيط البناء الذي يقدر به .

(٢) في نسخة : خذ داري .

ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب الجواد المشهور، وقد ذكر أبو اليقظان أنه كان أجود العرب، وأنه توفي بالمدينة. وقال غيره: دفن بالأبواء سنة تسعين.

أزواج النبي ﷺ ما عدا خديجة فبمكة، وميمونة فبسرف.

في الصحيح: أن عائشة رضي الله عنها أوصت عبد الله بن الزبير: لا تدفني معهم، تعني النبي ﷺ وصاحبيه، وادفني مع صواحبي بالبقيع.

ولابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن علي، قال: قبور أزواج النبي ﷺ من خوخة بيته إلى الزقاق الذي يخرج إلى البقال مستطيرة.

ولابن شبة عن زيد بن السائب، قال: أخبرني جدي قال: لما حفر عقيل ابن أبي طالب في داره بئراً، وقع على حجر منقوش مكتوب فيه: قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب، أي أم المؤمنين، فدفن عقيل البئر، وبنى عليه بيتاً.

قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت، فرأيت فيه ذلك القبر.

قلت: فهو الاصل في زيارتهن بالمشهد المعروف بهن في قبلة مشهد عقيل.

ولابن شبة عن محمد بن يحيى: سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي قريباً من موضع فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأنه كان حفر فوجد على ثمانية أذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه: أم سلمة زوج النبي ﷺ، فبذلك عرف أنه قبرها. وعن فائد مولى عبادل، قال لي منقذ الحفار: في المقبرة قبران مطابقان بالحجارة، قبر حسن بن علي، وقبر عائشة زوج النبي ﷺ، فنحن لا نحركها.

عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه.

نقل ابن شبة أنهم أرادوا دفنه مع النبي ﷺ، وكان قد استوهب من عائشة رضي الله عنها موضع قبر، فوهبته له، فأبوا يعني المصريين، وقالوا: والله لا نصلي عليه.

وأن الزهري قال : جاءت أم حبيبة ، فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لتخلن بيني وبين دفن هذا الرجل ، أو لأكشفن ستر رسول الله ﷺ ، فخلوها ، فجاء جبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن الزبير في آخرين ، فحملوه ، فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دفنه ابن بجرة ، ويقال : ابن نجدة الساعدي، فانطلق به إلى حش كوكب وهو بستان ، فصلى عليه جبير ، وفي رواية : حكيم بن حزام ، وأدخل بنو أمية حش كوكب في البقيع ، وهو في أصل الحائط الذي يقال له : خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

وفي « طبقات ابن سعد » عن مالك بن أبي عامر قال : كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم في حش كوكب ، فكان عثمان يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هنالك ، فيتأسى به الناس . قال : فكان عثمان أول من دفن به .

سعد بن معاذ الأشهلي رضي الله عنه :

لابن شبة عن عبد العزيز ، أنه أصيب في الخندق ، فدعا فحبس الله عنه الدم حتى حكم في بني قريظة ، ثم انفجر كلمه ، فمات في منزله في بني عبد الأشهل ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ودفنه في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود التي يقال لها : دار أفلح في أقصى البقيع عليها جُنْبُذة . اه . وهو صادق على المشهد المنسوب اليوم لفاطمة بنت أسد ، فلعله قبره لما قدمناه في قبرها .

أبو سعيد الخدري :

لابن شبة ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، قال لي أبي : يا بني إني قد كبرت وذهب أصحابي وخادمي ، فخذ بيدي ، فأخذت بيده حتى جاء إلى البقيع ، فجئت أقصى البقيع مكاناً لا يدفن فيه ، فقال : يا بني ، إذا هلكت فاحفر لي ها هنا واسلك بي زقاقاً عمقه .

وأما المشاهد المعروفة اليوم بالمدينة ، فمشهد العباس بن عبد المطلب ، والحسن بن عليّ ومن معها ، عليهم قبة شامخة .

قال ابن النجار : وهي كبيرة عالية قديمة البناء ، وعليها بابان .

قلت : وهو يبعد قول المطري : بناها الناصر أحمد بن المستضيء ، لأنه توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، فقد عاصر ابن النجار ، وكل من القبرين مرتفع مغشى بالساج وصفائح الصفر ، والآمر بعمل ذلك على قبر العباس رضي الله عنه المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة .

والظاهر : أن القبة مقدمة على ذلك ، وفي غربيها بناء قبة ابن أبي الهيجاء وزير العبيديين ، وبناء آخر فيه ابن أبي النضر ، وفي شرقيها حظيرتان ، في إحداهما الأمير جوبان صاحب الجوبانية ، وفي الأخرى بعض من نقل من الأعيان .

ومشهد أمهات المؤمنين في قبلة المشهد المنسوب لعقيل .

قال ابن النجار : وهناك أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق من فيها منهن :

قلت : وباطن هذا المشهد اليوم كله رحبة ليست فيها علامة قبر ، وكان حظيراً مبنياً بالحجارة ، فابتنى عليه قبة الأمير برد بك المعمار سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، ثم تشعثت ، فأصلحها الشجاعي شاهين الجمالي عام خمسة وتسعين وثمانمائة .

مشهد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه على ماذكر ابن النجار وأتباعه .

وقد قدمنا مافيه في قبر أبي سفيان بن الحارث ، وأنه من دار عقيل ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة ، ومشهد قرب مشهد عقيل وأمهات المؤمنين وكان عليه قبة فتهدمت .

قال ابن جبير ، وتبعه المجد : فيه ثلاثة من أولاد النبي ﷺ ، ولم أقف على أصل لما ذكر .

مشهد سيدنا إبراهيم ابن سيد المرسلين ﷺ :

وقبره على نعت قبر الحسن والعباس ، ملصق بجدار المشهد القبلي ، وقول المجد: إن محله هو المعروف ببيت الحزن مردود ، وشامي قبر إبراهيم بهذا المشهد قبران ، الظاهر أن بناءهما حادث ، إذ لم يذكره ابن النجار وأتباعه .

ومشهد صفية بنت عبد المطلب عمـة رسول الله ﷺ على يسارك إذا خرجت من باب البقيـع ،وهو بناء من حجارة أرادوا عقد قبة عليه ، فلم يتفق، قاله المطري.

ومشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه عليه قبة عالية أنشأها أسامة ابن سنان ، أحد أمراء صلاح الدين بن أيوب سنة أحدى وستمائة ، قاله المطري ، ويشكل عليه عدم ذكر ابن النجار لها مع إدراكه لذلك . قال أبو شامة : إن الباني لها عز الدين سلمة ، وبمشهد سيدنا عثمان قبر متولي عمارة القبة ، وفي غربي المشهد بناء مربع وحظيرتان ، حدث ذلك كله في زماننا .

ومشهد فاطمة [1] بنت أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأقصى البقيـع على ماذكره ابن النجار ، وسبق مافيه .

والظاهر : أنه مشهد سعد بن معاذ لما سبق .

ومشهد الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي ، إذا خرجت من باب البقيـع كان مواجها لك ، عليه قبة صغيرة ، وإلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفـة لم يتعرض لها المطري فمن بعده ، ويقال : إن بهـا نافعاً مولى ابن عمر . واقتضى كلام ابن جبير ، أن بين مشهد مالك ومشهد سيدنا إبراهيم تربة بها ولد لعمر بن الخطاب ، يعرف بأبي شحمة ، جلده أبوه الحد فمرض ومـات وهو منطبق على هذه القبة .

ومشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب ، وهو ركن السور هناك ، وبني قبل السور ، فصار بابه من داخل المدينة ، بنـاه حسين ابن أبي الهيجاء وزير العبيدين سنة ست رأربعين وخمسمائة ، وعلى يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التي في غربي

---

(١) وبالبقيع اليوم قبة في آخر شامي قبة عثمان رضي الله عنه يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نر لذلك أصلاً في شيء من الكتب .

المشهد عليه من ابن أبي الهيجاء ، وأن المسجد الذي بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ، وأن عرصة المشهد داره ، وأن البئر التي بين الباب الأول والمشهد بئره ، وأنه يتداوى بها .

وقد ذكر ابن شبة في هذا المحل داراً لولد زين العابدين زيد بن علي بن حسين فلعلها دار أبيه ، ونسبها ابن شبة له لاشتهارها به ، وبقي بالمدينة ثلاثة مشاهد ليست بالبقيع .

مشهد مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري غربي المدينة بلصق السور لما سيأتي في الفصل بعده من دفنه هناك ، وعليه قبة قديمة البناء فيها محراب ، ومحله من سوق المدينة القديم

ومشهد النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب المقتول أيام أبي جعفر المنصور ، ومشهد بناء في جوف مسجد كبير شرقي سلع ، قصدوا بناء قبة عليه ، فلم يتفق .

وفي قبلة المسجد : منهل[1] من عين الأزرق ، هذا هو المستفيض بين أهل المدينة ، وذكره المطري وأتباعه ، وذكر سبط ابن الجوزي أن كثيراً من الناس كان قد بايعه ، فخرج على المنصور بعد حبسه لأبيه وأقاربه ، فجهز إليه المنصور عمه عيسى ابن موسى في أربعة آلاف ، وذكر قتله عند أحجار الزيت ، أي : عند مشهد مالك بن سنان ، وأن جده[2] دفن بالبقيع[3] وكان معه ذو الفقار سيف علي

---

(١) هو المعروف اليوم بمنهل الزكي قد توقفت عندما خفض مستوى ماء العين عن مجراها ، وعجز عن الجريان في دبولها ، ونشفت ، وسلط الماء في أنابيب من الخزانات إلى داخل البلدة وضواحيها .

(٢) في نسخة : جسده .

(٣) والمتواتر عن أهل المدينة أن النفس الزكية دفن في شرق جبل سلع شمال منهل العين الزرقاء ، وروى الامام ابن جرير الطبري في « تاريخه » في وقعة سنة ١٤٥ وابن كثير في « البداية والنهاية » كذلك أن أخته وابنته واريتاه في البقيع .

رضي الله عنه ، ثم انتقل إلى الرشيد . قيل : وبسبب محمد هـذا ضرب عيسى ابن موسى مالك بن أنس .

ومشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الآتي ذكره مع شهداء أحـد ، وعليه قبة عالية متقنة ، وبابه كله مصفح بالحديد ، بنته أم الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء كما قاله ابن النجار ، وذلك سنة تسعين وخمسمائة بتقديم التاء على السين ، قال : وجعلت على القبر ملبن ساج ، أي : كهيئة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه غير فيه بمثله ، وكذا الحسن والعباس ، وقبر حمزة اليوم مجصص ، ولا خشب عليه ، وقد أثبت فيه مسن مسجد المصرع الذي بناه ابن أبي الهيجاء كما قدمناه فيـه ، فنزعه الشجاعي شاهين الجمالي ، ورده لمحله ، ثم أعاده بعض الجهال ، وسيأتي أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد ذكره عبد العزيز بن عمران ، وهو في المائة الثانية ، فكأن أم الخليفة وسّعته وجعلته على هذه الهيئة ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباي من جهـة المغرب زيادة أدخل فيها البئر التي كانت خارجه في غربيه ، واتخذ هناك أخلية لمن يريد الطهارة ، وأوصلها بالسطح ، فعم نفعه ، واحتفر بئراً خارجه يرتفق بها المارة ، واتخذ لها درجاً ، وذلك سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة على يـد الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام بالحرم الشريف ، وشاد عمائره والقبر الذي بصحن المشهد عند رجلي[1] سيدنا حمزة قبر سنقر التركي متولي عمارة المشهد ، والقبر الذي بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنها من قبور الشهداء ، وينبغي أن يسلم بالمشهد على عبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير لما سيأتي .

---

(١) لعل الصواب : عند رأسه لأنه ليس عنـد رجليه بالمشهد قبر أصلا فتأمل ، ولعله كان هناك قبر ثم اندرس ،إذ القبر الموجود الآن عند الرأس .

الفصل السادس : في فضل أحد والشهداء به .

في « الصحيحين » وغيرهما ، عن أنس أن النبي ﷺ قال لأحد لما بدا له : « هذا جبل يحبنا ونحبه » .

وفي رواية للبخاري : أن ذلك كان عند القدوم من خيبر .

وفي أخرى : في رجوعه من الحج .

وفي رواية له عن أبي حميد الساعدي قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه » .

ولابن شبة عنه : أقبلنا مع النبي ﷺ من منزله حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد ، فكبر ثم قال : « جبل يحبنا ونحبه ، جبل سائر ليس من جبال أرضنا » .

وله بإسناد جيد عن أبي قلابة قال : كان النبي ﷺ إذا جاء من سفر فبدا له أحد قال : « هذا أحد يحبنا ونحبه » .

وعن أبي هريرة قال : لما قدمنا مع النبي ﷺ من غزوة خيبر ، بدا لنا أحد ، فقال : « هذا أحد[1] يحبنا ونحبه ، إن أحداً هذا لعلى باب من أبواب الجنة » .

ولأحمد عن أبي عيسى بن جبير[2] مرفوعاً : « جبل أحد يحبنا ونحبه من جبال الجنة » .

وللطبراني في « الكبير » ، و « الأوسط » ، عنه أن رسول الله ﷺ قال لأحد : « هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة ، وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار » .

وفي « الأوسط » وفيه كثير بن زيد تكلم فيه ، ووثقه أحمد وغيره ، من حديث أنس بن مالك مرفوعاً : أحد جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه » .

---

(١) في نسخة : هذا جبل .

(٢) في نسخة : قيس بن جبير .

ولابن شبة عنه مرفوعاً : « أحـــد على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به ... الحديث » .

وعن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك أنها كانت ترسل ولائدها فتقول : اذهبن إلى أحد فأتينني من نباته ، فإن لم تجدن إلا عضاها فأتينني به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هذا جبل يحبنا ونحبه » ، قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عضاهه ، قال : فكانت تعطينا منـــه قليلا قليلًا فنمضغه .

وعن داود بن الحصين مرفوعاً : « أحـد على ركن من أركان الجنة ، وعير على ركن من أركان النار » .

ولأبي يعلى ، والطبراني في « الكبير » ، عن سهل بن سعد مرفوعاً : « أحد ركن من أركان الجنة » .

وفي « الكبير » أيضاً عن عمرو بن عوف مرفوعاً : « أربعة أجبال من أجبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة » ، قيل : فما الأجبال ؟ قال : « أحد يحبنا ونحبه من جبال الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولبنان جبل من جبال الجنة ... الحديث » .

ولابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعاً : « لما تجلى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستـة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة ، وثلاثة بمكة ، فوقع بالمدينة أحـد وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حراء وثبير وثور .

وسمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، أو لما وقع من أهله من نصر التوحيد ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحديّة ، بخلاف عير الذي هو اسم الحمار المذموم أخلاقاً ، والحب في أحد من الجانبين على الحقيقة ، كما صححه النووي وغيره ، ولذا كان من جبال الجنة ، إذ المرء مع من أحب ، ولا مانع

من وضع الحب فيه كما وقـع التسبيح من الجبال ، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل ، فقال له لما اضطرب : « اسكن أحد » .

ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء ، كما حنت الأسطوانة لمفارقته ﷺ حتى سمع القوم حنينها .

وسبق في الأول من الباب الثالث ماجاء في دفن هارون عليه السلام بأحد ، وهناك شعب يعرف بشعب هارون بن عمران ، يزعمون أنه بأعلاه ، وهو بعيد جداً ، وبأعلى الجبل بناء اتخذه بعض الفقراء قريباً .

وقال ابن النجار : في جبل أحد غار[1] يذكرون أن النبي ﷺ اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أن النبي ﷺ صلى فيه ، وموضع في الجبل أيضاً منقور في صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أن النبي ﷺ قعد على الصخرة التي تحته ، وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد فيه نقل ، فلا يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد اللاصق به ، فقد ثبت النقل به كما سبق في المساجد ، ولم يقف عليه ابن النجار وأتباعه .

وأما الغار : فلابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبي ﷺ لم يدخل الغار بأحد .

ولأحمد عن ابن عباس : وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول الناس : الغار ، إنما كانت تحت المهراس ، ثم ذكر إقبال النبي ﷺ إليهم .

وظاهره : أن الغار : [هو] الموضع المعروف اليوم بعد المهراس .

قال المطري : إن الغار في شمالي المسجد والموضع المنقور ، والصخرة التي تحته بقرب المسجد .

---

(١) الغار الذي بأحد والموضع الذي يقال له الطاقية كله لا أصل له ، ولم يرد فيه نقل يعتمد عليه .

وقال ابن هشام : بلغني عن ابن عباس أن النبي ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب ، أي : فليست الصخرة التي نهض ﷺ ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله هناك لا يراده عقب خبرها .

وليحيى والثعلبي المفسر حديث : لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير فقال : (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه) إلى قوله : (وما بدّلوا تبديلا) [الاحزاب : ٢٣] اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد ماقامت[1] السموات والأرض إلا ردوا عليه » .

ولأبي داود والحاكم في صحيحه[2] حديث : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ... الحديث » . وفي آخره : فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ... الآية) [آل عمران : ١٦٩] .

وفي « صحيح البخاري » حديث : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء والأموات .

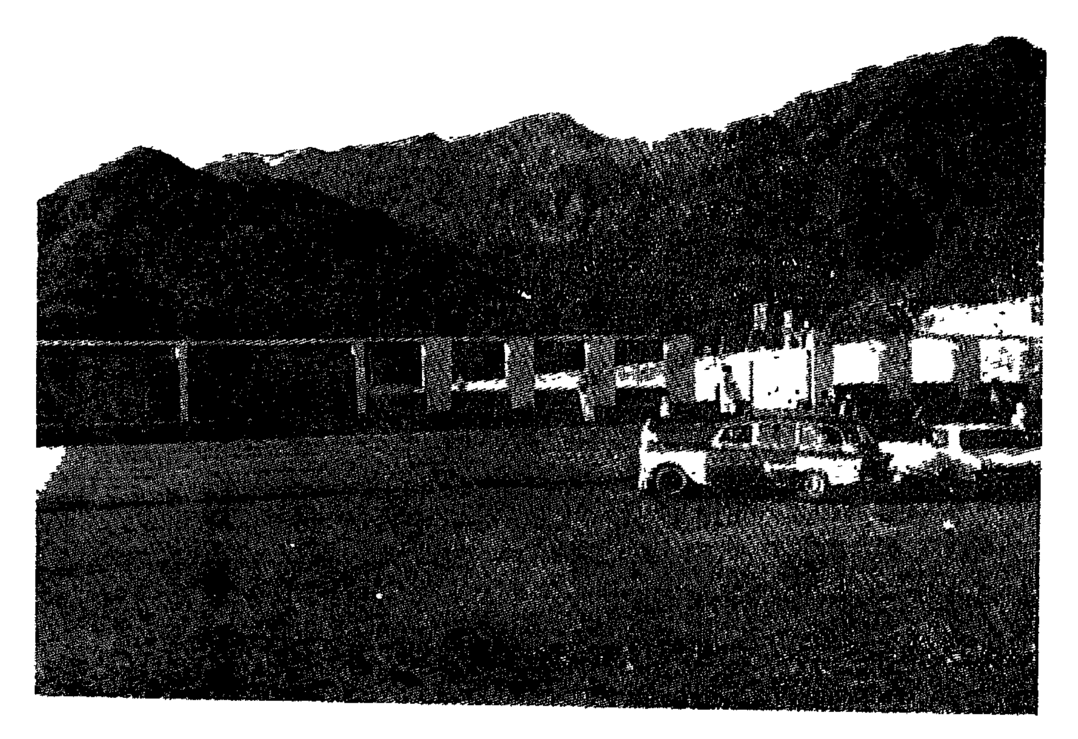
ولأبي داود وابن شبة حديث : خرجنا مع رسول الله ﷺ نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرفنا على حرة واقم ، فلما تدلينا منها ، فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : « قبور أصحابنا » ، فلما جئنا قبور الشهداء ، قال : « هذه قبور إخواننا » .

وللثاني[3] عن عبادة بن أبي صالح ، أن رسول الله ﷺ كان يـأتي قبور

---

(١) في نسخة : ما دامت .
(٢) يعني : مستدركه .
(٣) أي : لابن شبة .

الشهداء بأحد على رأس كل حول ، فيقول : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » قال : وكان النبي ﷺ إذا واجه الشعب قال : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين » .



قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظهرت الدرج الاسمنتية الموصلة اليه والشباك الحديدي ، كما ظهر جبل أحد بقممه العالية وظهرت الربوة التي دفن فيها

وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر حمزة رضي الله عنه ترمه وتصلحه ، وقد تعلمه بحجر .

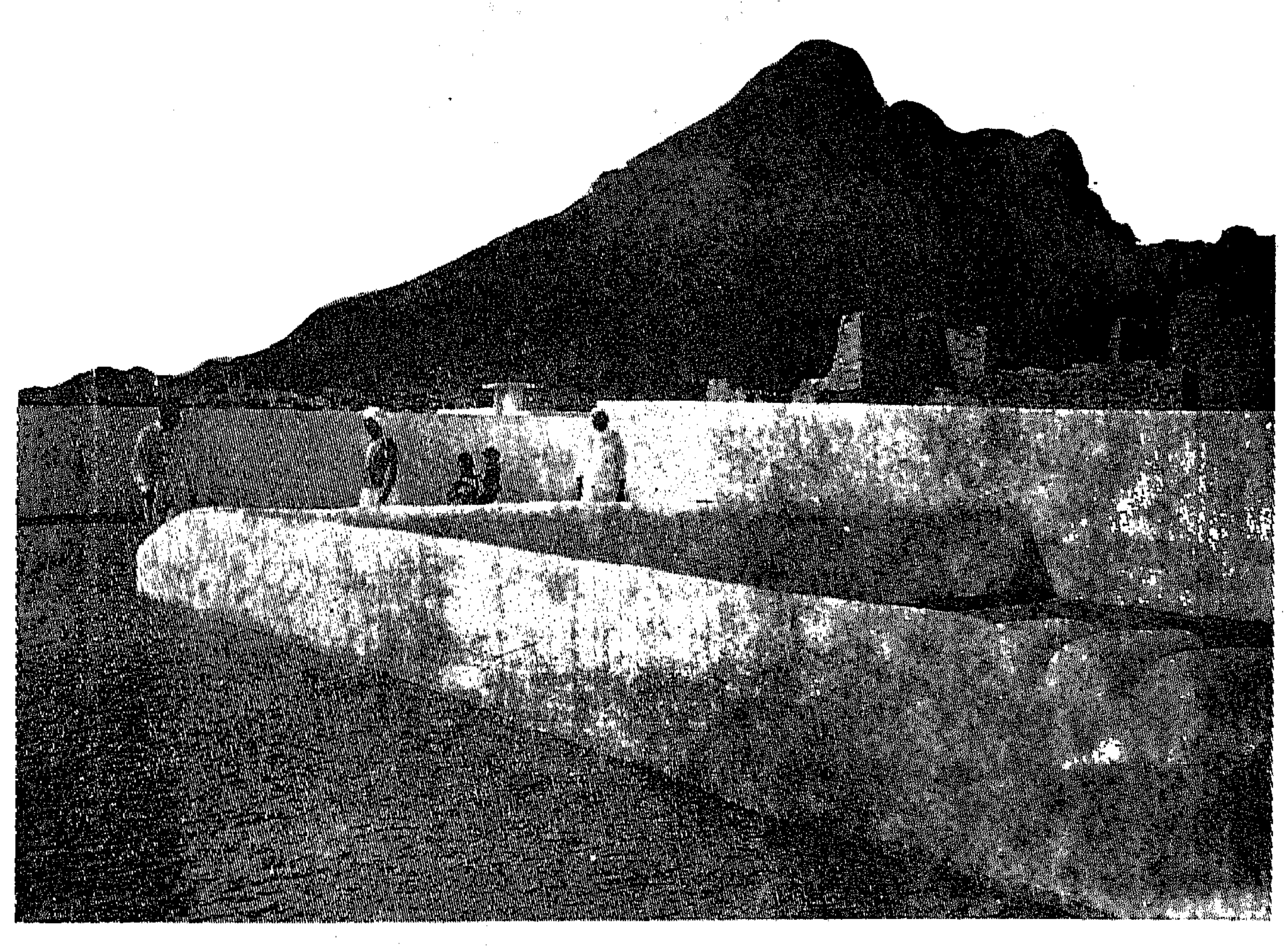
وللحاكم عن علي أن فاطمه رضي الله عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة ، فتصلي وتبكي عنده .

وليحيى أنها كانت تختلف بين اليومين والثلاثة إلى قبور الشهداء بأحد ، فتصلي هناك وتبكي وتدعو حتى ماتت .

وللبيهقي في « الدلائل » ، من طريق العطاف بن خالد ، عن عبد الأعلى بن

أبي فروة عن أبيه ، أن النبي ﷺ زار قبور الشهداء بأحد فقال : « اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء وأنهم من زارهم أو سلم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه » ، قال العطاف : وحدثتني خالتي أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ، وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقشعررت .

وقال الواقدي : كانت فاطمة الخزاعية تقول : لقد رأيتني وغابت الشمس بقبور الشهداء ومعي أخت لي ، فقلت لها : تعالي نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على



قبور شهداء أحد وقد ظهر السور المحيط بهم ، كما ظهر جبل أحد شامخاً عالياً ، وقد وقف الزوار على طرف السور يزورون

قبره ، فقلنا : السلام عليك يا عم رسول الله ﷺ ، فسمعنا كلاماً رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ، وما قربنا أحد من الناس .

ثم روى البيهقي عن هشام بن محمد بن العمري عن ولد عمر بن علي قال : اختلف أبي [1] بالمدينه إلى زيارة قبور الشهداء في يوم جمعة بين الفجر والشمس ، فلما انتهى إلى المقابر ، رفع صوته فقال : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ، فأجيب : وعليك السلام يا أبا عبد الله ، فالتفت أبي إليّ فقال : أنت المجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلني عن يمينه ، ثم أعاد السلام ، فجعل كلما يسلم يرد عليه ثلاث مرات ، فخرّ ساجداً شكراً لله تعالى .

والمشهور أن الذين أكرموا بالشهادة يومئذ سبعون رجلاً .

قبر حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جحش ، وهو ابن اخت حمزة ، ومصعب بن عمير .

نقل ابن شبة عن الأعرج أن حمزة لما قتل أقام في موضعه تحت الجبل الصغير الأحمر الذي ببطن الوادي ، وهو جبل الرماة ، ثم أمر به النبي ﷺ فحمل عن بطن الوادي إلى الربوة التي هو بها اليوم ، وكفنه في برده ، وكفن مصعب بن عمير في أخرى ، ودفنهما في قبر واحد .

قال عبد العزيز : وسمعت من يذكر أن عبد الله بن جحش قتل معهما ، ودفن معهما في قبر واحد ، قال : والغالب عندنا أن مصعب بن عمير وعبد الله ابن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أحد في القبر .

قلت : ويسلم على الثلاثة بمشهد حمزة رضي الله عنهم .

---

(١) في نسخة : أخذني أبي ولعلها صواب .

سهل بن قيس من بني سلمة .

قال أبو غسان : إنه دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل .

عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام : في « الموطأ » أنهما كانا في قبر واحد مما يلي المسيل ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانيهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما [1] قد جرح ، فوضع يده على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ، ثم أرسلت ، فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة . انتهى .

وللواقدي نحوه ، وأن عبد الله أصابه جرح ، فيده على جرحه ، فأميطت ، فانبعث الدم ، فردت إلى مكانها ، فسكن الدم .

وفي « الصحيح » عن جابر رضي الله عنه ، أنه دفن مع عبد الله أبيه آخر في قبره ، قال : فلم تطب نفسي أن أتركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية [2] عند أذنه .

فهذا غير القصة السابقة ، ولعل تلك هي التي في زمان معاوية لما رواه أحمد برجال الصحيح خلانبيح الغنوي وهو ثقة في حديث لجابر قال فيه : فبينا أنا في النظارين ، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادي : إن النبي ﷺ أمركم أن ترجعوا بالقتلى فيدفنوا في مصارعهم حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفناهما حيث قتلا ، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إذ جاءني رجل فقال : يا جابر لقد أثار أباك عمال معاوية ، أي حين أجرى العين ، فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير ، إلا ما لم يدع القتال أو القتل ، فواريته .

قال الواقدي : مع عمرو الجموح في القبر خارجة بن زيد ، وسعد بن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحسحاس .

---

(١) هو عبد الله بن عمرو كما صرح به بعد في رواية الواقدي .

(٢) أي : شيء يسير .

قال أبو غسان : قبرهم مما يلي المغرب من قبر حمزة نحو خمسمائة ذراع .

قلت : قد تأملته ، فوجدت ذلك بالربوة التي غربي المسيل الذي هو هناك ، ومجرى العين بقربهم من القبلة .

وقد روي أن مولى عمرو بن الجموح وهو أبو أيمن دفن معهم أيضاً ، وكذا خلاد بن عمرو بن الجموح ، فيسلم على هؤلاء الثمانية هناك .

وأما بقية الشهداء ، فلا تعرف قبورهم . والذي يظهر : أنها بقرب الموضع المذكور ، وقرب قبر حمزة رضي الله عنه بالربوة المذكورة من شاميها ، وقد اتخذ المقر الشجاعي أعلاماً للربوة المذكورة القبلي منها عند القبور التي وصفها أبو غسان ، والشامي منها عند بقيتهم ، وقد سردنا أسماءهم في الأصل .

قال أبو غسان : فأما القبور التي في الحظار بالحجارة بين قبر حمزة وبين الجبل ، فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد ، إذ كان على المدينة ، أي في خلافة هشام بن عبد الملك ، فماتوا هناك ، فدفنهم سؤّال كانوا يسألون عند قبور الشهداء .

وقال الواقدي : هم ماتوا زمن الرمادة ، أي وهو عام جدب كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأما من ذكر أنه دفن بغير أحد من شهدائه .

فلابن شبة عن أبي سعيد الخدري فقال : أمر النبي ﷺ من نقل من شهداء أحد الى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبو مالك بن سنان عند أصحاب العباء ، أي الذين يبيعون العباء ، فدفن ، ثم قال ابن أبي فديك : فقبره في المسجد الذي عند أصحاب العباء ، أي في طرف الحناطين .

ولابن زبالة : فوافوه بالسوق ، فدفن عند مسجد أصحاب العباء ، وهناك كانت أحجار الزيت ، وقد قدمنا ذكر مشهده في الفصل قبله .

وسبق أيضاً دفن قتلى من قتلى أحد بمقبرة بني سلمة .

ونقل ابن شبة أن عبد الله بن سلمة ، والمجذر بن زياد دفنا بقباء ، وأن رافع ابن مالك الزرقي دفن في بني زريق بدار آل نوفل بن مساحق التي في كتاب عروة والله أعلم .

الباب السادس في آبارها المباركات والعين والغراس والصدقات

التي هي للنبي ﷺ منسوبات

وفيه فصلان :

الأول : في الآبار المباركات على ترتيب الحروف .

وفيه فصلان :

الأول : في الآبار المباركات على ترتيب الحروف .

بئر أريس :[1] كجليس نسبة إلى رجل من يهود اسمه أريس ، وهو الفلاح بلغة أهل الشام . في « صحيح مسلم » ، عن أبي موسى الأشعري ، أنه توضأ في بيته ، ثم خرج ، فقال : لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا ، فجاء إلى المسجد ، فسأل عن النبي ﷺ ، فقالوا : خرج وجه هاهنا قال : فخرجت على أثره اسأل عنه حتى دخل بئر أريس قال : فجلست عند الباب ، وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ ، فقمت إليه ، فإذ هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها ، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت ، فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونن بواب رسول الله

---

(١) هذه البئر الآن نضب ماؤها وجهل موقعها بعد إحداث البلدية أمام مسجد قباء للمنافع العامة وموضع البئر دخل ايضاً في المنافع .

ﷺ اليوم ، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، قال : ثم ذهبت ، فقلت: يا رسول الله : هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبي بكر رضي الله عنه : ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر ، فجلس على يمين [1] رسول الله ﷺ معه في القف ، ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله ﷺ ، وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يأت به ، فإذا إنسان يحرك الباب : فقلت : من هذا ؟ فقال :عمر ابن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت للنبي ﷺ ، فسلمت عليه ،وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » قال : فجئت عمر رضي الله عنه فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة ، قال : فدخل ، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ، ودلى رجليه في البئر ، ثم رجعت ،فجلست فقلت : إن يرد الله بفلان خيراً يعني أخاه يأت به ، فجاء إنسان ، فحرك الباب، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رسلك ، قال : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه » فجئت ، فقلت له : ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك . قال : فدخل ، فوجد القف قد ملىء ، فجلس وجاههم من الشق الآخر ، قال شريك : قال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم .

وفي « صحيح البخاري » عن أنس قال : كان خاتم رسول الله ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده ، وفي يد عمر بعد أبي بكر ، قال : فلما كان عثمان

---

(١) في نسخة : عن يمين .

جلس على بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعبث به ، فسقط . قال :فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر ، فلم يجده .

وفي صحيح مسلم » ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنه سقط من معيقيب .

ولابن زبالة عنه : سقط من عثمان أو من معيقيب على الشك .

وللنسائي وابن شبة عنه « أن الكتب لما كثرت على عثمان ، دفعه إلى رجل من الأنصار ، فكان يختم به ، فخرج إلى قليب لعثمان فوقع فيها ، فالتمس فلم يوجد .

ومعيقيب ، دوسي لكن قد يوصف المهاجري بذلك بالمعنى الأعم ، وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافه ، فكان مبتدأ الفتنة .

ولابن زبالة عن ابن كعب القرظي ، قال : ـ يعني ـ سقط الخاتم من عثمان رضي الله عنه في بئر الخريف التي في بئر أريس ، فعلق عليها اثني عشر ناضحا ، فلم يقدر عليه حتى الساعة .

ولذا نقل ابن شبة عن أبي غسان ماملخصه : سقوط الخاتم ببئر أريس ، وأنه قال : وسمعت من يقول : إنما سقط في بئر في صدقته يقال لها : بئر خريف يعني من آبار المال المسمى ببئر أريس ، وهو صدقته ، لقوله : ابتاع عثمان بئر أريس فيها مال يقال له : الدومة ، وسهمه الذي أعطاه رسول الله ﷺ من أموال بني النضير ، وفيها كيدمة [1] مال كان لعبد الرحمن بن عوف ، وأن أريس الذي نسب إليه المال من يهود بني محمم كان له ذلك المال ، وفيه بئر غاض [2] فجمعها عثمان في حصار واحد وهي سبعة أموال ، فتصدق بها ، وكان

---

(١) بالفتح وسكون التحتية وفتح الدال المهملة والميم ثم هاء ، ذكر في أسماء الاماكن فيما يأتي أنها سهم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه باعها من عثمان بن عفان رضي الله عنه . . إلى آخر عبارته الآتية ، ويقال لها : قدامة .

(٢) رسمه هنا بغين وضاد معجمتين بينهما ألف ، والذي رسمه في أسماء الاماكن : عاص بعين وصاد مهملتين فليحرر الصواب .

لصدقته ذكر في حجر منقوش على باب بئر أريس ، فطرحه بعض ولاة المدينة في بئر من تلك الآبار . انتهى .

وهذا يشكل على ما صرح به ابن النجار والغزالي ، وتبعها من بعدهما ، من أن بئر أريس هي المقابلة لمسجد قباء في غربيه ، لأن الدومة معروفة بالعالية ، وكيدمة تعرف اليوم بكيادم [1] قرب المشربة ، وتلك جهة أموال بني النضير ، ويزيل الإشكال قوة قول ابن زبالة .

وأما الدلال والصافية ، فيشربان من سرح عثمان بن عفان الذي يشق من مهزور في أمواله ، يأتي على أريس وأسفل منه حتى يتبطن السورين ، فصرفه ، أي : عثمان رضي الله عنه مخافة على المسجد في بئر أريس ، ثم في عقد أريم في بلحارث ابن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان . انتهى . ومهزور لا يصل إلى قباء بوجه .

وفي « تخريج أحاديث الإحياء للغزالي » أنه لم يقف على أصل لحديث تفله ﷺ في بئر أريس الذي ذكره الغزالي .

قلت : ومن الغريب قول العز بن جماعة في « منسكه » ، قد صح أن النبي ﷺ تفل فيها .

قال ابن النجار عقب ذكر ذرعها ، وطول قفها الذي جلس عليه النبي ﷺ وصاحباه ثلاث أذرع تشف كفاً ، وهي تحت أطم عال خراب من جهة القبلة في أعلاه مسكن .

قلت : ولما بنى متولي العمارة السبيل والبركة المقابلين لمسجد قباء رفع قف البئر المذكور نحو ثلاثة أذرع ، ولهذه البئر درجة تجددت سنة أربع عشرة وسبعمائة على ما بسطناه في الأصل .

---

(١) هذا في زمانه المصنف ، وأما اليوم فتعرف بقدامة ،قاله بعض فضلاء المدينة .

بئر الأعواف أحد الصدقات النبوية .

لابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : توضأ رسول الله ﷺ على شفة بئر الأعواف صدقته ، وسال الماء فيها ، ونبتت نابتة على أثر وضوئه ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

ولابن زبالة : عن عثمان بن كعب ، قال : طلب رسول الله ﷺ سارقاً : فهرب منه ، فنكبه الحجر الذي وضع بين الأعواف وبين الشطبية ، قال ابن عتبة : فوقع السارق ، فأخذه رسول الله ﷺ ، وبرك رسول الله ﷺ في الحجر ومسه ودعا له ، فهو الحجر الذي فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسه الناس .

قلت : الأعواف اليوم جرع كبير قبلته المربوع ، وبشاميه خنافة فيـه آبار متعددة ، والشطبية غـير معروفة ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبي شرقي ما يلي خنافة من الأعواف ، لقوله : مال ابن عتبة ، ويستأنس له بكون الأعواف كانت لخنافة اليهودي .

بئر أنا : بالضم وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح والتشديد كحتى ، وقيل : كحبى لكن بالموحدة بدل النون[1] ، وقيل : غير ذلك .

لابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر ، قال : ضرب رسول الله ﷺ قبته حين حاصر بني قريظة على بئر أنا ، وصلى في المسجد الذي هناك ، وشرب من البئر ، وربط دابته بالسدرة التي في أرض مريم ابنة عثمان .

قلت : وهي غير معروفة ، والناحية مسجد بني قريظة .

بئر أنس بن مالك بن النضر[2] .

---

(١) أي : أُبَا .

(٢) قال الشيخ عبد الجليل براده : بئر أنس رضي الله عنه هي الـتي تسمى اليوم بالأبارية نسبة لجدي من جهة أمي الشيخ محمد الأبار ، فإنه إشتراها وكانت تعرف بالرباطية فبنى فيها وعمر بيوتها فنسب إليه ، والرومية في قبلتها بينهما الطريق ، ودار الفحل خلفها ، متصل بهـا نخل موقوف على سكان رباط عثمان رضي الله عنه .

لابن زبالة عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ استسقى ، فنزع له دلو من بئر دار أنس ، فسكب على اللبن ، فأتي به ، فشرب وأعرابي عن يمينه ... الحديث » . وهو في « الصحيح » بنحوه .

ولأبي نعيم ، عن أنس ، أن النبي ﷺ بزق في بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها . قال : وكانوا إذا أحصروا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى في الجاهلية : البرود .

وسيأتي في بئر السقيا نسبة هذه البئر إلى مالك والد أنس .

ولابن شبة ، عن أنس ، أن النبي ﷺ شرب من بئره التي في داره ، وبين ابن شبة أن دار أنس ببني حديلة .

وتلخص من كلامه ماترجح أنها البئر المعروفة اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة شامي الحديقة المعروفة بالرومية [1] بقرب دار فحل ، وماؤها عذب ، وقال المراغي : إن الفقراء يتبركون بها .

بئر أهاب [2] :

لابن زبالة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، أن رسول الله ﷺ أتى بئر أهاب بالحرة وهي يومئذ لسعد بن عثمان ، فوجد ابنه عبادة بن سعد مربوطاً بين القرنين يفتل ، فانصرف رسول الله ﷺ ، فلم يلبث سعد أن جاء ، فقال لابنه : هل جاءك أحد ؟ قال : نعم ، ووصف له صفة رسول الله ﷺ ،فقال :ذاك رسول الله ﷺ فالحقه ،وحله ،فخرج عبادة حتى لحق رسول الله ﷺ ،فمسح رسول الله ﷺ على رأس عبادة وبرّك فيه ، قال : فمات وهو ابن ثمانين وما شاب . قال : وبصق رسول الله ﷺ في بئرها ، قال : وقال سعد بن عثمان لابنه : لو أعلم أنكم لاتبيعونها لقبرت فيها [3] ،

---

(١) هي المعروفة اليوم بالعينية .

(٢) هي التي يقال لها : زمزم بخارج باب العنبرية .

(٣) أي في حديقتها ، إذ من المعلوم أنه لا يقبر في البئر ، وانظر هذه الشرطية مع أنها بالدفن فيها تكون موقوفة أو مسبلة ، وكل منها يمنع بيعها فتأمل .

فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل ، وابتنى عليها قصره الذي بالحرة مقابل حوض ابن هشام ، وابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب بن سلمة .

وسبق في التاسع من الأول قوله في حديث أحمد : خرج حتى أتى بئر الإهاب ، فقال : يوشك أن يأتي البنيان هذا المكان ، وهي بالحرة الغربية ، كما يؤخذ من كلام ابن زبالة ، غير أنها لا تعرف اليوم بهذا الاسم .

ويتلخص مما ذكرناه في الأصل : أنها المعروفة اليوم بزمزم ، وعندها بطرف جدار الحديقة القبلي الذي بجانبها آثار بناء قديم كان مبنياً عليها ، الظاهر أنه قصر إسماعيل بن الوليد ، وقد قال المطري : لم يزل أهل المدينة قديماً وحديثاً يتبركون بها ، وينقل إلى الآفاق من مائها ، كما ينقل من زمزم يسمونها أيضاً زمزم لبركتها .

قلت : ويتعجب منه كيف يقول ذلك ، مع أن الظاهر أنها بئر فاطمة بنت الحسين التي احتفرتها لما أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وشراها ابن هشام لأنه لقي في موضع حفيرته بالحوض جبلا ، وكأنه لم يتحرر للمطري أن بئر إهاب في هذه الجهة .

بئر البصة : بضم الموحدة وتخفيف الصاد المهملة ، كما هو الدائر على ألسنة أهل البلد .

قال المجد : إنه بالتشديد ، كأنه من بصّ الماء بصّاً : إذا رشح . قال : وإن روي بالتخفيف ، فمن وَبَصَ يبِصُ وَبْصاً وبِصَةً كوعد يعِدُ وَعْداً وعِدَةً : إذا بلغ ، أو من وبص لي من المال ، أي : أعطاني .

لابن عدي : عن أبي سعيد الخدري ، قال : كان رسول الله ﷺ يأتي الشهداء وأبناءهم ، ويتعهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوماً أبا سعيد الخدري ، فقال : هل عندك من سدر أغسل به رأسي ، فإن اليوم الجمعة . قال : نعم ، قال : فأخرج له سدراً ، وخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله ﷺ رأسه ، وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة .

قال ابن النجار : وهي قريبة من البقيع على طريق قبـــاء بين نخل ، وقد هدمها السيل ، وفيهـــا ماء أخضر ، وعرضها سبعة أذرع ، فهذا منه جزم بأنها الكبرى التي في قبلي الحديقة ، وقد عمرت بعده ، وهناك بئر أصغر منها .

قال المطري : والنـاس يختلفون فيها أيتها بئر البصة ، والصغرى عرضها ستة أذرع التي تلي أطم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري .

ونقل المطري عمن أدرك ترجيح أنها القبلية .

قلت : لعله ناشىء عن تقليد ابن النجار ، وإلا فقد قال ابن زبالة في الأطم المذكور : إنه الذي يقال لبئره : البصة ، والكبرى لا تنسب للأطم لبعدها منه ، وقد ابتنى الزكوي بن صالح على محل الأطم منزلا ، واتخذ للبئر الصغرى درجة ، والحديقه المذكورة وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البدري الشهابي على الصادر والوارد من الفقراء ، قاله المطري .

بئر بُضاعة : بضم الموحدة على المشهور ، وحكي كسرها وبفتح الضاد المعجمة وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، ثم هاء ، غربي بيرحاء إلى جهة الشمال .

ولأبي داود وأحمد وصححه الترمذي وحسنه وغيرهم ، عن أبي سعيد الخدري ، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقال له : إنه يستقى لك من بئر بضاعة ، وهي بئر يلقى فيها لحوم الكلاب والمحايض وعذر الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « الماء طهور لا ينجسه شيء » . وزاد الدارقطني : من بئر بضاعة بئر بني ساعدة ، وابن ماجـه : إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه .

وللنسائي : عن أبي سعيد قال : مررت بالنبي ﷺ وهو يتوضأ من بئر بضاعة ، فقلت : أتتوضأ منها وهي يطرح فيها ما يكره من النتن ؟ فقال : « الماء لا ينجسه شيء » .

ولابن شبـة عن سهل بن سعد ، أن النبي ﷺ بصق في بضاعة ، وأنه سقاه بيده منها .

وللطبراني برجال ثقات عنه : سقيت النبي ﷺ بيدي من بئر بضاعة .

وله أيضاً عنه ، أن النبي ﷺ برك على بضاعة .

ولابن زبالة عن أبي أسيد ، أن النبي ﷺ دعا لبئر بضاعة .

وفي « الكبير » للطبراني ، عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد .

وله أيضاً : بئر بضاعة قد بصق فيها النبي ﷺ ، فهي يتبشر بها ويتيمن بها ، قال : فلما قطع أبو أسيد ثمر حائطه جعله في غرفة ، فكانت الغول تخالفه وتسرق ثمره ، فشكا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : تلك الغول فاستمع عليها ، فإذا سمعت اقتحامها ، فقل : « بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ ، فقالت الغول : يا أبا أسيد اعفني أن تكلفني أن أذهب إلى رسول الله ﷺ وأعطيك مَوْثِقاً من الله أن لا أخالفك إلى بيتك ، وأدلك على آية تقرؤها على بيتك ، فلا تخالف إلى أهلك وتقرؤها على إنائك ، فلا يكشف غطاؤه ، فأعطته الموثق الذي رضي به منها ، فقالت : الآية (آية الكرسي) ، فأتى النبي ﷺ ، وقص عليه القصة حيث دلته ، فقال النبي ﷺ : صدقت وهي كذوب . قال الهيثمي : رجاله وثقوا كلهم ، وفي بعضهم ضعف .

وقال المجد في الخبر : إن النبي ﷺ أتى بئر بضاعة ، فتوضأ من الدلو وبصق فيها ، وكان إذا مرض المريض في ايامه يقول : اغسلوني من ماء بضاعة ، فيغسل ، فكأنما نشط من عقال .

وقالت أسماء بنت ابي بكر : كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة ايام ، فيعافون . انتهى .

وفي سنن ابي داود : سمعت قتيبة بن سعيد يقول : سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها اكثر ما يكون فيها الماء ، قال : إلى القامة[1] . قلت : فإذا نقص ؟ قال : دون

---

(١) في نسخة : إلى العانة .

العورة ، قال ابو داود : وقدرت بئر بضاعة بذراعي [١]، فإذا عرضها ستة اذرع ، وسألت الذي فتح باب البستان ، هل غير بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ،ورأيت فيها ماءً متغير اللون ، وهي كما قال المطري : في جانب حديقة عند طرف حديقة الشامي ، والحديقة في قبلة البئر ، وتسقى منها الحديقة الأخرى شمالي البئر ، وهي بينهما ، وماؤها عذب طيب ، وقد شراها مع الحديقتين ، وجعلها واحدة ، واتخذ بها مسجداً فيه بركة عند البئر ، ورفع قفها يسيراً الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الخدام ، وعمرها ، ثم بنى بها منزلا وبركة ، إلى جانبه موضع الأطم الذي في شاميها ، واحتفر بئراً صغيرة هناك ، فلا يشتبه ببئرها الأصلية ، ولم تزل بئر بستان . ولذا قال ابن سلمة : فيرسل إلى بضاعة نخل بالمدينة [٢] .

فقوله : يلقى فيها الحيض ، أي تلقى في البستان فيجريها المطر ونحوه للبئر ، كما قال الاسماعيلي . وادعى الطحاوي أنها كانت سيحاً ، ورواه عن الواقدي أن المياه كانت تسيح فيها بما ذكر .

بئر جاسوم ، ويقال : جاسم بالجيم .

سبق في مسجد راتج شربه ﷺ منها .

ولابن شبة وابن زبالة : عن خالد بن رباح ، أن النبي ﷺ شرب من جاسوم .

بئر أبي الهيثم بن التيهان : وعن زيد بن سعد ، قال : جاء النبي ﷺ معه أبو بكر رضي الله إلى أبي الهيثم بن التيهان في جاسوم ، فشرب من جاسوم ، وهي بئر أبي الهيثم ، وصلى في حائطه .

وللواقدي عن الهيثم بن نصر الأسلمي ، قال : خدمت النبي ﷺ ولزمت بابه ،

---

(١) في نسخة : بردائي .

(٢) بدل من بضاعة ، وغرضه بذلك أن بضاعة اسم لحديقة تلك البئر حتى يظهر كونها تلقى فيها الجيف ولحوم الكلاب ، ثم يستسقى منها ، وإلا فكيف يلقى ذلك في نفس البئر ثم يسقى منها ، فتأمل .

فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم ، وهي بئر أبي الهيثم بن التيهان ، وكان ماؤها طيباً ، وذكر قصة يؤخذ منها أن أبا الهيثم هو الرجل الذي دخل عليه النبي ﷺ ومعه صاحب له ، فقال له النبي ﷺ : « إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة في شن ، وإلا كرعنا » كما في « الصحيح » ، وهذه البئر لا تعرف اليوم ، وجهتها في جهة مسجد راتج .

بئر جمل : بلفظ الجمل من الإبل .

لابن زبالة : عن عبد الله رواحة وأسامة بن زيد ، قالا : ذهب رسول الله ﷺ الى بئر جمل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله ﷺ ، ودخل معه بلال ، فقلنا له : لا نتوضأ حتى نسأل بلالاً كيف توضأ رسول ا ﷺ ، فسألنـــاه فقال : توضأ رسول الله ﷺ ، ومسح على الخفين والخمار .

وفي « الصحيح » : أقبل النبي ﷺ نحو بئر جمل ، فلقيه رجل ، فسلم عليه. وللدارقطني : أقبل من الغائط ، فلقيه رجل عند بئر جمل .

وفي رواية : ذهب نحو بئر جمل ليقضي حاجته ، فلقيه رجل عند بئر جمل ، وهو مقبل ، فسلم عليه ... الحديث » .

وقال المجد في رواية النسائي : أقبل من نحو بئر جمـل ، وهو من العقيق ، وهي بئر معروفة بنـاحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال المدينة ، سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حفرها . انتهى .

وتبع في ذلك ياقوت ، والمعروف بقضاء الحاجة ناحية بئر أبي أيوب شامي البقيع ، وسبق في الثالث من الباب الثالث في بروك الناقة بين أظهر بني النجار ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشي ببئر حمل ، وسبق في الدور المطيفـــة بالمسجد

مايقتضي أنه المعروف اليوم عند مؤخر المسجد من المشرق بخرق الجمل [1] يصل إلى سور المدينة .

فالأصوب : أنها بتلك الناحية ، ولذا قال في رواية : إن الرجل توارى في السكة ، وكأن المطري لم يقف على ما سبق عن ابن زبالة فيها ، فلذا قال ما حكيناه في الأصل .

بيرحا : [2] بفتح الموحدة وكسرها ، وبفتح الراء وضمها ، وبالمدّ فيهما ، وبفتحهما والقصر ، فيعلى من البراح ، وهو الأرض المنكشفة .

وقال البكري : جاء على وزن حرف الهجاء ، بالمدينة مستقبل المسجد ، إليها ينسب بيرحاء ، فالاسم مركب ، فتعرب الراء بحسب العامل .

وأنكر بعضهم إعراب الراء وقال : هي مفتوحة على كل حال ، واختلف في « حاء » هل هورجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البئر ؟

وفي « الصحيح » : عن أنس ، كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ... الحديث » .

وفي رواية له : وكانت حديقة ، كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل فيها ، ويشرب من مائها ، وفي هذه الرواية : فتصدق به ، أي بهذا المال أبو طلحة على ذوي قربى رحمه ، قال : وكان منهم أبي ، وحسان ، فباع حسان حصته منه من معاوية ، فقيل : تبيع صدقة أبي طلحة ؟ فقال : ألا أبيع صاعاً من تمر بصاع

---

(١) كان زقاقاً يقابل المقبل من ناحية الشمرشورة ، ثم في سنة ١٢٦٩ هـ عمرت الدار الكبرى ، وأدخل الزقاق في الدار المذكورة ، فلم يبق لخرق الجمل أثر ، وأما الطريق التي بين المكتب والدار فإنها حادثة عند بناء المكتب في سنة ١٣١٨ هـ .

(٢) كانت بستاناً فيه نخل وسانية ، وله بئران ، وفي عام ١٣١٤ هـ تصرفوا فيه وباعوا أنقاضه ، وحكروا أرضه ، فبنيت فيه بيوت ومدرسة ودكاكين وغير ذلك .

من دراهم ؟ قال : وكانت تلك الحديقة في موضع قصر بني حديلة الذي بناه معاويه.

ولابن عبد البر : وكانت دار أبي جعفر المنصور ، والدار التي تليها إلى قصر بني حديلة حائطاً لأبي طلحة يقال لها : بيرحاء .

وقال ابن شبة : إن معاوية بن أبي سفيان بنى قصر بني حديلة ليكون حصناً ، وفي وسطه بيرحاء ، وله بابان باب شارع على خطة بني حديلة ، وباب في الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التيمي .

قال ابن النجار : وبيرحاء اليوم في وسط حديقة صغيرة جداً قريبة من سور المدينة ، وماؤها عذب .

قال المطري : هي شمالي السور بينها الطريق ، تعرف الآن بالنويرة ، اشتراها بعض نساء النويريين ، أي : خطباء مكة اليوم ، ووقفها على الفقراء والمساكين .

قال المجد : وفي وسطها مسجد صغير أمام البئر إلى القبلة .

قلت : والظاهر : أن بعضها اليوم داخل السور ، وحش طلحة المتقدم في شامي المسجد من المغرب منسوب إلى صاحبها .

بئر حلوة : بالحاء المهملة .

لابن زبالة عن عيسى بن عبد الله بن محمد عن أبيه ، قال : نحر رسول الله ﷺ جزوراً ، فبعث إلى بعض نسائه بالكتف ، فتكلمت في ذلك بكلام ، فقال رسول الله ﷺ : « أنتن أهون على الله من ذلك » ، وهجرهن ، وكان يقيل تحت أراكة ، على حلوة ، بئر كانت هناك في الزقاق الذي فيه دار آمنة بنت سعد ، وبه سمي الزقاق زقاق حلوة [1] ويبيت في مشربه ، فلما مضت تسع

---

(١) تقدم أن زقاق حلوة هو المعروف اليوم بزقاق الطوال كما ذكره المؤلف عند ذكر البلاط ، وهذا الزقاق فيه قبر والد رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار النابغة كما بين في محله ، وفيه بئر في رباط الحضارم يتبرك الناس بها يزعمون أنها بئر أنس رضي الله عنه ، ولعلها هي بئر حلوة المذكورة .

وعشرون ليلة ، دخل على عائشة ، فقالت : إنك آليت شهراً ، قال : إن الشهر يكون تسعاً وعشرين ليلة .

وهذه البئر لا تعرف اليوم ، وسبق بيان جهتها في ميسرة البلاط .

بئر ذرع : بالذال المعجمة .

لابن زبالة حديث : أتى رسول الله ﷺ بني خطمة ، فصلى في بيت العجوز ثم في مسجدهم ، ثم مضى إلى بئرهم ذرع ، فجلس في قفها ، فتوضأ ، وبصق فيها .

ولابن شبة عن الحارث بن الفضل ، أن النبي ﷺ توضأ من ذرع بئر بني خطمة التي بفناء مسجدهم .

وعن رجل من الأنصار : أن النبي ﷺ بصق فيها وهي عين معروفة ، وجهتها تقدمت في مسجد بني خطمة .

بئر رومة : بالضم كسوقة . وقيل : بعد الراء همزة ساكنة .

لابن زبالة حديث : « نعم القليب قليب المزني فاشترها يا عثمان فتصدق بها » .

وحديث : « نعم الحفيرة حفيرة المزني » يعني رومة ، فلما سمع ذلك عثمان رضي الله عنه ابتاع نصفها بمائة بكرة ، وتصدق بها ، فجعل الناس يسقون منها فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها ، باع من عثمان النصف الآخر بشيء يسير ، فتصدق بها كلها .

ولابن شبة عن الزهري ، أن النبي ﷺ قال : من يشتري رومة بشرب رواء [1] في الجنة ، فاشتراها عثمان من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الله بن حبيب السلمي ، قال : قال عثمان : أنشدكم الله ، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من اشترى بئر رومة ، فله مثلها من الجنة » وكان

(١) أي ماء من إضافة السبب إلى المسبب ، إذا الشرب : النصيب من الماء ، والرواء : الحبل الذي يستخرج به الماء .

الناس لا يشربون منها إلا بالثمن ، فاشتريتها بمالي ، فجعلتها للفقير والغني وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وللنسائي والترمذي وحسنه : أن عثمان قال : أنشدكم بالله والإسلام ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين ... الحديث ؟ » .

وفي « الصحيح » ، أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم فقال : أنشدكم بالله ، ولاأنشدإلا أصحاب النبي ﷺ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر بئر رومة فله الجنة ، فحفرتها ... الحديث . وفيه : فصدقوه بما قال .

والمعروف : أن عثمان رضي الله عنه شراها . ولذا قيل : إن ذكر الحفر وهم من بعض الرواة ، وقد يجمع بأنه رغب في شرائها فاشتراها ، ثم احتاجت إلى الحفر ، فرغب فيه فحفرها .

وللبغوي في الصحابة عن بشير الأسلمي : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها : رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له النبي ﷺ : « بعنيها بعين في الجنة » فقال : يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها ، فبلغ عثمان ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ... الحديث ».

وتسميتها فيه عيناً غريب جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين في الجنة ، وجاء تسمية صاحبها برومة الغفاري ، ولا ينافيه كونها حفيرة المزني .

ولابن عبد البر : أنها كانت ليهودي يبيع ماءها على المسلمين ، فقال النبي ﷺ : « من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة » ؟ فأتى عثمان اليهودي ، فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان رضي الله عنه نصفها باثني عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان :

إن شئت جعلت لنصيبي قرنين ، وإن شئت فلي يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولي يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون وما يكفيهم يومين ، فلما رأى ذلك اليهودي ؛ قال : أفسدت علي ركيتي ، فاشتر النصف الآخر ، فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهي بئر جاهلية لما نقله ابن زبالة عن غير واحد في الاستقاء لتبع منها لما نزل بقناة وهي بأسفل العقيق قرب مجتمع الأسيال ، وكانت قد خربت ونقضت حجارتها كما أشار إليه المطري وابن النجار ، فأحياها وجددها قاضي مكة الشهاب أحمد بن محمد المحب الطبري في حدود الخمسين وسبعمائة ، ومن الغريب قول عياض : رومة بئران مشهورتان بالمدينة .

بئر السقيا : بضم السين المهملة وسكون القاف ، سبق ذكرها وبيانها في مسجد السقيا .

ولابن شبة عن جابر بن عبد الله ، قال : قال لي أبي : يا بني إنا اعترضنا هاهنا بالسقيا حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفرنا بهم ، ثم عرضنا النبي ﷺ بها متوجهاً إلى بدر ، فإن سلمت ورجعت ابتعتها ، وإن قتلت فلا تفوتنك ، قال : فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس ، ووجدت سعد بن أبي وقاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض الفلحان ، واسم البئر السقيا .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا . وفي رواية : من بيوت السقيا . ورواه أبو داود بهذا اللفظ وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وللواقدي من حديث سلمى امرأة أبي رافع ، قالت : كان أبو أيوب حين نزل عنده النبي ﷺ يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا ،

وكان رباح عبده الأسود يسقي له من بئر غرس مرة، ومن بئر السقيا مرة ، وهذه السقيا هي التي ذكر المطري أنها في آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علي بالمحرم ، قال : وهي مليحة منقورة بالجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالي أي من المغرب بناء مستطيل مجصص .

قلت : كأنه كان حوضاً أو بركة لمورد الحجاج أيام نزولهم هناك ، وقد جددها بعض فقراء العجم سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، فصارت تعرف ببئر الأعاجم[1]، وتردد المطري في أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم البئر المعروفة بزمزم لتواتر التبرك بها ؟ ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هذه .

قلت : وقد انجلى الحال بظهور مسجدها كما سبق ، وقال أبو داود عقب ذكره حديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان .

قلت : والعين المذكورة معروفة بطريق مكة القديمة ، وهي من عمل الفرع على ما قاله المجد ، إلا أنها ليست المرادة هنا ، فكأنه لم يطلع على أن بالمدينة سقيا أيضاً ، وقد اغتر به المجد فقال : وقول أبي بكر بن موسى : السقيا : البئر بالمدينة ، منها كان يستقى لرسول الله ﷺ ، محمول على هذا ، أي : ما ذكره قتيبة ، لأن الفرع عمل من أعمال المدينة ، وقد ذكرنا بقية كلامه في الأصل ، وأوضحنا رده ، وكأنه لم يقف على كلام ابن شبة وغيره من المتقدمين فيها ، ومن العجيب قوله : إن هذه البئر التي ذكرها المطري لم يكن عندها بيوت في وقت ، ولم ينقل ذلك ، إذ من تأمل ما قرب منها علم أنه كان هناك قرى متصلة ، وليت شعري أين هو من مسجدها الذي أهمله كغيره ، ومنَّ الله بمعرفته هناك .

---

(١) في نسخة : الاعجام .

بئر العقبة : بعين مهملة ثم قاف .

قال المجد ، ذكرها رزين في الآبار ، وقال : هي التي أدلى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، والمعروف أن القصة ببئر أريس . انتهى .

والذي رأيته في كتاب رزين مالفظه : وبئر أريس الذي سقطفيها الخاتم ، وبئر القف الذي أدلى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها . انتهى .

ولأحمد والطبراني من وجوه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحو قصة بئر أريس كان هو البواب فيها ، وقال : بجش من حشان المدينة ، وبعض أسانيدها رجاله رجال الصحيح ، وسيأتي في الأسواق قصة مثلها ، فاقتضى تعدد ذلك .

بئر أبي عنبة : بلفظ واحدةالعنب ،

قال ابن سعد في غزوة بدر : وضرب رسول الله ﷺ عسكره على بئر أبي عنبة ، وهي على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ، ورد من استصغر . انتهى .

ولذا قال المطري : عقب ماسبق في السقيا : ونقل الحافظ عبد الغني أنه عرس جيشه على بئر أبي عنبة بالحرة فوق هذه ، أي : السقيا إلى المغرب .

قلت : لعل العرض الأول عند المرور بالسقيا ، ثم أعيد بعد نزوله بهذه لرد من استصغر ، ولعل هذه هي المعروفة اليوم ببئر وادي ، وهي أعذب بئر هناك ولذا قال عمر لما اختصم في ابنه عاصم مع جدته إلى أبي بكر رضي الله عنه :ابني ويستقي لي من بئر أبي عنبة .

بئر العهن ، بالكسر ثم السكون ،وهو لغة : الصوف الملون .

قال المطري : إنه رأى بخط ابن عساكر على أخبار المدينة لابن النجار ، أن السابقة يعني التي ترك ذكرها ابن النجار من الآبار اسمها بئر العهن بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سدرة ، ولها اسم آخر مشهورة به .

قال المطري عقبه :« وبئر العهن » هذه المعروفة بالعوالي مليحة جداً ، منقورةفي الجبل ، وعندها سدرة .

قال الزين المراغي : والسدرة مقطوعة اليوم . انتهى . والذي ظهر لي بعد التأمل : أن العهن هي بئر اليسيرة الآتية ، ولعله الاسم الآخر الذي أشار إليه ابن عساكر لأنها لبني أمية من الأنصار ، والعهن عند منازلهم .

بئر غرس، بالضم ثم السكون ،كما في خط المراغي ، ويقال : الأغرس .

ويقال المجد : بئر غرس بالفتح ثم السكون ، والغرس: الفسيل أو الشجر الذي يغرس ، مصدر غرس الشجر ، وضبطه بعضهم بالتحريك مثال : شجر ، قال : وسمعت كثيراً من أهل المدينة يضمون الغين . والصواب الذي لامحيد عنه ماقدمته أي من الفتح ، وهي بئر بقباء شرقي مسجدها على نصف ميل من جهة الشمال ، ويعرف مكانها اليوم وماحولها بالغرس .

قال : وحولها مقابر لبني حنظلة .

قلت : أظنه تصحيف خطمة ، وتقدم في بئر السقيا أن رباحا كان يستقي للنبي ﷺ من بئر غرس مرة ، ومن بيوت السقيا مرة .

ولابن حبان في الثقات ، عن أنس أنه قال : ائتوني بماء من بئر غرس ، فأني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ .

ولابن ماجه بسند جيد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أنا مت فغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس » ، وكانت بقباء ، وكان يشرب منها .

وليحيى أن النبي ﷺ قال : « يا علي إذا أنا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أوكيتهن » .

وله عن محمد الباقر : أنه ﷺ غسل من بئر يقال لها : بئر غرس لسعد بن خيثمة ، وكان يشرب منها .

ولابن شبة عن سعيد بن رقيش ، أن النبي ﷺ توضأ من بئر الأغرس ، فأهراق بقية وضوئه فيها .

ولابن زبالة عنه : جاءنا أنس بن مالك بقباء ، فقال : أين بئركم هذه ، يعني : بئر غرس ، فدللناه عليها ، قال : رأيت رسول الله ﷺ جاءها وإنها لتسنى على حمار بسحر ، فدعا النبي ﷺ بدلو من مائها فتوضأ منه ، ثم سكبه فيها ، فما نزفت بعد .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، قال رسول الله ﷺ : « إني رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة » ، فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها وبزق فيها ، وأهدي له عسل فصبه فيها .

قال المطري : وكانت هذه البئر قد خربت ، فجددت بعد السبعمائة ، وهي كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها تغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ، فاشتراها وما حولها الخواجا حسين بن الشهاب أحمد القاواني ، وحوّط عليها حديقة وعمرها ، وجعل لها درجة ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً عام اثنين وثمانين وثمانمائة .

بئر القراصة ،بالقاف ثم الراء كما في بعض النسخ ، وفي بعضها ، بالعين بدل القاف وضاد معجمة ، وأظنه الصواب ، لكن في حرف القاف من « الروض المعطار » القراصة بكسر أوله ، وبالصاد المهملة بالمدينة ، بها كان حائط جابر بن عبد الله وذكر قصة عرض ولده أصلها وثمرها على غرمائه .

ولابن زبالة عن جابر بن عبد الله ، قال : لما استشهد أبي ، عرضت على غرمائه القراصة أصلها وثمرها بما عليه من الدين ، فأبوا أن يقبلوا ، واقتص الحديث . وفيه : فخرج رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فبصق في بئرها ، ودعا الله أن يؤدي عن عبد الله ، وفيه : أنه أوفى الغرماء حقوقهم ، وفضل منها مثل ما كانوا يجدون كل سنة ، وهي غير معروفة ، إلا أنها غربي مساجد الفتح في

جهة مسجد الخربة كما سبق ، وأصل هذا الحديث في الصحيح.

وفي بعض طرقه :وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة .

وفي رواية لأحمد : فلما دخل رسول الله ﷺ في مالي ، أتى الربيع فتوضأ منه ، ثم قام إلى المسجد ، فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لي ، فبسطت له بجاداً[1] من شعر ... الحديث » .

بئر القريصة : لم أر من ضبطها ، وأظنها مصغر القرصة المتقدمة في مسجد القرصة .

لابن زبالة : عن سعد بن حرام ، والحارث بن عبيد قالا : توضأ رسول الله ﷺ من بئر في القريصة بئر حارثة ، أو شرب وبصق فيها ، وسقط فيها خاتمه ، فنزع .

وفي شرقي المدينة قرب القرصة بئر تعرف بالقريصة ، فإن صح الضبط المتقدم كانت هي هذه .

بئر اليسيرة من اليسر ضد العسر .

لابن زبالة : عن سعد بن عمرو ، قال : جاء رسول الله ﷺ بني أمية بن زيد ، فوقف على بئر لهم ، فقال لهم : ما اسمها ؟ قالوا : عسيرة ، قال : لا، ولكن اسمها اليسيرة ، قال : وبصق فيها وبرّك فيها .

ولابن شبة عن حارثة الأنصاري نحوه ، فزاد : وتوضأ .

وروى ابن سعد في « طبقاته » ، عن عمر بن أبي سلمة ، أن النبي ﷺ سماها اليسيرة ، وأن أباه أبا سلمة غسل بعد موته بين قرنيها . وسبق في العهن أن الظاهر أنها هذه ، فتكون عدة الآبار المأثورة تسع عشرة بئراً ، فحصرها في سبع مردود ، ولكن الذي اشتهرت معرفته من ذلك سبع ، ولذا قال في « الإحياء » : وهي سبعة آبار .

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديثها : وهي بئر أريس ، وبيرحاء ، وبئر

---

(١) بجاد ، ككتاب : كساء مخطط قاله بعض العلماء .

رومة ، وبئر غرس ، وبئر بضاعة ، وبئر البصة ، وبئر السقيا ، أو بئر العهن ، أو بئر الجمل ، فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاثة ، ثم ذكر شيئاً من فضائل هذه الآبار إلا العهن ، لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ، والمشهور اليوم عند أهل المدينة أن السابعة هي العهن .

ولذا قال أبو اليمن الزين المراغي فيما أنشدنيه عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج :

إذا رمت آبار النبيّ بطيبـــة ... فعدّتها سبع مقالا بلا وهن[1]
أريس وغرس رومـة وبضاعـة ... كذا بصة قل بير حاء مع العهن[2]

تتمة في العين المنسوبة للنبي ﷺ والعين الموجودة اليوم .

لابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك ، أن النبي ﷺ توضأ من العينة التي عند كهف بني حرام ، قال : وسمعت بعض مشيختنا يقول : قـد دخل النبي ﷺ ذلك الكهف .

ولابن زبالة عن جابر ، قال : كانوا أيام الخندق يخرجون برسول الله ﷺ ، ويخافون البيات ، فيدخلونه كهف بني حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقر رسول الله ﷺ العيينة التي عند الكهف ، فلم تزل تجري حتى اليوم .

قال ابن النجار عقبه : وهذه العين في ظاهر المدينة ، وعليها بناء ، وهي في مقابلة المصلى .

وقال المطري عقبه : أما الكهف فمعروف في غربي جبل سلع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة مقابلة حديقة نخل ، تعرف بالغنيمية ، أي : المعروفة اليوم بالنقيبية ببطحان .

---

(١) في نسخة : فعدتها سبع أتتك بلا وهن . وفي نسخة : فعدتها ياصاح سبع بلا وهن .

(٢) يقول السيد عباس رضوان : نظمت هـذه الآبار في قولي :

آبار طه بالمدينــة سـبعة ... منظومة كالدر بل هي أنفس
عهن أريس بصـة وبضاعة ... غرس ورومه بيرحا هي تؤثر

وإثبات التاء في سبعة للضرورة لأن البئر مؤنث .

قـال : وفي الوادي عين تأتي من عوالي المدينـة تسقي ماحول المساجد من المزارع ، وتعرف بعين الخيف خيف شامي ، وتعرف تلك الناحية بالسيح .

قلت : وسيأتي عن ابن النجار في الخندق ، أن هذه العين تأتي من قباء ، وهي منقطعة اليوم ، وشرع في إجرائها متولي العمارة الشمس ابن الزمن حتى وصل الموضع الذي يقال : إنه أصلها ، غربي قباء ، ولم تجر .

قال المطري : وأما العين التي ذكر ابن النجار أنهـا مقابلة المصلى ، فهي عين الأزرق[1] ، وهو مروان بن الحكم : أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قبـاء معروفة من بئر كبيرة غربي مسجد قباء في حديقة نخل ، أي المعروفة بالجعفرية ، وتجري إلى المصلى ، وعليها في المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها إلى وجهين مدرجين قبلي وشمالي ، وتخرج العين من القبة من جهـة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهـة الشمال ، قال : وأما عين النبي ﷺ التي ذكر ابن النجار ، فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال : عند الكهف المذكور ، فقد دثرت وخفي أثرها .

قلت : مراد ابن النجار ، أن أصلها عند الكهف ، وأنهـا تجري إلى الموضع الذي عليه البناء في مقابلة المصلى .

وقد وافق ابن النجار على ذلـك ابن جبير ، ووصف المنهل الموجود بالمصلى بنحو ما سبق .

قال المجد : وسببه اشتباه عين الأزرق بعين النبي ﷺ .

قلت : يحتمل أن عين النبي ﷺ كانت تجري هناك أيضاً قبل انقطاعها .

قال المطري : وقد أخذ الحسين بن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمائة منها

---

(١) نسبة لأول من أجراها ، وهو مروان بن الحكم ، يقال له : الازرق لأنه كان أزرق العينين .

شعبة من عند مخرجها من القبة ، فساقها إلى باب المدينة باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التي عند المسجد النبوي من جهة باب السلام ، أي : التي بها السوق اليوم المقابلة للمدرسة الزمنية ، وبنى لها هنالك منهلاً بدرج من تحت الدور يستقي منه أهل المدينة ، وجعل لها مصرفاً من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ، أي : سوق العطارين[1] اليوم ، وما والاه من منازل أمراء المدينة ، ثم يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقي حصن[2] أمير المدينة .

قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها منهلاً يدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فوارة .

قلت : سبق في الرابع عشر من الرابع ، أن الذي فعل ذلك شامة من أمراء الشام مع ما ذكره المطري من سده ، ثم ذكر المطري سير العين من القبة التي بالمصلى إلى الشمال حتى تصل السور ، أي سور المدينة ، قال : فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين ، أي برحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة ، فتصل إلى منهل منها آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك ، وتجتمع هي وما يتحصل من مصلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج يعني الحجاج الآتين من الشأم ، ويسمونها عيون حمزة لظنهم أنها تأتي من ناحيته ، وأنها عين الشهداء التي سبق آخر فصول الباب قبله أن معاوية رضي الله عنه أجراها ، وتلك اليوم داثرة ، وأما هـذه فتمر من شامي سلع ، ولها منهل قرب مسجد الراية ، ثم تسير في المغرب ، فتمر من غربي الجبلين اللذين في غربي مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وبه نخيل بيد أمراء المدينة .

---

(١) يعرف اليوم بسوق الخرازين .

(٢) هو القلعة ، أما الآن فقد تصرفوا فيها ، فأنشؤوا في بعضها الشارع الذي بالباب الشامي وباعوا أنقاضها وبنيت عمارات ودكاكين .

وأما العين التي كان مغيضها عند المسجد المعروف بمصرع سيدنا حمزة رضي الله عنه ، وسبق أن الأمير ودي كان قد جددها ، فأصلها من جهة العالية بين .

وقال البدر ابن فرحون : إن نور الدين الشهيد أجرى العين التي تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التي أجراها معاوية مستبطنة الوادي ، وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى اليوم . انتهى .

والعامة تسمي العين الموجودة اليوم بالعين الزرقاء ، وصوابه : عين الأزرق ، لأن مروان الذي أجراها لمعاوية كان أزرق العينين ، فلقب بالأزرق .

ومن الغرائب ماذكره الميورقي في فضل الطائف ، عن الفقيه أبي محمد بن حمو البخاري[1] عن شيخ الخدام بدر الشهابي أنه بلغه : أن ميضأة وقعت في عين الأزرق بالطائف ، فخرجت بعين الأزرق بالمدينة ، ويذكر أنه كان بالمدينة الشريفة وما حولها عيون كثيرة[2] ، وكان لمعاوية اهتمام بهذا الباب .

قال الواقدي كما في التاسع من الأول : وكان بالمدينة على زمنه صوافي كثيرة ، وكان يجد بالمدينة وأعراضها مائة ألف وسق وخمسون ألف وسق ، ويحصد مائة ألف وسق حنطة .

الفصل الثاني : في صدقاته ﷺ وما غرسه بيده الشريفة .

قال ابن شهاب : كانت صدقات رسول الله ﷺ أموالاً لمخيريق اليهودي .

---

(١) في نسخة : البجائي .

(٢) قال الشيخ عبد الجليل برادة : الذي يظهر من كلام المصنف ، أن هذه العيون والصوافي الكثيرة المذكورة كانت داثرة في زمانه ، ولا يوجد منها إلا عين المصرع ، وعين الشهداء ، والعين الزرقاء ، وقد ظهرت في زماننا في حدود الستين بعد مائتين والالف إلى الآن عيون كثيرة وصوافي عديدة ، تزيد على العشرين . ولا زالوا يتبعونها ويخرجون منها ما يجدون له أثراً اهـ . أقول : وفي زماننا سنة ١٣٩٢هـ نشفت هذه العيون المذكورة الناشر .

قلت : هو بالخاء المعجمة والقاف مصغراً ، قال عبد العزيز بن عمران : بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع .

ونقل الذهبي عن الواقدي : أنه كان حبراً عالماً من بني النضير ، آمن بالنبي ﷺ، ولذا عده الذهبي في الصحابة ، لكن رأيت في أوقاف الخصاف ، قـال الواقدي : مخيريق لم يسلم ، ولكنه قاتل وهو يهودي ، فلمامات دفن في ناحيـة من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه . انتهى .

وقال ابن شهاب : أوصى مخيريق بأمواله للنبي ﷺ ، وشهد أحداً ، فقتل به ، فقال رسول الله ﷺ : « مخيريق سابق يهود ، وسلمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة » .

قال : وأسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي ﷺ : الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصافية ، وحسنا ، ومشربة أم ابراهيم .

فأما الصافية وبرقة والدلال والميثب : فمجاورات بأعلى الصورين من خلف قصر مروان ابن الحكم ، ويسقيها مهزور .

وأما مشربة أم ابراهيم : فذكر ما قدمناه عنه في مسجد المشربة ، ثم قال :

وأما حسنا فيسقيها أيضاً مهزور ، وهي من ناحية القف .

وأما الأعواف : فيسقيها أيضاً مهزور ، وهي من أموال بني محمم . انتهى .

وقال أبو غسان : في الصدقات ، فقال بعض الناس : هي من أموال بني قريظة والنضير .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه : كانت الدلال لامرأة من بني النضير ، وكان لها سلمان الفارسي ، فكاتبته على أن يحييها لهـا ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك النبي ﷺ ، فخرج إليها ، فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الودي فيضعه بيده ، فما غدت منها ودية أن طلعت ، قال : ثم أفاءها الله على رسوله ﷺ .

قال أبو غسان : والذي تظاهر عندنا : أن الصدقات المذكورة من أموال بني النضير ، وسمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا القرظي ، وهما اللتان غرس سلمان ، والأعواف كانت لخنافة اليهودي من بني قريظة .

وقال الواقدي : إن النبي ﷺ وقف الحوائط السبعة المتقدمة سنة سبع من الهجرة ، ثم روي عن الزهري ، أنها أموال بني النضير .

وعن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنها من أموال مخيريق أوصى بها .

وعن عثمان بن وثاب : ما هي إلا من أموال بني النضير ، لقد رجع رسول الله ﷺ من أحد ، ففرق أموال مخيريق .

قلت : ويؤيده ما في سنن أبي داود ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فذكر قصة بني النضير إلى أن قال : فكانت نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاها الله تعالى إياه ، فقال : (ما أفاء الله على رسوله منهم ...) الآية [الحشر : ٦] قال : فأعطى أكثرها المهاجرين ، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة ، أي : الحوائط السبعة كما سيأتي .

ولابن زبالة عن محمد بن كعب : أنها كانت أموالاً لمخيريق ، قال ليهود يوم أحد : ألا تنصرون محمداً ؟ فوالله إنكم لتعلمون أن نصرته حق ، قالوا : اليوم السبت ، قال : فلا سبت لكم ، وأخذ بسيفه فمضى مع النبي ﷺ ، فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فقال : أموالي إلى محمد يضعها حيث شاء ، فهي عامة صدقاته ، وسماها كما سبق ، إلا أنه قال : العواف بدل الأعواف .

وعن بكر بن أبي ليلى ، عن مشيخة من الأنصار ، قالوا : كانت من أموال بني النضير حشان[1] ومزارع وآباراً فغرسها الأمراء بعد .

وعن عثمان بن كعب ، قال : اختلف الناس فيها ، فقال بعضهم : كانت

---

(١) في نسخة : حشاشين .

من أموال بني قريظة والنضير ، وقال : وليس فيها من أموال بني النضير شيء ، إنما صارت أموالهم للمهاجرين نفلاً ، ثم روى ابن زبالة خبر جعفر بن محمد عن أبيه في مكاتبته سلمان ، إلا أنه جعل ذلك في الميثب بدل الدلال ، وأن سلمان كان لناس من بني النضير ، فتلخص أن غراسه ﷺ لسلمان هو الدلال أو الميثب أو البرقة والميثب .

ولأحمد برجال الصحيح ، إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع عن سلمان حديثه الطويل ، وفيه : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كاتب ، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير ، وأربعين أوقية ذهب ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل حتى اجتمع ثلاثمائة ودية ، فقال : اذهب يا سلمان ففقر لها ، ثم قال : فخرج رسول الله ﷺ معي إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، حتى فرغنا .. الحديث » .

والفقير : اسم لحديقة بالعالية قرب بني قريظة من صدقة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . قال ابن شبة في كتاب صدقة علي رضي الله عنه : والفقير لي كما قد علمتم صدقة في سبيل الله . انتهى .

وخفي هذا على بعضهم ، فقال في حديث سلمان قوله : بالفقير ، الوجه إنما هو التفقير . انتهى .

والصواب أنه اسم موضع ، وأهل المدينة ينطقون به مفرداً مصغراً لفقر ضد الغنى .

ولابن زبالة عن محمد بن كعب : كانت بئر غاضر والبرزتان لكعب بن أسد القرظي ، قبضها النبي ﷺ لأضيافه ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وسمعت من يقول : كانت بئر غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبي ﷺ من أموال بني النضير . انتهى .

والبرزتان : حديقتان متجاورتان بالعالية ، يقال لاحداهما اليوم : البرزة ،والأخرى: البريزة مصغرة ، وبئر غاضر غير معروفة .

وأما الصدقات السبع المتقدمة ، فالصافية معروفة اليوم شرقي المدينة بجزع زهيرة ، تصغير زهرة ، وبرقة معروفة اليوم أيضاً في قبلة المدينة ومما يلي المشرق، ولناحيتها شهرة بها ، والدلال جزع معروف أيضاً قبلي الصافية قرب المليكي وقف المدرسة الشهابية ، والميثب غير معروفة اليوم ، ويؤخذ مما سبق من كون هذه الأربعة مجاورات قريبة من الثلاث قبله ، والأعواف جزع معروف بالعالية ؟ تقدم في بئر الأعواف ، ومشربة أم إبراهيم معروفة بالعالية ، تقدمت في المساجد ، وحسنا ضبطه المراغي بخطه بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة ، قال : رأيته كذلك في ابن زبالة ، ولايعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم .

قلت : هو بحاء ثم سين ثم نون في عدة مواضع من كتابي ابن شبة وابن زبالة وغيرهما ، وقد سبق أنها بالقف تشرب بمهزور والحناء شرقي الماجشونية لاتشرب بمهزور ، وسيأتي في القف ما يبين أنه ليس في هذه الجهة ، والذي ظهر لي أن حسنا اليوم هي الموضع المعروف بالحسينيات قرب جزع الدلال ، إذ هو بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وهذه السبع الصدقات النبوية ، وقول رزين : إن الموضع المعروف بالبويرة بقباء صدقة النبي ﷺ ، ولم تزل معروفة للمساكين ، فتغلب عليها بعض الولاة ، وأن بها حصن النضير وحصون قريظة ، وهم كما أوضحناه في الأصل ، ويشير إليه في ترجمة البويرة ، وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة من أبي بكر رضي الله عنها مع سهمه ﷺ بخيبر وفدك ، كما في الصحيح أنها كانت تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبوبكر عليها ذلك ،وقال :لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى

إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ، ثم دفع عمر رضي الله عنه صدقته بالمدينة إلى عليّ وعباس ، وأمسك خيبر وفدك ، وقال : هما صدقة رسول الله ﷺ ، وكانتا لحقوقه التي تعروه ، وفيه أن أبا بكر رضي الله عنه احتج عليهما بقوله ﷺ : « لا نورث ما تركناه صدقة » فغضبت ، وفي الصحيح أيضاً أن علياً والعباس جاءا إلى عمر رضي الله عنهم يطلبان منه ما طلبته فاطمة من أبي بكر ، مع اعترافهما له بأن النبي ﷺ قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » فالوجه أنهما مع فاطمة فهموا من قوله : « ما تركناه صدقة » الوقف ، ورأوا أن حق النظر على الوقف يورث دون رقبته ، ورأى أبو بكر أن الأمر في ذلك له . ولذا لما أعطاها عمر علياً وعباساً أخذ عليهما أن يعملا بما عمل فيها رسول الله ﷺ ، وأبو بكر بعده ، وكانت هذه الصدقة بيد علي ، منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد علي بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، رضي الله عنهم . ثم كانت بيد عبد الله بن حسن ، حتى ولي هؤلاء ، يعني بني العباس ، فقبضوها . قال أبو غسان : صدقات النبيّ ﷺ اليوم بيد الخليفة ، يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها في أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر ما يرى من هي في يده . وقال الشافعي رحمه الله فيما نقله البيهقي : وصدقة رسول الله ﷺ قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها وصدقة عمر قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة علي ، وصدقة فاطمة ، وصدقة من لاأحصي من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة وأعراضها .

قلت : ثم تغيرت الأمور بعد ذلك ، والله المستعان ، وذكرنا في الأصل ما روي أن فاطمة قالت في فدك : إن النبي ﷺ أنحلنيها وما أنفق فيها .

الباب السابع فيما يعزى اليه ﷺ من المساجد التي صلى فيها
في الأسفار والغزوات ، وفيه ثلاثة فصول

الأول : في مساجد الطريق التي كان يسلكها ﷺ إلى مكة في الحج وغيره ، وهي طريق الأنبياء عليهم السلام ، تفارق طريق الناس اليوم بعد الروحاء ومسجد الغزالة ، فلا تمر بالخيف ، ولا بالصفراء ، وقد أوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة .

مسجد الشجرة :

وهي سمرة كان النبي ﷺ ينزل تحتها بذي الحليفة ، كما في « الصحيح » ، ويعرف أيضاً بمسجد ذي الحليفة ، وهي ميقات المدينة .

في « صحيح مسلم » عن ابن عمر : بات رسول الله ﷺ بذي الحليفة مبدأه وصلى في مسجدها . وفي رواية له : كان النبي ﷺ يركع بذي الحليفة ركعتين ، ثم إذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل بهؤلاء الكلمات .. الحديث .

وليحيى عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة صلى في مسجد الشجرة .

ولابن زبالة عنه أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر ، وفي حجه حين يحج ، تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة .

وعن أبي هريرة : صلى رسول الله ﷺ في مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوسطى استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التي كان النبي ﷺ يصلي إليها ، وسيأتي بيان ذي الحليفة والمسافة إليها في ترجمتها .

قال المطري : وهذا المسجد هو الكبير الذي هناك ، فكان فيه عقود في قبلته ، ومنارة في ركنه الغربي الشمالي ، فتهدم على طول الزمان .

قلت : جدده زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية ، فبنى عليه الجدار الدائر عليه اليوم على أساسه القديم عام أحد وستين وثمانمائة ، وموضع المنارة في الركن الغربي باقٍ على حاله ، واتخذ أيضاً الدرج للآبار التي هناك ، والمسجد مربع مساحته اثنان وخمسون ذراعاً ، وفي قبلته مسجد أصغر منه ، بناؤه عمري ، وقد تهدم . قال المطري : ولا يبعد أن يكون النبي ﷺ صلى فيه ، ويؤخذ مما سيأتي عن الأسدي أنه المسجد الآتي بعده .

مسجد المعرّس :

قال أبو عبد الله الأسدي : بذي الحليفة مسجدان لرسول الله ﷺ ، فالكبير الذي يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المعرّس ، وهو دون مصعد البيداء ناحية عن هذا المسجد .

قلت : وليس هناك غير المسجد المتقدم أنه في قبلة المسجد الكبير ، بينهما رمية سهم سبقيّ ، وهو ببطن الوادي ، خرّبه السيل ، فهو المراد . وفي « صحيح البخاري » في باب المساجد التي على طريق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ : عن نافع أن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر ، وفي حجته حين يحج ، تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان اذا رجع من غزو كان في تلك الطريق ، أو في حج أو عمرة ، هبط من بطن وادٍ ، أي وادي العقيق ، فإذا ظهر من بطن وادٍ ، أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرس ثَمّ حتى يصبح ، ليس عند المسجد الذي بحجارة ، ولا على الأكمة التي عليها كان ثَمّ خليج يصلي عبد الله عنده في بطنه كثب ، كان رسول الله ﷺ ثَمّ يصلي ، فدحا السيل بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه .

وفي الحج من « الصحيح » عن ابن عمر أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس ، وأنــه كان إذا رجع صلى بذي

الحليفة ببطن الوادي ، وبات حتى يصبح ، وأنه ﷺ أري وهو في معرسه بذي الحليفه ببطن الوادي أنه قيل له : إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخى المناخ الذي كان عبد الله ينيخ ، يتحرى معرس رسول الله ﷺ ، وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي ، بينهم وبين الطريق وسط من ذلك .

مسجد شرف الروحاء .

قال البخاري عقب ما تقدم من رواية نافع : وأن عبد الله ابن عمر حدثه أن أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء ، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي كان فيه النبي ﷺ يقول : ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر ، أو نحو ذلك . وقال الأسدي : وعلى ميلين من السيالة ، أي من أولها مسجد رسول الله ﷺ ، يقال له : مسجد الشرف ، وبين السيالة والروحاء أحد عشر ميلاً ، وبينها وبين ملل سبعة أميال ، وهي لولد الحسين بن علي وقوم من قريش ، وذكر بها آباراً . قال : وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة ، ناحية عن الطريق ، لولد عبد الله بن حسن كثيرة الماء عذبة . وقال المطري : شرف الروحاء آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل [1] وكانت الصخيرات صخيرات الثمام على يمينك ، وهبطت من ملل ، ثم رجعت عن يسارك فاستقبلت القبلة ، فهذه السيالة ، وكانت قد تجدد فيها بعد النبي ﷺ عيون وسكان ، وكان لها وال من جهة والي المدينة ، ولأهلها أخبار وأشعار ، وبها آثار البناء ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة ، ثم تهبط في وادي الروحاء مستقبل القبلة ، ويعرف اليوم بوادي بني سالم ، بطن من حرب .

قلت : والقبور التي عند المسجد تعرف بقبور الشهداء ، ولعله لكونهم ممن قتل ظلماً من أهل البيت الذين كانوا بسويقة كما يؤخذ مما سيأتي في ترجمتها .

(١) في نسخة : فرش ملل ، ولعله الصواب .

مسجد عرق الظبية :

قال المطري عقب قوله : ثم تهبط في وادي الروحاء مستقبل القبلة ما لفظه : فتمشي وشعب على يسارك إلى أن تدور الطريق بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذي على يمينك ، فأول ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر[1] كبير في قبلته فتهدم ، صلى فيه رسول الله ﷺ ، ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك . انتهى .

وقال الأسدي : وعلى تسعة أميال من السيالة وأنت ذاهب إلى الروحاء مسجد للنبي ﷺ يقال له : مسجد الظبية ، فيه مشاورة النبي ﷺ لقتال أهل بدر ، وهو دون الروحاء بميلين ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ صلى الصبح بعرق الظبية .

ولابن شبة : نزل النبي ﷺ بعرق الظبية ، وهو المسجد الذي دون الروحاء فقال : « أتدرون ما اسم هذا الجبل ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا حَمْتٌ[2] جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله ، ثم قال : هذا سجاسج للروحاء ، وهذا واد من أودية الجنة ، وقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً » ، ورواه الطبراني بسند حسن بنحوه إلا أنه قال : لقد صلى في هذا الوادي ، ويحيى إلا أنه قال : في هذا الموضع ، والترمذي بلفظ أن النبي ﷺ صلى في وادي روحاء ، وقال : لقد صلى في هذا المسجد سبعون نبياً .

قلت : وآثار هذا المسجد اليوم موجودة هناك .

مسجد الروحاء :

ذكر الأسدي : وقال الواقدي في غزوة بدر : ثم سار رسول الله ﷺ حتى

---

(١) نسخة : قبو ، بالواو ، ولعله الصواب .

(٢) حمت ، بفتح المهملة وسكون الميم وبالتاء المثناة : اسم جبل ورقان كما سيأتي في أسماء البقاع .

أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء ، وكان بالروحاء آبار لم يبق اليوم منها سوى واحدة .

مسجد المنصرف :

ويعرف اليوم بمسجد الغزالة ، آخر وادي الروحاء ، مع طرف الجبل ، على يسار الذاهب لمكة ، وقد تهدّم ، ولم يبق إلا رسومه . وقال الأسدي : إنه في سند الجبل ، على ثلاثه أميال من الروحاء يقال له : مسجد المنصرف ، جبل عن يسارك ينصرف منه في الطريق . وقال البخاري في روايته السابقة : وأن ابن عمر كان يصلي إلى العرق الذي عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتني ثمّ مسجد ، فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه ، ويصلي أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ، لتغاير المحلين ، ولفظ ابن زبالة : وبالمنصرف عند العرق من الروحاء . وقال المطري : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل النازية موضعاً كان ابن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منزل رسول الله ﷺ وكان ثمّة شجرة ، كان ابن عمر إذا نزل هذا المنزل فتوضأ صب فضل وضوئه في أصل الشجرة ، ويقول : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل ، وورد أنه كان يدور بالشجرة أيضاً ، ثم يصب الماء في أصلها اتباعا للسنة ، وإذا كان الإنسان عند مسجد الغزالة هذا ، كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة على يساره ، وهي الطريق المعهودة قديماً . قال : وليس بهذه الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذه الثلاثة ، يعني سوى مسجد ذي الحليفة .

قلت : سببه هجران الحاج لهذه الطريق ، وذكر بعض من سلكها مشاهدة كثير من المساجد بها .

مسجد الرويثة :

قال البخاري عقب ماتقدم : وأن عبد الله حدّثه أن رسول الله ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق ، ووجاه الطريق في مكان بطح سهل حتى يفضي من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها وهي قائمة على ساق ، وفي ساقها كثب كثيرة . ولابن زبالة نحوه . وفي رواية له : صلى دون الرويثة عند موضع السرحة . وقال الأسدي : في أول الرويثة مسجد رسول الله ﷺ ، وهي على ثلاثة عشر ميلا من الروحاء ، وقال في موضع : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف مابها من الآبار والحياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها : الحمراء .

مسجد ثنية ركوبة :

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى في ثنية ركوبة ، وبنى بها مسجداً ، وركوبة يمين ثنية العاير[1] التي هي عقبة العرج ، وبعدها بثلاثة أميال العرج .

مسجد الاثاية :

بالمثلثة والمثناة تحت كالنواية على الأرجح . لابن زبالة أن رسول الله ﷺ صلى عند بئر الاثاية ركعتين في إزار ملتفحاً به ، وذكره الأسدي وقال : إنه قبل العرج بميلين ، بعد أول عقبة العرج المسماة بالمدارج ، وهي منتهى الحجاز بميل قبل أن تنزل من الوادي ، وعنده بئر تعرف بالاثاية ، ومقتضى هذا أن يكون حديث أحمد في مروره ﷺ بالعرج ، فإذا هو بحمار عقير ، ثم سار حتى أتى عقبة الاثاية في رجوعه ﷺ من مكة .

مسجد العرج :

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى في مسجد العرج ، وقال فيه ، يعني من القيلولة ،

(١) ثنية العاير : هي عقبة العرج ، وبعدها بثلاثة أميال العرج ، والعاير : بالعين المهملة ، ويقال : بالغين المعجمة كما يأتي .

وجعله المجد الذي بعده ، وهو مردود ، ولم يذكره الأسدي .

مسجد بطرف تلعة : من وراء العرج ، ووقع للمطري ومن تبعه : بطريق[1] وهو تصحيف ، إذ في البخاري عقب ما تقدم أن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج وأنت ذاهب إلى هضبة ، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، على القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سلمات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة ، فيصلي الظهر في ذلك المسجد . ولابن زبالة مثله ، إلا أنه قال : في طرف تلعة من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج في مسجد إلى هضبة . وقال الأسدي : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجد لرسول الله ﷺ يقال له : مسجد المنبجس قبل الوادي ، والمنبجس وادي العرج . انتهى . ولعله المسجد المذكور .

مسجد لحي جمل .

قال الأسدي : إنه على ميل من الطاوب ، وهي بئر غليظة الماء بعد العرج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطاوب بستة أميال ، وقبل السقيا بميل وادي القاحة . ولابن زبالة : احتجم رسول الله ﷺ بمكان يدعى « لحي جمل » بطريق مكة وهو محرم . وفي رواية له : بالقاحة ، ورأيت لبعضهم « مسجد لحي جمل » بين السقيا والأبواء ، ويوافقه قول عياض : لحي جمل عقبة الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا ، ورواه بعضهم :لحيي بالتثنية ، وفسره بأنه ماء .

مسجد بالسقيا :

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى به . وقال الأسدي : وبالسقيا مسجد لرسول الله ﷺ إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم وصف المنزل وما به كما في الأصل .

---

(١) أي بطريق تلعة ، بدل قوله : بطرف تلعة .

مسجد مدلجة تعهن :

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى بمدلجة تعهن ، وبنى بها مسجداً ، ولم يذكره الأسدي ، وبين أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال .

مسجد الرمادة :

قال الأسدي : ودون الأبواء بميلين مسجد النبي ﷺ يقال له : مسجد الرمادة ، والأبواء بعد السقيا بأحد وعشرين ميلا .

مسجد الأبواء :

قال الأسدي : وفي وسط الأبواء مسجد لرسول الله ﷺ ، وذكر بالأبواء آباراً وبركاً .

مسجد يسمى بالبيضة :

قال الأسدي : وعلى خمسة أميال وشيء من الأبواء ، مسجد لرسول الله ﷺ يقال له : البيضة .

مسجد عقبة هرشى بأصل العقبة :

والعقبة على ثمانية أميال من الأبواء ، وعلم منتصف الطريق مابين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، قاله الأسدي . وقال البخاري عقب ما تقدم : وإن عبد الله حدثه أن رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشى ذلك المسيل لاصق بكراع هرشى ، بينه وبين الطريق قريب من غلوة ، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق ، وهي أطولهن .

مسجدان بالجحفة .

قال الأسدي : في أول الجحفة مسجد لرسول الله ﷺ يقال له : غورث ، وفي آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله ﷺ يقال له : مسجد الأئمة .

مسجد بعد الجحفة .

وأظنه مسجد غدير خم . قال الأسدي : وعلى ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق حذاء العين مسجد لرسول الله ﷺ ، ويليها الغيضة ، وهي غدير خم، وهي على أربعة أميال من الجحفة . انتهى .

وقال عياض : غدير خم ، غدير يصب فيه عين ، وبين الغدير والعين مسجد للنبي ﷺ . ولأحمد : نزوله ﷺ بغدير خم ، وصلاته الظهر به تحت شجرة ، وأخذه بيد علي ، وقوله : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ... » الحديث .

مسجد قبل قديد بثلاثة أميال .

ذكره الأسدي ، وذكر أن خيمتي أم معبد الخزاعية وموضع مناة الطاغية في الجاهلية على نحو هذه المسافة ، وعثرت على هذا المسجد في مسيري لمكة قرب طرف قديد بين الطريق مرتفعاً عنها .

مسجد عند حرة عقبة خليص .

قال الأسدي : عقبة خليص بينها وبين خليص ثلاثة أميال ، وهي عقبة تقطع حرة تعترض الطريق ، وعند الحرة مسجد لرسول الله ﷺ .

مسجد خليص :

قال الأسدي : خليص عين ابن بزيع غزيرة كثيرة الماء ، عليها نخل كثير ، وبركة ، ومسجد لرسول لله ﷺ .

مسجد بطن مر الظهران :

قال الأسدي : « بين مكة وبين بطن مر الظهران سبعة عشر ميلاً ، وببطن مر مسجد لرسول الله ﷺ ، وبركة للسيل ، وربما ملئت من عين يقال لها : العقيق .

وقال البخاري عقب ماتقدم : وإن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مر الظهران قبل المدينة حين تهبط من الصفراوات،

ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلا رمية بحجر ، قال المطري : ومر الظهران هو بطن مر المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم . قال المراغي : ويقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، أي الذي قرب الجموم من وادي مر ، وهو عند المسيل عن يسار الذاهب من الجموم الى مكة .

مسجد سرف :

بفتح السين المهملة وكسر الراء ، وبه قبر ميمونة بالموضع الذي بنى عليها رسول الله ﷺ فيه :

مسجد التنعيم :

والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال . قال الأسدي : وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله ﷺ ، وفيه آثار .

مسجد ذي طوى :

قال البخاري عقب ماتقدم : وإن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل بذي طوى ، ويبيت حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة ، ومصلى رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة ، ليس في المسجد الذي بني ثَمَّ ، ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة ، وإن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة ، فجعل المسجد الذي بني ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ، ومصلى النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء ، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة . قال المطري : ووادي ذي طوى هو المعروف بمكة بين الثنيتين ، أي المسمى عند أهل مكة بما بين الحجونين .

الفصل الثاني : فيما كان من ذلك بالطريق التي يسلكها الحاج في زماننا إلى مكة وطريق المشيان وماقرب منها .

لابن زبالة أن النبي ﷺ نزل بالدبة دبة المستعجلة من المضيق ، واستقى له من بئر الشعبة الصابة أسفل من الدبة ، فهو لا يفارقها أبداً . قال المطري : المستعجلة : المضيق الذي يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء يعني من أعلى فركان خيف بني سالم ، وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ نزل بشعب سير ، وهو الشعب الذي بين المستعجلة والصفراء ، وقسم به غنائم بدر ، ولايزال الماء فيه غالبا انتهى . ولفظ ابن إسحاق : نزل على كثيب يقال له : سير إلى سرحة .

والدبة [1] بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة : مجتمع الرمل ، فالمراد منهما واحد ، وشعب سير بين جبلين على نحو نصف فرسخ من المستعجلة ، وعنده بركة كانت لنزول الحاج به ، وتعرف تلك الجبال بجبال المضيق

ولابن زبالة : صلى رسول الله ﷺ بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران المدبر ، وصلى بذنب ذفران المقبل الذي يصب في الصفراء ، فحفرت بئر هناك يقال : إنها في موضع جبهة النبي ﷺ فلها فضل في العذوبـــة على ماحوالها .

قلت : ذفران : واد معروف قبل الصفراء بيسير ، يصب سيله فيها من المغرب ويسلكه الحاج المصري في رجوعه إلى ينبع ، فيأخذ ذات اليمين ، وينزل الصفراء يساراً ، كما فعل ﷺ في ذهابه في غزوة بدر ، وبه مسجد يتبرك به على يسار السالك إلى ينبع ، وأظنه مسجد ذفران المذكور ، ورأيت مسجداً آخر على رابية مرتفعاً عـــن الطريق يسيراً يتبرك النـاس به قبل وصولك إلى الصفراء ، وقبل الوصول إلى ما أقبل من ذفران على الصفراء ، وليس بقربه مساكن ، وأظنه أحد المسجدين المذكورين أولاً .

ولابن زبالة أن رسول الله ﷺ صلى في مسجد الصفراء .

---

(١) يقال لها الآن : الدبيبة بالتصغير .

قلت : ذكر لي بعض الناس أن بالصفراء مسجداً يتبرّك به ، وقد مات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب(١) بالصفراء من جراحته ببدر ، ودفن بالصفراء ، ولذا قالت هند بنت أثاثة في رثائه :

لقد ضمّن الصفراءَ مجداً وسُؤدُدا ... وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل

وقال المراغي : إن قبره بذفران ، ولعل مراده ما أقبل منه على الصفراء ، لأن النبي ﷺ لم يسلك ذفران في رجوعه من بدر . ولابن عبد البرّ : أن قبره بالنازيين(٢) ولم أر من ذكره في أسماء البقاع .

ولابن زبالة أن رسول الله ﷺ صلى مطلعه من ثنية مبرك في مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال أو خمسة .

قلت : ثنية مبرك معروفة ، تسلك إلى ينبع في المغرب من جهة أسفل خيف بني سالم ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

ومن ذلك مسجد بدر :

كان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر عنده ، وهو معروف عند النخيل ، والعين قريبة منه ، وبقربه في جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شيء .

ومسجد العشيرة : معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التي ينزل بها الحاج المصري . ولابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى في مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : وعنده عين جارية ، لكنها لا تعرف بهذا الاسم .

ومن ذلك مساجد بالفرع – بضم الفاء – وجهاتها ، يمرّ بها من سلك طريقها إلى مكة .

---

(١) الصواب : ابن المطلب ، لأن عبيدة مطلبي ، من أولاد المطلب بن عبد مناف ، لا من أولاد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فتأمل .

(٢) نسخة : بالنازيتين .

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ نزل الأكمة من الفرع ، فقال في مسجدها الأعلى ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر في المسجد الأسفل من الأكمة ، ثم استقبل الفرع فبرّك فيها ، وكان عبد الله بن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقيل فيه ، فيأتيه بعض نساء أسلم بالفراش ، فيقول : لا حتى أضع جنبي حيث وضع رسول الله ﷺ جنبه .

وله أيضاً أن النبيّ ﷺ نزل في موضع المسجد بالبرود من مضيق الفرع ، وصلى فيه . وذكر الزبير بن بكار ذات حماط في الأودية التي تصب في العقيق قبله مما يلي المغرب قرب النقيع ، وذكر أيضاً فيها كهف أعشار ، ثم روى أن النبيّ ﷺ صلى في مسجد بالضيقة مخرجه من ذات حماط ، وأنه في « غزوة بني المصطلق » نزل في كهف أعشار وصلى فيه .

ولابن زبالة أن النبي ﷺ أشرف على « مقمل » ظرب وسط النقيع ، وصلى فيه ، فمسجده هنالك ، قال المجري : وهو على ظرب صغير يقال له : « مقمل » ، على غلوة من برام .

الفصل الثالث : في بقية المساجد المتعلقة بغزواته ﷺ وعمره .

مسجد بعصرة[1] على مرحلة من المدينة بطريق خيبر ، صلى فيه رسول الله ﷺ في خروجه لخيبر .

ومسجد بالصهباء : وهي على روحة من خيبر . قال المطري : والمسجد بها معروف .

قلت : وتقدم في « مسجد الفضيخ » أن قصة رد الشمس كانت بها .

ومسجدان قرب خيبر :

قال الأقشهري : وبني له ﷺ مسجد حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له : المنزلة ، عرس بها ساعة من الليل ، فصلى فيها نافلة ، فعادت راحلته تجرّ

---

(١) صوابه: بعصر بدون هاء كما في « الوفا » (حمد) .

زمامها ، فأدركت لتردّ ، فقال : « دعوها فإنها مأمورة » فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوّل رسول الله ﷺ إلى الصخرة ، وتحول الناس معه إليها ، وابتنى هناك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم . انتهى .

ومسجد بين الشق والنطاة من خيبر إلى عوسجة هنالك ، ذكره ابن زبالة .

مسجد بشمران :

لابن زبالة أن النبيّ ﷺ صلى على رأس جبل بخيبر يقال له : شمران ، فثم مسجده من ناحية سهم بني البراز[1] ويعرف هذا الجبل اليوم بشمران .

ومساجد غزوة تبوك :

قال ابن رشد : نحو ستة عشر ، أولها بتبوك ، وآخرها بذي خشب ، وسرد ابن زبالة نحو ذلـــك ، وابن إسحاق دونه ، وتخالفا في تعيين بعض مواضعها ، واجتمع من مجموع ماذكروه عشرون .

الأول : بتبوك ، قال المطري : وهو مما بنى عمر بن عبد العزيز .

الثـاني : ثنية مدران تلقاء تبوك .

الثالث : بذات الزراب ، على مرحلتين من تبوك .

الرابع : بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك .

الخامس : بذات الخطمي . على خمس مراحل من تبوك .

السادس : ببألى كما في « تهذيب ابن هشام » ولابن زبالة بنقيع بولا على خمس مراحل منها أيضاً .

السابع : بطرف البتراء من ذنب كواكب .

الثـامن : بشق تاراء من جويرة .

---

(١) في نسخة : النزار .

التاسع : بذي الحليفة . قال ابن زبالة وغيره : وليس هو الميقات ، ولم يذكره أصحاب البلدان .

العاشر : بذي الخليفة بكسر الخاء المعجمة ، وقيل : بفتحها ، وقيل بجيم مكسورة ، وقيل بحاء مهملة مفتوحة ، ذكره ابن هشام بدل الذي قبله ، وعكس ابن زبالة ، فجمع المجد بينهما محل نظر .

الحادي عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغني عن الحاكم .

الثاني عشر : بصدر حوضي . وقيل بذنبها .

الثالث عشر : بالحجر . وذكر ابن زبالة بدله العلاء ، وكلاهما بوادي القرى .

الرابع عشر : بالصعيد ، صعيد قزح [1] وهو اليوم مسجد وادي القرى ، قاله عبد الغني .

الخامس عشر : بوادي قرن .

السادس عشر : بقرية بني عذرة .

السابع عشر : بالرقعة على لفظ رقعة الثوب . وقال البكري : أخشى أن يكون بالرقمة من شقة بني عذرة . وقال ابن زبالة بدله : بالسقيا .

الثامن عشر : بذي المروة . على ثمانية برد من المدينة .

التاسع عشر : بالفيفاء ، فيفاء الفحلتين ، وهما قنتان تحتها صخر على يوم من المدينة .

العشرون : بذي خشب ، على مرحلة من المدينة تحت الدومة التي في حائط عبد الله بن مروان . ولابن زبالة أن رسول الله ﷺ نزل بنخل تحت أثلة بمزرعة لرجل من أشجع وسط نخيل ، وصلى تحتها ، ثم أصعد في بطن نخل حتى جاوز

---

(١) صوابه:قرح : بالقاف بعدها راء مهملة فحاء مهملة (حمد) .

الكديد بميل ، فنزل تحت سرحة وصلى ، فموضع مسجده اليوم معروف وصلى بالجبل من بلاد أشجع .

قلت : نخل بنجد ، والكديد بقربه ، غير الذي بقرب عسفان : قال الأسدي بعد ذكر ذي أمر : إن الكديد واد ، والطريق تقطعه ، وفيه : مسجد رسول الله ﷺ والنخيل قريب منه ، فعبر عن نخل بالنخيل [1] مصغراً ، كما هو معروف اليوم .

ومسجد بالحديبية : وهو واد قريب من بلدح ، ويقال : إنه الموضع الذي فيه البئر المعروفة ببئر شمس بطريق جدة .

ومسجد دون ذات عرق بميلين ونصف ، وهو ميقات الإحرام وأول تهامة ، قاله الأسدي .

ومسجد بالجعرانة ، وهو الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى ، فأما الأدنى الذي على الأكمة ، فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده .

ومسجد بلية ، قال المطري : وهو معروف اليوم وسط وادي لية ، وعنده أثر في حجر يقال : إنه أثر خف ناقته ﷺ ، وبين وادي لية ووادي الطائف نحو ثمانية أميال .

ومسجد بالطائف ، صلى فيه رسول الله ﷺ بين قبتين ضربها لامرأتين كانتا معه من نسائه حين حاصر الطائف ، وبني هناك جامع كبير فيه منبر ، وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ومسجد رسول الله ﷺ في مؤخره بالصحن بين قبتين صغيرتين يقال : إنهما موضع قبتي زوجتيه عائشة وأم سلمة .

وذكرنا في الأصل ما قاله المطري وغيره في شجرات السدر التي هناك فراجعه .

---

(١) بل النخل غير النخيل ، فالأول يعرف الآن باسم الحناكية ، والثاني دونها بأقل من عشرة أميال ، ولا يزال معروفاً . (حمد) .

الباب الثامن في أوديتها وأحمائها وبقاعها وآطامها وبعض أعمالها وجبالها

وفيه أربعة فصول

الأول : في وادي العقيق ، وعرصته ، وحدوده ، وشيء من قصوره ، وبعض ما قيل في ذلك من الشعر وما يتعلق به .

في « الصحيح » عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بوادي العقيق : « أتاني الليلة آت فقال : صل في هذا الوادي المبارك » .

ولابن شبة عن عمرو مرفوعاً : « العقيق واد مبارك » .

قال أبو غسان : وأخبرني غير واحد من ثقات أهل المدينة ، أن عمر رضي الله عنه كان إذا انتهى إليه أن وادي العقيق قد سال ، قال : « اذهبوا بنا إلى هذا الوادي المبارك ، وإلى الماء الذي لو جاء من حيث جاء لتمسحنا به » .

ولابن زبالة عن عامر بن سعد ، أن رسول الله ﷺ ركب إلى العقيق ، ثم رجع فقال : « يا عائشة جئنا من هذا العقيق فما ألين موطئه وأعذب ماءه » ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أفلا ننتقل إليه ؟ قال : « وكيف وقد ابتنى الناس » ؟ .

عن خالد العدواني ، أن النبي ﷺ قال في عرصة العقيق : « نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام » .

وللسيد العباسي العراقي في ذيله ، عن أنس قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي العقيق ، فقال : يا أنس خذ هذه المطهرة واملأها من هذا الوادي فإنه يحبنا ونحبه » .

ولابن شبة عن سلمة بن الأكوع قال : كنت أصيد الوحش وأهدي لحومها

إلى رسول الله ﷺ ، ففقدني فقـال : « يا سلمة أين كنت تصيد الوحش ؟ فقلت : يا رسول الله تباعد الصيد فأنا أصيد بصدر قناة نحو ثيب ، فقال : لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا خرجت ، وتلقيتك إذا جئت » ، وللطبراني نحوه .

وللزبير بن بكار ، عن هشام بن عروة : « العقيق ما بين قصر المراجل ، فهلم صعدا إلى النقيع وما أسفل من ذلك ، أي من قصر المراجل ، فمن زغابة » .

وعن المنذر بن عبد الله أنه سمع من أهل العلم أن العرصة أي : عرصة العقيق ما بين محجة بين [1]، أي: وهي الطريق القفرة اليوم شامي الجماوات إلى محجة الشام ، وهي أول الجرف ، وأن العقيق من محجة بين ، فاذهب به واصعد [2] إلى النقيع .

وحدثني آخرون : أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع ، قال الزبير : ولم أزل أسمع من أهل العلم أن العقيق الكبير مما يلي الحرة مابين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ، ومما يلي الجماء مابين قصر عبد العزيز بن عبد الله العثماني أي التي بسفح جماء تضارع إلى قصر المراجل ، ثم اذهب بالعقيق صعداً إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة : « العقيق الصغير » فأعلى أودية العقيق النقيع : وفي شعر الخنساء إطلاقه عليه .

ونقل المجري : أن النقيع يبتدىء من برام إلى خضير ، فهو آخر النقيع ، فأول العقيق مما يلي النقيع حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب في زغابة وهي مجتمع السيول بأعلى أضم .

فقول المطري : إنه من بئر المخرم إلى غربي بئر رومة المسمى بالعقيق بحسب مااشتهر في زمانه فقط ، لانه المجاور للمدينة ، وهو المنقسم إلى أصغر وأكبر .

ولذا قال عياض : النقيع صدر العقيق ، وهما عقيقان أدناهما عقيق المدينـة

---

(١) صوابه : بين بيائين تحتيتين على وزن - جبل .

(٢) في نسخة : صاعداً .

وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عروة ، والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مزينة . انتهى .

وسمي عقيقاً لأن سيله عق في الحرة أي شق وقطع ، ومر تُبَّع بالعرصة وكانت تسمى بالسليل ، فقال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ومر بالعقيق ، فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمي به . وقيل : سمي بذلك لحمرة موضعه .

وللزبير بن بكار : أن النبي ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني العقيق ، ولم يعمل فيه شيئاً ، وأن عمر رضي الله عنه قال له : إن قويت على ماأعطاك رسول الله ﷺ فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك ، فإن لم تعتمله قطعته بين الناس ، ولم تحجزه عليهم .

وفي رواية : انظر ماأطقت أن تقوى عليه فأمسكه ، واردد إلينا مابقي نقطعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضه ، وقطع مابقي للناس ، ولما دنا عمر من موضع قصر عروة وقف في موضع بئر عروة بن الزبير التي عليها سقايته وهو يقطع الناس ، فقال : أين المستقطعون ، فنعم موضع المغيرة ، فاستقطعه ذلك خوات بن جبير الأنصاري ، فأقطعه مابين حرة الوبرة إلى ضفير المغيرة بن الأخنس ، وكان يقال لذلك : خيف حرة الوبرة ، فاشترى عروة موضع قصره وبناه بعد .

وجماء تضارع ، تواجه بئر عروة بن الزبير : وتسيل عليها وعلى قصر عاصم بن عمرو بن عثمان الذي في قبل الجماء المذكورة ، ويظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذي الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبي هاشم بنحو ثلث ميل ، وقريب من الجماء المذكورة وهي بئر شهيرة ، فيها أخبار وأشعار .

قال الزبير بن بكار : رأيت الخراج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر

بالعقيق يتخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة ، وإذا قدموا منها بماء يقدمون به على أهلهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم .

قال : ورأيت أبي يأمر به فيغلى ، ثم يجعل في القوارير ، ويهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة ، قال جابر الزمعي فيها :

يعرضها الآتي من الناس أهله ويجعلها زاداً له حين يذهب

وقال السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

كفنوني إن مت في درع أروى واستقوا لي من بئر عروة مائي

سخنة في الشتاء باردة الصيف سراج في الليلة الظلماء

وأسفل من هذا البئر بئر أبي هاشم بن المغيرة بن أبي العاص ، ويظهر أن قصره المعروف اليوم بحصن أبي هاشم ، وكان يعرف بقصر بيت الرازقي ، ولعبد الله بن عمرو بن عثمان الناحية الأخرى المواجل والمنيف والآبار والمزارع التي هناك وقصر ابن عبد العزيز مما يلي الجماء يقابل أرض عروة ، وابتنى عنبسة بن سعيد بن العاص قصره بالعقيق الصغير ، وأعانه هشام بن عبد الملك على بنائه بعشرين ألف دينار ، وبعث إليه بأربعين بختياً ينضح عليها في مزارعه ، وأظنها المعروفة اليوم بالعنابس ، وكان جعفر بن سليمان في ولايته على المدينة نزل قصر عنبسة ، وابتنى إليه أرباضاً أسكنها حشمه ، ثم تحول منه إلى العرصة عرصة الماء ، فابتنى في قبل الجماء العاقر في حضن الجبل ، وسكنها حتى عزل ، فخرج منها ، ولها يقول ابن المذكي :

أوحشت الجماء من جعفر وطالما كانت به تعمر

كم صارخ يدعو وذي كربة ياجعفر الخيرات ياجعفر

وقال الشاعر أيضاً :

إني مررت على العقيق وأهله يشكون من مطر الربيع نزورا

ماضركم إن كان جعفر جاركم ... أن لايكون عقيقكم ممطورا

وكان بنو أمية يمنعون البناء في العرصة ضناً بها ، ولايقطع سلطان المدينة فيهـا قطيعة إلا بإذن الخليفة ، وابتنى مروان بن الحكم بعرصة البقل قصراً، واحتفر ، وضرب لها عيناً وازدرع ، وابتنى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أحد مشاهير الأجواد قصره بسرة العرصة ، واحتفر بهـا ، وغرس النخل والبساتين ، وكانت نخلها أبكر شيء بالمدينة لايطير حمامها ، وعند نخله كان قصره وهو الذي يقول فيه أبو قطيفة :

القصر والنخل والجمـاء بينهما ... أشهى الى النفس من أبواب جيرون

وكانت تسمى عرصة الماء ، وسماها بعضهم العرصة الصغرى ، لأن العقيق الكبير يكنفها من أحد جانبيها ، وتكنفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فتتسع ، فهي العرصة الكبرى ، وهي التي تلي رومة ، وفي عرصة الماء يقول ذؤيب الأسلمي : .

قـد أقر الله عيني ... بغزال يا ابن عون
طاف من وادي دجين ... بفتى طلق اليـدين
بين أعلى عرصـة المـا ... ء إلى قصر زيـن
فقضـالي في منـامي ... كل موعـود ودين

وفي العرصتين يقول الوليد بن يزيد :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا ... بالسفح بين العقيق والسند

وقال إبراهيم بن موسى الزبيري :

ليت شعري هل للعقيق فسلع ... فقصور الجمـاء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسول فما حا ... ز المصلى فجانبا بطحان
فبنو مازن على العهد أم ليـ ... س كعهدي في سالف الأزمان

وأنشد عبد السلام بن يوسف وهو في غاية العذوبة :

على ساكني بطن العقيق سلام ... وإن أسهروني بالفراق وناموا

حظرتم عليّ النوم وهو محلل ... وحللتم التعذيب وهو حرام

إذا بنتموا عن حاجر أوحجرتم ... على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا ميلت ريح الصبا فرع بانة ... ولا سجعت فوق الغصون حمام

ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى ... على حافتيه بالعشيّ غمـام

فما لي وما للربع قد بان أهله ... وقد قوّضت من ساكنيه خيام

ألا ليت شعري هل إلى الرمل عودة ... وهل لي بتلك البانتين لمام

وهل نهلة من بئر عروة عذبة ... أداوي بها قلباً براه أوام (١)

ألا يا حمامات الأراك إليكم ... فمالي في تغريدكن مرام

فوجدي وشوقي مسعد ومؤانس ... ونوحي ودمعي مطرب ومدام

وقال أعرابي :

أياسر حتى وادي العقيق سقيتما ... حيا غضة الأنفاس طيبة الورد

ترويكما مج الثرى وتغلغلت ... عروقكما تحت الندى في ثرى جعد

ولا يهنين ظلاكما إن تباعدت ... بي الدار من يرجو ظلالكما بعدي

وجماوات العقيق ثلاثة :

الأولى جماء تضارع المقابلة لمربد مكة ما لم يستبطن العقيق ، فإذا استبطنه كانت عن يمينه ، وتسيل على بئر عروة ، وعلى قصر عاصم العثماني ، وهو منزل طاهر بن يحيى الحسيني وولده ، وتحتها المكيمن مكيمن الجماء متصل بها بين الذاهب إلى مكة .

ولابن شبة حديث : « لا تسيل تضارع إلا في عام ربيع » .

---

(١) كغراب : شدة العطش .

الثانيـــة : جماء خالد [١] في مهب الشمال من الأولى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري ، وفي أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد النوفلي ، وفيه الجبار ، وبينها وبين جماء العاقر طريق من جهة بئر رومة ، وفيفاء الخبـار من جماء أم خالد . ونقل وجود قبر إرمي [٢] على هذه الجمـاء مكتوب عليها : أنا أسود بن سوادة رسول عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وفي رواية : إلى قرى عرينـــة . وفي أخرى : أن القبر أربعون ذراعا في أربعين ، وأنه أوصى بدفنه هنـاك . وفي أخرى : رسول سليمان بن داود إلى أهل يثرب .

الثالثة : جماء العاقر بالراء ، وقيل : بالـلام ، وإليها قصر جعفر بن سليمان بالعرصة ، وخلفها المشاش ، وهو واد يصب في العرصة ، وكان لسعيد بن زيد بأرض الشجرة موضع توفي به ، وخاصمته أروى بنت أويس فيه فقال : اللهم إن كانت ظلمتني فأعم بصرها واجعل قبرها في بئرها ، فاستجيب له ، ونزل أبو هريرة بالشجرة قبل أن تكون مزدرعاً ، فمر به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة ، فأقطع أبا هريرة أرضه وحفرها له ، ولم يزل العقيق نخـلاً حتى عملت العيون ، وكانت ثنية الشريد لرجل من بني سليم بقية أهل بيته ، فقيـــل له : الشريد ، وكانت أعناباً ونخـلاً لم ير مثلها ، فقدم معاوية ، فطلبها منه ، فأبى ، ثم إنه وجد عماله في الشمس ، فقال : مالـكم ؟ قالوا : نستجم البئـار ، فركب إلى معاوية ، فباعه إياها ومزارعها من أرض المخرمين إلى أرض المسور بن إبراهيم ، وبها منازل وآبار كثيرة يحفها شرقياً غير الوارد غربياً جبل يقال له : الفرا ، ويفضي

---

(١) في نسخة : جماء أم خالد ، ولعله الصواب لأنه صرح بذلك بعد قليل .

(٢) بكسر الهمزة وفتح الراء وشد التحتية ، أي قديم لأنه يقال للشيء القديم : عاري وإرمي قرره بعض فضلاء المدينة .

السيل منها إلى الشجرة التي بها المخرم[1] والمعرس ، ثم يلي ذلك مزارع أبي هريرة ، ثم تتابع القصور يمنة ويسرة .

ولابن زبالة ما يقتضي : أن الجمعة تقام بالشجرة .

ونقل ابن النجار عن أهل السير أن النبي ﷺ ولّى العقيق لهيصم المزني ، وأن ولاة المدينة لا يزالون يولّون عليه حتى كان داود بن عيسى ، فتركه سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكروه في جماء النقيع ، فكأنه جرى على رأي من جعله من العقيق ، ولم يبق من عمارات العقيق إلا بعض الآبار وبقايا الآبار ، والنفوس ترتاح برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نسمتها .

وقال أبو عبيدة : إن العقيق ينشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى من أضم البحر .

وقال غيره : أعلى أودية العقيق النقيع ، وصدر العقيق ما دفع في النقيع من قدس ، وما قبل من الحرة يقال له : بطاويح ، فيصب ذلك في النقيع على أربعة برد من المدينة في يمانيها ، ثم يصب في غدير بلبن [2] ، ويدفع فيه وادي البناع ، ويصب فيه نقعاء ، فيلتقين جميعاً بأسفل موضع يقال له : نقع ، ثم يذهب السيل مشرقاً ، فيصب على واديين يعترضها يساراً ، ويدفع عليه واد يقال له : « هلوان » ، ثم يستجمعن ، فيلقاهن وادي ريم بأسفل الحليفة حليفة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ، ثم يصب على الاثه وعلى الحمام ، ثم يفضي الى حمراء الأسد ، فيستبطن واديها ، وتدفع عليه الحرتان شرقاً وغرباً حتى ينتهي إلى ثنية الشريد ، ثم يفضي إلى الوادي ، فيأخذ في ذي الحليفة حتى يصب بين أرض أبي هريرة

---

(١) صوابه : المحرم بالحاء المهملة ، وأما بالخاء المعجمة فغلط .

(٢) ويقال : ألبن ، كجعفر : غدير بنقمع الحمى كما سيأتي .

رضي الله عنه ، وبين أرض عاصم بن عدي ، ثم يستبطن الوادي حتى يفضي إلى أرض عروة بن الزبير وبئره ، ثم يستبطن بطن الوادي ، فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي حفر إلى أسفل العرصة ، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من قراقر عبد الله بن عنبسة بن سعد يمنة ويسرة ، ثم يستجمع حتى يصب في زغابة ، ومن غدرة تراحم ومختبيات فليح الزبيري ، ومزج ، وغدير الطفيتين ، وغير ذلك من الغدران والأودية التي ذكرناها في الأصل مرتبة، وستقف على أشياء من ذلك في الفصل الرابع .

الفصل الثاني : في بقية أودية المدينة ، وهي وادي بطحان .

لابن شبة والبزار ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » . قال ابن شبة : وأما مسيل بطحان وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة ، فإنه يأخذ من ذي الجدر ، والجدر قوارة في الحرة يمانية من حليات الحرة حرة معصم ، ويفترش في الحرة حتى يصب على جفاف ، ويمر فيه حتى يفضي إلى فضاء بني خطمة والأعوص ، ثم يسير حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادي بطحان حتى يصب في زغابة .

ولابن زبالة أنه يأتي من الحلائين حلائي مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ثم يصل إلى وادي جفاف شرقي مسجد قبـــاء ، ولذا جعل المطري الترجمة لجفاف ، وأول بطحان قرب الماجشونية ، وآخره في غربي مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا في المجرى من قبل المصلى لأنها تصب فيه .

ووادي رانونا ويقال : رانون .

قال ابن شبة : يأتي سيلها من « مقمن » جبل في يماني عير ، ومن جوش شرقي الحرة ، ثم يصب على قرين صريحة ، أي : المعروف بقرين الضرطة ، ثم على سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، أي : المعروف بسد عنتر ، ثم يتفرق في الصفاصف ،

فيصب بالعصبة ، ثم يستنبطها حتى يعترض قباء يميناً ، يدخل عوسا ، أي :المعروفة بجوسا [1] ثم بطن ذي خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذي خصب ، ثم يقترن بذي صلب ، ثم يستبطن السرارة التي ببني بياضة ، ثم يمر على قعر البركة أي ببني بياضة أيضاً ، ثم يفترق فرقتين ، فتمر فرقة على بئر جشم أي : ببني بياضة تصب في سكة الخليج حتى تفرغ في وادي بطحان ، وتصب الأخرى في وادي بطحان . انتهى .

ولابن زبالة : أن رانونا تأتي من بين سد عبد الله العثماني ، وبين الحرة ، وتلتقي معه إذا خر عند الجبل الذي يقال له : « مقمن » ، أو « مكمن » ، وذو صلب يأتي من السد ، وذو ريش من جوف الحرة ، أي بأدنى بيوت بني بياضة .

وفي رواية له : إن صدر سيل ذي صلب من رانونا ، وصدر رانونا من النجيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا في سد عبد الله العثماني ، ثم في شاحطة وأموال العصبة ، ثم في عوسا ، ثم في بطحان ، ثم يلتقي هو وبطحان عند دار الشواترة وهي في عداد بني زريق . انتهى .

ووادي قناة نزله تبع ، فلما شخص منه قال : هذه قناة الأرض ، فسمي به ، ويسمى بالشظاة أيضاً .

وفي القاموس : إنه عند المدينة يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادي قناة يأتي من و ج ، أي : و ج الطائف . وقال المدائني : قناة واد يأتي من الطائف ، ويصب في الأرحضية ، وقرقرة الكدر ، ثم يأتي بئر معاوية ، ثم يمر على طرف القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد ، ثم ينتهي إلى مجتمع السيول بزغابة .

---

(١) لعله البستان المعروف اليوم بجوسان قرب مسجد قباء .

وقال ابن زبالة : سيل قناة إذا استجمعت تأتي من الطائف ، وهو أحد فحول أودية المغوب [1] فيأتي من المشرق حتى يصل السد الذي أحدثتـه نار الحرة ، وانقطع هذا الوادي بسببه ، ثم انخرق سنة تسعين وستمائة ، فجرى الوادي سنة يملأ ما بين الجبلين ، وسنة أخرى دون ذلك ، ثم انخرق بعد السبعمائة ، فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربـع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار ، فحفر وادياً آخر غير مجراه الذي على مشهد سيدنا حمزة قبليه وقبلي جبل عينين ، وبقي المشهد وجبل عينين في وسط المسيل نحو أربعة أشهر لا يقدر أحـد على الوصول إليها إلا بمشقة ، وكان أهل المدينة يقفون على التـل الذي خارج باب البقيـع ، فيشاهدونه ، ولو زاد مقدار نصف ذراع في الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر في الواديين القبلي والشمالي قريباً من سنة ، وكشف عن عـين قديمة قبلي الوادي جددها الأمير ودي ثم دثرت .

ووادي مذينب ويقال : مذينيب . وهو شعبة من سيل بطحان لأنـه يفرغ فيه بعد أن يأتي إلى الروضة روضة بني أمية ، ثم يتشعب نحواً من خمسة عشر جزءاً في أموال بني أمية ، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخـل في بطحان وصدور مذينب ، وبطحان من الحلأتين حلأتي مصعب ومصبها في زغابة ، نقله ابن زبالة .

وسيأتي في مهزور عن ابن شبة ما يقتضي أن مذينب من أصل مهزور ، وأنه يجتمع معه بفضاء بني خطمة ، ووجهـه أن أصل الجميـع حرة واحدة ، ومذينب يشق في زماننا من الحرة الشرقية قبلي بني قريظة ، فيمر بقرية قديمة شرقي العهن والنواعم ، ثم يتشعب في الأموال ، ثم يخرج من الموضع المعروف ببقيـع الزرندي ومن النـاصرية ، فيصب في الوادي الذي يأتي من جفاف شرقي مسجد الفضيـخ ، ثم يأتي الفضاء الذي خلف الماجشونية ، فيلقاه هنـاك شعبة من مهزور ، ويصبان هناك جميعاً اليوم في بطحان .

---

(١) لعل الصواب : أودية العرب ، قاله بعض فضلاء المدينة .

ولذا قال المطري : مذينب شرقي جفاف يلتقي هو وجفاف ، أي : الذي هو أصل بطحان فوق مسجد الشمس ، يصبان في بطحان ، ويلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة غربي المصلى . انتهى .

ووادي مهزور :

صدره حرة شوران على ما قال ابن زبالة ، ويصب في أموال بني قريظة ، ثم يأتي المدينة ، وكان يمر في مسجد رسول الله ﷺ ، وقيل : الذي كان يمر فيه معجب .

وقال ابن شبة : إن سيل مهزور يأخذ من الحرة الشرقية ، ومن هكر وحرة صمعة حتى يأتي أعلى حلاة بني قريظة ، ثم يسلك منه شعيب ، فيأخذ على بني أمية بن زيد بين البيوت في واد يقال له : مذينب ، ثم يلتقي هو وسيل بني قريظة بفضاء بني خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعاً مهزور ومذينب ، فيفترقان في الأموال ، ويدخلان صدقات رسول الله ﷺ كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يفضي إلى الصورين قصر مروان بن الحكم ، يأخذ بطن الوادي على قصر بني يوسف ، ثم يأخذ في البقيع حتى يخرج على بني حديلة ، والمسجد ، أي : النبوي بطن مهزور ، وآخره كومة أبي الحمراء ، ثم يمضي فيصب في وادي قناة . انتهى .

والشعبة التي تلقى مذينب من مهزور ، إنما تصب اليوم معه في بطحان ، والذي يسقي الصدقات شعبة أخرى تمر بالصافية ، وما يليها من الصدقات ، ثم بالموضع المعروف بالقصور ، ثم بما حول البقيع ، واتخذ لها الزيني مرجان شيخ الخدام طريقاً من ناحية الصدقات حتى تصب في بطحان أيضاً لئلا تفسد النخيل التي حول البقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التي تشق من مهزور في الحرة الشرقية إلى العريض ، وهي معظم مهزور بسبب السد المبني هناك ، فيصب في قناة .

وقد قال ابن شبة : إن مهزوراً سال في ولاية عثمان سيلاً عظيماً خيف على

المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذي عنـــد بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد النبوي والمدينة ، وتقدم في بئر أريس عن ابن زبالة ما يقتضي أن عثمان صرفه حتى يصب في بطحان ، وسال مهزور في خلافة المنصور سنـة بضع وخمسين ومائة حتى ملأ الصدقات النبوية ، وصار الماء في برقة إلى أنصاف النخيل ، فخيف على المسجد ، فخرج الناس إليـه ، فدلوا على مصرفه ، فحفروا في برقة ، فأبدوا عن حجارة منقوشة ، ففتحوها ، فانصرف المـاء فيها وغاص إلى بطحان ، دلهم على ذلك عجوز مسنة من أهل العالية ، قاله ابن شبة وابن زبالة ، وزاد : أن في تلك الليـلة هدمت بيوت بطحان وبني جشم ، أي : جشم بن الحارث بالسنح[1] قرب بطحان لصرف الماء إلى جهتهم ، والخصام مع الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها كان في مهزور كما أوضحناه في الأصل .

قال الزبير بن بكار : ثم يلتقي سيل العقيق ، ورانون ، وأذاخر ، وذي صلب ، وذي ريش ، وبطحان ، ومعجب ، ومهزور ، وقناة بزغابة ، وسيول العوالي، هذه يلقى بعضها بعضاً قبل أن يلقى العقيق ، أي لمـــا فصلناه فيما سبق ، ثم يجتمع فيلتقي العقيق بزغابة عنـــد أرض سعد بن أبي وقاص ، وذلك أعلى وادي اضم ، سمي به لانضمام السيول واجتماعها به كما أشار إليه ابن شبة ، ويسمى اليوم بالضيقة .

قال الزبير : ثم تمضي هذه السيول فتنحدر على عين أبي زياد والصورين في أدنى الغابة ، ثم يلقاها وادي نعمى[2] ، ووادي نعمان أسفل عين أبي زيادة ، ثم ينحدر ، ثم يلقى وادي ملل بذي خشب وظـــلم[3] والجنينة ، ويلقاها من المغرب بواط

---

(١) لعل صوابه : السيح بالياء التحتية ، لأن السنح ليس ببطحان .

(٢) صوابه : النقمى ، بفتح النون والقاف والميم ، ويصح فيـه كسر القاف كما في اسماء الأماكن ، كجمرا . ونعمان بالضم .

(٣) ككتف ، كما سيأتي في أسماء الأماكن . -

والحوار ، ومن المشرق ذو أوان ، ثم الأئمة ، ثم يلقاها وادي برمة من الشأم ووادي ترعة من القبلة ، ثم يلتقي هو ووادي العيص من القبلة ، ثم يلقاه وادي حجر ووادي الجزل الذي به السقيا والرحبة في نخل ذي المروة ، ثم عمودان في أسفل المروة ، ثم يلقاه واد يقال له : « سفان » ، حين يفضي إلى البحر عند جبل يقال له : « أراك » ، ثم يدفع في البحر من ثلاثة أمكنة يقال لها : « اليعبوب » و « البنيجة » و « حقيب » . انتهى .

وذكرنا في الأصل مافي كلام المطري من المخالفة لما ذكره من أن مصبه في البحر من ناحية أكرى في طريق مصر .

الفصل الثالث : في الأحماء ومن حماها ، وشرح حال حمى النبي ﷺ بالنقيع

الحمى : بالقصر ، وقد يمدّ : موضع من الموات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ ، فترعاه مواش مخصوصة ، وقد اشتهر بذلك مواضع من جهات المدينة .

منها : حمى النقيع بنون مفتوحة ، وقاف مكسورة ، وعين مهملة . وأصله : كل موضع يستنقع فيه الماء ، وبه سمي هذا الوادي .

قال ابن شبة : وهو واد كثير الذر ، وهو من المدينة على أربعة برد في يمانيها . انتهى .

وقيل : هو على ستين ميلا من المدينة ، ولعل مراد قائله طرفه الأقصى من المدينة ، وقد تقدم أنه صدر وادي العقيق ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، فيكون انتهاء النقيع إليه .

ونقل الهجري : أنه أول الاحماء وأفضلها وأشرفها ، وأن طوله بريد ، وعرضه ميل في بعض ذلك ، لأن النبي ﷺ لما حماه لخيل المسلمين أمر رجلا صيتاً فاتكأ على عسيب ، وصاح بأعلى صوته ، فكان مدى صوته بريداً ، وهو قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل والطرائف ،ويستأجم، أي: يستأصل أصله ، ويغلظ نبته حتى يعود

كالأجمة يغيب فيه الراكب إذا أحيا ، وفيه العضاه والغرقد ، والسدر والسيال ، والسلم والطلح ، والسمر والعوسج ، ويحف ذلك القاع حرة بني سليم شرقاً ، والصخرة غرباً مع أعلام مشهورة في المغرب برام ، والوبرة ، وضاف و والشقراء ، وببطن النقيع ، غدر تصيف ، وأعلاها يراجم ، ثم ألبن ، وبعضهم يقول : يلبن وهو أعظمها وأذكرها . انتهى .

ولأبي داود والزبير بن بكار بسند حسن عن الصعب بن جثامة أن النبي ﷺ حمى النقيع ، وقال : « لا حمى إلا لله » ، وزاد الزبير : « ولرسوله » .

ولأحمد عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ حمى النقيع للخيل ، فقلت له : لخيله ؟ قال : لا لخيل المسلمين .

ولابن شبة : أن النبي ﷺ حمى قاع النقيع لخيل المسلمين ، وفي رواية له : حمى النقيع للخيل ، وحمى الربذة للصدقة .

وللزبير بن بكار عن غير واحد من الثقات ، عن النبي ﷺ : أنه صلى على مقمل ، وحماه وما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين .

وزادت بنو أمية بعد والأمراء أضعاف ماحمى رسول الله ﷺ بالنقيع .

وعن هيصم المزني ، أن رسول الله ﷺ أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، فصلى عليه ، فمسجده هناك ، وقال لهيصم : « إني مستعملك على هذا الوادي ، فما جاء من هاهنا وهاهنا — يشير إلى مطلع الشمس ومغربها — فامنعه » ، فقال : إني رجل ليس لي إلا بنات ، وليس معي أحد يعاونني ، قال : فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل سيرزقك ولداً ويجعل لك ولياً ، قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الولاة يولون عليه والياً منذ عهد النبي ﷺ يستعمله والي المدينة حتى كان داود بن عيسى فتركه سنة ثمان وتسعين ومائة ، لأن الناس جلوا عنه للخوف ، فلم يبق أحد يستعمله عليه . انتهى .

وحمى أبو بكر بعد النبي ﷺ ، ثم عمر بعده غير النقيع كما سيأتي لكثرة خيل المسلمين وإبلهم .

وفي « الموطأ » عن يحيى بن سعيد ، أن عمر كان يحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير .

ونقل عن مالك : أن الخيل التي أعدها عمر رضي الله عنه ليحمل عليها في الجهاد من لا مركوب له عدتها أربعون ألفاً .

ومنها : حمى الربذة .

قرية[1] بنجد من عمل المدينة على نحو أربعة أيام منها ، نزلها أبو ذر الغفاري ، وتوفي بها .

قال الأصمعي : إنها من المشرق الذي هو كبد نجد ، وإنها الحمى الأيمن .

وقال الأهوازي : إنها خربت سنة تسع عشرة وثلاثمائة لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ، فاستنجد أهل ضرية بالقرامطة ، فارتحل أهل الربذة عنها .

وتقدم أن النبي ﷺ حماها لإبل الصدقة .

وفي « الكبير » للطبراني برجال الصحيح ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : حمى النبي ﷺ الربذة لإبل الصدقة . وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : عمر رضي الله عنها ، وهو الأشهر .

ولابن أبي شيبة بإسناد صحيح ، عن ابن عمر ، أن عمر رضي الله عنه حمى الربذة لنعم الصدقة ، فتعين الجمع بأن النبي ﷺ حمى منها شيئاً ، ثم زيد بعده في حماها .

---

(١) قال الشيخ حسب الله المكي : سيأتي في بطن نخل أنه يلتقي بها طريق الربذة ، وبطن نخل هو المعروف الآن بالحناكية ، فتكون الربذة من جهة الحناكية ، وأقول : الربذة جنوب الحناكية بمسافة تقرب من مسيرة يومين وتعرف الآن ببئر النفازي (حمد) .

لكن نقل الهجري أن عمر رضي الله عنه أول من أحمى الحمى بالربذة ، وأن سعة حماه بريد في بريد ، وأن سرة حمى الربذة كانت الحرة ، ثم زاد الولاة بعد في الحمى ، وآخر من حماه أبو بكر الزبيري لنعمه ، وكان يرعى فيه أهل المدينة ، وكان جعفر بن سليمان في عمله الأخير على المدينة أحماه لظهوره بعد مـــا أبيحت الاحماء في ولاية المهدي ، ثم لم يحمه أحد بعد بكار الزبيري . انتهى .

ومنها : الشرف .

حماه عمر رضي الله عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد وقيل : واد عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية ، والظاهر : أنه مراد من غاير بينهما .

وقال الأصمعي : الشرف كبد نجد ، وكانت منـازل بني حجر آكل المرار الكندي ، وفيها اليوم حمى ضرية ، وفي أول الشرف الربذة ، وهي الحمى الأيمن والشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مشرقاً فهو الشريف ، وما كان مغرباً فهو الشرف .

وقال أيضاً : الحمى يعني بنجد حميان : حمى ضرية ، وحمى الربذة ، وزاد عليه صاحب المعجم : حمى فيد وغيره ، فيحتمل أن المراد بقولهم : حمى عمر : الشرف ، والربذة : حمى ضرية والربذة ، ولذا لم يفرد الهجري الشرف بالذكر ، ونقل أنه كان يقال لعامل ضرية : عامل الشرف .

وقال الأصمعي : كان يقال : من تصيف الشرف ، وتربع الحزم [1] وشتى الصمان . وفي نسخة : الرمال ، فقد أصاب المرعى . اهـ .

ومنها حمى ضرية :

بالضاد المعجمة ، وكسر الراء ، وتشديد المثناة التحتية : قرية على نحو سبع

---

(١) الصواب : الحزن بالنون ، وهو مكان شرق الصمان يقطعه طريق الحج العراقي قديماً ، ويعرف الآن باسم الحزول جمع حزل ، كأنهم أبدلوا النون لاماً . (حمد) .

مراحل من المدينة بطريق حاج البصرة إلى مكة ، سميت باسم بئر عذبة هناك يقال لها : ضرية .

قال ابن الكلبي : سميت بضرية بنت نزار أم حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ، وهو أشهر الأحماء وأسيرها ذكراً ، وكان حمى كليب بن وائل فيما يزعم أهل البادية ، ومعروف قبر كليب به عندهم .

ونقل الهجري : أن أول من أحمى بضرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أحمى ستة أميال من كل ناحية ، وضرية وسط الحمى ، فكثر النعم زمن عثمان حتى ضاق عنه الحمى ، وبلغ أربعين ألف بعير ، فأمر عثمان أن يزاد ما يسع إبل الصدقة وظهران الغزاة ، فزاد زيادة لم يحددوها ، إلا أن عثمان اشترى ماء من مياه بني ضبيبة كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له : البكرة ، عندها هضبات يقال لها : البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية ، ويذكر أنها دخلت في حمى عثمان ، ثم لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطاً ومنعاً إبراهيم بن هشام المخزومي ، زاد فيه ، وضيق على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حوّاط الحمى يقاتلون عليه أشد القتال ، ويكون فيه الدماء ، وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية يروون أن ذا الجوشن الضبابي والد شمر قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وكانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال في الجاهلية :

دعوت الله إذ سغبت عيالي ... ليجعل لي لدى وسط طعاما
فأعطاني ضريّة خير بئر ... تمج الماء والحب التواما

ووسط جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المصعد خيشومه ، وبناحيته اليسرى دارة في أعلاها الماء الذي يقال له : قنبع [1] ، وهي بين وسط وعسعس ،

(١) صوابه : قنيبع . (حمد)

ويقال لها أيضاً : دارة عسعس، وعسعس جبل أحمر مجتمع في السماء كهيئة رجل جالس .

وأما عين ضرية وسيحها ، فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان، احتفرها ، وغرس نخلها ، وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء ، وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه ليكون أغزر للعين ، فلما قام بنو العباس كان ذلك فيما قبضوا، ففي آخر ولاية أبي العباس ، وكان تحته امرأة من بني جعفر بن كلاب المخزوميين ، وفد عليها خالها معروف ، فسأله أن يقطعه عين ضرية ، فأقطعه ، وكان بدوياً ذا نعم ، فلما أرطب نخلها نزلها بأهله ، وكانت نعمة ترد عليه ، وصار يطعم الضيفان الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فأتاه ضيفان بعد ما ولى الرطب ، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذهب الرطب ، فقال: يسوؤني أن أعود على ضيفاني من نخلكم ؟ وأتاه قيمه بشيء من قثائها ، فقال : قبح الله ما جئت به ، احذر أن يراه عيالي ، وكره النخل ، فاشتراه منه عبد الله الهاشمي عامل اليمامة بألفي دينار ، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين في سماطي ضرية الأولين ، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم في السنة ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا الحمى وأعلامه وأخباره ، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في الأصل .

ومنها : حمى فيد . بالفاء ، ثم مثناه تحتية ساكنة : منزل بنجد في طريق الحاج العراقي ، وبه سوق وبرك ، ونخل وعيون ، قيل : سمي بفيد بن حام ، لأنه أول من سكنه ، وعين النخل التي به احتفرها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والأخرى التي في وسط الحصن والسوق تعرف بالحارة ، احتفرها المنصور ، والثالثة على الطريق خارج المنزل ، حفرها المهدي ، قاله الأسدي .

وذكر ابن جبير ما يقتضي أنه على نحو تسع مراحل من المدينة .

وقال الهجري : إنه لم يجد أحداً عنده علم بمن كان أول من أحماه ، ولا كم كانت منعته أولى ما أحمى ، إلا أنه كان فلاة بين أسد وطيء ، وذكر من لقيت من أهله أن أول من حفر به حفراً في الإسلام أبو الديلم مولى لفزارة في ولاية بني مروان ، فاحتفر العين الـــتي هي اليوم قائمة ، وأساحها [1] ، وغرس عليها وكانت في يده حتى قام بنو العباس ، فقبضوها .

قلت : وكأنه لم يقف على ما سبق عن الأسدي من أن عين النخل لعثمان ، ولعله أول من حماه .

الفصل الرابع في بقاعها ، وآطامها وبعض أعمالهـا ، وأعراصها ، وجبالها ، وضبط الأسماء المتعلقة بذلك وبغيره مما تمس الحاجة إليه على ترتيب حروف الهجاء .

حرف الألف :

آرة كحارة : جبل كبير لمزينة فوق قدس مما يلي الفرع ، يخر من جوانبه عيون، عليها قرى كالفرع ، وأم العيال صدقة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، والمضيق، والمحضة ، والوبرة ، والخضرة ، والفعوة ، وأوديتها تصب في الأبواء ، ثم بودان ، ويسمى الوادي « آرة حقل » ، وبه قرية يقال لها : « وبعان » ، وخلص آرة واد فيه قرى ، قاله عرام .

أبار بالضم ، وأبيرة مصغرة ، من أودية الأجرد يصبان في ينبع .

أبرق خترب : بحمى ضرية ، به معدن فضة كثير النيل .

أبرق الداث : بالحمى ايضاً ، والداث : واد عظيم هناك .

أبرق العزاف : بعين مهملة ، ثم زاي معجمة مشددة ، آخره فاء : بين المدينة والربذة على عشرين ميلا من الربذة ، به آبار قديمة غليظة .

---

(١) أي : أجراها .

قال خريم بن فاتك في سبب إسلامه : أجنني الليل بأبرق العزاف ، فناديت : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهائه ، وإذا بهاتف يهتف بي :

عذ يا فتى بالله ذي الجلال واقرأ بآيات من الأنفال ووحّد الله ولا تبالي

فقلت :

يا أيها الهاتف ما تقول أرشد عندك أم تضليل

فقال :

هذا رسول الله ذي الخيرات يدعو إلى الخيرات والنجاة

في شعر آخر ذكره ابن اسحاق مع محبته للنبي ﷺ وإسلامه .

وفي « الأمثال » للزمخشري في قولهم : أقفر من أبرق العزاف ، وهو رملة لبني سعد يسرة عن طريق الكوفة ، قريبة من زرود ، يزعمون أن فيها الجن . انتهى . والأبارق كثيرة ، وهي لغة : الموضع المرتفع ذو الحجارة والرمل والطين .

الأبلق الفرد : حصن تيماء ، كان ينزله السموأل ، ، والعرب تضرب به المثل في الحصانة ، وزعموا أنه من بناء سليمان عليه السلام ، وضربوا المثل في الوفاء بالسموأل لقصة اتفقت له في ذلك بهذا الحصن .

أبلى كحبلى : جبال لبني سالم [1] بين السوارقية والرحضية على نحو أربعة أيام من المدينة .

الأبواء : كحلواء ممدود ، وسبق في مسجد الأبواء، وهي قرية قال كثير : سميت به لأنهم تبوؤوها منزلاً ، وقيل : لأن السيول تبوأتها ، وقيل : هو اسم جبل هناك يمين آرة سمي به لوبائه على القلب .

والأصح : أن قبر أم رسول الله ﷺ بالأبواء ، ماتت هناك وهي راجعة من المدينة .

---

(١) صوابه : سليم (حمد) .

الأئمة ، أئمة عبد الله بن الزبير : بساط واسع يدفع على حضير .

الأثاية : سبق في مسجدها ، وحكي فيها تثليث الهمزة ، وفيه حديث : « حتى إذا كان بالاثاية بين الرويثة والعرج إذا بظبي حاقف ...[1] » الحديث .

الأثبة محركة : واحدة الاثب للشجر المعروف : غدير بالعقيق ، وهناك مال لعبد الله ، ونخل ليحيى بن الزبير .

الأثيفية بالضم ، ثم الفتح ، ثم سكون المثناة تحت ، وكسر الفاء ، ثم مثناة تحت مخففة ، ويقال : ذو أثيفية من أودية العقيق .

الأثيل تصغير الأثل ، بين بدر والصفراء ، وهو على ميلين من بدر ، به عين لآل جعفر بن أبي طالب ، يقال : صلى النبي ﷺ به العصر مرجعه من بدر ، فمر به ميكائيل عليه السلام بعد ما صلى ركعة وعلى جناحه النقع ، فتبسم وقال : إني كنت في طلب القوم ، فتبسم ﷺ له وقتل عنده النضر بن الحارث ، والأثيل : موضع آخر في ذلك الصقع أكثره لبني ضمرة .

ذات أجدال : موضع بمضيق الصفراء .

الاجرد : أطم بني خدرة بالبصة ، وجبل لجهينة شامي بواط ، وجبل آخر ، أو موضع قبل مدلجة تعهن .

أجش : بالجيم محركاً ، وشين معجمة مشددة ، أطم بني أنيف بقباء .

أجم بني ساعدة : بضم أوله وثانيه : أطم كان لهم قرب ذباب .

أحباب جمع حبيب : بلد في جنب السوارقية .

أحجار الزيت كانت عند مشهد مالك بن سنان يضع عليها الزياتون رواياهم ، فعلا الكبس عليها .

---

(١) أي نائم قد انحنى في نومه كما في « مجمع البحار » .

ولابي داود والترمذي وغيرهما ، عن مولى آبي اللحم[1] ، أنه رأى النبي ﷺ يستسقي من أحجار الزيت قريباً من الزوراء قائماً يدعو ... الحديث .

واقتضى كلام كعب الاحبار :أنه أيضاً موضع من الحرة بمنازل بني عبد الاشهل به كانت وقعة الحرة .

أحجار المراء بقباء ، وفي حديث : يلقى جبريل عند أحجار المراء . وفي « النهاية » قال مجاهد : هي قباء .

أحد : بضمتين ، تقدم في فضله .

الأحياء : جمع حي : ما أسفل ثنية المرة برابغ ، به سرية عبيدة بن الحارث .

أخزم كأحمد : جبل بين ملل والروحاء ، يعرف اليوم بخزيم .

قال ابن هرمة :

بأخزم أو بالمنحنى من سويقة .

الأخضر: بالفتح وضاد معجمة ، منزل نبوي قرب تبوك .

أذاخر جمع أذخر ، تقدم في الأودية ، وأذاخر : ثنية قرب مكة

أرابن بالضم ، ثم بالفتح ، وكسر الموحدة ، ثم نون : منزل على قفا مبرك ينحدر على مضيق الصفراء .

أرثد : بالمثلثة والدال المهملة ، كأحمد : وادي الأبواء .

الأرحضية بحاء مهملة ، وضاد معجمة ، ومثناة تحتية مشددة ، ويقال : الرحضية بكسر الراء : قرية بها آبار ومزارع ، وحذاءها قرية يقال لها : الحجر بناحية أبلى .

---

(١) هو عمير كما في « أسد الغابة » ، وآبي اللحم : بهمزة ممدودة ، وكسر الباء ، وقيل : لأنه كان لا يأكل اللحم ، وقيل : لا يأكل لحم ما ذبح للأصنام . واسمه عبد الله ، وقيل : خلف ، وقيل : الحويرث الغفاري ؛ صحابي استشهد يوم حنين رواه عنه مولاه .

أسقف : جبل بطرف رابوع .

الأسواف بالفتح ثم السكون آخره فاء ، ويقال : الأساويف : شامي النقيع[1] على طريق المتوجه إلى أحد ، قال ابن عبد البر : به صدقة زيد بن ثابت .

وفي « طبقات ابن سعد » ، قال أبو الزناد : كنا نتحدث أن الأساويف مما أقطعه عمر لزيد بن ثابت .

قلت : وبعضه اليوم بيد الطائفة المعروفة بالزيود من العرب يتوارثونه .

وفي « الأوسط » للطبراني ، خرج رسول الله ﷺ زائراً لسعد بن الربيع الأنصاري ومنزله بالأسواف ، فبسطت امرأته لرسول الله ﷺ تحت صور من نخل ، فجلس ... الحديث . وفيه قصة البشارة بالجنة . ورواه الواقدي مطولاً ، إلا أنه ذكر أن مجيء النبي ﷺ لامرأته بعد مقتله بأحد ، وأن زيد بن ثابت تزوج ابنة سعد بن الربيع .

وفي « الأوسط » أيضاً ، أن النبي ﷺ جلس على بئر بالأسواف ، وأدلى رجليه فيها ، وذكر مجيء أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، كحديث بئر أريس ، وأن بلالاً المأمور بالاذن لكل منهم ، وأن يبشره بالجنة .

الأشعر : قال الهجري : وجدت صفته ، وصفة الأجرد جبل جهينة ، فنقلته للحديث الذي جاء فيه مرفوعا في الأمان من الفتن ، ثم قال الأشعر : يحده من شقه اليماني ، ووادي[2] الروحاء ، ومن شقه الشامي بواطان .

ولابن شبة عن أبي هريرة رضي الله عنه : « خير الجبال أحد ، والأشعر ، وورقان » .

---

(١) لعل صوابه : البقيع بالموحدة .

(٢) لعل إحدى الواوين زائدة من الطبع ، أو عاطفة على مقدر ، أي : يحده كذا . ووادي الروحاء ، فتأمل ، والصواب : أن إحدى الواوين زائدة .

الأشنف : أطم يواجه مسجد الخربة .

أضاة بني غفار ، بالضاد المعجمة والقصر كحصاة : مستنقع الماء . قال في «المشارق» : وهو موضع بالمدينة ، فيه حديث أن جبريل لقي النبي ﷺ عند أضاة بني غفار .

قلت : منازل بني غفار غربي سوق المدينة ، كما سبق في المساجد ، وبالسائلة من أجبل جهينة الى بطحان .

أضاخ كغراب ، آخره معجمة ، ويقال : وضاخ[1] : سوق على ليلة من عرفجا .

أضافر جمع ضفيرة ، وهي الحقف من الرمل : اسم ثنايا سلكها النبي ﷺ بعد ارتحاله من ذفران يريد بدراً ، وذو الأضافر هضبات على ميلين من هرشى ، ويقال لها : الأضافر أيضاً .

إضَمْ كعنب ، تقدم آخر الفصل الثاني أنه الوادي المعروف اليوم بالضيقة ، وأن أعلاه مجتمع الأسيال ، وكان به أموال زعاب[2] على عيون ، والجبل الذي بالوادي يسمى بإضم أيضاً .

وروى البيهقي : أن مصارعة النبي ﷺ لركانة[3] أشد أهل زمانه كانت بوادي إضم ، وبطن إضم كما في « طبقات ابن سعد » : ما بين ذي خشب ، وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة .

الأطول : أطم بمنازل بني عبيد عند المسجد الخربة من القبلة .

أعشار جمع عشر : من أودية العقيق ، وإليه يضاف كهف أعشار .

أعظم بضم الظاء المعجمة جمع عظم : جبل كبير شمالي ذت الجيش ، قاله المجد .

---

(١) لا يزال معروفاً ، قرية شرقي ضرية . (حمد) .

(٢) ولعل الصواب : رغاب بالراء المهملة والغين المعجمة : أي : الكثير ، أو رغابة : مجمع السيول .

(٣) اسم رجل مشهور بالقوة والمصارعة وهو بضم الراء .

وفي خط المراغي : بفتح الهمزة والظاء معاً ، ويقال : فيه عظم[1] بفتحتين ، وهو المعروف اليوم ، وفيه يقول عامر الزبيري :

قل للذي رام هذا الحي من أسد رمت الشوامخ من عير ومن عظم

وعن محمد بن فليح عن أشياخه قالوا : ما برقت السماء قط إلا استهلت على عظم ، وكانوا يقولون : إن على ظهره قبر نبي أو رجل صالح .

أعماد : أربعة آطام بين المذاد والدويخل ، جبل بني عبيد ، بعضها لبني عبيد ، وبعضها لبني حرام .

الأعواف ، ويقال : العواف : أحد الصدقات المتقدّمة .

الأعوص ، كالأحمر ، بعين وصاد مهلمتين : شرقي المدينة بين بئر السائب وبئر المطلب .

الأفراق : بالفاء ، آخره قاف كالأسواف ، كأنه جمع فرق . وعن بعضهم : كسر الهمزة : موضع من حوائط المدينة .

ألاب[2] كسراب : من أودية الأشعر يلتقي مع مضيق الصفراء أسفل من عين العلاء .

ألبن بالفتح ، ثم السكون ، ثم موحدة مفتوحة على الأفصح كما سيأتي في يلبن .

ألهان كنبهان : موضع لبني قريظة .

أم العيال : عين عليها سوقة[3] ، وسبق في آرة أنها صدقة فاطمة ، قاله عرام .

وقال ابن حزم : هي لولد طلحة بن عبيد الله ، أنفق عليها ثمانين ألف دينار ، وغلة ثمرها خاصة أربعة آلاف دينار ، تسقي أزيد من عشرين ألف نخلة .

---

(١) هو جبل كبير غربي الجرف عن يسار مغيب الشمس ، مشهور .

(٢) أقول : لا يزال ألاب معروفا ، وانظر وصفه في مجلة كلية الاداب من جامعة الرياض الجزء الأول . (حمد) .

(٣) لعل الصواب : عليها سوق .

أمج : بفتحتين وجيم : واد يأخذ هو ووغران من حرة بني سليم ، يفرغان في البحر ، يطأ المـار بكة الأول بعد خليس بميلين ، ثم الثاني ، وهو وادي الأزرق بعد أمج بميل .

ذو أمر : بفتحتين بطريق فيد على ثلاثة مراحل من المدينة بقرية النخيل . وقيل : نخل .

وقال ابن حزم : أقطع النبي ﷺ عوسجة الجهني ذا أمر ، واعتزل بعض ولد ابن الزبير بأمر من بطن إضم في بعض الفتن .

إمّرة[1] بالكسر : كإمّعة ، وقد تفتح الهمزة : موضع قرب جبل المنار به آبار سمي باسم الصغير من ولد الضأن .

الأنعم : بضم العين ، سبق في مسجد المنارتين بطريق العقيق ، أنه الجبل الذي على يمين الآتي من الزقيقين ، وهو الذي بنى عليه المزني وجابر الربعي ، وفيه يقول الشاعر .

لمن الديار غشيتها بالأنعم .

والأنعم بفتح العين : جبل ببطن عاقل قرب حمى ضرية ، وعناه جرير بقوله .

حيّ الديار بعاقل فالأنعم .

فاجتنب ما وقع للمجد هنا .

إهاب[2] ككتاب ، وقد تبدل الهمزة ياء ، وفي مسلم[3] : تبلغ المساكن إهاب أو يهاب بكسر الياء .

وإليه تضاف بئر إهاب المتقدمة في الآبار بالحرة الغربية .

---

(١) لا يزال معروفا شمال جبل طخفة ، وفي الشمال الشرقي من ضرية . (حمد) .

(٢) تعرف اليوم بزمزم كما ذكره المؤلف في الآبار وفيما سيأتي .

(٣) أي : « صحيح مسلم » .

ذوأوان بلفظ : الأوان للحين . قال ابن إسحاق : لما قفل النبي ﷺ من تبوك ونزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، أتاه خبر مسجد الضرار .

الأوساط بسين وطاء مهملتين : بدار سعد بن عبادة . وفي رواية : بدار بلحارث ، ولعل المراد من كان بدار سعد منهم عند جوار سعد .

حرف الباء .

بئر أرمى بالفتح ، وسكون الراء ، كسلمى : على ثلاثة أميال من المدينة عندها غزوة ذات الرقاع .

بئر ألية بلفظ : ألية الشاة في حزم بني عوامل على يومين من المدينة .

بئر جشم : بضم الجيم ، وفتح الشين المعجمة ، ولعله ابن الخورج جد بني مالك بن عضب ، ومنزلهم ببني بياضة غربي رانونا ، وقول ياقوت : بئر جشم بالجرف ، إن صح فهي غير المذكورة في مسيل رانونا .

بئر خارجة : بالخاء المعجمة ، وكسر الراء ، وفتح الجيم : اسم رجل أضيفت إليه البئر ، وهي بالمدينة غير معروفة اليوم .

بئر خريف : تقدمت في بئر أريس .

بئر الحصي : تأتي في الخاء المعجمة .

بئر الدريك : تصغير درك ، ويقال : الزريق بالقاف ، لها ذكر في منازل بني خطمة ، وقال قيس بن الخطيم :

ببئر دريك فاستعدوا لمثلها وأصغوا لها آذانكم وتأملوا

بئر ذروان : بفتح الذال المعجمة كمروان عند البخاري . ولمسلم : بئر ذي أروان . وأسقط الأصيلي الراء وغلط ، وكان الأصل : ذي أروان ، فسهلت الهمزة لكثرة الاستعمال ، فصار ذروان . وروي : بئر أروان باسقاط ذي ، وهي بئر بني زريق ، وضع لبيد بن الأعصم ، وكان منافقاً حليفاً في بني زريق

سحره للنبي ﷺ تحت راعوفتها[1] ، وكان ماؤها كنقاعة الحناء ، ونخلها كأنه رؤوس الشياطين ، فأمر بها النبي ﷺ فدفنت بعد إخراج السحر منها ، لكنه لم يخرجه للناس .

بئر رئاب : بكسر الراء ، ثم همزة وألف ، آخره موحدة : بئر بالمدينة لها شاهد في محيص[2] .

بئر ركانة : على عشرة أميال من المدينة بطريق العراق .

بئر زمزم : بزايين معجمتين ، تقدمت في بئر إهاب .

بئر السائب : بالطريق النجدي ، على يوم من المدينة ، ويوم من الشقرة ، والجبل المشرف عليها يقال له : « شباع » بالشين ككتاب ، يذكر أن إبراهيم الخليل نزل في أعلاه .

بئر عائشة : رجل من بني واقف ، عليها أطم له بجهة قبلة مسجد الفضيخ .

بئر عذق : بالفتح وسكون الذال المعجمة بلفظ : العذق للنخلة ، معروفة بقباء بمنازل بني أنيف .

بئر عروة : تقدمت مع قصره في فضل العقيق .

بئر ذات العلم : بفتحتين تجاه الروحاء ، يقال : إن عليّ بن أبي طالب قاتل الجن بها ، وهي متناهية بعد هرشى[3] .

بئر عاصر : تقدمت في صدقة عثمان ببئر أريس .

---

(١) الراعوفة والراعوف : حجر في أسفل البئر ، أو صخرة في أسفلها ، يجلس عليها المائح أو غيره ، وقيل : في أعلاها ، وقيل غير ذلك . « لسان العرب » .

(٢) كأمير : موضع بالمدينة .

(٣) كيف هذا مع قوله أولا : إنها تجاه الروحاء ، والحال : أن بين الروحاء وهرشى مراحل ، ولعل هنا سقط شيء فإن هرشى عند رابغ .

بئر فاطمة : بنت الحسين رضي الله عنها : احتفرتها بالحرة الغربية عند انتقالها من بيت جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنها لإدخاله في المسجد قرب بناء إبراهيم ابن هشام فصلت في موضع بئرها ركعتين ، ثم دعت الله تعالى ، وأخذت المسحاة ، فاحتفرت بيدها ، وأمرت العمال ، فعملوا ، فما لقيت حصاة حتى أماهت ، فلما بنى إبراهيم بن هشام هناك ، وأراد نقل السوق صنع في حفرته بالحوض مثل ذلك فلقي جبـــلًا ، فاشترى دار فاطمة هذه من ابنها عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم .

ورجح المطري أن هذه البئر هي المعروفة اليوم بزمزم ، وسبق رده في بئر إهاب ، والظاهر : أنها بقربها .

بئر فجار : بتشديد الجيم ، تأتي في الشطيبة .

بئر مدرى : بكسر الميم ، وسكون الدال ، بلفظ المدرى الذي يكتحل به : من الآبار النفيسة ، عمل عثمان رضي الله عنه عندها الردم ليرد به سيل مهزور عن المسجد .

بئر مرق : محركاً ، وقـد تسكن الراء آخره قاف ، بحائط لبني ظفر ، ويعرف اليوم : بالمرقية .

بئر مطلب : منسوبة إلى المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي ، على ستة أميال من المدينة بالطريق النجدي .

بئر معونة : بفتح الميم وضم العين ، ثم واو ، ثم نون مفتوحة ، ثم هاء ، وقد تتصحف ببئر معاوية التي بين عسفان ومكة ، بلفظ : معاوية الخليفة ، وليست بها ، فهذه بين جبال يقال لها : ابلى لبني سليم قرب حرتهم ، ومعونة اسم الوادي الذي البئر به معروف اليوم هناك .

وقال الزهري : بعث رسول الله ﷺ قبل أرض بـني سليم ، وهو بـئر

معونة بحرف ابلى ، وهو مخالف لما في « المشارق » ، من أن بئر معونة بين عسفان ومكة ، وهو مقتضى قول الواقدي : إن قصة الرجيع كانت عند بئر معونة ، لأن قصة الرجيع هناك ، لكن غاير ابن إسحاق بينهما في الموضع .

بئر الملك : بكسر اللام ، وهو تبع اليماني ، حفرها بمنزله بقناة ، فاستوبأها، فاستقي له من بئر رومة . وفي صدقات علي : بئر الملك بقناة .

بئر الهجيم : بالجيم مصغراً : وهو أطم بالعصبة .

بألا : بفتحات ثلاث ، تقدم في مساجد تبوك .

البتراء : تقدم فيها أيضاً ، والظاهر أنه غير البتراء التي انتهى النبي ﷺ إليها مورياً في غزاة بني لحيان ، ثم أخذ ذات اليسار ، فخرج على يـين ، ثم صخيرات الثمام .

البجرات : بفتح الباء والجيم ، وقد تصغر : مياه سماء تجتمع بجبل شوران[1].

بحران : بالضم ، وقيل : بالفتح وسكون الحاء المهملة ، ثم راء : معدن فوق الفرع ، به غزاة أو سرية .

بحرج : أطم بقباء .

بدا : بالفتح مخففاً : موضع قرب وادي القرى[2] .

البدائع : تقدم في مسجد الشيخين .

بدر : بالفتح ثم السكون : بئر احتفرها رجل من غفار اسمه بدر بالموضع الذي كانت به وقعة بدر ، وقيل : هو بدر بن قريش ، وقريش بن مخلد بن النضر ، وقيل : الذي سميت به قريش قريشاً ، وقيل : هو من بني ضمرة سكن الموضع ، فغلب اسمه عليه ، وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الثالثة ،

---

(١) قرب ميطان والعريض .

(٢) هو واد لا يزال معروفاً بقرب الوجه وظبا (حمد) .

كله موضع واحد، استشهد بوقعتها التي أعز الله بها الإسلام ثلاثة عشر رجلا غير عبيدة بن الحارث تأخرت وفاته حتى وصل الصفراء، فدفن فيها .

قال المرجاني : وضربت طبلخانة النصر ببدر، فهي تضرب إلى يوم القيامة .

براق خبت : بكسر أوله، وفتح الخاء المعجمة، وسكون الموحدة، ثم مثناة فوق : صحراء يمر بها المصعد من بدر إلى مكة .

برام : بفتح أوله، وقد يكسر : جبل كأنه فسطاط من أعلام النقيع في المغرب، ويقابله عسيب في المشرق .

برقة : بالضم، وروي بالفتح، ثم السكون : تقدمت في الصدقات .

برقة العيرات : بفتح العين المهملة، والمثناة التحتية : بين ضرية وبيسان [1]، حسنة متسعة على أقل من نصف ميل منها، وهي التي في شعر امرىء القيس .

برك : بالكسر : واد بحذاء شواحط بناحية السوارقية، ويقال لثنية مبرك : برك كما سيأتي .

البركة : بالكسر، مغيض عين الأزرق .

برمة : بالكسر : قرب بلاكث بين خيبر ووادي القرى، به عيون ونخل، ويقال له : ذو البيضة .

البرود : بالفتح وضم الراء : موضع بين طرف ملل، وطرف الأشعر، وموضع آخر بطرف حرة النار .

البزواء : بالزاي كالحلواء : بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل بين الجار، وودان وغيقة من أشد بلاد الله حراً، سكانه بنو ضمرة من كنانة رهط عزة صاحبة كثير، قال كثير يهجوهم :

ولا بأس بالبزواء أرضاً لو انها   تطهر من آثارهم فتطيب

---

(١) صوابه : البستان، ويقصد بستان ضرية : (حمد)

البضيع : بالضم وفتح الضاد المعجمة مصغراً : ضرب [1] عن يسار الجدار أسفل من عين الغفاريين ، قاله ياقوت . ويظهر أنه الآتي في النون .

البطحاء : يدفع فيها طرف عظم الشامي وما دبر [2] من الصلصلين ، وتدفع هي من بين الجبلين في العقيق .

بطحان : بالضم ، ثم السكون ، وقيل : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وحكي فتح الأول وسكون الثاني ، تقدم في الأودية .

قال الشاعر :

سقياً لسلع ولساحاته والعيش في أكناف بطحان
أمسيت من شوقي إلى أهلها أدفع أحزاناً بأحزان

بطن نخل [3] جمع نخلة : على نحو يومين من المدينة ، بينها الطريق [4] بطريق فيد ، بها أكثر من ثلاثمائة بئر ، كلها طيبة ، وبها تلتقي [5] طريق الربذة .

بعاث : أوله بالحركات الثلاثة ، وقال عياض : بالضم لا غير ، وبالعين المهملة ، وآخره مثلثة . وعن الخليل : إعجام العين .

---

(١) لعله ظرب بالظاء المعجمة ، ككتف .

(٢) لعله : ما أدبر فتأمل .

(٣) هو الموضع المعروف بالحناكية ، قاله بعض فضلاء المدينة .

(٤) الصواب : الطرف بطريق فيد كما في « الوفا » . إحدى مراحل طريق فيد ، والطرف الآن يعرف باسم الصويدرة . (حمد)

(٥) فعلى هذا تكون الربذة من جهة الحناكية ، وبه يعلم أن الواسطه التي هي من جملة قرى وادي الصفراء ليست هي الربذة ، وأن أباذر المدفون بها ليس هو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه لأنه مدفون بالربذة كما صرح بذلك في غير موضع ،

قال أبو حامد السكري : هو تصحيف . وفي « المطالع » و « المشارق » : بإهمال العين على المشهور ، وقيده الأصيلي بالوجهين . وعند القابسي بالمعجمة ، ويقال : إن أبا عبيدة ذكره بها أيضاً ، وهو موضع عند أعلى قورى ، ويقال : حصن أو مزرعة ببني قريظة على ميلين من المدينة ، ولعل قورى هو المعروف اليوم بقوران أسفل الدلال لما ذكرناه في الأصل .

وقال محمد بن مسلمة : إنه سلك بعد قتل ابن الأشرف على بني قريظة ، ثم على بعاث ، حتى أسند في حرة العريض ، وبه يرد قول عياض : بعاث على ليلتين من المدينة .

بعبع : بالضم وإهمال العينين ، أطم بقباء .

بغيبغة : بإعجام الغينين : تصغير البغبغ ، للبئر القريبة الرشاء . ويقال : البغيبات ، وهي عيون عملها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بينبع أول ما صارت إليه ، وتصدق بها ، وبلغ جدادها في زمنه ألف وسق ، منها خيف الأراك ، وخيف ليلى ، وخيف نسطاس ، وأعطاها حسين بن علي عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنهم يأكل ثمرها ، ويستعين بها على دينه على أن لا يزوّج ابنته من يزيد بن معاوية ، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية ، فلما تملك بنو هاشم ، كلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس ، وهو خليفة ، فردها في صدقة علي رضي الله عنه ، ثم قبضها أبو جعفر في خلافته ، فحين استخلف المهدي أخبره الحسين بن زيد خبرها ، فردّها مع صدقات علي . وقيل : لم تزل بيد بني عبد الله بن جعفر حتى استخلف المأمون ، فانتزعها وعوضهم عنها ، وردّها في وقف علي .

البقال [1] : بالفتح وتشديد القاف : موضع به دور بعضها مجاور لبقيع الزبير ، وبعضها لبقيع الغرقد .

بقعاء : كصفراء ، بمعنى المجدب من الأرض ، ويقال له : بقعاء ذي القصة، موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة ، خرج إليه أبو بكر لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة .

بقع : بالضم : بئر قيل : هي السقيا التي بنقب بني دينار . وقال الواقدي: البقع بالضم من السقيا التي بنقب بني دينار .

بقيع بطحان : بالفتح مضاف إلى وادي بطحان المتقدم .

بقيع الخبجبة : بفتح الخاء المعجمة ، ثم موحدة ، وفتح الجيم ، ثم موحدة ، وهاء : شجر ينبت بهذا الموضع . وقال السهيلي : إنه بجيمين . وابن الأثير : بخاءين معجمتين ، وتقدم بيانه في أول الباب الرابع ، وأنه على يسار المار إلى مشهد سيدنا إبراهيم ، وأمر النبي ﷺ بضرب اللبن هناك حين بنى المسجد .

بقيع الخيل : ماجاوز المصلى من شرقي المدينة ، ويقال له : بقيع المصلى أيضاً . قال أبو قطيفة :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ... بقيع المصلى أم كعهد القرائن

ويروى : جنوب المصلى .

بقيع الزبير : أقطعه النبي ﷺ والمصلى له ، فاتخذ في بعضه دوراً ، وهو بجوار بني غنم ، وفي شرقيه البقال ، وأظن الرحبة التي بحارة الخدام بطريق بقيع الغرقد منه .

---

(1) من جملته الرحبة التي يجلس فيها أغاوات الحرم بطريق البقيع عند عين الحارة ، قاله بعض فضلاء المدينة ، وسيأتي قريباً التصريح به ، ومن جملته المدرسة الرستمية، ومن تأمل في قوله الآتي : « وفي شرقيه البقال » علم أن الرحبة المذكورة ليست من جملة البقال ، بل هي من بقيع الزبير ، وأن البقال بين البقيعين .

بقيع الغرقد : بالغين المعجمه : كبار العوسج ، كان نابتاً به ، فقطع واتخذ مقبرة كما سبق

وقال عمرو بن النعمان البياضي يرثي قومه ونسب لرجل من خثعم :

خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن العنـــاء تفردي بالسؤدد

أين الذين عهـدتهم في غبطـة بين العقيق إلى بقيـع الغرقـد

البكرات : بحمى ضرية .

البلاط : تقدم مستوفى .

بلاكث : بالفتح وكسر الكاف ، ثم مثلثة : بجانب برمة ببطن اضم .

بلحان : بالفتح ، ثم السكون : أطم بالمال الذي يقال له : الشجرة ، ويعرف اليوم : بالشجيرة[1] مصغراً .

البلدة : بسكون اللام .

البليدة : تصغير ما قبله ، معروفان بأسفل نخلى من أودية الأشعر ، قرب الموضع المعروف بالفقير[2] ، وقد يقال في الثاني : البليد . قال ياقوت : وهو لآل عليّ .

بواطان : بضم أوله ، وحكي فتحه وطاء مهملة : جبلان شامي الأشعر مفترقا الرأسين ، غورى وجلسى[3] ، وأصلها واحد ، ولذا يقال بالافراد ، بينها

---

(١) محل معروف بالعالية .

(٢) لا يخفى أنه إن أراد الفقير بالتصغير ، المعروف بالعالية ، فالظاهر أنه غلط ، إذ الأشعر قرب بواط بينه وبين الفقير ، مسافة بعيدة ، فليحرر المراد ، قاله بعض فضلاء المدينة .

(٣) نسبتان للغور ، وهو المكان المنخفض ، والجلسى : وهو كل نجد مرتفع ، قاله في المجمع .

ثنية تسلكها المحامل ، سلكها النبي ﷺ في « غزوة العشيرة » ، والجلسى منها تلي ملحتين لناس من جهينة ، نقله المجري ، وبوادي بواط « غزوة » .

البويرمة : بئر بني الحارث بن الخزرج ، كذا في نسخة من ابن شبة ، ولعله تصحيف البويرة لما سيأتي .

البويرة : تصغير البئر التي يستقى منها .

وفي « الصحيح » : حرق نخل النضير ، وهي البويرة .

وليست هي الموضع المعروف بهذا الاسم في قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، كما أوضحناه في الأصل ، بل هي بمنازلهم المتقدمة ، ومنها ناحية الغرس .

وقد قال ابن زبالة في حديث تربة صعيب المعروف اليوم عند ركن الحديقة الما جشونية ما لفظه : وصعيب عند النخلة المرجبة على الطريق في بناء ناحية من البويرة . اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر : إنه يقال له : البويلة باللام بدل الراء .

ولابن سعد : أن النبي ﷺ أعطى الزبير بن العوام وأبا سلمة البويلة من أرض بني النضير .

قلت : والبويلة أطم لبني النضير بمنازلهم .

البيداء : الشرف الذي قدام ذي الحليفة ، فوق علم مخرج ذي الجليفة إذا صعدت من الوادي .

ولابن شبة عن ابن عمر : إذا خسف بالجيش بالبيداء ، فهو علامة خروج المهدي .

بيسان : بالفتح وسكون المثناة تحت ، ثم سين مهملة ، وألف ونون : ماء ملح بين خيبر والمدينة ، نزل به ﷺ في « غزوة ذي قرد » ، فسماه نعمان ، ووصفه بالطيب ، فغير الاسم ، وغير الله الماء فاشتراه طلحة وتصدق به .

حرف التاء .

تاراء بالمد ، سبق في مساجد تبوك فراجعه .

تبوك كصبور : موضع بين وادي القرى والشأم ، على اثنتي عشرة مرحلة من المدينة ، به عين ونخل وحائط ينسب للنبي ﷺ ، وكان أمرهم إذا نزل بها أن لا يمس أحد من ماء عينها ، فسبق رجلان وهي تبض بشيء من ماء ، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها ، فقال ﷺ : « مازلتا تبوكانها » ، أي : تحركانها بما أدخلتماه ، فسميت بذلك تبوك .

وركز ﷺ عنزته فيها ثلاث ركزات ، فجاشت ثلاثة أعين .

ولمسلم : أنه ﷺ غسل وجهه ويديه بشيء من مائها ، ثم أعاده فيها . ولابن إسحاق : فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ، ثم قال ﷺ : « يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملىء جناناً » .

وسيأتي في سرغ عن المجد : أنها آخر عمل المدينة ، وأنها بوادي تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة . فقوله : إن تبوك ليس من شرط الكتاب لبعده عن المدينة ، مردود .

توبان : بالضم ثم السكون : واد بين ذات الجيش وملل .

ترعة : واد يلقى اضم من القبلة ، وفي صدقات عليّ وادي ترعة بناحية فدك بين لابتي حرة

التسرير : واد بين ضلعي حمى ضرية ، وبلفظ السرير الذي يجلس عليه خطأ .

تضارع : بضم أوله وضم الراء ولا نظير له ، وقد تكسر الراء وبفتح أوله وضم الراء ، تقدم في جماوات العقيق .

تعار : بالكسر وإهمال العين ، جبل في قبلة أبلى .

تعهن بكسر أوله وثالثه ، ويفتحان . وحكي ضم أوله ، وفتح ثانية ، وكسر

ثالثه . وللإسماعيلي : دعهن بالدال المهملة بدل التاء ، ويقال : تعاهن بالضم وكسر الهاء : عين ماء خربة بطريق مكة بعد السقيا بثلاثة أميال لجهة مكة . فقول المجد : هي بين القاحة والسقيا مردود ، إذ القاحة قبل السقيا بميل ، لكن قوله في حديث أبي قتادة : تركته بتعهن وهو قائل السقيا بعد أن صاد أبو قتادة الحمار بالقاحة قبل إحرامه وهم ذاهبون لحجة الوداع شاهد له إن كان من القول ، أي اقصد السقيا أو القيلولة ، والضمير في وهو للنبي ﷺ ، وكون الترتيب كما قدمناه قاض بأن الضمير للغفاري ، أي والغفاري قائل : اقصد السقيا ، ويدل عليه رواية الاسماعيلي وهو قائم بالسقيا ، فيكون من كلام أبي قتادة ، وقد روي : وهو قابل بالباء الموحدة والضمير لتعهن ، كما قال الحافظ ابن حجر ، ويصح عوده للغفاري أيضاً .

تمني : بفتحتين وتشديد النون المكسورة : أرض يطؤها المنحدر من ثنية هرشى يريد المدينة ، وبها جبال تسمى البيض .

تناضب : بالضم وكسر الضاد المعجمة : شعبة من الدوداء ، تدفع في العقيق، وأما التناضب بالفتح وضم الضاد وكسرها ، فمن أضاة بني غفار[1] التي فوق سرف قرب مكة .

تيدد : بالفتح وسكون المثناة تحت ، ثم دالين مهملتين ، تقدم في أسماء المدينة وهو اسم لموضع آخر من أودية الأجرد ، جبل جهينة ، عيون صغار ، كلها تدفع في أسنان الجبال، فإذا أسهل[2] بغراسها لم ينجب لأن صاحبها وكان من جهينة قال: هي في جبل وذمها ، فقال النبي ﷺ : « لا أسهلت تيدد » نقله الهجري .

تيس : بلفظ فحل المعز : أطم لبني عنان من بني ساعدة .

تيم : بفتحتين ، عبر به عن ثيب جبل شرقي المدينة .

---

(١) هو الغدير المشهور قرب قبر ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها من جهة الشام .
(٢) أي ماء العيون سال في شجرها .

تيماء[1] : بالفتح والمدّ : بلدة من توابع المدينة على ثمان مراحل منها .

حرف الثاء :

الثاجة : بالجيم المشددة : ماء يثج بجرض ، وبجراض ثاجة أخرى .

ثافل الأصغر .

ثافل الأكبر بالفاء : جبلان بعدوة غيقة يمنة عين القشيري ، ويسار المصعد لمكة ، بينهما ثنية .

ثبار ككتاب آخره راء : موضع على ستة أميال من خيبر ، به قتل عبد الله ابن أنيس أسير بن رزام اليهودي ، وأراد ﷺ أن يبني بصفية به ، فأبت عليه حتى وجد في نفسه ، فلما بلغ الصهباء مال إلى دومة هناك ، فطاوعته ، فقال لها : ما حملك على ما صنعت حين أردنا النزول بثبار ؟ فقالت : يارسول الله خفت عليك يهود ، فلما بعدت منهم أمنت ، فزادها عنده خيراً عند ذلك ، وعلم أنها صدقته .

ثِرّا : بالكسر والقصر : موضع بين الرويثة والصفراء ، أسفل وادي الجيّ .

الثريا : بلفظ اسم النجم : من مياه الضباب بحمى ضرية ، وماؤه لمحارب في جبل شعبي .

ثعال : كغراب : شعبة بين الروحاء والرويثة .

الثمام : بالضم بلفظ النبت المعروف ، ويقال : الثمامة ، يضاف إليه صخيرات الثمام ، ورواه المغاربة بالمثناة تحت بدل المثلثة ، وهو الموضع المعروف اليوم بالصخيرات .

ثمغ[2] : بالفتح والغين المعجمة : مال في شامي المدينة قرب كومة أبي الحمراء ،

---

(١) قال الشيخ حسب الله المكي : هو المحل المسمى بالجوف من أعمال جبل شمر من ممالك ابن رشيد ، قاله بعض فضلاء المدينة ، وأقول . هذا خطأ ، فالجوف هو ما يعرف قديما بدومة الجندل ، وتيماء تقع غربه بمسافة بعيدة ، والبلدان معروفان ، (حمد) .

(٢) في موضعه الآن عين السلامة والمدنية بسفح أحد .

أصابه عمر بن الخطاب من يهود بني حارثة ، وتصدق به ، كما يؤخذ من كلام ابن شبة وغيره .

وعن ابن عمر أنه أول ماتصدق بـه في الإسلام ، وهو غير صدقة عمر بخيبر كما في كتاب ابن شبة .

لكن للدارقطني « أن عمر أصاب أرضاً بخيبر يقال له : ثمغ ... الحديث » . فإن صح فكل منهما يسمى بذلك .

ثنية البول : بالموحدة : بين ذي خشب والمدينة .

ثنية الحوض : للطبراني عن سلمة قال : « أقبلت مع رسول الله ﷺ من العقيق حتى إذا كنا على الثنية التي يقال لها : ثنية الحوض التي بالعقيق ، أومأ بيده ... الحديث » ، وأظنها أسفل المدرج ، وأن الحوض حوض مروان لذكره هناك .

ثنية الشريد : تقدمت في العقيق .

ثنية العاير : بمثناة تحتيه قبل الراء ، ويقال : بالغين المعجمة : عن يمين ركوبة سلكها النبي ﷺ في سفر الهجرة .

ثنية عثعث : تنسب إلى الجبل الذي يقال له : سُلَيْع[1] مصغراً ، وعليـه اليوم حصن أمير المدينة ، والثنية بينه وبين سلع .

ثنية مدران ، بكسر الميم : في مساجد تبوك .

ثنية المرّة : بالكسر وتشديد الراء : قرب مـــاء يدعى : الاحياء من رابـغ مذكورة في سرية عبيدة بن الحارث . وقال ياقوت : إنها بتخفيف الراء .

وثنية المرار : بضم الميم وكسرها ، وحكي فتحها : مهبط الحديبية ، كما قال ابن إسحاق ، لا كما قال عياض : أراها بجهة أحد .

---

(١) هو الجبل الصغير الذي عليه الآن قلعة المدينة وهي حصن أميرها .

ثنية الوداع[1] : بفتح الواو : معروفة شامي المدينة خلف سوقها القديم بين مسجد الراية الذي على ذباب ، ومشهد النفس الزكية قرب سلع ، وقد أوضحنا في الأصل ظاهر الأحاديث ، وكلام المؤرخين ، على أنها بهذه الجهة مع منشأ الوهم في جعلها في جهة مكة كما سيأتي عن عياض ، وسميت بذلك لتوديع النساء اللاتي استمتعوا بهن بها عند رجوعهم من خيبر .

وفي رواية : عند خروجهم إلى تبوك ، وكان رسول الله ﷺ ضرب عسكره حينئذ عليها .

وفي رواية : إنه ماكان أحد يدخل المدينة إلا منها ، فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج لوبائها كما زعمت اليهود ، فإذا وقف عليها قيل : قد ودّع ، فسميت ثنية الوداع ، فيكون اسماً جاهلياً لها ، وهو الأشهر .

وقال عياض : هي موضع بالمدينة على طريق مكة ، سمي به لأن الخارج منها يودعه مشيعه ، وقيل : بل لوداع النبي ﷺ بعض المسلمين المقيمين بالمدينة في بعض خرجاته ، وقيل : ودّع فيها بعض سراياه ، وقيل : الوداع واد بمكة . والأول : أصح . انتهى ملخصاً .

ثور : بلفظ فحل البقر ، تقدم في حدود الحرم .

ثيب : تقدم فيه أيضاً .

حرف الجيم .

الجار : قرية على البحر بساحل المدينة ، وكانت فرضة السفن الواردة من مصر والحبشة ، بينها وبين المدينة يوم وليلة[2] .

---

(١) هي الموضع الذي عليه القرين التحتاني ، ويقال له أيضاً : كشك يوسف باشا لأنه هو الذي مهد طريقها ونقر الثنية في حدود سنة ١٢١٤ .

(٢) غير ظاهر ، بل أربعة مراحل كما ذكره غيره للقافلة بالسير المعتاد ، وهو المعروف اليوم بالبريكة قرب الرائس .

جاعس : بكسر العين ، ثم سين مهملة : أطم لبني حرام غربي مساجد الفتح .

جبار : كقطام بالموحدة آخره راء : موضع بجهة الحباب من أرض غطفان .

الجبانة : كندمانة : أصله المقبرة ، وهو موضع شامي المدينة عند ذباب .

جبل بني عبيد : بمنازلهم غربي مساجد الفتح .

الجبوب : بالفتح ، وبموحدتين ، بينهما واو : الأرض الغليظة ، ومنه جبوب المصلى على ماروي في شعر أبي قطيفة .

الجثجاثة : تقدم في المساجد ، وإليه يفضي سيل العقيق بعد حمراء الأسد .

جحاف : بالفتح وتشديد الحاء المهملة : مال بعوالي المدينة بجانب سميحة .

الجحفة : بالضم وسكون الحاء المهملة : أحد المواقيت ، قرية كبيرة على خمس مراحل ونحو ثلثي مرحلة من المدينة .

الجداجد : بجيمين ودالين مهملتين جمع جدجد : وهي الأرض المستوية ، ذكر في سفر الهجرة بين ذي كشب والأجرد .

جد الأثافي : بالضم والتشديد : البئر القديمة ، والأثافي جمع أثفية ، وهي الحجارة التي يوضع عليها القدور ، وهو من أودية العقيق ، وكذا جدّ الموالي ، وذو أثفية

ذو الجدر : بسكون الدال لغة في الجدار : مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، وسبق عن ابن شبة أن سيل بطحان يأخذ من ذي الجدر ، قال : والجدر : قرارة في الحرة يمانية من حليات الحرة العليا حرة معصم وهو جبل .

جذمان : كعثمان ، وبالذال المعجمة : موضع للأوس به أطم ، قطع تبع نخله لما غزاهم ، وبالقرب من منزلهم نحو مسجد الإجابة جذع يعرف الآن بجرمان لكنه بالراء بدل الذال ، وبفتحات ، فلعله تصحيف .

الجراديح : بالفتح والدال المهملة ، آخره حاء : ثنيات سود بين سويقة ومثعر .

الجرف : بضمتين كما قاله الحازمي ، وأبو عبيد البكري ، وعياض . وقال المجد : بالضم ، ثم السكون : ما بين محجة الشأم إلى القصاصين أصحاب القصة على ثلاثة أميال من المدينة بجهة الشأم ، وبه تختلط العرصة التي بها بئر رومة ، سمي بذلك لأن تبعاً مربه ، فقال : هـذا جرف الأرض ، وبعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة ، فقال : أما قناة فحب ولاتبن ، وأما الحرار فلا حب ولاتبن ، وأما الجرف فالحب والتبن .

وفي حديث أنس في خبر الدجال : « فيأتي سبخة الجرف ، فيضرب رواقه ... الحديث » .

وبالجرف مات المقداد بن الأسود ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما .

جر هشام ، بالفتح وتشديد الراء : سقاية لهشام بن اسماعيل بالعقيق .

الجزل : بالفتح وسكون الزاي ، لغة : الحطب اليابس ، واد يلقى إضم بذي المروة ، ويضاف إليه سقيا الجزل .

جفاف[1] : بالكسر وفاءين بينهما ألف ،معروف بالعالية ، به حدائق حسنة .

الجفر : ما بلغ أربعة أشهر من أولاد الشاء ، والبئر إذا لم تطو ، أو طوي بعضها ، وبه سميت عين بناحية ضرية ، وماء بقرب فرش ملل .

الجلسي : بالفتح أرض نجد ، والجلسي من القبلية : ما ارتفع ، والغوري :ماانهبط .

الجماوات : جمع جماء بالفتح وتشديد الميم والمـد ، وهن ثلاث تقدّمن في فضل العقيق .

جمدان : بالضم ثم السكون وإهمال الدال : جبل عند وادي الأزرق ،

---

(١) هو المعروف اليوم بقربان قاله بعض فضلاء المدينة ، ولا يعرف سبب تسميته بذلك وقد تقدم قبل ذلك ، وهو بين قباء والعوالي .

وكأنه ﷺ تذكر برؤيته تلبية موسى عليه السلام عنده ، فقال : هذا جمدان سبق المفردون لأنه ﷺ لما مرّ بوادي الأزرق ، قال : « كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية له جؤار ... الحديث » .

الجموم : بالفتح ، ما بين قباء[1] التي بجهة كشب ومرّان على جهة طريق البصرة . وقال ابن سعد : بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم ، فسار حتى ورد الجموم ناحية ببطن نجد عن يسارها .

الجمة : بالفتح وتشديد الميم ، عين بخيبر سماها النبي ﷺ قسمة الملائكة ، يذهب ثلثا مائها في فلج ، أي : نهر صغير ، والثلث الأخير في فلج ، يطرح فيها ثلاث تمرات ، فيذهب ثنتان في الفلج الذي له الثلثان ، وواحدة في الآخر ، ولا يقدر أحد أن يأخذ من أحد الفلجين أكثر مما يخصه من التلث أو الثلثين ، قاله البكري وغيره .

الجناب : بالكسر : أرض عذرة وبلي بعراص خيبر بينها وبين فيد .

جنفا : بالتحريك والمد والقصر ، وقد يضم أوله في الحالين : ماء من مياه بني فزارة بين خيبر وفيد ، ولذا قال لهم ﷺ في قصة فتح خيبر : « موعدكم جنفا » ، وضلع الجنفا : موضع بين الربذة وضرية من ديار محارب على جادة اليمامة إلى المدينة .

الجنينة : تصغير جنة البستان : عقدة بين ظلم وملحتين ، وموضع بين وادي القرى وتبوك ، وروضة الجنينة بين ضرية وحزن بني يربوع .

الجواء : بالكسر والمد : ماء بحمى ضرية .

الجوانية : بالفتح ، وتشديد الواو ، وكسر النون ، وياء مشددة ، وحكي تخفيفها : موضع شامي المدينة بينها وبين أحد بطرف الحرة الشرقية ، وأخطأ من قال بجهة الفرع .

---

(١) هذا غير قباء الذي بالمدينة المنورة ، كما صرح به في أسماء الأماكن .

الجبار : ككتاب من أرض خيبر .

ذات الجيش : بالفتح وسكون المثناة تحت ، ويقال : أولات الجيش ، تقدمت في حدود الحرم ، وهي على ستة أميال من ذي الحليفة . وقيل : عشرة . وقيل : ميلان ، وهي أحد المنازل النبوية إلى بدر .

ذو الجيفة : بالكسر : تقدم في تبوك .

الجي بالكسر ، وتشديد الياء : بين العرج والرويثة ، كان به منازل وبئران عذبتان بسفح الجبل الذي سال بأهله وهم نيام ، وعنده ينتهي ورقان .

حرف الحاء .

حاجر : موضع غربي النقا إلى منتهى حرة الوبرة من وادي العقيق ، وهو المذكور في الأشعار ، لا الذي من منازل الحاج بالبيداء ، وحاجر الثنيا : معروف بطريق مكة .

حاطب : بكسر الطاء : طريق بين المدينة وخيبر .

حبرة : بالكسر : أطم بالمدينة ، قاله الصغاني ، ولبني قينقاع مال يقال له : حبرة عند الحشاشين .

حبس : بالضم ، ثم السكون وسين مهملة : سبق في العاشر من الباب الأول ، والسد الذي أحدثته نار الحرة يسمى اليوم بالحبس أيضاً .

حبيش : بالضم مصغراً ، آخره شين معجمة : أطم لبني عبيد عند جبلهم بمنازلهم .

الحجاز : بالكسر ، مكة والمدينة والـيمامة ومخاليفها ، قاله الشافعي ، وقال الأصمعي : الحجاز : ما احترمت به الحرار : حرة شوران ، وحرة ليلى ، وحرة واقم ، وحرة النار ، وعامة منازل بني سليم إلى المدينة سمي حجازاً لاحتجازه بالجبال ، أو لاحتجازه بالحرار . وقيل : لأنه حجز بين تهامة ونجد ، وسيأتي في السراة بالسين المهملة : أن ماانحاز إلى شرقيه ، فهو الحجاز ، ونص الشافعي

أيضاً على أن المدينة ومكة يمانيتان ، وروى في « الأم » : أنه ﷺ وقف على ثنيــة تبوك فقال : ما هاهنا شأم ، وأشار إلى جهة الشأم ، وما هاهنا يمن ، وأشار إلى جهة المدينة ، فعلم منه أن الحجاز :من اليمن ، خلاف قول النووي: المدينة ليست شامية ولا يمانية بل حجازية .

وقال بعضهم : نصفها حجازي ، ونصفها تهامي ، وقيل : هي نجدية .

حجر : بالكسر وسكون الجيم : قرية حذاء الأرحضية ، وبها آبار وعيون لبني سليم ، وتعرف اليوم بالحجرية ، وحذاءها جبل يقال له : قنـــة الحجر ، وقال ياقوت : يروى فيهـا الفتح أيضاً ، وأنهــا من ديار سليم قرب قلهى وذي رولان . اه . وليست بالقرية المعروفة اليوم بحجر بالفتح قرب الفرع .

حديلة : كجهينة ، والدال مهملة ، يضاف إليها منازل بني حديلة .

حراض : بالضم ، آخره ضاد معجمة : من أودية الأشعر شامي حورة .

حربى : كان اسم مابين مسجد القبلتين إلى المذاد ، فسماه ﷺ صلحة ، قاله المجد هنا ، وخالفه في قاموسه كما سيأتي في الخاء المعجمة .

حرض : بضمتين وضاد معجمة ، وقد يفتح ثانيه : واد عند أحد ، ويقال له : ذو حرض لكثرة الحرض وهو الأشنان به ، وبه أوقع أبو جبيـلة بيهود .

حرة أشجـع : في حرة النار .

حرة بني بياضة : غربي المدينة ، وبالحرة الغربية كان رجم ماعز كما توضحه رواية ابن سعد .

حرة حقل : بوادي آرة .

حرة الحوض : بين المدينة والعقيق ، وهو حوض زياد ابن أبيه .

حرة راجل : في بلاد بني عبس .

حرة الرجلى : بديار بني القين بين المدينـــه والشأم ، وفي صدقة علي بهذه

الحرة من ناحيه شعب زيد واد يدعى الأحمر ، وبها أيضاً له واد يقال له : البيضاء ، وله بأعلاها مال يقال له : القصيبة بناحية فدك ، وفي القاموس : حرة رجلى كسكرى ، ويمد : حرة خشنة يترجل فيها ، أو مستوية كثيرة الحجارة .

حرة رماح : بضم الراء وآخره حاء مهملة : بالدهناء .

حرة زهرة : بضم الزاي : من حرة واقم .

حرة بني سليم : تحت قاع حمى النقيع شرقياً .

حرة شوران : صدر مهزور يأتي في الشين المعجمة .

حرة عباد : دون المدينة .

حرة بني عضيدة : بضم العين ، وفتح الضاد المعجمة : غربي وادي بطحان .

حرة قباء : قبلي المدينة .

حرة ليلى : لبني مرة من غطفان بين المدينة ووادي القرى ، يطؤها الحاج الشامي ، وبها نخل وعيون .

حرة معصم . هي الحرة العليا التي بها ذو الجدر ، منها يأخذ مسيل بطحان .

حرة ميطان [١] : وهو جبل شرقي قريظة .

حرة النار : بلفظ : النار المحرقة : قرب حرة ليلى بناحية خيبر ، وقيل : بين وادي القرى وتيماء ، واقتضي كلام الاسماعيلي : أنها حرة فدك ، وهي التي سالت منها النار التي أطفأها خالد بن سنان عن قومه .

وفي رواية : أنها خرجت من جبل في حرة أشجع .

وفي رواية : فرأيتنا نعشى الإبل [٢] على ضوء نارها ، ضلعا [٣] الربذة ، وبين ذلك ثلاث ليال .

---

(١) هو الذي يسمى اليوم بجبل الأغوات ، وهي حرة واقم وتتصل بحرة زهرة .

(٢) قوله : فرأيتنا نعشي الابل الخ ، هكذا في النسخ . وفيه خفاء ، فليتأمل .

(٣) صوابه : بين ضلع الربذة وبين ذلك .

وفي رواية : كانت الإبل تعشى بضوئها مسيرة إحدى عشرة ليلة .

وفي الخبر : أن عمر رضي الله عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : حرة النار ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لظى ، فقال عمر رضي الله عنه : أدرك الحي فقد احترقوا ! . وقيل : إنه رجع فوجد النار قد أحاطت بهم .

حرة واقم : شرقي المدينة ، سميت بأطم بني الأشهل المسمى بواقم ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينا واقماً بالحره بلازب الطين وبالأصرّه

وقيل : سميت برجل من العماليق نزل بها ، وتسمى أيضاً حرة بني قريظة لسكناهم بأعلاها ، وحرة زهرة لمجاورتها لها ، وبها كانت مقتلة الحرة .

ولابن زبالة : أن السماء أمطرت على عهد عمر ، فقال لأصحابه : هل لكم في هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرك به ونشرب منه ؟ فلو جاء من مجيئه راكب لتمسحنا به ، فأتوا حرة واقم وشراجها تطرد ، فشربوا وتوضؤوا ، فقال كعب : أما والله لتسيلن هذه الشراج بالدماء كما تسيل بهذا الماء . قال عمر رضي الله عنه : إيهاً الآن دعنا من أحاديثك ، فدنا منه ابن الزبير ، فقال : يا أبا إسحاق ، ومتى ذاك ؟ فقال : إياك أن تكون على رجلك أو يدك .

حرة الوبرة : محركة ، جوز بعضهم سكون الموحدة : من حرة المدينة الغربية مما يلي العقيق على ثلاثة أميال من المدينة ، وهي المذكورة في حديث أهبان .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها في « صحيح مسلم » وغيره : وإليها ينسب خيف حرة الوبرة الذي به قصر عروة ومزارعه من العقيق .

حزرة [1] : بالفتح وسكون الزاي ، من أودية الأشعر ، يفرغ في الفقارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون ، وبه المليحة ، وبأسفلهـــا العين التي تدعى سويقة .

حزم بني غوال : بقرب الطرف أحد مياهه بئر ألية .

حزن : بالفتح ضد السهل : اسم طريق بين المدينة وخيبر ، امتنع النبي ﷺ من سلوكه ، وسلك مرحبا .

حزن بني يربوع ، من أكرم مراتع العرب ، قالوا : من تربع الحزن ، وشتى الصمان ، وتقيظ الشرف فقد أخصب .

الحساء : قيل : إنه بديار بني أسد ، والمشهور أنه بطريق مؤتة ، وهو المذكور في شعر ابن رواحة يخاطب دابته وهو متوجه إلى مؤتة من أرض الشأم .

إذا أدنيتني وحملت رحـــلي   مسيرة أربـــع بعـــد الحساء
فشأنك فانعمي وخـــلاك ذم   ولا أرجـــع إلى أهلي ورائي

حسنى [2] : بالفتح ثم السكون ، وثالثة نون مقصوراً : جبل قرب ينبع ، وصحراء بين العذيبة والجار ، وأحد الصدقات النبوية المتقدمة ، إلا أن المراغي ضبطها بالضم .

حسيكة : تصغير حسكة لواحد حسك السعدان : موضع بطرف ذباب من المغرب ، كان به ناس من يهود . وقال عبد العزيز بن عمران : حسيكة : ناحية أرض ابن ماقية إلى قصر ابن أبي عمر ، والرياض إلى قصر ابن الشمعل إلى أدنى الجرف كله .

---

(١) الصواب : حورة بالحاء المهملة بعدها واو فراء مهملة ، فهاء ، وقد تصحف على المؤلف ، والوادي لا يزال معروفا ، وسيأتي ذكره في حورة وهما حورتان . (حمد) .

(٢) حسنى : رمال تقـع شمال رابغ وجنوب العذيبة ، والجار في المنتصف بين الرائس ومستورة ، وليست بين الجار والعذيبة . (حمد) .

الحشا : بلفظ الحشا الذي تنضم عليه الضلوع : موضع عن يمين آرة ، وقيل : جبل الأبواء .

حشان : بالكسر ، جمع حش بالفتح ، وهو البستان : أطم ليهود يمين الطريق من شهداء أحد ، والحشاشين بصيغة الجمع أيضاً بمنازل بني قينقاع .

حش طلحة بن أبي طلحة الأنصاري[1] : مجاور للمدينة من شاميه وما يلي المشرق منه لعبد الرحمن بن عوف .

حصن خل : بفتح الخاء المعجمة : وهو قصر خل الآتي .

حضرة بالكسر ، وسكون الضاد المعجمة ، وفتح الراء : موضع على ثلاث مراحل من المدينة كان اسمه عفرة ، فسماه النبي ﷺ حضرة[2] ، وشكا قوم من أهلها إلى عمر رضي الله عنه وباء أرضهم ، فقال : لو تركتموها ، فقالوا : معاشنا ومعاش آبائنا ووطننا ، فقال للحارث بن كلدة : ماعندك في هذا ؟ فقال : البلاد الوبيئة ذات الأدغال والبعوض ، وهي عش الوباء ، ولكن ليخرج أهلها إلى ما يقاربها من الأرض العذبة إلى مرتبع النجم ، وليأكلوا الكراث والسمن ، وليأكروا السمن العربي فيشربوه ، وليمسكوا[3] الطيب ، ولا يمشوا حفاة ، ولا يناموا بالنهار ، فأمرهم عمر به .

حضير كأمير : قاع فيه آبار ومزارع ، إليه ينتهي النقيع ، ويبتدىء العقيق .

حفياء بالفتح ، ثم السكون ، ثم مثناة تحتية ، وألف ممدودة ، وقد يقصر . ويقال فيه : حيفاء بتقديم الياء على الفاء : منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية

---

(١) قال الشيخ حسب الله المكي: هو محل رباط أبي البركات الهندي شامي المسجد النبوي في ديار الضيافة قاله بعض فضلاء المدينة ، أقول : وهي الآن البرحة الواقعة أمام باب عمر جنوب عمارة دار الأيتام وشرق عمارة فندق الحرم الناشر .

(٢) هذه العبارة ذكرها صاحب القاموس في خضرة بالخاء المعجمة ، وسيأتي للمؤلف هنا ذكرها في الخاء المعجمة أيضاً .

(٣) في نسخة خطية : وليتمسكوا بالطيب ، وهي الاظهر في المعنى .

الوداع . قال سفيان : وذلك خمسة أميال أو ستة ، وقال ابن عقبة : ستة أو سبعة ، والحفياء بأدنى الغابة ، ولذا جاء في حديث السباق : من الغابة إلى موضع كذا .

حفير : كأمير ، فعيل من الحفر : ماء عليه نخل بالدهناء لبني سعد ، وموضع آخر بين مكة والمدينة ، وحفر موضع آخر بجنبه .

وقال ياقوت : الحفر بالفتح ، ثم السكون : من ميـــاه عليّ ببطن مهزور ، ووادي حفر موضع آخر . انتهى .

والمعروف بالحفر اليوم : منزل الأشراف من آل زيان[1] ، والحفير مصغراً : منزل بين ذي الحليفة وملل ، وهو المسمى في حدود الحوم بالحفير .

حقل : بالفتح وسكون القـاف : تضاف إليـه آرة حقل ، وروضة حقل ، وحرة حقل .

الحلاء : بالكسر والمد ، وبفتح ، واحدها حلأة ، جبـال كبار شواهق قرب ميطان لاتنبت شيئاً يقطع منها الأرحاء .

حلا باصعب[2] : يأتي منها سيل بطحان ، وكأنها من الحلاء السابقة .

حليت : بالكسر كسكيت : جبل أسود كثير القنان[3] بحمى فيد ، ليس به أعظم منه إلا شعبي ، كان به معدن تبر يقال له : النجاري[4] خرج منه مالم يسمع بمثله حتى رخص الذهب لما أركز . فقد نيله لغلبة الماء عليه .

الحليف : مصغر الحلف : منزل بنجـد ينزله مصدق بني كلاب إذا خرج من المدينة .

الحليفة[5] : كجهينة : تصغير الحلفة بفتحات واحد : الحلفاء ، وهوالنبات المعروف ،

---

(١) هو المعروف اليوم ببئر زيان في طريق قربان .

(٢) صوابه : حلاءا صعب ، مثنى حلاء كما في « الوفا » حمد .

(٣) أي الرؤوس ،جمع قنة ، بضم القاف ، وهي ذروة الجبل ، أي رأسه وأعلاه .

(٤) النجادي ، بالنون والجيم والدال كما في « معجم ماء ستعجم » للبكري .

(٥) هي الحساء ، الميقات ، وبهـــا مسجد المحرم ، ويقـــال لهـا : بئر علي بن أبي طالب كما سيأتي .

وهو ذو الحليفة ميقات المدينة ، وهو من وادي العقيق كما سبق ، ولذا جاء في رواية : يهل أهل المدينة من العقيق ، والعقيق من بلاد مزينة ، وسبق إقطاعه ﷺ لبلال بن الحارث ونسبة ماء ذي الحليفة لغير مزينة وهم ، وهي على نحو ستة أميال من المدينة ، كما يؤخذ من نص الشافعي وابن إسحاق وغيرهما ، وصححه النووي .

وقال الأسدي : خمسة أميال ونصف مكتوب على الميل الذي وراءها قريباً من العلمين ستة أميال من البريد ، قال : وعلى مدخل ذي الحليفة علمان ، وعلى مخرجها علمان .

وقال الرافعي كابن الصلاح : إنها على ميل من المدينة ، وكأنهما اعتبرا المسافة إلى قصور العقيق لأنها عمارات ملحقة بالمدينة ، وصوّب الأسنوي أنها على ثلاثة أميال.

وقال ابن حزم : أربعة ، وقد اختبرتها ، فكان من عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب السلام إلى عتبة مسجد الشجرة بذي الحليفة تسع عشرة ألف ذراع ، وسبعمائه ذراع ، واثنان وثلاثون ذراعاً ، ونصف ذراع ، وذلك خمسة أميال وثلثا ميل ينقص مائة ذراع .

قال العز ابن جماعة : وبذي الحليفة البئر التي تسميها العوام بئر علي ، يعني ابن أبي طالب ، لظنهم أنه قاتل الجن بها ، وهو كذب ، ونسبتها إليه غير معروفة . انتهى .

وذو الحليفة أيضاً : موضع بين جادة وذات عرق ، ومنه حديث : كنا مع النبي ﷺ بذي الحليفة من تهامة ، وذو الحليفة أيضاً بين المدينة وتبوك .

الحمايان : موضع قرب البليدة يضاف إليه حرم الحمايين .

الحمام : بالضم والتخفيف : يضاف إليه عميس الحمام بين الفرش وملل .

ذات الحماط : تقدم في المساجد .

الحماضة : بالضم وتشديد الميم : حائط ببني بياضة .

حمت : بالفتح ثم السكون : اسم لجبل ورقان ، وبين القدسين عقبة يقال لها : حمت .

حمراء الأسد[1] : بالمد والإضافة للأسد ، وهو الليث : موضع على ثمانية أميال من المدينة كان به قصور لغير واحد من قريش ترى من العقيق يسار طريق مكة ، وفي شقها الأيسر منشد ، وفي شقها الأيمن شرقياً خاخ ، والحمراء أيضاً موضع به نخل قبل الصفراء ، وأظن ابن هرمة صغره حيث قال :

كأن لم يجاورنا بأكناف مشعر وأخزم أو خيف الحميراء ذي النخل

الحمى : تقدم مبسوطا .

الحنان : بالفتح والتخفيف لغة : الرحمة : اسم كثيب من الرمل كالجبل ، يمين السالك من ذفران إلى بدر ، وقيل ، إنه بالتشديد .

حنذ : بالفتح وإعجاج الذال محركاً : قرية لأحيحة بن الجلاح ، قال أحيحة :

تأبري ياخيرة الفسيل تأبري من حنذ وشولي

إذ ضن أهل النخل بالفحول

حورتان : اليمانية والشمالية ، ويعرفان اليوم « بحورة » « وحويرة » ، من أودية الأشعر بجهة الفغرة ، وباليمانية وهي حورة واد يقال له : « ذو الهدى » ، لأن شداد بن أمية الذهلي قدم على النبي ﷺ بعسل شاره[2] منه ، فقال له : من أين شريته[3] ؟ فقال له : من واد يقال له : ذو الضلالة ، فقال : لا بل ذو الهدى ، قاله الهجري . وسيأتي أصل لذلك في خضرة .

---

(١) يسميها الناس اليوم : حمراء نملى ، ويذكر في منشد أنه جبل في الشق الأيسر من حمراء الأسد ، ولعله المعروف اليوم هناك بحمراء نملة .

(٢) كقال ، أي : خبأه .

(٣) صوابه : شرته ، كقلته ، يقال : شار العسل ، خباه ، أي : أخذه من الخليه ، قاله بعض فضلاء المدينة .

حوضى : تقدم في مساجد تبوك .

حوض مروان : بالعقيق .

حوض ابن هشام : بالحرة الغربية .

حيفاء : لغة في الحفياء كما سبق .

حرف الخاء .

خاخ ، بخاءين ، ويقال : روضة خاخ : بلد في شق حمراء الأسد الأيمن شرقياً بـه منازل لمحمد بن جعفر ، وعلي بن موسى الرضى وغيرهما ، وقـال الواقدي : روضة خاخ على بريد من المدينة ، وبها كانت الظعينة التي معها كتاب حاطب ، ولقربها من الخليقة بالخاء المعجمة ، جاء في رواية ابن إسحاق : فأدركوها بالخليقة خليقة بني أحمد ، وقد أكثر الشعراء من ذكر خاخ .

خاص : واد بخيبر فيه الأموال القصوى الوحيدة ، وسلالم ، والكثيبة ، والوطيخ .

خبء : بالفتح وسكون الموحدة بعدها همزة ، وقيل : بالضم : واد ينحدر من الكاثب ، ثم يأخذ ظهر حرة كشب ، ثم يصير إلى قاع أسفل من قباء .

الخباب[1] : كسحاب ، تقدم في مسجد فيفاء الخبار ، ويقال : فيف الخبار ، والخبار مالان من الأرض ، واسترخى ، وجحرة الجرذان . وفي المثـل : من تجنب الخبار أمن العثار .

خبان : كقبان : جبل بين معدن النقرة وفدك .

خبراء العذق : بكسر العين المهملة ، وفتـح الذال المعجمه ، ثم قاف : قاع بناحية الصمان كثير السدر والماء .

خبراء صائف : بين مكة والمدينة .

الخرّار : بالفتـح ثم التشديد : غدير شامي مثعر ، والخرار في سفر الهجرة : قرب الجحفة ، وسرية سعد بن أبي وقاص للخرار من أرض الحجاز .

---

(٣) صوابه : الخبار بالراء المهملة ، كما صرح به بعد ، ، وأما بالباء الموحدة فغلط .

خزبى[1] : كحبلى : منزل لبني سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المذاد ، غيّرها النبي ﷺ وسماها : صالحة ، تفاؤلاً بالخزب ، قاله في « القاموس » ، ولعله الصواب خلاف ما سبق في الحاء المهملة .

الخرماء : تأنيث الأخرم للمشقوق الشفة ، عين بوادي الصفراء[2] .

خريف : كأمير ، واد عند الجار يتصل بينبع .

خريم : كزبير ، ثنية بين بدر والمدينة ، سلكها النبي ﷺ منصرفه من بدر .

خشب : بضمتين آخره موحدة ، ويقال : ذو خشب ، واد على ليلة من المدينة ، تقدم في مساجد تبوك ، وكان به قصر لمروان ، ومنازل لغير واحد ، قال شاعر :

أبت عيني بذي خشب تنام ... وأبكتها المنازل والخيام

الخشرمة : واد قرب ينبع يصب في البحر .

خشين : تصغير خشن ، غزا زيد بن حارثة جذام من أرض خشين ، وفي المثل : خشيناً من خشن ، وهما جبلان أحدهما أصغر من الآخر .

الخصي : فعيل ، من خصاه نزع خصيته : أطم شرقي مسجد قباء على فم بئر الخصي لبني السلم ، وأطم لبني حارثة .

خضرة : بفتح أوله وكسر ثانيه ، من قرى آرة ، وأرض لمحارب بنجد بها سرية أبي قتادة .

ولأبي داود : غير النبي ﷺ أرضاً تسمى عفرة ، سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماها شعب الهدى ، وبني الزنية سماهم بني الرشدة .

ذات الخطمى : في مساجد تبوك .

---

(١) لعل صوابه بالراء المهملة ، لا بالزاي المعجمة : فتأمل .

(٢) لا تزال الخرماء معروفة في وادي الصفراء (حمد) .

خفينن : بفتحتين ، ثم مثناة تحتية ساكنة ، ونونين الأولى مفتوحة : واد أو قرية بين المدينة وينبع ، وقيل : شعبتان تدفع واحدة في ينبع ، والأخرى في الخشرمة .

خفية : ضد جلية ، من أودية العقيق .

الخلائق : جمع خليقة الآتية ، وهي خليقة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ، بها مزارع وقصور ونخيل لغير واحد من آل الزبير ، وآل أبي أحمد ، يمرّ بها سيل العقيق ، قاله الهجري .

وقال المطري : إن سيل النقيع يصل إلى بئر عليّ العليا المعروفة بالخليقة ، أي : بدرب المشيان[1] ، وسيأتي في مياسير أنه حد خلائق الأحمديين ، وأن الخلائق آبار ، فهذه البئر أحدها .

خلص : بالفتح وسكون اللام وصاد مهملة ، تقدم في آرة .

وعن حكيم بن حزام : رأيت يوم بدر وقد وقع بوادي خلص نجاد من السماء قد سد الأفق ، فإذا الوادي يسيل نملًا ، فوقع في نفسي أنه شيء من السماء أيد به محمد ﷺ ، فما كانت إلا الهزيمة وهي الملائكة .

خل : موضع بين مكة والمدينة قرب مرجح ، وخل المضاف إليه قصر خل ، يأتي أنه الطريق التي عند القصر في الحرة .

خليقة بالقاف كسكينة هي المتقدمة في الخلائق ، وقال المجد : هو منزل على اثني عشر ميلًا من المدينة .

خم : بالضم : اسم رجل شجاع أضيف إليه الغدير الذي بقرب الجحفة ، أواسم واد هناك .

---

(١) هو المسمى الآن : ببئر الماشي .

وقال النووي : اسم غيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إليها .

قال الحافظ المنذري : لايولد بهذه الغيضة أحد فيعيش إلى أن يحتلم ، إلا أن يرحل عنها لشدة مابها من الوباء والحمى بدعوة النبي ﷺ في نقل حمى المدينة إليها .

وقال عرام : دون الجحفة على ميل من غدير خم من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء من ماء المطر ، يصب واديه في البحر .

الخندق :

قال المطري وأتباعه : حفره النبي ﷺ طولاً من أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة إلى غربي مصلى العيد ، ثم إلى مسجد الفتح ، ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين في غربي الوادي ، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سلع ، وضرب ﷺ قبته على القرن في موضع مسجد الفتح والخندق بينهم وبين المشركين ، وفرغ من حفره بعد ستة أيام ، وعمل فيه جميع المسلمين وهم يومئذ ثلاثة آلاف . انتهى .

ومأخذه قول ابن النجار : والخندق باق فيه قناة تأتي من عين بقباء إلى النخل الذي بالسنح[1] حوالي مسجد الفتح ، وفي الخندق نخل أيضاً ، وقد انطم أكثره وتهدمت حيطانه .

قلت : وهذه ناحية من الخندق لا كله ، إذ يتلخص مما رواه الطبراني والبيهقي وابن سعد ، أن النبي ﷺ خط الخندق من أجمة الشيخين طرف بني حارثة خلف بني عبد الأشهل ، أي : في طرف الحرة الشرقية ، حتى إذا بلغ المذاد طرف منازل بني سلمة مما يلي مساجد الفتح ، وجبل بني عبيد ، وهناك الحرة الغربية ، ثم قطع أربعين ذراعاً لكل عشرة ، واحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ، فقال النبي ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » ، وكان المهاجرون من ناحية راتج

---

(١) صوابه : بالسيح بالياء التحتية .

إلى ذباب ، وكان الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بني عبيد بمنازل بني سلمة ، وخندقت بنو دينار من عند خزبى منزلة بني سلمة إلى موضع دار ابن أبي الجنوب ، أي : التي في غربي بطحان كما سبق في مساجد المصلى ، وخندقت بنو عبد الأشهل مما يلي راتج ، وهو في شرقي ذباب إلى بني خلف عبد الأشهل ، وهو طرف بني حارثة .

قال ابن سعد : وفرغوا من حفره في ستة أيام . انتهى .

فالحاصل : أن الخندق كان شامي المدينة من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية ، وهو المشار إليه بقول ابن اسحاق : إن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالخندق ، وكان أحد جانبي المدينة عورة ، وسائر جوانبها مشككة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها . انتهى .

وما ذكره المطري في مضرب القبة مردود ، بل الوارد أنها كانت مضروبة على ذباب .

وفي رواية للثعلبي : تسميته ذوباب ، فإنه روي عن عبد الله بن عمرو بن عوف ، أنه ﷺ قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً ، واستعاروا من بني قريظة مثل المعاول والفؤوس وغير ذلك ، وعمل رسول الله ﷺ بيده الشريفة ترغيباً للمسلمين ، ثم ذكر ما سبق من الاحتجاج في سلمان الفارسي ، ثم قال : وكنت أنا وسلمان والنعمان بن مقرن في ستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذوباب ، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة مر ، وكسرت حديدنا ، وشقت علينا ، فقلنا : ياسلمان ارق إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن يعدل عنها ، فإن المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيها بأمر ، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه ، فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال له ذلك ، فهبط مع سلمان للخندق ، فأخذ المعول فضربها ... الحديث .

وذكر الواقدي قصة لعمر في حجر صادفه عند جبل بني عبيد نحو هذه ، وفراغ الخندق في ستة أيام هو المعروف كما سبق عن ابن سعد .

وقال ابن سيد الناس وغيره : يقول : بضع عشرة ليلة ، وقيل : أربعاً وعشرين . انتهى .

قال : وأقام المشركون شهراً يحاصرون .

وفي « الروضة » للنووي : خمسة عشر يوما .

ولابن عقبة : قريباً من عشرون ليلة ، ووهم من نقل عن هؤلاء هذه المدد في عمل الخندق .

خويفة : ذكرها صاحب المسالك والممالك في توابع المدينة ومخاليفها .

خيبر : اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير على ثلاثة أيام من المدينة ، على يسار حاج الشام ، وخيبر بلسان اليهود الحصن ، ولذا سميت خيابر أيضاً . وقيل : سميت بأول من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب ابنا قائنة بن مهليل بن إرم بن عبيل ، وعبيل أخو عاد عم الربذة وزرود والشقرة ، نازل النبي ﷺ خيبر قريباً من شهر وافتتحها حصناً حصناً ، وأراد أن يجلي أهلها ، فقالوا : دعنا نعمل فيها فإن لنا بذلك علماً ، فأقرهم وعاملهم على الشطر من التمر والحب ، وقال : « نقركم على ذلك ماشئنا ، أو ماشاء الله » ، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر رضي الله عنه .

ونقل ابن شبة ما يقتضي أن بعضها فتح صلحاً ، وبعضها فتح عنوة ، وبه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك ، وهو المروي عن ابن شهاب ، قال : والكثيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح .

وعن مالك : أن الكثيبة أربعون ألف عذق .

ولابن زبالة حديث : ميلان في ميل من خيبر مقدس .

وحديث : « خيبر مقدسة ، والسوارقية مؤتفكة » .

وحديث : « نعم القرية في سنيات المسيح خيبر » أي زمن الدجال ، وتوصف خيبر بكثرة التمر . قال حسان :

وأنا ومن يهـــدي القصائد نحونا كمستبضعٍ تمراً إلى أرض خيبرا

وبكثرة الحمى قدمها أعرابي بعياله فقال :

قلت لحمى خيـــبر استعدي هاكِ عـــيالي فاجهدي وجدي

وباكري بصـــالب ووردي أعانـــك الله على ذا الجندي

فحم ومات وبقي عياله .

ويروى أن ناراً ظهرت بخيبر في سنة تسع عشرة ، فسارت في الأرض ، فأمر عمر رضي الله عنه الناس بالصدقة ، فتصدقوا فهمدت .

خيط : بلفظ واحد الخيوط : أطم لبني سواد على شرف الحرة شرقي مسجد القبلتين .

الخيل : بلفظ الخيل التي تركب ، يضاف إليه بقيع الخيل المتقدم في سوق المدينة عند دار زيد بن ثابت ، والخيل أيضاً : جبل بين مجنب [1] وضرار له ذكر في المغازي ، وروضة الخيل بأرض نجد .

حرف الدال

دار الدقيق : بالدال سبق ذكرها في زيادة المهدي ، وسيأتي في جنب صدار بالصاد المهملة ذكرها أيضاً .

دار القضاء : تقدمت في أبواب المسجد .

دار نخلة : مضافة إلى واحدة النخل ، لكونها بهـــا مجاورة لسوق المدينة قرب الزوراء .

الدبة : بفتح أوله وتشديد ثانية ، كدبة الدهن ، وقد تخفف : موضع بمضيق

---

(١) الصواب : محنب ، بالحاء المهملة . وصرار ، بالصاد المهملة . (حمد) .

الضفراء يقال له : « دبة المستعجلة » ، وموضع بين أضافر وبدر .

وفي « القاموس » : الدبة بالضم : موضع قرب بدر .

در ، بالفتح وتشديد الراء : غدير بأسفل حرة بني سليم أعلى النقيع .

درك : بفتحتين ويقال : دريك مصغراً : موضع كانت فيه وقعة بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

دعان : بالفتح ، بين المدينة وينبع . قال معاوية فيه : وأما دعان فنهاني عن نفسه .

الدهناء : بفتح أوله وسكون ثانيه ونون وألف ممدودة ، وتقصر : موضع قرب ينبع . وسبعة أحبل : بالحاء المهملة من الرمل بديار تميم ، بين كل حبلين شقيقة ، من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مياه ، إذا أخصبت وسعت العرب كلهم ، وساكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها ووادبها ، يصب في منعج ، ثم في الدومة [1] .

الدوداء : بالمد موضع قرب ورقان .

دوران : كحوران ، واد عند طرف قديد مما يلي الجحفة .

الدومة : بالفتح تقدمت في بئر أريس .

دومة الجندل : بضم أوله وفتحه ، وأنكره ابن دريد ، ويروى دوما الجندل ، عدها ابن الفقيه من أعمال المدينة سميت بدوم ، ويقال : دوما ابن اسماعيل عليه السلام : وقال أبو عبيد دومة الجندل حصن وقرى بين الشأم والمدينة قرب جبل طيء ، قال : ودومة من القريات من وادي القرى ، وذكر أن عليها حصناً حصيناً يقال له : « مارد » وهو حصن أكيدر الملك ، وجه إليه النبي ﷺ خالد بن الوليد من تبوك ، وقال له : « سلتقاه يصيد الوحش ... الحديث » .

(١) هذا خطأ ، فمنعج ، واد عظيم يصب في وادي الرمة ، بينه وبين الدهناء مسيرة أيام ، والدهناء رمال لا أودية فيها ، وسيولها تذهب مشرقة ، أما الدومة ، فهو يقصد الرمة كما في « الوفا » وأصل هذا الخطأ من الهيثم بن عدي ، نقله عنه ياقوت . (حمد) .

وقال ابن سعد : دومة الجندل : طرف من الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، غزاها النبي ﷺ ، ونزل بساحة أهلها ، فلم يلق أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبث السرايا

وقال ابن هشام : إن النبي ﷺ رجع قبل أن يصلها ، وزعم بعضهم أن تحكيم الحكمين كان بدومة الجندل .

وفي كتاب الخوارج عن ابن أبي ليلى حديث في ذلك .

الدويخل : بالضم مصغراً ، جبل بني عبيد ، وهو أحد الجبلين اللذين غربي مساجد الفتح .

حرف الذال .

ذات اجدال : بالجيم بمضيق الصفراء .

ذات القطب : من أودية العقيق .

ذات النصب : بضم النون ، والصاد المهملة ، وباء موحدة : موضع بمعدن القبلية ، أقطعه النبي ﷺ بلال بن الحارث المزني .

وفي « الموطأ » : ركب ابن عمر رضي الله عنهما إلى ذات النصب ، فقصر . قال مالك : وبين ذات النصب والمدينة أربعة برد .

قلت : وهي بالقبلية ، وبه يترجح ما سيأتي في القبلية من أنها بناحية فرع المسور لأنها على نحو هذه المسافة .

ذباب : كغراب وكتاب لغتان : الجبل الذي عليه مسجد الراية ، وسبق في الخندق تسميته ذو باب .

ذرع : اسم بئر بني خطمة

ذروان : بالفتح ، بمنازل بنى زريق قبلي الدور التي في جهة قبلة المسجد ، يضاف إليه بئر ذروان المتقدمة .

ذفران : بالفتح ثم الكسر ، ثم راء وآخره نون : واد تقدم في مساجد بطريق مكة اليوم .

ذو حدة : بالحاء المهملة ، قال البيهقي في « الدلائل » عن ابن اسحاق : فلما خرج رسول الله ﷺ – يعني إلى تبوك – ضرب عسكره على ثنية الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله ابن أبيّ على ذي حدة أسفل منه أي نحو ذباب .

حرف الراء .

رائع : مهموز ، يقال : شيء رائع ، أي : حسن ، كأنه يروع لحسنه ، نقله المجد عن ياقوت . والذي في المشترك لياقوت ، أنه بياء بعد الألف غير مهموزة ، وهو بالعقيق ، لقول بعضهم في قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان وهو إلى الجماء مما يلي طريق البطحاء :

ياقصر عنبسة الذي بالرائع لا زلت توهل بالحيا المتتابع

ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة نحو هشام بن اسماعيل بالرائع ، فقيل له : هذه جرار جدك هشام ، فأمر بما يقيمها من بيت المال ، وهي جرار رائع ، كانت توضع هناك .

رابغ : بموحدة بعد الألف ، ثم غين معجمة : واد من الجحفة ، وغدير بطرف أسقف قلما يفارقه ماء ، إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل غدر العقيق إلى غدير السيالة ، واسمه القديم : « رابوغ » ، وأظنه اليوم المعروف بالحساء .

راتج : بالمثناة الفوقية بعد الألف ، ثم جيم : أطم سميت به الناحية كما قاله ابن زبالة وغيره ، وهو في شرقي ذباب جانحاً إلى الشام ، وبه منازل حلفاء بني عبد الأشهل وبني أخيهم زعورا ، ولذا خندقت بنو عبد الأشهل منه إلى طرف حرتهم كما سبق في الخندق .

وقال المطري : الجبل الذي الى جنب جبل بني عبيد يقال له : راتج ، فان صح فليس هو المراد مما سبق .

راذان : قال ياقوت : من نواحي المدينة ، لها ذكر في حديث ابن مسعود ، أى : حديث : « لا تتخذوا الضيعة » ، قال عبد الله : براذان ما براذان أربعاً ، وبالمدينة مابالمدينة ، أي : لاسيما إن اتخذتموها براذان ، او بالمدينة ، خصها لكثرة الرغبة فيها ، وراذان أيضاً قريتان من سواد العراق .

رامة : منزل بطريق الحاج العراقي على مرحلة من إمرة ، وسماه أبو عبيدة : رامتان ، وقال : هما زبيتان [١] مثل ثدبي المرأة .

وفي « الروض المعطار » : رامة موضع العقيق ، وقيـل : في طريق البصرة إلى مكة .

رانوناء : بنونين ممدود كعاشوراء ، ويقال : رانون سبق في الأودية ،والمأخذ في ضبطه بذلك وجوده بضبط القلم كذلك في نسخة معتمدة من « تهذيب ابن هشام » ، وكذا في خط الزين المراغي ، وهو الجاري على ألسنة أهـل المعرفة ، لكن ذكره المجد اللغوي في قاموسه في مادة « رتن » بالمثناة الفوقية والنون ، فاقتضى كون راتونا بمثناة فوقية بدل النون الأولى .

راية الأعمى : من أودية العقيق :

راية الغراب : من أوديته أيضاً .

رباب : كسحاب : جبل بطريق فيد للمدينة .

الربا ، بالضم ثم الفتح مخففاً : جمع ربوة بين الأبواء والسقيا بطريق مكة .

الربذة : بالتحريك وإعجام الذال ، تقدمت في الفصل الثالث .

---

(١) الصواب: رابيتان . ولاتزال رامة معروفة ، وقد أصبحت ذات عيون وزروع ، وهي بقرب عنيزة (حمد) .

الربيع بلفظ ربيع الأزمنة : موضع بنواحي المدينة ، بـــه يوم من أيام الأوس والخزرج .

الرجام : ككتاب ، جبل مستطيل على نحو ثلاثة عشر ميلًا من ضرية على طريق أهل أضاخ ، وفي غربيه مايسمى [1] باسمه .

الرجلاء : تقدم في حرة الرجلاء .

الرجيع : كأمير ، واد قرب خيبر ، عسكر به النبي ﷺ ليحول بـــين غطفان وبين أهل خيبر أن يمدوهم ، وكان يراوح لقتال خيبر منه ، والرجيع أيضاً بين مكة [2] والطائف ، به سرية عاصم حمى الدبر .

الرحابة : كغمامة ، موضع ببني بياضة .

الرحبة : كرقبه ببلاد عذرة قرب وادي القرى وسقيا الجزل ، وقال ياقوت: إنه بالضم ثم السكون .

الرحضية : بالكسر ، كالزنجية ، والضاد معجمة ، هي الأرحضية المتقدمة .

رحقان : بالضم ، ثم السكون ، ثم قاف آخره نون : واد بين المتوجه من النازية للمستعجلة يصب في خيف بني سالم .

رحيب : بالضم تصغير رحب ، جبل معروف قرب [3] أراين .

رحية : تصغير رحا ، بئر بين المدينة والجحفة .

الرديهة : من أودية العقيق .

الرس : بالفتح وتشديد السين ، من أودية القبلية ، قاله الزمخشري ، وقال ابن دريد : الرس والرسيس : واديان أو موضعان بنجد ، والرس الذي في التنزيل :

---

(١) صوابه : ماء يسمى (حمد) :

(٢) فيه تأمل ،لأنه بين مكة وعسفان ، يدل على ذلك قصته المذكورة في « صحيح البخاري » .

(٣) : الصواب بالباء الموحدة ، كأقاتل كما تقدم في الالف

وأد قبل وادي أذربيجان ، فيه رمان لم ير مثله ، وزبيبه يجفف في التنانير ، إذ لاشمس عندهم لكثرة الضباب ، وكان عليـــه ألف مدينة ، فدعا عليهم نبيهم إذ كذبوه ، فحول الله جبلين عظيمين من الطائف فأرسلها عليهم .

رشاد : من أودية الأجرد ، وكان اسمه غوى ، وهو لبني عنان من جهينة ، فسماه النبي ﷺ رشاد ، وقال : « أنتم بنو رشدان » .

ذات الرضم محركة ، وتسكن : موضع على ستة أميال من وادي القرى .

الرضمة : محركة وتسكن ، ويقال : الرضمتان قرب الصفراء .

رضوى : بالفتح كسكرى ، جبل على يوم من ينبع ، وأربعة أيام من المدينة منه تقطع أحجار المسان ، وسبق في فضل أحد أن رضوى مما وقع بالمدينـــة من الجبل الذي تجلى الله له لكون ينبع من اراضي المدينة .

وفي حديث : « رضوى مما وقع بالمدينة » . وفي رواية : « إنه من جبال الجنة » . وفي أخرى : « إنه من الجبال التي بني منها البيت » وتزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم به حي يرزق .

الرعل : بالكسر وسكون العين المهملة : أطم بمنازل بني عبد الأشهل .

ذات الرقاع : بالكسر جمع رقعة : بئر جاهلية قرب نخل ، وعبر عنه الواقدي بالنخيل مصغراً ، وقال : إنها بين السعد والشقرة . انتهى . وهي بأرض بها بقع بيض وحمر وسود ، وقيل : جبل فيه سواد وبياض وحمرة ، وقيل : شجرة هناك تسمى بذلك . وقيل : سميت الغزوة بذلك لأنهم رقعوا راياتهم أو لصلاة الخوف بها ، فوقع ترقيع الصلاة فيها ، أو لأن خيلهم كان بها سواد وبياض ،أقوال .

وقال أبو موسى الأشعري : سميت بذلك لما لفوا في أرجلهم من الخرق كما في « صحيح مسلم » .

الرقمتان : نهدان [١] من أنهاد الحرة الغربية ، لونها أحمر إلى الصفرة ، وتلك الحرة سوداء ، فبذلك سميا ، وقد يقال فيها : الرقمة بالإفراد ، والرقمة أيضاً قوب وادي القرى وبنجد ، وقرب البصرة . والرقمتان أيضاً : بأرض بني أسد .

رقم ، محرك ، وقد يسكن : موضع شرقي المدينة به أرسل الله الصاعقة على إربد بن صيفي منصرفه من المدينة ، وقد هم بقتل النبي ﷺ ، وإليه تنسب السهام الرقميات .

وقال نصر : الرقم : جبال بدار غطفان ، وماء عندها .

الرقيبة : تصغير رقبة ، وقيل : كسفينة ، جبل مطل على خيبر [٢] .

الركابية : منسوبة إلى الركاب ، وهي الإبل موضع على عشرة أميال من المدينة .

ركوبة : كحلوبة ، بالباء الموحدة ، ثنية شاقة قبل العرج بثلاثة أميال ، وهي وثنية العائر بعقبة العرج المسماة بالمدارج ، لها ذكر في سفر الهجرة . ومن الغريب قول الحافظ ابن حجر في الكلام على نار الحجاز : ركوبة : ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام مر بها النبي ﷺ في « غزوة تبوك » ذكره البكري اهـ . فإن صح ، فهي أخرى .

الرمة : بالضم ، وتكسر ، وتخفف ، وتثقل : قاع عظيم بنجد بين أسفلها وأعلاها سبع ليالي من حرة فدك إلى القصيم ، وبطن الرمة ببلاد غطفان في طريق فيد للمدينة .

رواوة بالضم كزرارة ، ويقال : رواوتان : موضع به غدير يعترضه سيل العقيق .

الروحاء بالفتح ، ثم السكون ، ثم حاء مهملة ، أكثر ما قيل في المسافة

---

(١) أي : الكومتان على يسار الخارج من باب العنبرية ، عند قبة الخضر ، يسميان أيضاً « بالعصيفرين » بالغاء مصغراً ، قاله بعض فضلاء المدينة .

(٢) ولا يزال معروفاً ولكنه يدعى « أبو رقبة » (حمد) .

بينها وبين المدينة ، اثنان وأربعون ميلًا . وفي « صحيح مسلم » : ست وثلاثون ميلا ، ولغيره ثلاثون ميلا .

قال الأسدي : وعلى مدخل الروحاء علمان ،وعلى مخرجها علمان، فليحمل أقل المسافات على أول واد بها ، وأكثرها على آخره ، وما عداه على ما بينها ، نزل بها تبع مرجعه من قتال أهل المدينة ، وأراح بها ، فسماها الروحاء . وقال كثير : سميت به لانفتاحها وروحها ، ويقـــال : بقعة روحاء طيبة ذات راحة ، وسبق في مسجد شرف الروحـاء أن من الشرف يهبط في واديها ، وفي مسجد عرق الظبية أن النبي ﷺ قال : « هذا سجاسج الروحاء ، وهذا واد من أودية الجنة » .

وقال ابن اسحاق في المسير إلى بدر : ونزل سجسج ، وهي بئر الروحاء .

وقال الأسدي : وبالروحاء آثار لرسول الله ﷺ وقصران وآبار كثيرة . انتهى .

والروحاء أيضاً : المقبرة التي بها مشهد سيدنا إبراهيم من بقيع الغرقد .

روضة الأجوال بالجيم ، بنواحي ودان .

روضة الأجداد : قرية ببلاد غطفان من أودية القصيبة قبلي خيبر ، وشرقي عصيرة .

قال الهيثم بن عدي : خرج عروة الصعاليك وأصحابه إلى خيبر ، فعشروا ، أي : نهقوا كالحمير ، يرون أنه يصرف الوباء ، وامتنع عروة أن يعشر وأنشد :

وقالوا جث [1] وانهق لا تضرك خيبر وذلـــك من دين اليهود ولوع

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق حمير إنـــني لجزوع

فلا وألت تلك النفوس ولا أتت على روضـة الأجداد وهي جميـع

فدخلوا خيبر ثم رجعوا ، فلما بلغوا روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

روضة ألجام : بفتح الألف وسكون اللام ، وجيم وألف وميم ، ويقـال : آجام بعد الهمزة ألف من دواقع وادي العقيق التي في الحرة ، قال كثير :

---

(١) في ديوان عروة : وقالوا أحب بالموحدة ، قال الشارح : من حبا يحبو .

فروضة أجام تهيج للبكا   وروضات شوطا عهدهن قديم

روضة الخرج : بضم الخاء وسكون الراء ، ثم جيم ، ويقال : الخرجين مثنى ، من نواحي المدينة .

روضة الخزرج : بلفظ القبيلة من الأنصار بنواحي المدينة ، قال حفص الأموي :

فالمح بطرفك هل ترى أظعانهم   بالبارقية أو بروض الخزرج

روضة الحماط : تضاف لذات الحماط من أودية العقيق .

روضة الصها : بضم الصاد المهملة ، جمع صهوة ، وربما قالوا : السها ، حيال شامي المدينة على ثلاثة أيام عندها هذه الروضة .

روضة عرينة : كجهينة ، واد بناحية الرحضية ، كان يحمى للخيول في الجاهلية والإسلام ، بأسفلها قلهى .

روضة العقيق : عقيق المدينة ، وقد تجمع ، أنشد الزبير :

عج بنا يا أنيس قبل الشروق   نلتمسها على رياض العقيق

روضة الفلاج : تأتي في الفلجة .

روضة مرخ : بالتحريك والخاء المعجمة بالمدينة .

ذورولان : واد قرب الرحضية لبني سليم ، به قلهى .

الرويثة : بالضم وفتح الواو وسكون المثناة تحت ، وفتح المثلثة آخره هاء : منهل بطريق مكة على نحو ستين ميلا من المدينة .

رهاط : كغراب والطاء مهملة : موضع بأرض ينبع [1] ، اتخذت به هذيل سواعاً .

وقال عرام : فيما يطيف بجبل شمنصير قرية يقال لها : رهاط بقرب مكة على طريق المدينة ، وبقربها الحديبية ، وهي مواضع بني سعد الذي نشأ فيهم النبي ﷺ .

---

(١) القول بأن رهاطاً في ينبع خطأ من ابن الكلبي في كتاب «الاصنام» والصواب قول عرام : ولا يزال رهاط معروفاً (حمد) .

وقال صاحب « المسالك والممالك » : من توابع المدينة ومخاليفها ساية ورهاط وعران [1] ، وسيأتي عن المجد عران يقال لها : رهاط .

الريان : ضد العطشان ، أطم لبني حارثة ، وآخر لبني رزيق ، وماء بحمى ضرية في أسفل جبل أحمر طويل ، ووادٍ هناك ، وجبل ببلاد بني عامر ، وموضع به قصور بمعدن بني سليم .

ريدان : كسلمان ، أطم لبني واقف من الأوس في قبلة مسجد الفضيخ .

ريم : بالكسر ثم السكون ، مهموز وغير مهموز ، واد لمزينة يصب فيه ورقان ، ثم يصب في العقيق .

وفي « طبقات ابن سعد » كان عبد الله بن بحينة ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة . وفي « الموطأ » : أن ابن عمر ركب الى ريم فقصر . فقال مالك : وذلك نحو أربعة برد ، أي : بحسب طرفه الأقصى .

ذو ريش : بلفظ : الطائر ، تقدم في الأودية .

حرف الزاي:

زبالة : أول يثرب مما يلي شامي المدينة عند كومة أبي الحمراء ، قيل : سميت بذلك لضبطها الماء وأخذها منه كثيرا ، وقيل : سميت بزبالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت موضعها فسميت بها .

الزجّ : بالضم وتشديد الجيم ، قاله المجد ، وقال ابن سيد الناس : بالخاء المعجمة : موضع بناحية ضرية ، وما أقطعه رسول الله ﷺ العدّاء بن خالد من ربيعة بن عامر .

الزراب : ككتاب ، ويقال : ذات الزراب في مساجد تبوك .

زرود [2] : بالفتح ثم الضم ، وآخره دال مهملة : موضع قرب أبرق العزاف ،

---

(١) عران بالعين المهملة غلط ؛ والصواب : غران بالغين المعجمة .

(٢) منهل في غرب نفود الدهناء بقرب الاجفر ، شرق فيد ، ولا يزال معروفاً . (حمد) .

وذكره الأسدي في منازل طريق الحاج العراقي قرب الثعلبية بطريق فيد ، وأن الطريق تقطع رملًا هناك ، ولما وجه عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص لحرب العراق خرج إلى فيد ، فأقام به شهراً ، ثم كتب إليه عمر أن يرتفع إلى زرود ، فأتاها فأقام بها .

زغابة : كسحابة ، والغين معجمة ، وضبطه أبو عبيد البكري بالضم : مجتمع السيول بآخر العقيق غربي مشهد حمزة ، وهو أعلى اضم ، ووهم من قال : إنه لا يعرف ، وإنما المعروف الغابة .

زمزم : بئر سبقت في الآبار ، سميت به لكثرة التبرك بمائها ونقله للآفاق .

زهرة : بالضم ثم السكون : بين الحرة الشرقية والسافلة مما يلي القف[1] كانت من أعظم قرى المدينة بها ثلاثمائة صائغ ، وهي مما يلي طرف العالية قرب الصافية والدلال ، ولذا يقال لجزع الصافية : جزع زهيرة مصغر زهرة المذكورة .

الزور : بالفتح ، آخره راء ، جبل أو واد قرب السوارقية .

الزوراء : بالفتح ، ثم السكون ، سبق في البلاط وسوق المدينة ، وهو موضع من سوق المدينة ، عند مشهد مالك بن سنان ، وكان دارهناك لعثمان تسمى الزوراء أيضاً ، جعل النداء الذي أحدثه يوم الجمعة عليها .

وقول ابن حبيب : إن ذلك بالزوراء ، وهو موضع السوق ليرتفع الناس منه ، وفي ناحية البقيع يريد به بقيع الخيل من سوق المدينة ، لا بقيع الغرقد ، وإن كان الموضع الذي دفن فيه إبراهيم عليه السلام منه يسمى الزوراء ، ويسمى بذلك أيضاً مال لأحيحة بن الجلاح .

الزين : بلفظ ضد الشين ، مزرعة بالجرف ازدرعها النبي ﷺ رواه ابن زبالة .

---

(١) بضم القاف وتشديد الفاء كما في الأصل مصرح به في أسماء البقاع من هذا الكتاب ، فما في نسخ الطبع : « الفقرة » بدل « القف » غلط ، فليتنبه .

حرف السين .

سائر : كصابر ، ويقال : السائرة من نواحي المدينة ، قال الشاعر :

عفـا متغر من أهـله فثقيب ... فسفـح اللوى من سائر فجريب

السافلة : تقابل العاليـة ، والمدينة منقسمة إليها ، وأدنى العالية السنح على ميل من المسجد ، فما نزل عنه فهو السافلة ، ولا تخص السافلة بما في شامي المدينة اليوم لما سبق في زهرة ، ولأن النبي ﷺ أرسل ابن أبي رواحة بشيراً لأهل العالية بنصرة بدر ، وزيد بن حارثة لأهل السافلة .

قال أسامة بن زيـد : فجئت زيـد بن حارثة وهو واقف بالمصلى وقـد غشيه الناس ، فإتيان بشير السافلة للمصلى دليل على ماذكر .

الساهية : من أودية العقيق .

ساية : كغاية ، واد عظيم جبله شمنصير به أكثر من سبعين عيناً ، به نخل وموز ورمان وعنب ، وهو وادي أمج ، ويطلع على ساية من جبل السراة دون عسفان .

قال المجد : ولم يزل واليها من قبل صاحب المدينة إلا في زماننا .

الستار : بالكسر ومثناة من فوق ، ثم ألف وراء جبل بحمى ضرية ، وجبل آخر بالعالية بديار بني سليم ، وأجبل سود على ثلاثة مراحل من ينبـع .

سجاسج : اسم وادي الروحاء ، والسجسج : الهواء الذي لاحرّ فيـه ولابرد قاله ابن شبة .

السد : بالضم : سد عبد الله بن عمرو بن عثمان الذي يأتي منـه رانوناء بقرب عير . وقال عرام : هو ماسما جبل شوران ، مطل عليه ، أمر النبي ﷺ بسده ، ومن السد قناة إلى قباء . اه .

وكأنه يريد السد المتقدم لاقتضاء ما قاله في شوران : إنه عير ، والسد ماسما في حرم بني عوال ، وما في شعب ، عمل له معاوية سداً شبيهاً بالبركة على عشرين

ميلا من المدينة بينها وبين الرحضية .

وفي رواية للبخاري : حتى بلغنا سد الروحاء ، حلت — يعني صفية — صوابه ما في رواية أخرى له : حتى بلغنا سد الصهباء .

قال عياض : هو بالضم والفتح : جبلها ، والسد الردم أيضاً . وقيل : بالضم خلقة[1] وبالفتح ، فعل الإنسان .

وقال الكسائي : وهما واحد ، ويؤخذ من كلام ياقوت أن الحبس بأعلى قناة يسمى بالسد أيضاً .

السراة : بالفتح وتخفيف الراء ، من أعظم الجبال ، وهو الحدّ بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام ، فسمته العرب حجازاً ، لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد ، وهو ظاهر ، وما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز .

ذو السرح : بالفتح ، ثم السكون ، ثم حاء مهملة : واد قرب ملل .

السر : بالكسر ضد الجهر ، موضع بنجد لبني أسد ، وموضع في بلاد تميم ، والسر بالضم : موضع بديار مزينة .

السرارة : بالفتح وتشديد الراء الأولى ، بمنازل بني بياضة غير الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة عند قباء .

سرغ : بالفتح وإعجام الغين ، قرية بوادي تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وهي آخر عملها ، قاله المجد . وقال الأسدي : إنها أول بلاد الحجاز ، وبعدها لجهة المدينة وتبوك بينها مرحلة .

السرير : كزبير ، واد قرب الجار . قال كثير .

---

(١) بكسر الخاء المعجمة وبالقاف بدليل مقابلته بفعل الانسان ، فما في نسخ الطبع «خلفه» بالفاء تحريف ناسخ .

وسرير البضيع ذات الشمال

والسرير أيضاً : الوادي الأدنى بخيبر ، وبه الشق والنطاة .

السعد : بالفتح وسكون العين ثم دال مهملتين ، جبل قرب ذات الرقاع على ثلاثين ميلاً من الكديد ، عنده منازل وسوق بطريق فيد .

سفا : بالفاء كقفا من نواحي المدينة .

سفان : تثنية الذي قبله ، واد يلقى إضم عند البحر .

سفوان : بفتحات ، واد من ناحية بدر ، به « غزوة بدر الأولى » في طلب كرز الفهري .

سقاية سليمان بن عبد الملك : بالجرف على محجة الشام يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام .

السقيا : بالضم ثم السكون ، سقيا سعد بالحرّة الغربية ، سبقت في الآبار ، وقرية جامعة من عمل الفرع بطريق مكة القديمة ، سميت بذلك لأنهم سقوا بها ماء عذباً كما قاله كثير ، وبها عين وآبار ، وقيل : عطش تبع إذ نزلها ، فأمطر ، فسماها السقيا .

وقال قتيبة : هي عين بينها وبين المدينة يومان[1] والمعروف ماقاله الأسدي وغيره : أنها على نحو أربع مراحل من المدينة ، والسقيا أيضا بوادي الجزل قرب وادي القرى على نحو سبع مراحل من المدينة .

سقيفة بني ساعدة : تقدمت في مسجدهم ، والسقيفة : كل بناء مسقف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً .

سكاب : كقطام ، جبل من جبال القبلية .

---

(١) تعرف السقيا التي بطريق مكة الآن باسم : « أم البرك » جمع « بركة » ، وهي الآن قرية سكانها قليلون . (حمد) .

سلاح : كقطام ، موضع أسفل خيبر بـه لقي بسر بن سعد الانصاري جمع غطفان في سريته إلى يمن ، قاله المجد ، وضبطه ابن سيد النـاس بكسر أوله ، وسلاح : ماء ملح لبني كلاب ما شرب منه أحد إلاسلح .

السلاسل : بلفظ جمع السلسلة ، ماء بأرض جـــذام خلف وادي القرى على عشرة أيام من المدينة .

وقال ابن اسحاق : الماء سلسل ، وبه سميت ذات السلاسل .

السلالم : بالضم ، آخر حصون خيبر فتحاً .

ذو السلائل : واد بين الفرع والمدينة .

سلع : بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة ، جبل معروف بـه كهف بني حرام المتقدم ذكره في مساجد الفتح .

وفي « الصحيح » بالجبيل الذي بالسوق ، وهو سلع لأن أسفل السوق مجاوره .

ذو سلم : بالتحريك من بطن مدلجة تعهن ، له ذكر في سفر الهجرة وذو سلم النظيم في أودية العقيق شاهدة في لأي ، كلحي .

سليع[1] : تصغير سلع ، هو الجبل الذي عليه حصن أمير المدينة الذي ابتناه جماز بن شيخة[2] قبل السبعين وستمائة ، فكان عليه بيوت أسلم بن قصي .

السليل : كأمير ، عرصة العقيق .

السليلة : موضع من الربذة .

السليم : مصغر سلم ، وذات السليم من أودية العقيق .

سمران : جبل بخيبر ، صلى النبي ﷺ على رأسه ، رواه ابن زبالة ، والعامة تسميه : مسمران ، وضبطه بعضهم بالشين المعجمة .

ذو سمر : من أودية العقيق .

---

(١) هو الذي عليه القلعة اليوم .

(٢) صوابه : شيحة باسم الشجرة المعروفة واحدة « الشيح » . (حمد) .

سميحة : مصغر سمحة ، بالحاء المهملة : بئر قديمة غزيرة الماء معروفة بالمدينة .

سنام : هضب قرب الربذة .

السخ[1] : بالضم ، ثم السكون ، وقيل : بضمتين ، أطم لجشم وزيد ابني الحارث على ميل من المسجد النبوي . وهو أدنى العالية ، سميت به الناحية ، وبه منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بزوجته الأنصارية ، ووهم من جعله غربي مساجد الفتح ، لأن ذلك بالمثناة التحتية وكسر السين .

سن : بالكسر ، جبل حذاء شوران وميطان .

سواج : بالضم ، آخره جيم ، من جبال ضرية يأويه الجن ، يقال له : سواج طخفة .

سوارق : واد قرب السوارقية يستعذبون منه الماء .

السوارقية : بفتح أوله وضمه وبعد الراء قاف وياء النسبة ، ويقال : السويرقية مصغرة : قرية غناء كبيرة ذات منبر ، ونخل ، وفواكه ، ولكل بني سليم فيها شيء .

سوق بني قينقاع : بقافين بينهما مثناة تحتية ، ثم نون آخره عين مهملة ، كان عند جسر بطحان في الجاهلية يقوم في السنة مراراً ، ويتفاخر الناس به ، ويتناشدون الأشعار ، وبه كان اجتماع حسان بن ثابت بنابغة بني ذبيان .

السويداء : تصغير سوداء ، موضع بعد ذي خشب على ليلتين من المدينة .

سويد : أطم أسود ببني بياضة شامي الحماضة .

سويقة : تصغير ساق ، هضبة حمراء على نحو ثلاثين ميلاً من ضرية ، وعين عذبة كثيرة الماء بأسفل حزرة [2] على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمين

---

(١) هو في مقابلة الحديقة المسماة بـ « المنشية » من جهة الشرق ، وهي الأرض المسماة بـ « المراجين » قاله بعض فضلاء المدينة .

(٢) صوابه : حورة بالواو والراء .

المتوجه لمكة لآل علي ، وكان محمد بن صالح الحسني خرج على المتوكل ، فأنفذ إليه جيشاً ضخماً ، فظفروا به وبجماعة من أهله ، فقتلوا بعضهم ، وأخربوا سويقة ، وعقروا بها نخلاً كثيراً ، وما أفلحت السويقة بعد ، وجو سويقة لآل علي يضاف إليها .

قال المجد : وكانت سويقة من صدقات علي ، وسويقة أيضاً جبل بين ينبع والمدينة ، وتعرف اليوم بالسويقة [1] منازل بني ابراهيم [2] أخي النفس الزكية .

السي : بالكسر ، على خمس ليال من المدينة ناحية ركية من وراء المعدن ، بها سرية شجاع بن وهب لجمع من هوازن .

السيالة : كسحابة في مسجد شرف الروحاء ، والشرف آخرها ، وهي على ثلاثين ميلاً من المدينة ، مر بهـا تبع ، وبها واد يسيل فسماها السيالة .

السيح بالكسر وسكون المثناة تحت ، مصدر : ساح يسيح ، اسم لما حول مساجد الفتح في المغرب ، ووهم المراغي في جعله محل أطم جشم وزيد ابني الحارث مع ضبطه بما ذكرناه .

سير : بفتح أوله والمثناة التحتية ، جبل ، وقيل : بالموحدة المشددة المكسورة، وقيل : بشين معجمة مفتوحة ، ومثناة تحتيه مشددة ومكسورة ، كثيب بين النازية والصفراء ، كانت به قسمة غنائم بدر ، وأظنه بشعب سير المعروف اليوم بفركات الخيف عند بركة قديمة بعد المستعجلة بنحو نصف فرسخ .

حرف الشين

شابة : بموحدة خفيفة ، جبل بين الربذة والسليلة .

---

(١) صوابه : بالسويق ، قاله الشيخ حسب الله المكي ،وأقول : بل الصواب : سويقة ، ولا تزال معروفة ، وهي التي خربت في عهد المتوكل ، وقرية السويق بقربها معروفة أيضاً . (حمد) .

(٢) قوله : منازل بني ابراهيم : صريح في أن بني ابراهيم الذين هم هناك اليوم أشراف حسينيون والله أعلم .

شاس : أطم برحبة مسجد قباء كان لشاس أخي بني عطية بن زيد .

الشبا : كالعصا ، واد بالأثيل به عين تسمى خيف الشبا .

شباع : ككتاب ، سبق في بئر السائب أنه الجبل المشرف عليها .

الشباك : كالحباك ، جمع شبكة ، موضع ببلاد غني بين المدينة وأبرق العراف وموضع آخر قرب سفوان .

الشبعان : بلفظ ضد الجيعان ، من آطام المدينة كان بشمغ .

الشبكة : مفرد الشباك ، مال باضم بعد ذي خشب .

الشجرة : بلفظ واحد الشجر ، يضاف إليها مسجد ذي الحليفة ، والشجرة [1] أيضاً مال فيه أطم لبني قريظة .

شدخ : بسكون الدال المهملة ، وخاء معجمة ، واد به الموضع المسمى بنخل [2].

الشراة : جبل مرتفع في السماء دون عسفان عن يسارها ، فيه عقبة إلى ناحية الحجاز تسمى الخريطة .

الشربة : بثلاث فتحات ، وموحدة مشددة ، كل أرض معشبة لا شجر بها ، اشتهر به موضع بين السليلة والربذة ، وقيل بين نخل ومعدن بني سليم ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماوان تريد مكة وقعت في الشربة ، أشد بلاد نجد قُرّاً [3] ، أي : برداً .

شرج : بالفتح ، ثم السكون ، آخره جيم ، موضع بظاهر المدينة يعرف بشرج العجوز ، له ذكر في مقتل كعب الأشرف ، وماء بنجد ، وواد لفزارة به بئر .

الشرعبي : بالفتح ، ثم السكون ، وفتح العين المهملة ، وكسر الموحدة ،

---

(١) يعرف الآن في العوالي : بالشجيرة مصغراً .

(٢) شدخ جبل مطل على الحناكية المعروفة قديما باسم « نخل » يشاهد منها رأي العين . (حمد).

(٣) بضم القاف ، قاموس .

آخره ياء النسبة : أطم دون ذباب .

الشرف : محركة: الموضع العالي ، وهو شرف الروحاء ، وشرف السيالة لكونه بينها ، والشرف أيضاً كبد نجد .

شريق : تصغير شرق ، وروي بالفاء ، موضع بوادي العقيق .

الشطان : بالضم وسكون الطاء المهملة [1] من أودية المدينة .

شطان : مال في بني قريظة .

الشطون : بئر بناحية مثغر .

الشطيبة : مال ابن عتبة بجنب الأعواف ، ولعلها المال المعروف هناك بالعتبى ، خطب قرظي امرأة من بلحارث بن الخزرج ، فقالت : أله مال على بئر مدرى ، أوهامات أوذي وشيع ، أو الشطيبة ، أو بئر فجار ، وهي في بئر أريس ، فقال :

تكلفني مخارق [2]بئر مدرى وهامات وأعذق ذي وشيع

فما حازت شطيبة من سواد إلى الفجّار من عذق الرجيع

الشظاة : كالقطاة ، وادي قناة ، أو مما يلي السد منه . قال عباس ابن مرداس :

وانك عمري هل أراك ظعائنا سلكن على ركن الشظاة فتيأبا

شعب : بالضم ، واد يصب في الصفراء ، وهو نخال ، والشعب بالكسر واحد الشعاب ، منه شعب أحد ، انتهى رسول الله ﷺ إلى فمه يوم أحد ، وخرج علي حتى ملأ درقته من المهراس .

---

(١) ولعل صوابه : وتشديد الطاء ، إذ لا يمكن النطق بها ساكنة مع وجود الألف بعدها ، فتأمل ، ثم رأيته في « القاموس » في باب الهمزة قال : شطء النهر ، شطه كشاطية جمعه شواطىء : وشطآن بالهمزة بعد الطاء المهملة ، كغفران .

(٢) صوابه : مخارف بالفاء من ، خرف النخلة :إذا جنى رطبها . (حمد) .

وشعب العجوز : بظاهر المدينة ، قتل عنده كعب بن الأشرف ، ويروى بدله : شرح العجوز .

وشعب المشاش : خلف جماء العاقل من العقيق .

وشعب شوكة : هو المعروف بشعب عليّ كما سيأتي في شوكة [١] .

شعبى : بالضم ثم الفتح ، ثم موحدة مفتوحة مقصور ، جبل . وقيل : جبال منيعة بحمى ضرية [٢] . قال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي .

أعبد حلّ في شعبى غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا

قال السيرافي : يقول : أنت من أهل شعبى ، ولست بكندي ، بل أنت دعيّ فيهم ، حملت بك أمك في شعبى .

شعبة : بالضم ثم السكون ، عين قرب يليل . وفي « الخلائق » [٣] شعبة عبد الله ، وشعبة عاصم ، تأتي في عاصم وو ادي شعبة من أودية أبلى .

شعث : بالضم ، ثم السكون ، آخره مثلثة ، جمع : أشعث ، موضع بين السوارقية ومعدن بني سليم .

شعر : بلفظ شعر الرأس ، جبل مشرف على معدن الماوان بناحية الوضح ، أكثر الشعراء من ذكره .

شغبى : بالفتح وسكون الغين المعجمة ، وفتح الموحدة ، كسكرى : قرية بين المدينة وأيلة ، وكذا يدا [٤] قرية أخرى بينها نحو مرحلة ، ويلي شغبى

---

(١) صوابه : شنوكة بالنون بعد الشين . (حمد) .

(٢) قال حسب الله المكي : هو حمى كليب المشهور ذكره في الحروب ، وضرية : مكان في طريق الحاج العراقي إلى مكة قاله بعض فضلاء المدينة ، أقول : ضرية : قرية معروفة الآن . (حمد) .

(٣) لعله اسم كتاب .

(٤) بالياء التحتية ، وهي غير بدا بالباء الموحدة، قاله الشيخ حسب الله المكي ، وأقول : بل هي هي ، وشغب وبدا معروفان متقاربان . (حمد) .

السقيا التي بطريق الشام ، وبهذه السقيا يجتمع من أراد المدينة من مصر على غير طريق الساحل ومن أرادها من الشام ، قاله الأسدي ، قال كثير :

وأنتِ التي حببت شغبى إلى بدا ... إلي وأوطاني بــلاد سواهما

حللت بهـذا حلة ثم حلة ... بهذا فطاب الواديان كلاهما

شفر : كزفر ، جمع شفير الوادي ، جبل بأصل حماء أم خالد تهبط إلى بطن العقيق كان يرعى به السرح يوم أغار عليه ابن جابر الفهري ، وطلبه النبي ﷺ حتى ورد بدرا .

شقر : بالقاف كزفر ، ماء بالربذة عند سنام ، وجبل مشرف على معدن الماوان .

الشقراء : تأنيث الأشقر ماءة بالبادية ، وكذا السعدية ، أقطع النبي ﷺ حمى بينها لعمرو بن سلمة الكلابي .

الشقراة : جبيل أنصب في غربي النقيع .

الشقرة : بالضم ، ثم سكون ، موضع بين جبال حمر [١] بطريق فيد [٢] على ثمانية عشر ميلاً من النخيل ، وعلى يومين من المدينـة . انتهى إليه بعض المنهزمين يوم أحد كما رواه البيهقي ، ومنه قطع الدوم لعمارة المسجد في زماننا .

شق : بالفتح ، وقيل : بالكسر ، من حصون خيبر ، أو موضع به حصون من حصونها منها البراز ، كان أهله أشد رمياً للمسلمين عند حصارهم ، فحصبه النبي ﷺ بكف من حصباء ، فرجف بهم وساخ ، رواه الواقدي .

شلول : بلامين ، كصبور ، موضع بنواحي المدينة .

الشماء : بالتشديد والمد ، وعند الهجري : الشيماء بمثناة تحتية ، هضبة بحمى ضرية من هضب الأشيق بناحية عرفجا حمراء ، وفيها سواد .

---

(١) هو الذي فيه الدوم إلى اليوم كما ذكره .

(٢) تقدم في طريق الحاج العراقي ، وهو قريب من جبل شمر الذي يقال له: جبل طي .

الشماخ : بالفتح والتشديد وإعجام الخاء ، أطم في قبلة بيوت بني سالم .

شمنصير : بفتحتين ، ثم نون ساكنة ، وصاد مهملة مكسورة ، ثم مثناة تحتية ، ثم راء : جبل ساية [1] .

شناصير : من نواحي المدينة .

شنوكة : بالفتح ، ثم الضم ، ثم السكون وفتح الكاف ، جبل بعد شرف الروحاء يقابل الشعب المعروف اليوم بشعب عليّ ، وهو شعب شنوكة على فوسخ من شرف الروحاء .

الشنيف : كزبير ، أطم بني ضبيعة بقباء قرب أحجار المراء .

شواحط : بالضم وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، وطاء مهملة ، جبل قرب السوارقية ، ويوم شواحط من أيام العرب .

شوران : كسلمان ، جبل حذاء ميطان ، تضاف إليه حرة شوران صدر مهزور ، ولعله المعروف اليوم بشوطان .

وللزبير عن محمد بن عبد الرحمن قال : رأى رسول الله ﷺ إبلاً في السوق ، فأعجبه سمنها ، فقال : « أين كانت ترعى هـــذه ؟ » قالوا : بحرة شوران ، فقال : « بارك الله في شوران » .

شوط : بالفتح ، ثم السكون ، وطاء مهملة ، موضع وراء ذباب بالجبانة قرب منزل بني ساعدة الأقصى ، وفي شاميه كومة أبي الحمراء .

شوطى : كسكرى بحروف الذي قبله ، من دوافـــع وادي العقيق بحرة بني سليم .

شيخان : بلفظ تثنية شيخ ، أطمان بجهـة الوالج ، سُمّيا باسم شيخ وشيخة كانا هناك على الطريق الشرقية إلى أحد مع الحرة ، بفضائها مسجد [2] لرسول الله

---

(١) تقدمت في ساية في السين المهملة وأنها قريبة من عسفان .

(٢) وهو الذي يسمى الآن بـ « مسجد الدرع » قاله بعض فضلاء المدينة .

ﷺ صلى به في مسيره لاحد ، وعسكر هنـــاك تلك الليلة وهو الذي يسمى الآن بمسجد الدرع .

حرف الصاد :

ساخة : كرامة ، الأرض التي لا تنبت أصلاً ، وهو اسم هضبات خمس قرب العقيق ، ولذا قال الوليد بن عقبة :

ولولا علي كان جل مقالهم كضرطة عير بالصخاصخ من إضم

صاري : بكسر الراء ، وتخفيف الياء ، جبل في قبلة المدينة .

الصخرة : بالضم وإسكان الحـاء المهملة جوبة تنجاب في الحرة ، وهي اسم أرض تحف النقيـع من غربيه .

صحن : بلفظ : صحن الدار ، جبل فوق السوارقية ، فيه ماء عذب يزرع عليه .

صخيرات الثمام : بالخاء المعجمة والثاء المثلثة .

صدار : كغراب ، ويعرف بالصدارة بوادي الروحاء .

صرار : ككتاب ، أطم كان بالجوانية ، شامي المدينة بالحرة الشرقية ، به سميت تلك الناحية صراراً ، ولذا قال البخاري في نحر البقر بصرار عنـــد قدوم المدينة : صرار موضع ناحية بالمدينة .

وقـال ابن سعد في « غزوة قرقرة الكدر » : واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة .

وقال نصر : صرار : ماء قرب المدينة محتفر جاهليّ ، له ذكر كثير على سمت العراق . انتهى .

ويشهد له مافي « صحيح[1] الدارمي » عن قريظة بن كعب ، أن عمر شيـع ناساً من الأنصار بعثهم إلى الكوفة حتى أتى صراراً ، قال : وصرار مـاء شرقي طريق المدينة . انتهى .

---

(١) صوابه : مسند الدارمي .

قال زيد بن أسلم(١) : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حتى إذا كنا بحرة واقم ، إذا بنار تورى بصرار ، فسرنا حتى أتيناها ، فقال عمر : السلام عليكم يا أهل الضوء ، وكره أن يقول : يا أهل النار ، أأدنو منكم ؟ فقيل له : ادن بخير ، أو دع ، فإذا بهم ركب قد أضرّ بهم الليل والبرد والجوع ، وإذا امرأة وصبيان ، فنكص على عقبية ، وأدبر يهرول حتى أتى دار الدقيق ، واستخرج عدل دقيق ، وجعل فيه كبة من شحم ، ثم حمله حتى أتاهم به ، فقال : ذري وأنا أحرك ، يريد أتخذ لك خزيرة .

وصرار أيضاً : جبل من جبال القبلة .

صعيب : تصغير صعب ، وقيل : صعين بالنون ، تقدم في الاستشفاء بتراب المدينة .

الصعبية : بالفتح ، ثم السكون ، آبار عذبة يزرع عليها لبني سليم قرب أبلى .

الصفاح : بالكسر وحاء مهملة ، موضع بالروحاء .

صفاصف : موضع بين سد عبد الله العثماني وبين العصبة .

الصفراء : تأنيث الأصفر ، واد كثير النخل والعيون ، سبق في المساجد ، وسلكه النبي ﷺ مرجعه من بدر الكبرى . وقال المجد : سلكه غير مرة .

صفر : بلفظ الشهر الذي يـــلي المحرم ، جبل أحمر بفرش ملل يقابل عبود الطريق بينهما ، وبه بناء كان للحسن بن زيد .

صفنة : بالفتح ، كجفنة بالنون . وفي « القاموس » : إنه محرّك : منزل بني عطية برحبة مسجد قباء .

صفينة : كسفينة ، موضع بين بني سالم وقباء ، قاله نصر .

وفي « القاموس » : صفينة كجهينة ، بلد بالعالية في ديار بني سليم .

ذو صلب : بالضم في الأودية .

---

(١) الذي في « الفائق » : عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه قال ... الخ .

صلحة : بالضم ، ثم السكون ، اسم دار بني سلمة سماها بـه النبي ﷺ كما سبق في الحاء المهملة ، وسبق في المعجمة صالحة . وفي خط الزين المراغي : طلحة بالطاء المهملة .

صلصل : كجلجل ، جبـل معروف في أثناء البيداء شرقي عظم إلى القبلة ، على سبعة أميال من المدينه . ويقال فيه : الصلصلان بالتثنية ، وللفريابي : أن قصة نزول التيمم كانت بالصلصل . قال البكري : هو عند ذي الحليفة ، أي بقربها ،

صلاصل : أرض بحرة قطان .

الصمد : بالفتح ، ثم السكون ، وإهمال الدال ، ماء قرب المدينة ، له يوم مشهود ، وموضع بقباء جمعه كعب بن مالك حيث قال :

ألا أبلغ قريشاً أن سلعاً ... وما بين العريض إلى الصماد

الصمغة . بالغين المعجمة ، مزرعة بقناة سرّحت قريش الظهر والكراع بها بعد نزولهم بعينين .

الصمان : بالفتح ، وتشديد الميم ، جبل أحمر يجاور الدهناء التي سبق أنها سبعة أجبل [1] من الرمل ، ولذا قيل : الصمان قرب رمل عالج .

صوار : بالضم واو وألف وراء ، موضع بالمدينة . قال شاعر :

فمحيص فواقم فصـوار ... فإلى ما يلي حجاج [2] غراب

صورى : كجمزى ، واد بجهة النقيـع من صدور أئمـة بن الزبير ، وتعرف اليوم بصورية بزيادة هاء .

الصوران : ثنية صور ، بالفتح ثم السكون ، للنخل المجتمع الصغار : موضع في أقصى بقيـع الغرقد مما يلي طريق بني قريظة ، مرّ به النبي ﷺ متوجهاً الى بني قريظة .

---

(١) وهو تصحيف ، صوابه : أحبل : بالحاء المهملة .

(٢) كسحاب : العظم الذي عليه صاحب العين ، وهو هنا اسم موضع .

وقال مالك : منزل نافع بالبقيع بالصورين . ولكن سبق في مهزور من الأودية ما يقتضي أنه فوق البقيع قرب الموضع المعروف اليوم بالقصور ، والصوران أيضاً في أدنى الغابة .

ذو صوير : كزبير : من أودية العقيق قرب صورى .

الصهباء : بلفظ اسم الخمر من أدنى خيبر .

الصهوة : من أودية العقيق . قال ابن شبة : هو بين يين وبين حورة ، على ليلة من المدينه ، تصدق ابن عباس بماله به ، وتلك الصدقة بمال الخليفة توكل بها [1] .

الصياصي : أربعة عشر أطماً كانت بقباء يتعاطى أهلها النيران بينهم من قربها .

الصيصة : أطم بقباء .

حرف الضاد .

ضاحك : اسم فاعل ، من ضحك ، جبل بفرش ملل بينه وبين ضويحك واد يقال له : يين .

ضارج : كصاحب ، آخره جيم ، موضع قرب العذيب له ذكر في شعر امرىء القيس وغيره ، وقيل : موضع باليمن .

ضأس : كفأس ، آخره سين مهملة : واد بين المدينة وينبع ، قال كثير :

وحتى أجازت بطن ضأس ودونها دعان [2] فهضبا ذي النخيل فينبع

ضاف : واد غربي النقيع تحفه الجبال ، ومنها قدس في غربيه ، وأرضه مستوية مهبط ثنية تبع من أئمة ابن الزبير .

ضباء : من عمل المدينة النبوية ، مرفأ للسفن مأمون ، وفيه آبار عذبة ، وشجر

---

(١) صوابه : يوكل بها . (حمد) .

(٢) بالدال المهملة ، كسحاب ، واد بين المدينة وينبع أيضاً .

المقل فيه كثير ، بينه وبين مريين [١] جبال شامخه ذكره في « الروض المعطار » .

ضبـع : بسكون الباء الموحدة ، وضمها من أودية العقيق .

ضبوعة : بالفتح كحلوبة ، منزل عند يليل بين مشيرب وبين الخلائق .

ضجنان : بالفتح وسكون الجيم ونونين بينها ألف ، قرب مكة على يوم من قديد .

ضحيان : بالفتح وسكون الحاء المهملة ومثناة تحتية ، أطم بالعصبة لأحيحة ابن الجلاح ، وله يقول :

إني بنيت واقماً والضحيان والمستظل قبـله بأزمان

ضرعاء : قنة قرب جبل شمنصير .

ضرية : كغنية في الاحماء .

ضرى : كسما [٢] بئر من حفر عاد بضرية .

ضع ذرع : أطم عند بئر بني خطمة المسماة بذرع .

ضغن : بالكسر وسكون الغين المعجمة ثم نون ، ماء لفزارة بـين خيبر وفيد ، به النخيل المعروف اليوم بحائط وكرانيف .

الضفر : بفتح أوله وكسر ثانيه بعده راء مهملة ، قال في « الروض المعطار » : هو موضع قريب من المدينة ، به قبر أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد العزى ، وهو أحد الأجواد المطعمين ، قالوا : ركب إبراهيم بن هشام إلى المدينة الى موضع له بملل ، فلما أراد الانصراف قال : اجعلوا طريقكم على أبي عبيدة ، فنفجؤه على أن نبخله ، فهجم عليـه ، فرحب بـه واستنزله ، فقـال

---

(١) ضباء المدينة وقد يكتب :(ظبا) بعيد عن المدينة ، ومريين بقربها ، فالقول بين الموضعين جبال شامخة يفهم منه تقاربها ، وهذا غير صحيح والجملة مضطربة . (حمد) .

(٢) الصواب كسمي مضفراً (حمد) .

إبراهيم : إن كان شيء عاجل ، وإلا فإني لست أقيم ، قال : وما عسى أن يكون عندي عاجل يكفيك ويكفي من معك ؟ ولكن نذبح لهم ، فأبى إبراهيم إلا الانصراف ، فقال : انزل على العاجل ، فجاءه بتسعين كرشاً فيها الرؤوس مع كثير من بوارد الطعام ، واستأنف الذبح لهم ، فعجب ابن هشام فقال : تراه ذبح في ليلة من الغنم عدد هذه الرؤوس . انتهى .

وقد تصحف عليه ، وإنما هو صفر بلفظ اسم الشهر الذي يلي محرم ، وقد قدمناه في موضعه .

ضفيرة : بالفتح وكسر الفاء ، المسناة [1] المستطيلة في الأرض ، وما يعقد بعضه ليحبس السيل ونحوه ، وبالعقيق عدة ضفائر .

ضلع بني الشيصبان : بطن من الجن كفار .

وضلع بني مالك : بطن من الجن مسلمون ، والضلعان جبلان بحمى ضرية ، بينهما واد التسرير مسيرة يوم ، ويقع القتال بين هذين البطنين ، وفي ذلك خبر غريب في الأصل الأول ، وضلع بني مالك يحل به الناس ، ويرعون فيه ويصيدون ، بخلاف بني الشيصبان .

ضويحك : سبق في ضاحك .

الضيفة : قرب ذات حماط .

حرف الطاء :

طاشا : بالشين المعجمة ، من أودية الأشعر الغورية ، يصب على وادي الصفراء .

طخفة : بالكسر وسكون الخاء المعجمة ، جبل أحمر طويل ، حذاءه منهل وآبار ، له ذكر في حمى ضرية .

الطرف : بفتح الطاء والراء ، ماء دون النخيل قاله الواقدي ، وهو بطريق

---

(١) هي السد الذي بني لحبس السيل .

العراق على خمسة وعشرين ميلًا أو أزيد من المدينة . وعلى عشرين ميلا من بطن نخل ، به آبار وبرك قاله الأسدي [١] .

ذو الطفيتين : بالضم وسكون الفاء ، من غدران العقيق في رضراضة ، غليظة من أعذب ماء شرب ، ويقال له اليوم : أبو الطفا .

طفيل : جبل صغير متوسط بجنب البزواء ، وليس بطفيل الذي في شعر بلال .

طويلع : تصغير طالع عند العامة أنه موضع بالمدينة ، وإنما هو بنجد .

حرف الظاء :

الظاهر : ناحية النقا من الحرة الغربية .

ظبية : بلفظ واحد الظباء ، موضع بديار جهينة ، أعطاه النبي ﷺ عوسجة الجهني من ذي المروة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية ، وظبية أيضاً بين ينبع وغيقة بساحل البحر وماء بنجد .

ظبية : بالضم ثم السكون ، علم مرتجل يضاف اليه عرق الظبية المتقدم في مساجد طريق مكة ، والظبية شجرة تشبه القتادة .

ظلم : ككتف ، موضع من أودية الأشعر من القبلية ، وجبل أسود لعمر ابن كلاب [٢] يكتنف الطرف .

الظهار : ككتاب ، حصن بخيبر .

حرف العين :

عابد : بكسر الموحدة ودال مهملة ، وعبود بالفتح وتشديد الموحدة ، وعبيد

---

(١) يعرف الطرف الان باسم « الصويدرة » (حمد) .

(٢) الذي يكتنف الطرف ليس لعمر بن كلاب ، فبلادهم بعيدة عن الطرف ، بل لغطفان كما في رسالة عرام ، والمؤلف خلط بين كلام الأصمعي وكلام عرام ظناً منه أن اسم ظلم يطلق على جبل واحد وهما جبلان . (حمد) .

بالضم مصغراً ، ثلاثة اجبل ، عبود وهو الاكبر بوسطها بفرش ملل بين مدفع مريين وبين ملل مما يلي السيالة على مرحلة من المدينة .

عارمة : كفاطمة ، ردهة بين هضبات يدعين عوارم وسط حمى ضرية .

عاص وعويص : واديان عظيمان بين مكة والمدينة .

عاصم : كصاحب ، أطم لبني عبد الأشهل كان على الفقارة في أدنى بيوت بني النجار ، وأطم آخر بقباء فيه البئر التي يقال لها : قباء ، وذو عاصم من أودية العقيق لعقد عاصم بن عدي بن العجلان حلف الأوس مع مزينة لما نزلوا البقيع به .

عاقل : بكسر القاف ، جبل يناوح منعجاً[1] بحمى ضرية .

العالية : تأنيث العالي بلاد واسعة هي أعلى الحجاز بلداً ، وأشرفها موضعاً ، وعالية المدينة وعواليها ما كان في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فأكثر لما قالوه في السنح[2] من أنه بالعوالي على ميل من المسجد النبوي ، وهو أدناها وأقصاها عمارة ثلاثة أميال ، أو أربعة ، وأقصاها مطلقا ثمانية أميال أو ستة ، فينزل على هذا اختلاف الروايات .

عاند : بكسر النون ودال مهملة يضاف إليه وادي العاند قبل السقيا من عمل الفرع بميل ، ويقال له : وادي القاحة ، ويروى بالمثناة تحت بدل النون وذال معجمة .

عاير : بمثناة تحتية يضاف إليه ثنية العاير يمين ركوبة ، ويقال : بالغين المعجمة .

عبابيد : موضع قرب تعهن ، ويروى أيضاً عبابيب بثلاث باآت موحدات قبل الأخيرة مثناة تحتية ، ويروى العثيانية بثلثة ثم مثناة تحت وألف ونون .

---

(١) منعج : كمجلس .

(٢) هو المسمي الآن بالمراجين ، كمصابيح .

عباثر : جمع عيثران[1] للنبات المعروف ، واد من الأشعر بين نخل[2] وبواط .

العبلاء : بالفتح ثم السكون ممدود ، من أعمال المدينـة ، يقال له : عبـلاء الهرودة ، نبت يصبـغ به .

عبود : كسفود تقدم في عابد :

العترة : بالكسر وسكون المثناة فوق ثم راء ، جبل في قبـلة المدينة يقال له : المستندر الأقصى .

عثاعث : جبال صغار سود بحمى ضرية يشرف على مهزور[3] .

عثعث : كربوب الجبل الذي يقال له : سليـع .

العجمتان : تثنية عجمة بجانب البطحاء من العقيق .

عدنة : بالنون محركا هضبة ، بفرش ملل وموضع من الشربة .

عدينة : مصغر عدنة أطم بالعصبة بين الصفاصف والوادي .

عذق : بالفتح ثم السكون ، أطم لبني أمية بن زيد ، وبئر عذق تقدمت .

عذيبة : تصغير عذبة ، ماء بين الينبـع والجار ، ويقال فيها ، العذيب بغير هاء .

عراقيب : قرية ضخمة ومعدن بحمى ضرية .

عرى : كعزى ، اسم وادي نقمى كما سيأتي في النون .

العرج[4] : بالفتح ثم السكون ، قرية جامعة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بطريق مكة رأى بهـا تبـع دواب تعرج ، فسماها العرج ، وقيل : لأنه يعرج بها عن الطريق ، وقيل : إن جبلها يتصل بلبنان بالشأم ، ثم باللـكام بأنطاكية ،

---

(١) هوا المسمى الان : عثيران مصغراً ،

(٢) صوابه : نخلى وبواط . (حمد) .

(٣) صوابه : مهزول باللام . (حمد) ،

(٤) ثنية ، هي ثنية الغاير كما تقدم له في مساجد الطريق .

ثم بالجزر ، وفيه الباب ، ثم المدّان وطوله خمسمائة فرسخ ، وفيه اثنان وسبعون لسانا .

العرصة : بالفتح ثم السكون وإهمال الصاد ، كل جوبة متسعة لا بناء فيها ، وعرصة العقيق تقدمت فيه .

العرض : بالكسر ، اسم للجرف ، وخصه المطري بما في قبلة الجرف مما حول مسجد القبلتين من المزارع ، وأعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع أو قراها التي في أوديتها ، وعراض خيبر تأتي في وادي الدوم .

عرفات : بلفظ عرفات مكة ، تلّ مرتفع قبلي مسجد قباء كان يقف به النبي ﷺ يوم عرفة فيرى عرفات ، كذا في رحلة ابن جبير .

عرفجاء : أحد مياه الأشيق .

عرفة : كغرفة بحروفه غير الأول ، عرفة حمى ضرية ، وعرفة منعج ، وعرفة الأجبال أجبال صبح .

عرق الظبية : تقدم في الظاء المعجمة .

عريان : بلفظ ضد المكتسي ، أطم كان لآل النضر رهط أنس بن مالك في صقع[1] القبلة .

عريض : تصغير عرض ، واد شامي الحرة الشرقية قرب قناة .

عريفطان : تصغير عرفطان ، واد في أبلى .

عرينة[2] : كجهينة ، قرى للمدينة بطريق الشام . وقال الزهري : قال عمر : ما أفاء الله على رسوله قرى عرينة فدك ، وكذا وكذا .

---

(١) بضم المهملة وسكون القاف : الناحية .

(٢) صوابه : عربية ويقال فيها : (قرى عربية) وانظر لتحقيق هذا مجلة « العرب » ج/٩/ص ٧٦٩ . السنة الثانية (حمد) .

العراف : بالفتح وتشديد الراء[1] آخره فاء ، رمل لبني سعد قرب زرود ، أو ماء لبني أسد يضاف إليه أبرق العراف كان يسمع به عزيف الجن ، أي صوتها . وقيل : جبل بالدهناء .

عزوزى : بزايين معجمتين الأولى مضمومة ، موضع بين مكة والمدينة .

عسعس : كفدفد ، جبل بحمى ضرية ينسب له دارة عسعس .

عسفان : بالضم ثم السكون وبالفاء ، قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة ، بها آبار وبرك وعين تعرف بالعولاء .

عسيب : جبل يقابل برام في شرقي البقيع[2] من أعلاه .

عسية : بالفتح كدنية ، موضع بناحية معدن القبلية ، ويروى بالغين والشين المعجمتين .

العش : بالضم للغراب وغيره ، وذو العش من أودية العقيق .

العشيرة : تصغير عشرة من العدد ، وذو العشيرة من أودية العقيق ، وموضع سبق في حدود الحرم ، وموضع بالصمان ينسب إلى عشرة فيه نابتة ، وحصن صغير بين ينبع وذي المروة لثمره فضل ، وتقدم في المساجد .

ذو العشيرة : بينبع . ولابن إسحاق : ذات العشيرة من بطن ينبع .

وفي « البخاري » : العشيرة أو العسيرة بالشك في إعجام الشين وإهمالها .

ولأبي داود : بالمعجمة من غير شك . وللأصيلي : العشيرة أو العسير بفتح العين وكسر السين المهملة في الثاني .

وللقابسي : في الأول العشير بغير هاء ، أو العسير كما للأصيلي . وقيل : ذات العشيرة أو العشير .

---

(١) صوابه : وتشديد الزاء المعجمة كما هو مشهور ، ويدل لذلك قوله : كان يسمع به عزيف الجن فتأمل .

(٢) صوابه : النقيع بالنون .

العصبة : بسكون الصاد المهملة وضم أوله ، وقيل : بفتحه ، وقيل : بفتحات ثلاث ، ويروى المعصب كمحمد ، منزل بني حججبى غربي مسجد قباء .

وفي « البخاري » : إنه موضع بقباء .

عضه : بالكسر ، ثم السكون أو بفتحتين جبل سلك عليه النبي ﷺ ذاهباً لخيبر ، ومن الغريب قول ابن الأثير مع ذكر ذلك : إنه بين المدينة ووادي الفرع .

عظم : بفتحتين ، تقدم في أعظم ، وذو عظم بضمتين من أعراض خيبر .

عقرب : بلفظ عقرب الحشرات ، أطم شامي الروحاء[1] ، به بنو بياضة .

العقبان : بالكسر ثم قاف ثم مثناة تحت ، أطم بني بياضة مما يلي السبخة .

عقيربا : مصغر عقرب ، مال شامي بني حارثة .

العلاء : بالفتح والمد ، بمعنى الرفعة ، أطم أو موضع بالمدينة ، والعلا بالضم والقصر بناحية وادي القرى في مساجد تبوك .

العمق : بالفتح ثم السكون ثم قاف ، واد يصب في الفرع ، ويسمى عمقين ، ومنزل للحاج بين السليلة ومعدن بني سليم . وفي « القاموس » : إن هذا كصرداً وهو بضمتين ، أو بضمتين خطأ .

العميس : بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وسين مهملة ، وقيل : بالغين المعجمة ، واد بين الفرش وملل .

ولابن إسحاق في المسير لبدر : ثم على ملل ، ثم على عميس الحمام من مريين .

عناب[2] : بالضم وفتح النون آخره موحدة ، اسم الطريق بين المدينة وفيد ، وقيل : جبل . وقال الأسدي : إنه بين السقيا وبين ذي المروة بطريق الشام .

---

(١) أي : وهي المقبرة التي فيها قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وهي غير الروحاء المشهورة بطريق مكة كما سبق له في حرف الراء .

(٢) كغراب بدليل ما بعده .

العنابس : مزارع في جهة قبلة مسجد القبلتين .

العنابة : بزيادة هاء على عنـــاب السابق ، والمحدّثون يشدّدون النون ، قارة سوداء أسفل من الرويثة ، وماءة في ديار بني كلاب ، وبركة ، ومكان قرب سميراء .

العناقة : بالقاف كسحابة ، موضع أو ماءة لغنيّ قرب ضرية .

العواقر : هضبات بالفرش .

عوال : بالضم والتخفيف ، يضاف إليـه حزم بني عوال أحـد الأجبل الثلاثة التي تكشف الطرق[1] ، وفيه بئر ألية .

العوالي : تقدمت في العالية .

عوسا : تقدمت في وادي رانوناء .

العويقل : تصغير العاقل ، نقب بجزرة .

عير : بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء ، حمار الوحش سبق في حدود الحرم وهما جبلان . قال الزبير . وفي عيرين يقول الأحوص :

أقوت رواوة [2] من أسماء فالجمـد   فالنّعفُ [3] فالسفح من عيرين فالسند

وما روي أن عيرا على ترعة من ترع النار، واه .

العيص : بالكسر ثم السكون وإهمال الصاد ، واد من ناحية ذي المروة على ليلة منه ، وعلى أربـع من المدينة .

عينان : تثنية عين كما في « النهاية » و « المشارق » و « القاموس » ، قال : وكسر أوله ليس بثبت ، ويقال : عينين كما سيأتي ، جبل على شفير قنـاة قبلي

---

(١) صوابه : الطرف كما تقدم في (ظلم) . (حمد) .

(٢) بالضم والراء المهملة : موضع به غدير يعترضه سيل العقيق كما سبق .

(٣) بفتـح النون وسكون العين ما انحـدر عن حزونة الجبل وارتفـع عن منحدر الوادي « قاموس » .

مشهد حمزة رضي الله عنه كان عليه الرماة يوم أحـد ، وفي ركنه الشرقي مسجد نبوي ، وكانت قنطرة العين التي هناك عنده ، ولعل عين الشهداء كانت بقربه ، فسمى عينان .

عين إبراهيم بن هشام : بفرش ملل .

عين أبي زياد : في أدنى الغابة .

عين أبي نيزر : بفتح النون وسكون المثناة تحت وفتح الزاي ثم راء ، ابن النجاشي الذي هاجر إليه المسلمون ، شراه علي بن أبي طالب وأعتقه ، أو رغب في الإسلام ، فجاء صغيراً للنبي ﷺ ، فكان مـع فاطمة وولدها ، وكان يقوم لعلي رضي الله عنه على هذه العين ، وهي من صدقة علي بينبـع ، وكذا عين البحير ، وعين بولا التي يقال : إن عليا رضي الله عنه عمل فيها بيده ، وفيها المسجد النبوي مسجد ذي العشيرة ، وعمل علي أيضاً بينبـع البغيبغات كما سبق وكلها صدقة منه .

عين الأزرق : تقدمت في تتمة الآبار .

عين تحنس : بضم المثناة فوق وفتح الحاء المهملة وكسر النون المشددة وسين مهملة وكسر النون المشددة وسين مهملة ، استنبطها لمولاه الحسين بن علي بالمدينة ، وباعها علي ابن الحسين بسبعين ألف دينار قضى بها دين الحسين .

عين الحديد : بإضم .

عيون الحسين بن زيد بن علي بن الحسين : ثلاثة ، إحداها : بالمضيق ، والثانية : بذي المروة ، والثالثة : بالسقيا ، وذكرنا في الأصل خبرا غريباً في تحصيله لذلك ، وقد نشأ فقيراً في حجر جعفر الصادق .

عين الخيف : تسقي ما حول مساجد الفتح ، وتعرف اليوم بشبشب .

عين الشهداء : وكانت تعرف بالـكاظمة بأحـد بقرب عينين مجـرى عين من العالية سبق أن الأمير ودى كان قد جددها .

عين الغوراء : بالغين المعجمة بإضم .

عين فاطمة : حيث كان يطبخ اللبن للمسجد النبوي ، وبالحرة الغربية قرب بطحان آرام كانت مطابخ قديمة عندها بئر هيئة قصب العين .

عين القشيري : بطريق مكة بين السقيا والأبواء ، وعليها نخل كثير لعبد الله بن الحسين العلوي .

عين مروان : بإضم ، وكذا اليسرى ،

عين النبي ﷺ تقدمت في تتمة الآبار ،

عينين : تثنية عين ، تقدم في عينان لكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة في جميع أحواله . وقال الأزهري : مبتدأ عينين جبل أحد قاله المجد ، وكذا في « المشارق » ، فاقتضى أنه بفتح العين وكسر النون الأولى ، وضبطه المطري بفتح العين وكسر النون الأولى ، فليس هو تثنية عين .

حرف الغين :

الغابة : بالموحدة تكرر ذكره في حديث السباق وغيره ، واذ لم يزل معروفاً في أسفل سافلة المدينة من جهة الشام ، ووهم من قال : إنه من عوالي المدينة ، كيف وهو مغيض[1] مياه أوديتها بعد مجتمع الأسيال كما سبق عن الزبير بن بكار آخر الفصل الثاني . وقال الهجري : ثم تفضي يعني السيول إلى سافلة المدينة ، وعين الصورين بالغابة . انتهى .

وكان بها أملاك لأهل المدينة استولى عليها الخراب ، وبيعت في تركة الزبير بألف ألف وستمائة ألف ، وقد سبق في الحيفاء وهي من أدنى الغابة أنها على خمسة أميال أو ستة من المدينة عند سفيان .

وعن محمد بن الضحاك أن العباس رضي الله عنه كان يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة ، فيسمعهم ، وذلك من آخر الليل وبينها ثمانية أميال ، وهو

---

(١) لعله بالفاء بدليل قوله بعد : تفضي يعني السيول ... الخ . تأمل .

محمول على أثناء الغابة لا أدناها ، وكذا ما قاله بعضهم من أنها على بريد .

ذات الغار : بئر عذبة كثيرة الماء على ثلاثة فراسخ من السوارقية ، والغار بأحد فوق المهراس ، وغار أيضاً من الصدارة نحو شرف السيالة .

الغبيب : تصغير غب ، موضع مسجد الجمعة .

غدير الأشطاط : [1] على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة .

غدير خم : بالخاء المعجمة .

غراب : بلفظ : الطائر المعروف ، جبل شامي المدينة بينها وبين مخيض ، ويقال : غراب الضائلة ، وغرابات بصيغة الجمع ، ويعرف اليوم بها مصغراً ، وراية الغراب من أودية العقيق ، وهو المذكور في شعر معن بن أوس ، وغراب أيضاً غدير في طريق الرحضية على يوم من المدينة .

غران : بالضم والتخفيف ، وادي الأزرق سبق في أمج ، قال المجد : ويقال له رهاط .

ذو الغراء : بالفتح ممدود ، بالعقيق له ذكر في شعر أبي وجرة .

غرة : بالضم والتشديد ، بلفظ غرة الفرس لبياض بجبهته ، أطم كان بموضع منارة مسجد قباء .

غزة : بالفتح وتشديد الزاي منزل بني خطمة عند مسجدهم ، شبهوها بغزة الشام لكثرة أهلها .

غزال : بلفظ : واحد الظباء ، واد لخزاعة من ناحية شمنصير .

غشية : بالفتح وكسر المعجمة وتشديد المثناة تحت ، موضع بناحية معدن القبيلة ، وروى بمهملتين .

ذو الغصن : بلفظ : غصن الشجرة من أودية العقيق .

---

(١) لعله الذي يقال له الان : جوج عنان بأول الحرة بعد عسفان من جهة مكة .

غضور : كجعفر والضاد معجمة ، موضع بين مكة والمدينة بديار خزاعة .

ذو الغضوين : محرك بلفظ : تثنيـة الغضى في سفر الهجرة ، ثم تبطن بها الدليل مرجح[1] من ذي الغضوين ، ويقال : العصوين بالمهملتين .

غمرة : بالفتح ثم السكون ما يغمر الشيء ويعمه ، وسماه ابن سعد ، غمر مرزوق بغير هاء ، ماء لبني أسد بطريق نجد ، وسيأتي في وادي الدوم .

الغموض : بالضم وضاد معجمة ، حصن بـني الحقيق بخيبر ، وقيل : هو القموص بالقاف والصاد المهملة .

الغميم : بالفتح موضع بين رابـغ والجحفة ، أقطعه النبي ﷺ أوفى بن مواليه[2] يضاف إليه كراع الغميم ، سمي برجل اسمه الغميم قاله المجد .

وقال ابن شهاب : الغميم بين عسفان وضجنان ، وقال عياض : هو واد بعد عسفان بثمانية أميال ، والكراع جبل أسود بطرف الحرة يمتد بهذا الوادي .

الغور : بالفتح ثم السكون ، موضع بديار بني سليم وما سال من أرض القبلية إلى ينبـع ، وما انحدر مغرباً عن تهامة ، وما بين ذات عرق الى البحر .

غول : كحول ، جبل غربي حليت به نخل ليس بالقليل .

غيقة : بالفتح ثم السكون ثم قاف وهاء ، موضع بساحل البحر قوب الجار فوق العذيبة يصب فيها وادي ينبع ، وغيفة أيضاً بظهر حرة النار لبني ثعلبة ابن سعد أو سرة واد لهم .

حرف الفاء :

فارع : براء وعــين مهملتين كصاحب ، أطم دخل دار جعفر [3] البرمكي المواجهة لباب الرحمة ، وجاء جلوس النبي ﷺ في ظله ، وذكره حسان في شعره حيث قال :

---

(١) في هذا اللفظ توقف .

(٢) صوابه : أوفى بن موله كما في الاصابة رقم ٣٦٩ (حمد) .

(٣) محلها الان زاوية السيد أحمد البدوي وما حولها في جنبه ريم هو مهزور .

أرقت لتوماض البروق اللوامع ... ونحن نشاوي بين سلع وفارع

وفارع أيضاً قرية بأعلى ساية بها نخل وعيون .

فاضجة : بكسر الضاد المعجمة وفتح الجيم ، مال بالعالية ناحية جفاف ، كان به أطم لبني النضير عامة ، وفاضجة أيضاً واد من شعبى إلى ضرية .

فاضح : بكسر الضاد أيضاً ، ثم حاء مهملة ، جبل قرب ريم وواد في الشريف .

فج الروحاء : بالفتح ثم جيم بعد السيالة .

فحلان : تثنية فحل ، وفي « القاموس » : فحلان بالكسر موضع في أحد .

الفحلتان : قنتان مرتفعتان على يوم من المدينة بينها وبين ذي المروة عند صحراء يقال لها : فيفاء الفحلتين في مساجد تبوك .

فدك [1] : بالفتح ودال مهملة ثم كاف ، قال المجد : إنها على يومين من المدينة ، وكذا هو في « الروض المعطار » قال : وحصنها يقال له : « المسروح » ، بقرب خيبر . انتهى .

وقال عياض : يومين ، وقيل : ثلاثة ، والذي قاله ابن سعد في سرية علي إلى بني سعد بن بكر بفدك : إنها على ست ليال من المدينة وأظنه الصواب ، وكان أهلها يهوداً . فلما فتحت خيبر طلبوا الأمان على أن يتركوا البلد للنبي ﷺ ، فكانت له خاصة ، وقيل : وسميت بفدك بن حام لأنه أول من نزلها .

الفراء : بالراء ممدود كالغراب ، وجاء في الشعر مقصوراً ، جبل بالعقيق غربي عير الوارد ، بينها ثنية الشريد ، وفي « القاموس » : ذو الفراء موضع عند العقيق .

فرش ملل : والفريش مصغرة معروفان قرب ملل يفصل بينها بطن واد يقال له : مثغر كان بها منازل وعمائر ، وكان كثير بن العباس ينزل الفرش على اثنين وعشرين ميلا من المدينة .

---

(٢) تعرف الان ، باسم الحائط في شرقي خيبر ، في الحرة قرية كبيرة فيها نخيل . (حمد) .

الفرع : نقل المجد عن السهيلي ، أنه بضمتين وراء وعين مهملتين ، واقتصر عليه في « المشارق » ، وقال في « التنبيهات » : كذا قيده ابن سيد الناس ، وكذا رويناه .

وحكى عبد الحق عن الأحول : إسكان الراء ، ولم يذكر غيره ، ورجح المجد إسكانها مع أن ابن سيد الناس قال : إن نجران [1] من ناحية الفرع ، ثم قال : والفرع بفتح الفاء والراء قيده السهيلي . انتهى .

والفرع الذي بفتحتين : من أودية الأشعر قرب سويقة بينها وبين مثغو على نحو مرحلة من المدينة ، وهو فرع المسور بن إبراهيم الزهري ، واما الذي بضمتين أو ضمة وسكون ، فعمل واسع عن يسار السقيا به مساجد نبوية وقرى سبقت في آرة ، وهو على أربع مراحل من المدينة .

قال السهيلي : ويقال : إنه أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة .

فريقات : بلفظ جمع مصغر فرقة ، عقد من أودية العقيق يدفعن في هلوان .

الفضاء : بفتح الفاء والضاد المعجمة ممدوداً ، وقال الصغاني : مقصوراً فضاءبني خطمة يفضي إليه سيل بطحان ويلتقي به سيل مهزور ومذينب قرب الماجشونية .

الفغوة : بسكون الغين المعجمة ، قرية بلحف جبل آرة

الفقارة : تقدمت في حزرة ، وأظنها الموضع المعروف اليوم بالفقرة .

الفقير : ضد الغنى ، موضعان بالمدينة يقال لهما : الفقيران .

عن جعفر الصادق ، أقطع النبي ﷺ علياً رضي الله عنه أربع أرضين : الفقيرين ، وبئر قيس ، والشجرة ، وقيل : هو اسم بئر بعينها قاله المجد ، وسبق في الصدقات النبوية : أن الفقير حديقة بالعالية قرب بني قريظه ، وينطق به أهل المدينة اليوم بالضم مصغراً ، وأن في كتاب صدقة علي : والفقير لي كما قد علمتم

---

(١) الصواب : بحران بالباء المضمومة بعدها جيم (حمد) .

صدقة ، كذا هو بالافراد . وفي موضع آخر من ابن شبة : أن منها الفقيرين بالعالية ذكره مثنى .

الفلجان : بالضم ثم السكون ثم جيم ، أرض سقيا سعد بالحرة الغربية .

فلجة : بالفتح ثم السكون وفتح الجيم ويقال فيها : الفلاج ككتاب كما في شعر أبي وجرة من أودية العقيق ، وأما الفلاج التي ذكر عرام أنها بأعلى وادي ذي رولان ، فرياض بجهة السوارقية جامعة للناس أيام الربيع ، وبها مسايل يجتمع فيها المطر ، منها غدير يقال له : المختبي ، وليس هو من مختبيات فليح لأن تلك بالعقيق .

فليح : كزبير تصغير فلح بالكسر أو بالفتح ، من العيون التي يجتمع فيها فيوض أودية المدينة ، قال هلال بن سعد المازني :

أقول وقد جاوزت نقمى وناقتي   تحن إلى جنبي فليح مع الفجر

وظاهره أنه باضم .

فويرع : بالضم ، أطم لبني غنم من بني النجار .

فيفاء الخبار : بالخاء المعجمة .

فيفاء الفحلتين : في الفحلتين .

حرف القاف

القائم : كصائم ، مال لبني أنيف في قبلة قباء من المغرب .

القاحة : بفتح الحاء المهملة ثم هاء ، وروايته بالفاء تصحيف ، واد على ثلاثة مراحل من المدينة كما في « البخاري » ، وهو قبل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل ، ويقال له : وادي العباديد ، وفي ثاقل الأصغر ماء في دارة في جوفه يقال له : القاحة : قاله المجد عن عرام ، وظاهره إنه بلفظ القاحة ، والذي في نسختين من كتاب عرام يقال له : الفاجة بالفاء والجيم .

القار : من قرى المدينة ، وذو قار واد .

القاع : موضع مسجد بني حرام غربي مساجد الفتح ، والقاع أيضاً بطريق مكة ، وقاع النقيع بديار سليم .

قبا : بالضم والقصر وقد يمد ، وقال النووي : إنه المشهور الفصيح مع التذكير والصرف : قرية بعوالي المدينة ، وقال ابن جبير : مدينـــة كبيرة وكانت متصلة بالمدينـة المقدسة ، والطريق إليها من حدائق النخل ، والعصبة منها بئر غرس كما تقتضيه الأحاديث ، ولعلها الحدان من المغرب والمشرق ، وعمارتها ممتدة في جهة قبلة مسجدها ، ولم أقف على مأخذ لحدها الشامي سوى ما سيأتي في المسافة بينها وبين المدينـة ، وهي في الأصل اسم بئر أطم يقال له : عاصم في دار ثوبة سميت القرية بها كما رأيته في كتاب ابن زبالة ، وجرى عليه عياض والمجد ، وفي خط المراغي : إنما سميت قباء ببئر كانت بها تسمى قباراً ، فتطيروا منها ، فسموها قباء كما نقله ابن زبالة . انتهى :

ونقل الأقشهري عن ابن زبالة نحوه ، وأن البئر في دار ثوبة ، إلا أن قباراً في خط المراغي بالمثناة فوق ، وفي خط الأقشهري : بالباء الموحدة ، ولم أر ذلك في كتاب ابن زبالة ، وهي منازل بني عمرو بن عوف ، قال الباجي : على ميلين من المدينة ، ونقله النووي عن العلماء . وفي « مشارق » عياض على ثلاثة أميال ، وهي معنى قول الحافظ ابن حجر : على فرسخ من المسجد النبوي ، وصححه المطري مع نسبته لعياض الأول .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان من عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب جبريل إلى عتبة باب مسجد قباء على الطريق الشرقية سبعة آلاف ذراع بتقديم السين على الباء ومائتا ذراع يزيد يسيراً ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل على ماسبق في حدود الجرم من الأرجح في الميل ، وقباء أيضاً قرية كبيره بهـــا آبار ومزارع ونخل ناحية أفاعيـة ومران بطريق ضربة بجهة الموضع المعروف بكشب .

قباب : كغراب من آطام المدينة ، وقيل : قبابة كصبابة .

القبلية : بفتحتين كعربية ، وفي « القاموس » : إنها بالكسر والتحريك ، إليها تضاف معادن القبلية من نواحي الفرع ، قاله المجد كعياض ، وللزمخشري : القبلية : سراة فيما بين المدينة وينبع ، وما سال منها إلى ينبع سمي بالغور ، وما سال منها إلى المدينة سمي بالقبلية ، وحدها ما بين الحب[1] من جبال عوك من جهينة ، ومابين شرف السيالة أرض يطؤها الحاج ، وفيها جبال وأودية . انتهى .

وما يذكره لقبلية من الأماكن المعروفة اليوم إنما هو بهذه الجهة ، وبها فرع المسور بفتحتين كما سبق لا الفرع الذي هو عمل واسع ، فليست القبلية منه ، بل الأول هو المراد ، لأن الزبير بن بكار نقل عن محمد بن المسور بن إبراهيم : أنه كان بفرع المسور ، وأن فراساً المزني رأى جبلا فيه عروق مرو فقال : إن هذا المعدن ، وذكر قول المزني : أن النبي ﷺ أقطعهم ذلك ، وأن محمداً رجع إلى إبراهيم ، فذكره له ، فقال : صدق إن يكن معدناً ، فهو لهم ، قطع لهم رسول الله ﷺ معادن القبلية غوريها وجلسيها ، يشير لحديث : أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية غوريها وجلسيها ... الحديث . والجلس : أرض نجد ، وكل ما ارتفع من الأرض ، والغور ما انهبط ، أي : أقطعه ما ارتفع وما انخفض من تلك الأرض .

قدس[2] : بالضم وسكون الدال المهملة ، قال الهجري : جبال قدس غربي ضاف من البقيع[3] جبال متصلة عظيمة كثيرة الخير ، وبها فواكه ومزارع ، فيها بستان ومنازل كثيرة من مزينة .

---

(١) الصواب : الحت بالحاء المهملة بعدها تاء مثناه كما في « معجم البلدان » . (حمد) .

(٢) يقال لها اليوم : أقدس بالألف في أوله ، وهو اليوم معروف بكثرة الخصب وهو اليوم لعوف .

(٣) لعله النقيع بالنون .

وقال الأسدي : الجبل الأيسر المشرف على عين القشيري يقال له : قدس ، أوله في العرج ، وآخره وراء هـذه العين ، وقال عرام : ورقان ينقاد للجي بين العرج والرويثة ، ويفلق بينه وبين قدس الأبيض ثنية ، بل عقبة يقال لهـــا : ركوبة ، وقدس هـذا ينقاد إلى المتعشّا بين العرج والسقيا ، ثم يقطع بينه وبين قدس الأسود عقبة يقال لها : حمت ، والقدسان لمزينة .

القدوم : كصبور ، جبل . قـال المدائني : قنـاة واد يمر على طرف القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد ، وقدوم أيضاً ثنية بالسراة ، وموضع من نعمان ،واسم مختتن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقال عياض : طرف القدوم في حديث الفريعة لم يختلف في فتح قافه ، وقالوا بتخفيف الدال وتشديدها ، قال ابن وضاح : هو جبل بالمدينة ، فأما الذي في حديث أبي هريرة : قدوم ضأن مفتوحاً مخففاً ، فثنية من جبل ببلاد دوس .

قديد : كزبير ، قرية جامعة بطريق مكة كثيرة المياه يضاف إليها طرف قديد .

القديمة : كجهينة ، جبل بالمدينة .

القراصة : بكسر أوله وبالصاد المهملة كما في « الروض المعطار » ، سبق في بئر القراصة ، وبها كان حائط جابر بن عبد الله المعروض أصله وثمره على غرمـائه كما سبق .

قراقر : بالفتح وقافين ، موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن علي .

القرائن : دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي دخلت في المسجد ، وقيل : ثلاث جنابذ له .

قران : بالضم وتشديد الراء ، واد إلى جنب أبلى .

قرح : بالضم ثم السكون ، سوق وادي القرى يضاف إليه صعيد قرح ،قاله المجد ، ومقتضاه كونه بالراء ، وهو في خط المراغي في مساجد تبوك بفتح الزاي ، وقال عبد الله بن رواحة :

جلبنا الخيل من آجام قرح تعر من الحشيش لها العكوم

قرد : بفتحتين ، وذو قرد ما انتهى إليه المسلمون في « غزوة الغابة » .

قال ابن الأثير : هو بين المدينة وخيبر على يومين من المدينة ، وقال عياض : على نحو يوم .

قردة : كسجدة ، ويقال بالفاء : ماء من مياه نجد ، به سرية زيد بن حارثة .

القرصة[1] : محركة والصاد مهملة ، ضيعة لسعد بن معاذ كما في مساجد المدينة .

قرقرة الكدر : تأتي في الكاف ، والقرقرة أيضاً بخيبر ، وفي مغازي ابن عقبة في قتل ابن رزام اليهودي : فلما بلغوا قرقرة تياز على ستة أميال من خيبر ... وذكر قتله .

قيسان : كعثمان بمثناة تحتية بعد السين ، وقسيان مصغرة من أودية العقيق .

قصر إسماعيل بن الوليد : على بئر إهاب سبق فيها .

قصر إبراهيم بن هشام : دون بني أمية بن زيد ، ولعله بالناعمة التي له .

قصر بني حديلة : بضم الحاء المهملة تقدم في بيرحاء .

قصر خل : بالخاء المعجمة ، ويقال له : حصن خل ، بظاهر الحرة غربي بطحان على طريق رومة عمله معاوية على يد النعمان بن بشير ، سمي بذلك لأنه على الطريق ، وكل طريق في حرة أو رمل يقال له : خل ، قاله ابن شبة ، وكان قصر خل في بعض السنين سجناً .

قصر ابن عراك : كذا في نسخة ابن زبالة ، وفي كتاب ياقوت : ابن عوان بجهة مقبرة بني عبد الأشهل بطريق أحد ، كان بنو الجدمان[2] في شقة اليماني .

قصور العقيق : تقدمت في فصله .

---

(1) تعرف اليوم بالقلصة باللام .

(2) صوابه : الجذماء كما في « معجم البلدان » . (حمد) .

قصر ابن ماه : اسفل من بئر هجيم .

قصر مروان بن الحكم : قرب الصورين ، والصدقات النبوية ، وفي تلك الجهة اليوم مواضع تعرف بالقصور .

قصر نفيس : بفتح النون وكسر الفاء ، بحرة واقم على ميلين من المدينة .

قصر بني يوسف : موالي آل عثمان أسفل من قصر مروان مما يلي البقال والبقيع .

ذو القصة : بالفتح وتشديد الصاد ، موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد ،قاله المجد ، وقال الأسدي : إنه على خمسة أميال من المدينة ، وقال نصر : أربعة وعشرين ميلاً ، طريق الربذة ، وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة وبني عوال ،وهو بذي القصة ، وبينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، طريق الربذة .

القصيبة : بالضم وفتح المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الموحدة ، واد بين المدينة وخيبر ، وسيأتي في وادي الدوم .

ذو القطب : بالضم وسكون الطاء المهملة ، من أودية العقيق .

القف : بالضم والتشديد ، أصله ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وكان فيه أشراف على ما حوله وأحجار كالإبل البروك ، وقد يكون فيه رياض وقيعان ، وهو علم لواد بالمدينة سبق له ذكر في زهرة ، وبه حسناء أحد الصدقات النبوية ، والظاهر : أنها الحسينيات ، وكذا به مشربة أم إبراهيم كما سبق فيها .

ولأبي داود : أن نفراً من اليهود دعوا رسول الله ﷺ إلى القف ، فأتاهم في بيت المدراس ، وسبق أنه عند المشربة .

وفي « الموطأ » : أن رجلا من الأنصار كان يصلي في حائط له بالقف واد من أودية المدينة ، وفيه أنه جعله صدقة ، وأن عثمان باعه بخمسين ألفا ، فسمي الخمسين ، وبقرب الحسينيات مال يعرف بالثمانين بمعنى كثير ، فلعله هو .

القلادة : بلفظ قلادة العنق من جبال القبلية .

قلهيّا : بفتحتين وكسر الهاء وبالياء المشددة ، حفيرة قرب المدينة لسعد بن

أبي وقاص ، اعتزل بها بعد قتل عثمان ، وأمر أن لايحدّث بشيء من أخبار الناس حتى يصطلحوا . وفي أبنية سيبوية : قلهيا ، وفسره بالحفيرة المذكورة . وقال كثير :

ولكن سقى صوب الربيع إذا أتى إلى قلهيا الدار والمتخيما

قلهى : بفتحات كجمزى ، وحكي سكون لامه ، قرية بوادي ذي رولان لبني سليم ، وأنشد لزهير :

إلى قلهى تكون الدار منا إلى أكناف دومة فالحجون

القموص : كصبور بالصاد المهملة ، جبل عليه حصن لبني الحقيق بخيبر ، وقيل : الغضن بالغين والضاد المعجمتين ، حاصره النبي ﷺ قريباً من عشرين ليلة ، ثم أعطى الراية علياً ، فقتل مرحباً وفتحه .

قناة : أحد الأودية .

قنيع : بالضم بحمى ضرية .

القواقل : بقافين ، أطم بطرف منازل بني سليم مما يلي العصبة .

القوابع : بالفتح والموحدة من أودية العقيق .

قوران : واد يصب في الحرة ببطنه الملحاء قرب السوارقية .

قورى : كسكرى ، سبق في بعاث .

حرف الكاف :

كاظمة : بكسر الظاء المعجمة ، قال ابن مرزوق : رأيته ولا أتحقق محله ، إنه موضع بقرب المدينة .

وللأصمعي : إنه بطريق البصرة لمكة على ثلاث مراحل من البصرة ، به ماء ملح ، قاله ياقوت ، قال : وكاظمة أيضاً موضع، ذكره أبو زياد .

كبا : بالفتح والتشديد مقصوراً كحتى ، موضع ببطحان ضرب مروان عنق النغاشي المخنث به .

كتانة : بالضم ثم مثناة فوق وألف ونون مفتوحة وهاء : عين بين الصفراء والأثيل .

كتيبة : بلفظ كتيبة الجيش ، وقال أبو عبيدة : بالمثلثة : حصن بخيبر كان به خمس الله ورسوله وذي القربى واليتامى والمساكين .

وقال الواقدي : بعد فتح الشق والنطاة ، تحول النبي ﷺ إلى الكثيبة بالوطيخ وسلالم حصن ابن أبي الحقيق ، فتحصنوا أشد التحصين ، وجاءهم فل الشق والنطاة ، فتحصنوا معهم في القموص ، وهو في الكثيبة ، وكان حصناً منيعاً في الوطيخ والسلالم .

كدر : بالضم جمع أكدر ، يضاف إليه قرقرة الكدر بناحية معدن بني سليم قرب الرحضية وراء سد معاوية ، وقال عرام : في حزم بني عوال مياه آبار منها بئر الكدر ، وذلك بجهة الطرف .

الكديد : بالفتح ودالين مهملتين ، بينهما مثناة تحتية ساكنة ، واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة ، ومن قال : قرب نخل ، فقد عبر به عن النخيل ، والكديد أيضاً عين بعد خليص بثمانية أميال يمنة الطريق .

كراع الغميم : بالغين المعجمة .

الكر : بالضم : جزيرة على البحر المالح على بعد ستة أميال من الجحفة .

كشب : بالضم ككتب ، جبل أسود [1] تعرف به ناحيته .

كفتة : بالفتح ثم السكون آخره هاء ، مقبرة البقيع لأنها تسرع البلاء ، قاله الواقدي ، وقال المجد : لأنها تكفت الموتى أي تحفظهم وتحوزهم .

الكلاب : بالضم مخففاً آخره موحدة : ماء بناحية حمى ضرية .

كلب : أطم من آطام المدينة ورأس الكلب جبل .

كلية : تصغير كلية ، قرية عند بئر مالحة على اثني عشر ميلا من الجحفة

كملى : كسكرى ، اسم بئر ذروان .

---

(١) سيأتي في حرف الهاء أنه عند قباء .

كنس حصين : بالفتح وسكون النون وإهمال السين ، وحصين تصغير حصن ، أطم كان عند المهراس بقباء .

كواكب : بضم الكاف الأولى ، وقد تفتح وكسر الثانية : جبل ، وقيل : جبال بين المدينة وتبوك .

كومة أبي الحمراء الرابض : كومة تراب كأنها أطم قرب ثمغ شامي المدينة ، ولعلها المعروفة بكومة المدر .

كوير : كزبير جبل بضرية .

الكويرة : كالذي قبله بزيادة هاء : جبل من جبال القبلية .

كيدمة [1] بالفتح وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وميم ثم هاء ، سهم عبد الرحمن ابن عوف من بني النضير ، سبقت في بئر أريس ، باعها عبد الرحمن من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسمها بين بني زهرة وفقراء المسلمين وأزواج النبي ﷺ . رواه الطبراني .

حرف اللام :

لأى كلعا : من نواحي المدينة . قال ابن هرمة :

حيّ الديار بمنشد فالمنحنى ... فالهضب هضب رواوتين [2] إلى لأى

اللابتان : تثنية لابة : وهي الحرة ، وهما حرتا المدينة

لأي : كلجء [3] من أودية العقيق .

لحيا جمل : بالفتح ويكسر ثم السكون تثنية لحي ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان السفلى ، وجمل : بالجيم للبعير ، ويروى لحي جمل بالافراد في مساجد بطريق مكة ، وجبل بطريق فيد .

---

(١) لعلها المحل المعروف اليوم بقدامة ،

(٢) ويقال : رواوة بضم الراء المهملة كما سبق

(٣) صوابه : كلحي ، كما في « الوفا » . (حمد)

لظى بالفتح والقصر ، من أسماء النار ، وذات لظى منزل لجهينة بجهة خيبر ، ويقال : ذات اللظى .

اللعباء : بالموحدة ممدوداً : موضع كثير الحجارة ، أو ماء سمي[1] لجزم بني عوال جبل لغطفان ، واللعباء أيضاً أرض غليظة بأعلى الحمى لأبي بكر بن كلاب .

لعلع : بعينين مهملتين ، جبل قرب المدينة ، وماء بالبادية .

لفت : بالفتح ، وقيل : بالكسر ، وقيل : بالتحريك ، ثنية بطريق مكة ، وقيل : واد بجنب هرشى .

لقف [2] : بالكسر وسكون القاف ثم فاء ، آبار عذبة بأعلى قوران ، واد بناحية السوارقية ، وفي لقف ولفت وقع الخلاف في حديث الهجرة ، ويرجح الأول أن ناحية السوارقية ليست في سفر الهجرة .

اللوى : بالكسر والقصر ، أطم ببني بياضة ، وواد بمنازل بني سليم ، وموضع على أربعين ميلا من ضرية .

حرف الميم :

المابة : مال لبني أنيف بقباء بينه وبين القائم أطمان لهم .

الماجشونية : نسبة إلى الماجشون ، مال بوادي بطحان عند تربة صعيب .

المثئب : مهموز كمنبر وثاء مثلثة ، واقتضى كلام ياقوت أنه كمنبر من غير همز . وليحيى : مثيم بميم بدل الموحدة ، وفي بعض نسخ ابن زبالة : براء بدلها ، أحد الصدقات النبوية المتقدمة .

مبرك : كمقعد مكان بروك راحلة النبي ﷺ ببني غنم ، وهو معروف بدار أبي أيوب ، ومبرك أيضاً نقب يخرج من ينبع إلى المدينة عرضه[3] نحو أربعة

---

(١) ماء سماء ، كما في رسالة عرام (حمد) .

(٢) القف الذي بطريق الهجرة لا يزال معروفاً ، (حمد) .

(٣) لعل الصواب : طوله أربعة أميال كما هو ظاهر .

أميال أو خمسة ، تنسب إليه ثنية مبرك ، ويقال فيه : برك . وقول كثير ،

ترامي بنا من مبركين المثاقل

قال ابن السكيت : أراد مبركاً ومناخاً ، فثنى ، وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يليل ، وفيه طريق المدينة ، ومناخ على قفا الأشعر .

مبضعة : بالضاد المعجمة ، بين الجيّ والرويثة .

مثعر : بمثلثة وعين مهملة كمقعد ، ويروي بالغين المعجمة ، من أودية القبلية بين الثاجة وحورة يدفع فيما بين الفرش والفريش .

مثقب : بالكسر .

وعن الأصمعي : الفتح ثم السكون وفتح القاف ثم موحدة ، اسم للطريق[٢] بين المدينة ومكة ، ولطريق مكة للكوفة .

المجدل : بالفتح ثم السكون وفتح الدال المهملة ، أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك ، ومنزل لهذيل .

مجر : بالفتح ثم السكون ثم راء : غدير بين هضبات ببطن قوران حول الملحاء .

المحضة : بالحاء المهملة ، من المحض الخالص : قرية بلحف جبل آرة .

محيص : بالفتح ثم الكسر والصاد المهملة كمليك : موضع بالمدينة . قال الشاعر :

فمحيص فواقم فصرار ... فإلى ما يلي حجاج غراب

المخاضة : بالخاء المعجمة : بقاع في حوزة اليمامة .

مخايل : بالضم وكسر المثناة تحت آخره لام : ثلاث عقد من أودية العقيق العليا تصب في أفلس ، والثنتان على حضير .

المختبى : غدير بالفلاح من ذي رولان ، ومختبيات فليح من غدر العقيق .

مخري : بالضم ثم الفتح وكسر الراء المشددة : اسم فاعل من خراه : إذا

(٢) لعله لطريق بالتنكير ، فليحرر .

سلحة ، اسم أحد جبلي الصفراء ، واسم الآخر مسلح ، ولذا كره رسول الله ﷺ المرور بينهما في ذهابه لبدر الكبرى ، وأخذ ذات اليمين في ذفران .

مخيض : بلفظ مخيض اللبن : جبل سلك عليه النبي ﷺ ، ثم على غراب سبق في حدود الحرم .

المدارج : عقبة العرج[1] قبله بثلاثة أميال ، وطرف تهامة من جهة الحجاز مدارج العرج .

مدجج : بالضم وتشديد الجيم المكسورة : واد بطريق مكة .

مدران : ويقال : مردان يضاف إليه ثنية مدران في مساجد تبوك .

المدرج : بفتح الراء المشددة : الثنية التي تنحدر على العقيق ، وقال المجد : إنه ثنية الوداع بناء على أنها من جهة مكة .

مدعا : بالكسر ثم السكون وعين مهملة مقصوراً : واد يصب في ذي عثعث ، به بئر لجعفر بن كلاب بناحية ضرية .

مدين : على بحر القلزم [2] يحاذي تبوك بها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب ، وعدها ابن سهل الأحول من أعراض المدينة .

المذاد : بالفتح ثم ذال معجمة آخرة مهملة ، من ذاده : إذا طرده ، أطم لبني حرام غربي مساجد الفتح ، به سميت الناحية .

المذاهب : موضع بنواحي المدينة .

مذينب : تصغير مذنب في الأودية .

المرابد : جمع مربد موضع بعقيق المدينة .

---

(١) هي من عقبة الغائر ومن عقبة ركوبة كما سبق له في ركوبة ، ولعلها العقبة المعروفة اليوم بعقنقل .

(٢) في كونها على بحر القلزم نظر ظاهر ، لان بينها وبين مصر نحو ثمان مراحل .

مراخ : بالضم آخره خاء معجمة ، من أودية العقيق ، ويقال له : مواخ الصخرة .

المراض : كسحاب بناحية الطرف على ستة وثلاثين ميلًا من المدينة .

مران : بالفتح وقد يضم وتشديد الراء آخره نون : قرية غناء كبيرة بالجهة المعروفة اليوم بكشب ، لا كما قيل إنه على ثمانية عشر ميلا من المدينة .

المراوح : بالفتح جمع مروح أطم بقباء .

مربد النعم : بكسر الميم ثم السكون ثم موحدة ، كانت النعم تحبس فيه زمن عمر بن الخطاب ، وتيمم ابن عمر عنده كما في « البخاري » وترحم [٢] عليه التيمم في الحضر، لأنه أقبل من الجرف حتى إذا كان عنده تيمم وصلى العصر ، ثم دخل المدينة والشمس حية مرتفعة رواه الشافعي ، وهو على ميل ، وقيل : ميلين من المدينة .

قال الواقدي في الاصطفاف على الخندق زمن الحرة : وكان يزيد بن هرمز في موضع ذباب إلى مربد النعم .

مربع : كمنبر أطم في بني حارثة .

مرتج : بالفتح ثم السكون وكسر المثناة فوق آخره جيم ، واد قرب المدينة لحسين بن علي ، وقيل : قرب ودان .

مرجح : بجيم مفتوحة ثم حاء مهملة ، موضع بطريق مكة ذكر في سفر الهجرة .

مرحب : بالحاء المهملة كمقعد : طريق اختار النبي ﷺ أن يسلكه لخيبر بعد أن ذكر له طرق غيره ، فامتنع من سلوكها .

---

(٢) ولعله ترجم عليه البخاري ، بمعنى : أنه وضع ترجمة ، فما في نسخ الطبع وترحم عليه لايظهر له معنى ، فلعله من غلط الناسخ .

ذو المرخ : بالخاء المعجمة وسكون الراء : موضع بقرب ينبع بساحل البحر .

ذو مرخ بفتحتين وقد تسكن الراء : واد بين فداك والواتشيه . قال ياقوت: وموضع من العقيق عناه أبو وجرة بقوله :

واحتلت الجو فالأجراع من مرخ

ذو المروة : بلفظ أخت الصفا في مساجد تبوك على ثمانية برد من المدينة ، عدها المجد كياقوت من وادي القرى ، زاد الأول ، وقيل : بين ذي خشب ووادي القرى .

قلت : وهو المعروف ، لكن ذلك يسمى بوادي القرى أيضاً ، وهو غير وادي القرى المعروف ، فلا خلاف في المعنى ، ونزل النبي ﷺ بذي المروة ، وصلى به الفجر ، ثم أتى المروة ، فأسند إليها ظهره ملصقاً ... الحديث . رواه ابن زبالة .

مريح : بالحاء المهملة مصغراً : أطم لبني قينقاع عند منقطع جسر بطحان يمين قاصد المدينة بين بركة ودعان .

مريخ : بالخاء المعجمة تصغير مرخ : للشجر المعروف ، قرن أسود قرب ينبع .

مريسيع : بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت وسين مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية وعين مهملة في أشهر الرويات : ماء بناحية قديد إلى الساحل ، قاله ابن إسحاق .

وللطبراني : ماء لخزاعة على نحو يوم من الفرع .

مزاحم : بالضم وكسر الحاء المهملة : أطم بين ظهراني بيوت بني الحبلى ، وسوق كانت تقوم بزقاق ابن جبير في الجاهلية وأول الإسلام .

مزج[١] . بالضم ثم السكون ثم الجيم : من غدر العقيق يفضي السيل من حضير إليه .

---

(١) هو المسمى الآن : مجز .

المزدلفة : بالضم ثم السكون وفتح الدال المهملة وكسر اللام ثم فاء : أطم مالك بن العجلان عند مسجد الجمعة .

المستظل : اسم فاعل من استظل بالظل : أطم عند بئر غرس كان لأحيحة ابن الجلاح ثم لبني عبد المنذر .

المستعجلة : المضيق الذي يصعد إليه من قطع النازية يريد الخيف .

المستندر[1] : جبل صغير شرقيّ مسجد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامي ، وكانت منازل بني الديل عنده ، والمستندر الأقصى سبق في العير .

المسير : بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت ، أطم بني عبد الأشهل .

المسكبة : بالفتح من السكب وهو الصب : موضع شرقي مسجد قباء به أطم يقال له : واقم .

المسلح : بالفتح ثم السكون ثم لام مفتوحة وحاء مهملة : من أعمال المدينة .

مسلح : بالضم ثم السكون وكسر اللام ، سبق في مخري .

المشاش : واد يصب في عرصة العقيق .

مشعط[2] : كمرفق أطم بني حديلة ، كان غربي مسجد أبيّ ، وفي موضعه بيت أبي نبيه .

مشعل : كمنبر موضع بين مكة والمدينة .

المشقق : واد بين المدينة وتبوك ، بينها وبين وادي الناقة ، به ماء يخرج من وشل ، وضع النبي ﷺ يده تحت الوشل ، فصب في يده ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا ماشاء الله ، فانخرق من الماء كما يقول من سمعه أن له حسًّا

---

(١) هو الجبل الصغير الذي عليه دار حديقة داود باشا يسمى الآن جبل الشياطين قاله بعض فضلاء المدينة .

(٢) في زقاق اسماعيل رحمه الله داخل السور ، ومحله اليوم بيوت ورباط المستلم مرجان سليم ، أو مما قرب منه .

كحس الصواعق ، فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي ، وهو أخصب مابين يديه وما خلفه .

المشلل : ثنية تشرف على قديد كان بها مناة الطاغية .

المشيرب : تصغير مشرب في حدود الحرم .

مصرّ : بفتحتين وتشديد الراء : واد بأعلى حمى ضرية .

مصلوق : ماء لبني عمرو بن كلاب يصدقهم المصدق عليها بعد مدعا .

المضيق : بالفتح وكسر الضاد المعجمة ومثناة تحت وقاف : قرية سبقت في آرة .

مطلوب : بئر بعيدة القعر قرب المدينة شاميها وماء كان لخثعم ، فاتخذ عليه عبد الملك ضيعة من أحسن ضياع بني أمية .

مظعن : بالضم وسكون الظاء المعجمة وكسر العين المهملة : واد بين السقيا والأبواء .

معجب : وفي بعض النسخ : معجف بالفاء بدل الموحدة ، سبق في الأودية ، ومعجف بالفاء حائط لعبد الله بن رواحة تصدق به .

معدن الأحسن : ويقال : الحسن : موضع من أعمال المدينة ، وقيل : من قرى اليمامة .

معدن بني سليم : بضم السين ، ويقال : معدن قران ، به قرية بطريق نجد على ثمانية برد من المدينة .

معدن الماء : واد يأتي في مغيث .

معدن النقرة : على يومين من بطن نخل .

المعرس : بالضم ثم الفتح وتشديد الراء المفتوحة : في مسجد المعرس .

المعرض : أطم بني قريظة الذي كانوا يلتجئون إليه إذا فزعوا كان فيما بين الدوحة التي في بقيع بني قريظة إلى النخيل التي يخرج منها السيل ، وأطم آخر

لبني ساعدة .

المعرقة : بالضم ثم السكون ثم الكسر وقاف : طريق تأخذ على ساحل البحر سلكتها عير قريش في وقعة بدر .

المعصب : كمحمد ، سبق في العصبة .

المغسلة : بالغين المعجمة وكسر السين المهملة كمنزلة : جبانـة بطريق المدينة يغسل فيها ، وهي اليوم حديقة من أقرب الحدائق الكبار إلى المدينة ، كذا قال المجد ، وهي غربي بطحان، إلا أنها معروفة بفتح السين كمرحلة سبقت في مسجد بني دينار .

مغيث : اسم فاعل من أغاثه : واد بين معدن النقرة والربـذة يعرف بمغيث ماوان ، قاله المجد ، وسماه الأسدي مغيثة الماوان ، قال : وعلى ميل ونصف منها معدن الماوان .

مغوثة : بضم الغين المعجمة وفتح المثلثة : موضع قرب المدينة .

المقاعد : جمع مقعد ، قـال ابن حبيب عن مالك : هي دكاكين عند دار عثمان ، أي التي عند باب جبريل شرقي المسجد عند موضع الجنائز ، ولذا قـال الباجي وغيره : المقاعد عند باب المسجد .

وفي الصحيح عـن حمران : أتيت عثمان بطهور وهو جالس على المقاعد ، فتوضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم قال : رأيت النبي ﷺ توضأ وهو في هذا المجلس ... الحديث .

ولأبي داود : لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ صلى عليه في المقاعد .

المقشعر : اسم فاعل من القشعرة من جبال القبلية .

مقمل : بفتح القاف والميم المشددة : في مسجد مقمل .

المكرعة : بالفتح : موضع بقباء قرب بئر عذق .

المكسر : اسم مفعول من كسره تكسيراً ، وذو المكسرأين من ودية العقيق .

مكيمن : تصغير مكمن ، ويقال : مكيمن الجماء ، تقدم في جماء تضارع من الفصل الأول ، ورده إلى مكبره سعيد بن عبد الرحمن فقال :

عفا مكمن الجماء من أم عامر   فسلع عفا منها فحرة واقم

ملتذ : بالضم ثم السكون وفتح المثناة فوق وذال معجمة مشددة :موضع بعقيق المدينة تضاف إليه روضة ملتذ .

الملحاء : بالحاء المهملة ممدوداً : من أودية العقيق .

الملحة : أطم لبني قريظة دبر مال ابن أبي جديس ، وفي أسفل بني قريظة مزرعة بجنب ركية وصرى يقال لها : ملحة بكسر الميم ، وبها أطم لعله هو .

ملحتان : تثنية ملحة للقطعة من الملح من أودية القبلية بالأشعر مما يلي أظلم من شقة الشامي ، وهما ملحة الرمث ، وملحة الحريض .

ملل : بلامين محركاً : واد معروف بطريق مكة على أحد وعشرين ميلا من المدينة ، وقيل : ثمانية عشر ، وقيل : ليلتين ، وصلى عثمان الجمعة بالمدينة والعصر بملل : قال : وذلك للتجهيز وسرعة السير ، ويضاف إليه الفرس والفريش وجمعه كُثَيِّرٌ في قوله :

إذ نحن بالهضبات من أملال

نزل به تبع وقد أعيا ومل ، فسماه بذلك .

وقال كثير : لأن ساكنه مل المقام به ، وقيل : لأن الماشي من المدينة لا يبلغه إلا بعد ملل .

وفي « النوادر » لابن جني ، أن رجلًا نزل بملل فقال : قبح الذي يقول :

على ملل يا لهف قلبي على ملل

أي : شيء كان يتشوف من هذه ، وإنما هي حرة سوداء ، فقالت له صبية تلقط النوى : كانِ والله له بها شجن ليس لك .

المناصع : متبرز النساء في المدينة ليلاً قبل اتخاذ الكنف ، وهو ناحية بئر أبي أيوب ، وأظنها المعروفة اليوم ببئر أيوب شرقي سور المدينة شامي بقيع الغرقد .

المناقب : جبل قرب المدينة فيه ثنايا [1] طرف ، قاله المجد ، واستشهد بأبيات فيما ذكره ، وذكر العقيق ، والذي اقتضاه كلام الأصمعي أنه بقرب ذات عرق ، فليس المراد عقيق المدينة كما أوضحناه في الأصل .

المنبجس : بالضم ثم السكون ، ثم موحد ثم جيم مكسورة ثم سين مهملة : وادي العرج .

منتخر : بالضم ثم السكون ثم مثناة فوق وخاء معجمة مكسورة : موضع بفرش ملل بجنب مثغر .

المنحنى : بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون : له ذكر في الغزل بأماكن المدينة ، وهو عند أهلها اليوم بقرب المصلى في القبلة شرقي بطحان ، ولذا قال الشمس الذهبي :

تولى شباب كأن لم يكن　　　وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا [2]　　　فما بعد هذين إلا المصلى

منشد : بالضم ثم السكون وكسر الشين المعجمة ثم دال مهملة : جبل في الشق الأيسر من حمراء الأسد ، ولعله المعروف اليوم هناك بحمراء نملة [3] ، ومنشد أيضاً بين رضوى والساحل وبلد لتميم

منعج : بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وقد تفتح ، وقيل : منجع بتقديم الجيم : واد بين أضاخ وإمرة بناحية ضرية .

---

(١) ثنايا : طرق إلى اليمن و إلى اليمامة كما في « الوفا » (حمد) .

(٢) فيها تورية إلى انحناء الظهر من الكبر ، وإلى الشيب ، فإن النقا هو الشيب ، وورى بالمصلى إلى المصلى عليه إذا مات .

(٣) يقال اليوم ، حمراء نملى .

المنقى : اسم مفعول من نقاه : موضع معروف دون الاعوص شرقي المدينة ، انتهى إليه بعض المنهزمين يوم أحد ، إلا أنه بينها وبين أحد كما قـــال المجد لظنه أن الانهزام إنما وقع إلى المدينة .

منكثة : من نكث ينكث إذا نقض ، من أودية القبلية يسيل من الأجرد وجبل جهينة في الجلس .

منور : كمقعد آخره راء : جبل أو موضع بظهر حرة بني سليم ، فيه أثر عن أبي هريرة ذكرناه في الأصل ، ومنور أيضاً أطم لبني النضير .

منيـع : فعيل من المنع ، أطم لبني سواد يماني مسجد القبلتين على ظهر الحرة .

منيف : اسم فاعل من أناف : أطم لبني دينار بن النجار عند مسجدهم .

مهايع : قرية كبيرة قرب ساية ، وإليها كان من قبل أمير المدينة .

المهراس : بالكسر ثم السكون آخره سين مهملة : ماء بأقصى شعب أحد . يجتمع من المطر في نقر هناك ، وجاء عليّ يوم أحد بماء منـه في درقته ، فوجد له النبي ﷺ ريحاً ، فعاف شربه ، وغسل منه الدم ، وصب على رأسه .

ولأحمد : وجـال المسلمون حوله نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول النـاس : الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ثم ذكر إقبال النبي ﷺ إليهم .

ولابن عقبة : أن النـاس أصعدوا في الشعب ، وثبت الله نبيه وهو يدعوهم في أخراهم إلى قريب من المهراس في الشعب .

مهروز : بضم الراء وآخره زاي : موضع سوق المدينة كما في « الفائق » .

مهزور : بالفتح ثم السكون آخره راء : في أودية المدينة .

مهزول : آخره لام : واد في إقبال النير بحمى ضرية .

مهيعة : كمرحلة بالمثناة تحت ، ويقال : مهيعة كمعيشة : اسم للجحفة .

الموجا : بالفتح والجيم : أطم لبني وائل بن زيد .

ذو الميثب : بالكسر ثم السكون ثم مثلثة : من أودية العقيق .

ميطان[1] بالفتح ، وفي « النهاية » : بالكسر ثم السكون ثم طاء مهملة وألف ونون : جبل حذاء شوران شرقي بني قريظة ، له ذكر في شعرهم في مسلم ، وهو لسليم ومزينة .

الميفعة : بالكسر ثم السكون وفـاء وعين مهملة : موضع وراء بطن نخل إلى النقرة قليلاً ،على ثمانية برد من المدينة .

حرف النون :

نابع : كصاحب من نبع الماء : ظهر : موضع قرب المدينة .

ناجية : بالجيم والمثناة التحتية : موضع أوماء ببلاد بني أسد أسفل من الحبس ، وقال المجد : إنه على طريق البصرة قرب المدينة .

النازية[2] : بالزاي وتخفيف المثناة تحت : موضع واسع بـه عضاه بين مسجد المنصرف بآخر الروحاء وبين المستعجلة ، والنازية أيضاً عين كانت بأرض واسعة بجهة أبلى ، والضبيعة[3] بين بني حقاف[4] من بني سليم ، والأنصار تضاروا فيها ، فسدّوها بعد حروب ، وقتل فيها ناس كثير ، وإذا جاوزت هـذه العين وردت المدبية ، ثم تنتهي إلى السوارقية ، قاله عرام . وتوهم المجد تبعاً لعياض أن هذه

---

(١) يقال له الآن : جبل الأغوات ، لأن أغوات الحرم الشريف عام الفتنة الواقعة بينهم وبين أهل المدينة في حدود الف ومائة وسبعين اشتروه من العربان لأجل أن يتم الحلف الذي عقدوه بينهم ، كان سبب الفتنة شيخ الحرم عبد الرحمن آغا الذي نفي إلى مصر وبقي بها إلى أن مات .

(٢) هي معروفة اليوم ببئر عباس ، بناهـا رجل من الظواهر ، وجددها حتى إن كثيراً من الناس لا يعرفونها إلا بهذا الاسم ، ونسي اسمها القديم إلا عند أهل تلك المنازل .

(٣) صوابه : الصعبية . (حمد) .

(٤) صوابه : خفاف كما في رسالة عرام . (حمد) .

العين كانت بالموضع المعروف بالنازية بين الروحاء والمستعجلة ، وهي أعلى مضيق الصفراء ، وهو وهم .

النازيين : موضع بـه قبر أبي معاوية عبيدة بن الحـارث كما سبق في مسجد الصفراء .

الناصفة : من أودية العقيق . وقال الزمخشري : من أودية القبلية .

ناعم : كصاحب : من حصون خيبر قتل عنده محمود بن مسلمة يوم خيبر ، وألقوا عليه رحى .

النـاعمة : حديقة بالعوالي ، وإلى جنبهـا النويعمة مصغرة ، ويعرف الموضع بالنواعم .

النباع : بالكسر وعين مهملة : أودية بالعقيق .

نبيـع : كزبير : موضع قرب المدينة .

النجير : بالضم وفتح الجيم آخره راء : ماء حذاء صفينة .

نخـال : بالضم : واد يصب في الصفراء .

نخل[١] : بلفظ اسم جنس النخل : موضع بنجـد على يومين من المدينـة بواد يقال له : شدخ ، قال ابن إسحاق وغيره : منزل نزل به النبي ﷺ في « غزوة ذات الرقاع » .

وقال الواقدي : ذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد والشقرة وبئر أرما .

نخلى : كجمزى ونسكى[٢] ، من أوديـة الأشعر الغور تصب في ينبـع ، وبأسفله عيون لحسن بن علي بن حسن .

نخيل : تصغير نخل : عين على خمسة أميال من المدينة على ماقال المجد ، ومنزل

---

(١) هو الذي يقال له اليوم : الحناكية كما تقدم .

(٢) بضم فسكون ، كحبلى . « قاموس » .

في طريق فيه به مياه قرب الكديد ، وبه عيون كانت لحسين بن علي المقتول بفخ على نيف وستين ميلًا من المدينة ، قاله الأسدي ، قال : وبه مسجد نبوي ، والوادي الذي به الطريق ذو أمر ، وإذا تأملته مع ما سبق عن ابن زبالة آخر مساجد تبوك علمت أن المعبر عنه بالنخيل هنا هو نخل ، وسبق عن الواقدي وابن إسحاق ما يقتضيه ، وكذا ما سبق في بئر أرما ، فلا خلاف في المعنى ، والنخيل اليوم معروف قرب الكديد فوق الشقرة ، بخلاف نخل ،نعم غاير[1] الأسدي بين بطن نخل وبين النخيل .

النسار : ككتاب : جبل بحمى ضرية . وقيل : هما نسران ، فجمعا . وقال أبو عبيدة : النسار : أجبل متجاورة .

نسر : بلفظ الطائر المعروف : موضع بعقيق المدينة من بلاد مزينة .

نسع : بالكسر ثم السكون وعين مهملة : صدر وادي العقيق ، وهو الحمى النبوي .

النصع : بالكسر وإهمال الصاد والعين : جبال سود بين الصفراء وينبع ، والنصيع مصغر : جبل قرب العذيبة .

نضاد : كقطام بضاد معجمة ودال مهملة : جبل لغنى بحمى ضرية . قال سراقة السلمي وقد انحاز لغني :

حلت إلى غني في نضاد   بخير محلة وبخير حال

نطاة : كقطاة : حصن من حصون خيبر ، واقتضى كلام الواقدي أنه اسم ناحية منها .

نعمان : بالضم ثم عين مهملة : واد بجانب أحد يصب هو ونقمى في الغابة . وعن ابن إسحاق : أن عيينة بن حصن في غطفان نزلوا إلى جانب أحد بباب نعمان .

---

(١) نعم غاير بينهما لأنهما موضعان ، فالنخيل دون نخل الحناكية ، ولا يزال معروفا ، ويجتمع سيل واد بينهما مع وادي الشقرة ووادي الطرف . (حمد) .

وفي « تهذيب ابن هشام » عنه : نزولهم بنقمى .

نعيم : كزبير : موضع قرب المدينة ، وجمعه بعضهم فسماه نعائم .

النفاع : بالفتح وتشديد الفاء : أطم بمنازل بني خطمة على بئر عمارة .

ذو نفر : بالتحريك وقد تسكن الفاء : موضع خلف الربذة على ثلاثة أميال من السليلة .

النقاب : بلفظ نقاب المرأة : من أعمال المدينة ، تشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه .

النقا : بالفتح والتخفيف مقصور : ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السقيا المعروفة ببئر الاعجام ، والوادي يفصل بينه وبين المصلى ، ولذا قال بعضهم مورياً عن الشيب ومصلى الجنائز :

بلغت نقا المشيب وجزت عنه ... وما بعد النقا إلا المصلى

نقب بني دينار بن النجار : ويقال له : نقب المدينة : هو طريق العقيق بالحرة الغربية وبه السقيا[1] كما قاله الواقدي : وفي المسير لبدر سلك طريق مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، وفي غزو قريش سلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخبار .

نقعاء : كحمراء بعين مهملة : موضع به ماء خلف حمى النقيع من أوديته في ديار مزينة ، له ذكر في « غزوة بني المصطلق » .

نقمى : كجمزى ونسكى ، قاله المجد : اسم واد ، وذنب نقمى بجانب أحد ، ويروى نقم ، وللزبير بن بكار : كان اسمه عري ، فخرج رجلان يرتادان لقومها ، فرجعا ولم يحمدا ، فقيل : نقما ، فسمى بذلك نقمى . انتهى .

---

(١) هو البئر الذي بقرب القبة المعروفة بقبة الرؤوس ، والنقب المذكور لعله المعروف بالرقيقين فإنه ذكر فيما سبق أن نقب بني دينارطريق المدرج بالحرة الغربية ، وبه السقيا ،ويجنبه وشكى كحبلى .

وظاهره : أنه بكسر القاف أيضاً .

النقيع : بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وعين مهملة : في الفصل الثالث .

نقيع الخضمات : بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ، والخضمة : النبات الناعم الأخضر ، والأرض الناعمة النبات ، قال المجد : نقيع الخضمات ، البـاء فيه خطأ صراح : موضع قرب المدينة من أودية الحجاز ، حماه عمر لخيل المسلمين .

وقال البكري : إنه بهزم النبيت : جبل على بريد من المدينة .

قلت : الصواب إنه بهزم النبيت من حرة بني بياضة ، وهي الحرة الغربية التي بهـا قرية بني بياضة قبلي بني سلمة ، ولذا قال النووي : إنه قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بني سلمة ، قاله الإمام أحمد كما نقله الشيخ أبو حامد . انتهى .

نمرة : كعطرة :موضع بقديد من توابع المدينة ومخاليفها .

نملى : كجمزى وقلهى . عن الجرمي : أنه ماء قرب المدينة ، ويقال : نملاء كحمراء ، وعن العامري : نملى ، جبال حواليها جبال متصلة فيهـا سواد ليست بطوال ، ولأهلها ماء بواد يقال له : مهزول ، ومهزول بناحية ضرية .

نهبان بالفتح ثم السكون ، نهب الأسفل ونهب الأعلى : جبلان يقابلان القدسين يمين المصعد ، الطريق بينها وبين القدسين وورقان ، وفي نهب الأعلى ماء في دوار من الأرض وبئر عليها مطابخ وبقول ونخلات يقال لها : ذوخيا .

النواحان : أطمان لبني أنيف بقباء .

النواعم : سبقت في الناعمة .

نوبة : بالضم ثم السكون وباء موحدة : موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، له ذكر في المغازي ، وهضبة حمراء بأرض بني أبي بكر بن كلاب .

نيار : بالكسر آخره راء ، يضاف إليه أطم نيار بمنازل بني حارثة .

النير : بالكسر : جبال في حمى ضرية أو جبل بأعلى نجد .

نُيق العقاب : بالكسر وضم العين : موضع قرب الجحفة .

حرف الهاء :

هجر : بفتح الهاء والجيم ، المذكور في حديث القلتين : قريـة قرب المدينة عملت فيها تلك القلال أولاً ، وليست هجر البحرين ، قاله النووي ، وعن الأزهري ، أنها هجر البحرين .

الهجيم : بالضم وفتح الجيم : أطم بالعصبة .

الهدية : بفتحتين وكسر الموحدة وتشديد المثناة تحت ثم هاء : آبار ثلاثة على ثلاثة أميال من السوارقية .

الهدن : بضمتين وإهمال الدال : ماء وراء وادي القرى .

هرب : من أودية الأجرد التي تصب في الغور .

هرشى : ككسرى [١] والشين معجمة ، هضبة ململمة بأرض مستوية أسفلها ودّان [٢] على ميلين مما يلي مغيب الشمس ، ويتصل بها عن يمينها بينها وبين البحر خبت ، وينسب إليها ثنية هرشى ، ويقال : عقبة هرشى ، ودونهـا بميل على منتصف طريق مكة ، ولها طريقان ، وكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد ، ولذا قيل :

خذ [٣] أنف هرشى أو قفاها فإنما ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

هلوان : من أودية العقيق .

هكر : بالفتح ثم السكون ثم راء : موضع معروف به ماء على أربعين ميلا من المدينة .

---

(١) صوابه : كسكرى كما في « القاموس » .

(٢) هو الذي يقال له اليوم: رابـغ .

(٣) صوابه : خذا أنف بلفظ التثنية .

هكَران : محرك : جبل حذاء قباء الذي بناحية كُشب .

همج : محرك : ماء عيون عليه نخل بناحية وادي القرى .

هيفا : بمثناة تحت وفاء : موضع على ميل من بـــئر المطلب وسبعة أميال من المدينة .

حرف الواو :

وابل : كصاحب للمطر الشديد الواقع [1] : وهو موضع في أعالي المدينة .

الواتدة : ويروى : الوتدة بغير ألف ، قرن منتصب شارع علي أعلى نقيع الحمى بمدفع شجوى .

وادي : معرفة غير مضاف : علم للوادي الذي به فج الروحاء ، وتقدم في مسجد المعرس قول ابن عمر : هبط بطن واد ، فإذا ظهر من بطن واد مـع بيانه [2] ، وحديث: «إن هذا واد به شيطان» في القفول من خيبر، أو من أرض خيبر،أو من الحديبية، أو على ليلة ويوم من تبوك ، روايات .

وادي أبي كبير : فوق المخرم [3] والمعرس صدر الحفيرة .

وادي أحيليين : بالضم وفتح الحاء المهملة ثم متنـــاة تحتيه ثم لام ومثناتين كذلك ثم نون : تقدم في نار الحجاز .

وادي الأزرق : بعد فج بميل [4] .

وادي بطحان : وغيره مما بالمدينة من الأودية في الفصل الثاني .

وادي الجزل : بالجيم والزاي : الوادي الذي به الرحبة ، وسقيا الجزل قرب وادي القرى يلقى إضم في نخيل ذي المروة .

وادي دحيل : في كلام بعضهم ما يقتضي أنه اسم لصدر العقيق .

---

(١) صوابه : شديد الوقع .

(٢) الذي تقدم له : أنه فسره بوادي العقيق .

(٣) لعل صوابه :المحرم بالحاء المهملة، وهو المسجد الكبير بذي الحليفة .

(٤) الذى تقدم في الغائر : فج الروحاء .

وادي الدوم : معترض شمالي خيبر إلى قبلتها أوله من الشمال غمرة ، ومن القبلة القصيبة ، يفصل بين خيبر والعراص .

وادي السمك : بفتح السين المهملة ثم السكون بناحية الصفراء .

وادي القرى : واد كثير القرى ، أو مدينة قديمة بين الشام والمدينة النبوية ، ولا إغراب في عدها من أعمال المدينة كما أوضحناه في الأصل .

ولابن سعد أن أسامة بن زيد لما رجع من غزوة الروم أغذ السير ، فورد وادي القرى في سبع ليال ، ثم قصد يغذو في السير ، فسار إلى المدينة ستاً .

وللبيهقي عن أبي هريرة : خرج النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى وبها يهود وناس من العرب ، فافتتحها ، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود ، فلما بلغ أهل تيماء صالحوه على الجزية ، وأخرج عمر يهود خيبر وفدك دون يهود تيماء ووادي القرى ، لأنها داخلتان في أرض الشام .

ويروى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز . وقال أحمد بن جابر : قيل : إن عمر رضي الله عنه أجلى يهود وادي القرى ، وقيل : لم يجلهم ، وسبق في ذي المروة أن بعضهم عده من وادي القرى وعليه أهل المدينة اليوم ، وهو غير وادي القرى المذكور .

واردات : هضبات صغار بحمى ضرية .

واسط : أطم لبني خدرة ، وأطم لبني خزيمة رهط سعد بن عبادة ، وأطم لبني مازن ، وموضع بين بدر وينبع ، وجبل تنتطح سيول العقيق عنده ، ثم تفضي للجثجاثة .

واقم : كصاحب : أطم بني عبد الأشهل وأطمان بقباء .

الوالج : كان به الشيخان ، أطمان تقدما ، وبطرفه الذي يلي قناة أطم يقال له: الأزرق ، وبجزع الصدقة التي في شامي المدينة بهذه الناحية نخيل تعرف بالوالج .

الوبرة : بسكون الموحدة : قرية على عين من جبال آرة ، ووهم المجد تبعاً

لياقوت في قوله : إنها المذكورة في حديث أهبان ، وكان يسكن يين بلاد أسلم ، لأن يين كما سيأتي على بريد من المدينة ، والصواب : أن الوبرة في حديث أهبان بحرة الوبرة من حرة المدينة كما سبق فيها ، وذكره المجد وياقوت أيضاً .

وبعان : بالفتح ثم السكون وإهمال العين آخره نون ، وتبدل الباء لاماً : قرية على أكناف آرة .

الوحيدة : مؤنث الوحد للمنفرد : موضع بين المدينة ومكة .

ودان : بالفتح ودال مهملة مشددة آخره نون :قرية على مرحلة من الجحفة ،بينها وبين الأبواء ستة أميال أو ثمانية ، أكثر نصيب من ذكرها في شعره ، وسبقت في هرشى .

ودعان : بالفتح ثم السكون وعين مهملة آخره نون : موضع بينبع .

هضب الوراق : جبل بحمى ضرية .

ورقان : بالفتح ثم الكسر وقد يسكن وبالقاف : جبل عظيم على يسار المصعد من المدينة ، وينقاد من سيالة إلى الجيّ بين العرج والرويثة ، ويليه القدسان ، وبسفحه عن يمينه سيالة ، ثم الروحاء ، ثم الرويثة ، ثم الجيّ ، وفي ورقان أنواع الشجر المثمر وغير المثمر ، وبه أوشال وعيون ، سكانه بنو أوس من مزينة ، قوم صدق أهل عمود ، وسبق في فضل أحد أن ورقان من جبال الجنة مع غيره مما جاء في فضله .

الوسباء : بالفتح وسكون السين المهملة ثم باء موحدة وبالمد : مال لبني سليم بلحف أبلى .

وسط : جبل بحمى ضرية ينسب إليه دارة وسط .

وسوس : من الوسواس : من أودية القبلية يصب من الأجرد على الحاضرة والنكباء ، وهما فرعان بها نخل لجهينة وغيرهم ، والحاضرة عين في صدر الحرار .

الوشيخة : بالفتح وكسر الشين المعجمة ثم مثناة تحت وجيم وهاء : من أودية العقيق .

ذو وشيع : بالفتح ثم الكسر آخره عين مهملة : من أموال المدينة .

الوطيح : بالفتح كسر الطاء المهملة ومثناة تحت وحـــاء مهملة : من أعظم حصون خيبر ،سمي برجل من ثمود ، وفي كتاب أبي عبيدة : الوطيحة : بزيادة هاء .

وظيف الحمار : بالطاء المعجمة والمثناة تحت والفاء : مستدق الذراع والساق من الحمار ونحوه ، وهو من العقيق : مابين سقاية سليمان بن عبد الملك إلى زغابة .

وعيرة : بالفتح وكسر العين المهملة وسكون مثناة تحت وفتح الراء ثم هاء : في حدود الحرم [1] .

حرف الياء

يتيب ، بالفتح ثم كسر المثناة فوق ثم مثناة تحت ثم موحدة : له ذكر في حدود الحرم ، كذا قاله المجد ، وفي حدود الحرم مايخالفه .

يثرب : تقدم في الأسماء .

يدا : [2] تقدم في شغبى [3] .

ذويدوم : من أودية العقيق .

يديع [4] بالفتح وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ثم عين مهملة : ناحية بين فدك وخيبر ، بها مياه وعيون لفزارة وغيرهم .

---

(١) قال بعض الفضلاء : هو جبل خلف أحد وبعد العريض .

(٢) صوابه : بدا بالباء ،ولايزال معروفاً بقرب شغب وقد تصحف على المصنف (حمد) .

(٣) بفتح المعجمة الأول وسكون المعجمة الثانية كما تقدم له

(٤) تعرف الان باسم : الحويط تصغير حائط شرق خيبر وجنوب الحائط (فدك قديماً) في الحرة (حمد) .

يراجم : غدير ببطن قاع النقيع في صير الجبل بصيف ، روى الزبير وضوءه ﷺ منه ، وقوله : « إنكم ببقعة مباركة » .

يرعة : محركة والعين مهملة : بديار فزارة بين ثوابة والحواضة .

يلبن : ويقال : ألبن ، بالفتح ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ثم نون : غدير بنقيع الحمى في صير الجبل .

اليسيرة : بئر بني أمية في الآبار .

يليل : بياءين مفتوحتين بينهما لام وآخره لام : واد بناحية ينبع والصفراء يصب في البحر ، وبه عين تخرج من جوف رمل تسمى النجير ، ويتلوها الجار ، وفي « غزوة بدر » نزلت قريش بالعدوة القصوى خلف العقنقل ، ويليل بين بدر وبين العقنقل ، ويليل أيضاً عند الضبوعة .

ينبع [1] بالفتح ثم السكون وضم الموحدة وإهمال العين : مضارع نبع الماء ، ظهر من نواحي المدينة على أربعة أيام منها ، سميت به لكثرة ينابيعها ، عدتها مائة وسبعون عيناً ، ولما نظر علي رضي الله عنه لجبالها قال : لقد وضعت على نقب من الماء عظيم ، وأقطع النبي ﷺ علياً بذي العشيرة من ينبع ، ثم أقطعه عمر قطعية ، ثم اشترى علي قطعية أخرى ، وكان أول شيء عمله فيها البغيبغة ،وكانت بها أموال تصدق بها .

يهيق : موضع قرب المدينة . قال المجد : لم أر من تعرض له . وفي الحديث « يوشك أن يبلغ بنيانهم يهيقا .

يين : بياءين مفتوحة ثم ساكنة ثم نون ، وليس في كلامهم مافاؤه وعينه ياء غيره ، وضبطه الصغاني بفتح الياءين : واد به عين من أعراض المدينة على بريد

---

(١) مراده ينبع النخل ، وأما التي يقال لها : ينبع البحر ، فليس لها ذكر في القديم ، وإنما فرضته المدينة قديماً هو الجار .

منها ، بين ضاحك وضويحك ، جبلان بأسفل الفرش ، وسيلهما يصب في حورتين ، ولذا قال الزمخشري : بين عين بواد يقال له : حورتان لبني زيد الموسوي من بني الحسن ، وآثار العين والقرية اليوم هناك ، وكانت بلد فاكهة المدينـــة ، كما قاله الهجري ، وهي منازل أسلم في زمن النبي ﷺ ، ومنهم أهبان ، كما أوضحناه في الأصل . وقال ابن هرمة :

أدار سليمى بين يين فمثغر   أبيني فمااستخبرت إلا لتخبري

ومحجة بين[1] طريق درب الفقرة التي في شامي الجماوات ، لأن يينا على يمين طريق مكة ، وسبق في عابد أن عبودا : جبل بين مدفع مريين وبين ملل . قال الهجري : ومريين : طريق أي يسلك هناك إلى يين .

والله تعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمـآب ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين .

قال مؤلفه رحمـه الله : فرغت من تأليفه في اليوم المبارك الخامس عشر من من شوال عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

★ ★ ★

هذا وقد انتهت هذه الطبعة الجديدة في دمشق ، في الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٣٩٢ هـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الناشر

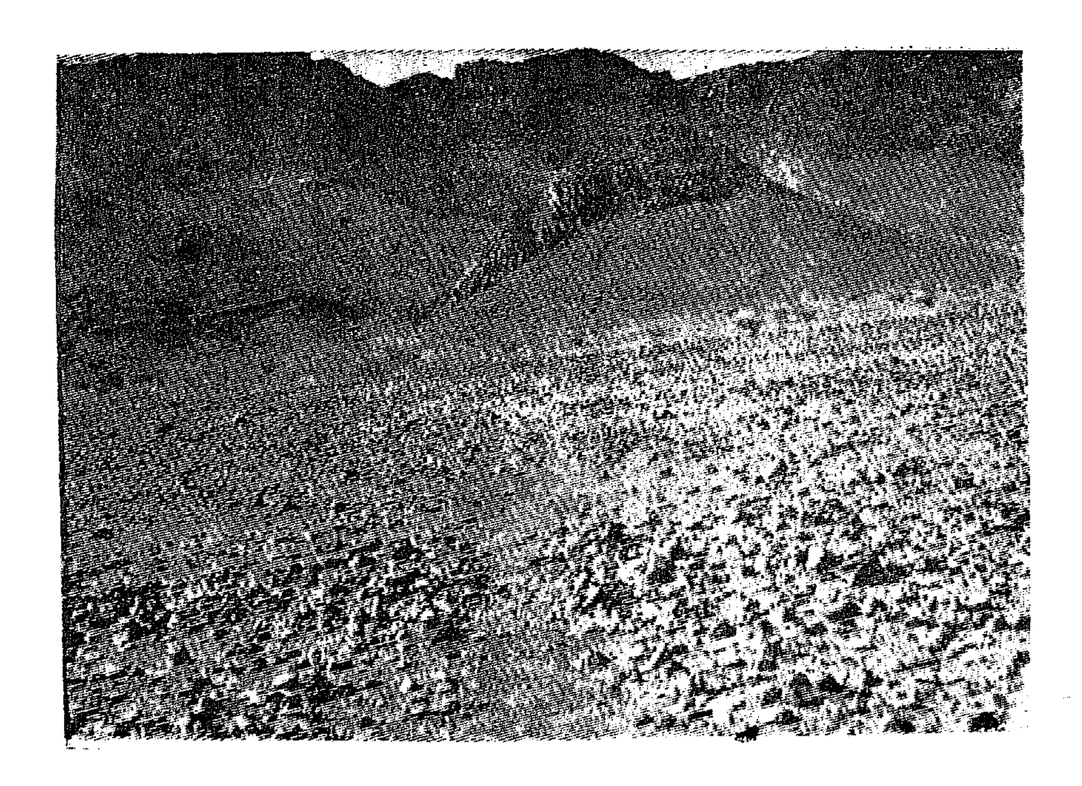
١٥ شوال ١٣٩٢ هـ

الموافق ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٢ م

---

(١) صوابه : يين (حمد) .

استدراك



هذه صورة جبل ثور ، وهو جبل صغير خلف أحد في المدينة المنورة ، وقد سقطت سهواً من الصفحة ٥٢ ، فاستدركناها هنا .

المسجد النبوي الشريف

أسس هذا المسجد لأول مرة على يد النبي ﷺ في قلب المدينة من ناحيتها الشرقية في السنة الأولى من الهجرة ، فبنى النبي ﷺ — سبعين ذراعاً في ستين من الجنوب إلى الشمال — ٣٥ متر ، المراد بالذراع فيما تقدم وما يأتي ذراع الآدمي ، يعني اليد ، وهو شبران .

ثم زاد النبي ﷺ فيه أربعين ذراعاً في العرض وثلاثين ذراعاً في الطول بعد غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة حتى صار المسجد مربعاً ، فكانت مساحته من الجنوب إلى الشمال مائة ذراع ، ومن الشرق إلى الغرب مائة ذراع .

ثم زاد في المسجد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبع عشرة من الهجرة خمسة أمتار في الجنوب ، وخمسة عشر متراً في الشمال ، وعشرة أمتار في الغرب ، فصارت مساحة المسجد طولاً من الجنوب إلى الشمال مائة وأربعين ذراعاً ، وعرضاً من الشرق إلى الغرب مائة وعشرين ذراعاً .

ثم زاد فيه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه رواقاً في القبلة حتى بلغ جداره اليوم ، الغرب والشمال ، بدأ به سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه سنة ثلاثين ، وجعل طوله مائة وستين ذراعاً ، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً .

ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك أربعة عشرة أسطوانة في الجانب الشمالي ، وجدد المسجد ، وأدخل في المسجد حجرات أمهات المؤمنين بعد أن هدمها ، وكانت زيادته في الشرق والغرب والشمال ، فبلغت مساحة المسجد بعد زيادة الوليد ٢٠٠ ذراع طولاً ،وعرضه في المقدمة ٢٠٠ ذراع ، وفي المؤخرة (١٨٠) ذراعاً .

وفي سنة ١٦١ - ١٦٥ هـ زاد في المسجد النبوي محمد المهدي العباسي في الجهة الشمالية فقط فصار طوله (٣٠٠) ذراع ، وعرضه (١٨٠) ذراعاً .

(زيادة الأشرف قايتباى وعمارته)

احترق المسجد النبوي سنة ٦٥٤ هـ ، ثم احترق مرة أخرى سنة ٨٨٦ هـ فبعد الحريق الأول ساهم في عمارة المسجد الشريف عدد من الملوك والرؤساء المسلمين ، وأول من ساهم في ذلك المستعصم بالله ، فأرسل من بغداد المؤن والصناع ، وبدىء بالعمل سنة ٦٥٥ هـ ثم استولى التتار على بغداد ، فتبارى ملوك ورؤساء المسلمين في عمارة المسجد ، وهم : صاحب مصر المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك الصالحي ، وصاحب اليمن المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول ،وصاحب مصر الظاهر برسباي - والظاهر جقمق ، والسلطان قايتباي ، وكان حوالي سنة ٨٧٩ هـ وقد كملت عمارة المسجد في أواخر القرن التاسع ، وكانت هذه العمارة بعد الحريق الأول ، وبعد الحريق الثاني كتب أهل المدينة للأشرف قايتباي صاحب مصر ، فأرسل المؤن والعمال وكل المواد والنقود ، وعمره وتم تسقيف المسجد سنة ٨٨٨ هـ وتمت العمارة حوالي سنة ٨٩٠ هـ وبنى للمصلى النبوي محراباً ، كما بني المحراب العثماني في الزيادة القبلية .

وعند بناء القبة على الحجرة المطهرة ظهر ضيق جهة الشرق ، فخرجوا بالجدار الشرقي نحو ذراعين وربع ذراع فيما حاذى ذلك ، وهذه التوسعة هي آخر توسعة جرت إلى العهد العثماني المجيدي ، والعهد السعودي .

(زيادة السلطان عبد المجيد وعمارته)

مرت على عمارة السلطان قايتباي للمسجد النبوي بعد الحريق الثاني نحو (٣٨٧) سنة ، وقد آلت بعض سقوفه للسقوط ، فرفع شيخ الحرم داود باشا الأمر إلى

السلطان عبد المجيد العثماني في استنبول سنة ١٢٦٣ هـ ، فاهتم بالأمر كثيراً ، وبعد أن أمر بالكشف ، وتحقق من الخراب ، أصدر أمره بإرسال المهندسين والخبراء والنجارين والصناع والمؤن ، وبعد إعداد ما يلزم ، بدأت العمارة بكامل المسجد سنة ١٢٦٥ هـ وانتهت في سنة ١٢٧٧ هـ وزاد في المسجد الكتاتيب لتعليم القرآن ، والمستودعات في الجهة الشمالية ، كما زاد في الشرق نحو خمسة أذرع وربع من المنارة الرئيسية إلى ما يلي باب جبريل لضيق المسجد في ذلك المحل ، وبلغت توسعة السلطان عبد المجيد بالأمتار ١٢٩٣ متراً مربعاً .

(التوسعة السعودية)

للمسجد النبوي الشريف

إتماماً للفائدة المرجوة من إعادة طبع هـــذا الكتاب القيم « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ » .

نرى أن نلحق به ملخصاً عن العمل القائم في مسجد رسول الله ﷺ في توسعته الحالية وعمارته الضخمة على نفقة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وقد استقيت هذه المعلومات من مكتب توسعة المسجد النبوي الشريف السعودية .

الناشر

محمد سلطان النمنكاني

صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

(زيادة وتوسعة الملك عبد العزيز بن عبـد الرحمن آل سعود)

في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ بدىء في تنفيذ مشروع توسعة الحرم النبوي الشريف ، وكان أول ما بدىء به هو هدم الدور المحيطة بالمسجد ، والتي انتزعت ملكيتها ، وفي اليوم الرابع من رمضان سنـة ١٣٧٢ هـ بدىء في حفر الأساسات للمسجد الشريف بالجناح الغربي الذي يلي باب الرحمة .

عمارة التوسعة السعودية	٦٠٢٤ متر مربـع
عمارة الأجزاء القديمة التي هدمت وأعيد تعميرها ،	٦٢٤٧ « «
وهي الجهات الثلاث .	
مجموع العمارة السعودية	١٢٢٧١ « «
مساحة الجهة القبلية	٤٠٥٦ « «
	١٦٣٢٧ « «

احصاء عن العمارة الجديدة

عدد الأعمدة المربعة المحيطة بالجدار	٧٤ عامودًا مربـع
« « المستديرة في العمارة الجديدة	٢٢٢ « مستدير
الجدار الغربي	١٢٨ متر طولي
« الشرقي	١٢٨ « «
« الشمالي	٠٩١ « «
البواكي الشمالية	٠٠٥ بواكي
« الشرقية	٠٠٣ «
« الغربية	٠٠٣ «

البواكي الوسطى	٣٠٠ بواكي
الأبواب الجديدة	٩ أبواب
الحصاوى	٢ حصوتان
العقود	٦٨٩ عقد
النوافذ	٠٤٤ نافذة
عمق الأساسات للجدران والأعمدة	(٥ر٤ مترا)
عمق أساسات المآذن	١٧ مترا
عدد المآذن	٢ »
ارتفاع المئذنة	٧٠ »

المنائر - مآذن المسجد النبوي

لم يكن للمسجد النبوي في عهد رسول الله ﷺ ولا عهد خلفائه الراشدين منائر يرقى المؤذن عليها فيؤذن منها .

أول من أحدث المنائر في المسجد النبوي :

أول من أحدث المنائر في المسجد النبوي عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك الأموي أثناء عمارته وتوسعته للمسجد النبوي سنة ٨٨ هـ - ٩١ هـ فقد بنى للمسجد أربع منائر ، في كل ركن من أركانه منارة ، ثم فشى بناء المنائر في المساجد .

المنائر في العمارة المجيدية :

وقد كان في عمارة المسجد النبوي في عمارة السلطان عبد المجيد العثماني قبل العمارة والتوسعة السعودية خمس مآذن ، وهي :

١ - المنارة الشامية الغربية ، وتسمى الشكيلية والخشبية والمجيدية ، وموقعها

في الركن الشمالي الغربي للمسجد ، وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد العثماني ثم أزيلت في العمارة السعودية مع ما أزيل ، وبني بدلها على أجمل وأحدث طراز .

٢ ـ المنارة الشامية الشرقية ـ وتسمى السنجارية ، والعزيزية لعمارة السلطان عبد العزيز العثماني لها زمن سلطنته ، وموقعها في الركن الشمالي الشرقي ، وقد أزيلت في العمارة السعودية مع ما أزيل ، وبني بدلها على طراز حديث وشكل رائع مع القوة والمتانة .

٣ ـ المنارة الجنوبية الشرقية ـ وتسمى بالمنارة الرئيسية ، وتحمل هذا الاسم حتى الآن ، وهي المنارة المجاورة للقبة الخضراء ، والتي تظهر دائماً في الصورة معها وموقعها في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد ، عمرها الأشرف قايتباي ثلاث مرات سنة ٨٨٦ هـ وسنة ٨٨٨ وسنة ٨٩٢ هـ ، ونزل في أساسها الى الماء ، واتخذ لها أحجاراً سوداء متقنة ، وزاد في طولها الى ١٢٠ ذراع نحو ٩٦ متراً ، وهي الآن على عمارة قايتباي ، وصورة القبة الخضراء والمنارة الرئيسية يتخذها أهل المدينة هذه الأيام كشعار للمدينة ، وأول من اتخذها هو جريدة المدينة المنورة عند صدورها سنة ١٣٥٦ هـ .

٤ ـ منارة باب السلام الغربية الجنوبية ـ وتسمى بمنارة باب السلام ، وهي الموجودة الآن ، وهي من عمارة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٦ هـ كما رواه المطري ، أما ابن فرحون ، فقد قال : إن الذي أنشأها هو شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفري ، المعروف بالحريري من قناديل الذهب والفضة ، وأرسل الصناع الأمير ابن سلال ، وبكير بن اسكندر ، وحفر أساسها الى الماء ، ووجدوا بعد الحفر قامة برنية [1] فخار مزججة ملآنة بدراهم مظفرية ، ثم وجدوا تحصيب المسجد النبوي أيام مروان بالرمل الأسود ، يشبه أن يكون من جبل سلع ، كما رواه السيد

---

(١) البرنية : تطلق على وعاء فخار يشبه الجرة .

البرزنجي ، ولا تزال المنارة على بنائها الذي بناه شيخ الخدام رحمه الله .

٥ ــ المنارة الغربية ــ وتسمى منارة باب الرحمة ، عمرها الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨ هـ وبنيت خارج جدران المسجد النبوي ضمن الدار الملاصقة للمسجد قرب باب الرحمة ، وهي الدار التي كانت مخصصة لسكنى مدرسي المدرسة المحمودية ، وقد أزيلت في العمارة والتوسعة السعودية مع الدار والمدرسة لتوسعة ما حول المسجد النبوي ، وعمل الميدان الموجود الآن ، وشكل المنارة الرئيسية ومنارة باب السلام تظهر في صورة الواجهة الشمالية للمسجد النبوي ، وفي صور أخرى ، وشكل المنائر الشكيلية والعزيزية وباقي منائر المسجد التي كانت في عمارة السلطان عبد المجيد ظهرت في صورة سور المدينة .



المنائر السعودية

وفي العمارة والتوسعة السعودية أزيلت المنارتان الشرقية الشمالية ، والغربية الشمالية ، ومنارة باب الرحمة كما تقدم ، وبني بدلهم منارتان أعمق ، أساس كل منارة (١٧) متراً ، وارتفاع كل منارة (٧٠) متراً ، وأضيئتا بالأنوار الكهربائية المزئبقة ، وطوقت الأضواء مطاف المنارتين ، الموضع الذي يطوف فيه المؤذن عند الأذان ، فبدت جميلة جذابة ، ومنظرها ليلاً كأنها أعمدة من نور توغل في السماء ، وكان البناء على أحدث طراز وأحسن شكل .

المدارس الابتدائية

بمنطقة المدينة المنورة الى عام ٩١/٩٢ هـ

الرقم	اسم المدرسة	عدد الفصول	عدد الطلاب	الموقع
١	الناصرية	١٩	٦٩٤	باب الكومة
٢	المنصورية	١٦	٧٤٤	العنبرية
٣	النجاح	٢٢	٦٣١	باب الشامي
٤	المحمدية	١٧	٥٣٣	طريق قباء
٥	الفهدية	١٨	٤٩٤	صيادة
٦	الفيصلية	١٦	٥٦٥	طريق قربان
٧	السعوديه	١٧	٦٠٩	طريق المطار
٨	عبد الله بن رواحة	١٢	٤٠٤	« «
٩	سعد بن معاذ	١٤	٥٢٢	باب قباء
١٠	مالك بن أنس	١٦	٦٤٨	المنشية
١١	أسامه بن زيد	١٢	٢٣٠	نزلة الجبور
١٢	حسان بن ثابت	١٤	٤٧٧	الجويزيات
١٣	الخضر	١٠	٢٨١	الخضر
١٤	سلمان الفارسي	١٢	٤٦٧	باب العوالي

الرقم	اسم المدرسة	عدد الفصول	عدد الطلاب	الموقع
١٥	السقاف	٧	٢١٧	خلف بستان السقاف
١٦	قباء	١١	٤١٣	قباء
١٧	أسيد بن حضير	٧	٢٣٤	الحرة الشرقية
١٨	الحسين بن علي	٦	١٧٤	العوالي
١٩	المجاهدين	٨	٢١٤	المطار
٢٠	حمزة بن عبد المطلب	١٠	٢٩١	سيدنا حمزة
٢١	الزبير بن العوام	٨	٢٩٢	الزبير
٢٢	القبلتين	١٢	٣٢٠	القبلتين
٢٣	ذي الحليفة	١١	٣٠٩	آبار علي
٢٤	أنس بن النضر	١٠	٣١٥	قباء
٢٥	محمد بن مسلمة	١٠	٤١٧	حوش منصور

المدارس ما فوق الابتدائية

اسم المدرسة	عدد الفصول	عدد الطلاب	الموقع
طيبة الثانوية	١٦	٤٩٠	باب العنبرية
أحد الثانوية	١١	٣٣٦	طريق سيدنا حمزة
معهد المعلمين	١٨	٤٧٩	آبار علي
المهنية الثانوية	١١	١٤١	حارة النصر
المتوسطة الحديثة	٩	١٥٩	« «
متوسطة الصديق	١٢	٣٨٨	الحرة الشرقية
متوسطة الخطاب	١٢	٤٠٦	باب العوالي
متوسطة عثمان بن عفان	١٢	٤٣٠	على طريق قربان

متوسطة الامام علي	١٠	٣٢٦	طريق سلطانة
متوسطة عمر بن عبد العزيز	٩	٢٢٣	الجثان
متوسطة عبادة بن الصامت	١١	٣٢٢	خلف المجمع
متوسطة القعقاع بن عمر	٩	٢٨٧	الزاهدية
متوسطة كعب بن مالك	٣	٦٩	آبار علي
متوسطة العيص	٢	٣٧	العيص
متوسطة سعيد بن المسيب	٦	١٧٤	السيح

العين الزرقاء في المدينة المنورة

العين الزرقاء مصدر الماء العذب الذي ما زالت المدينة تستقي منه عبر قرون طويلة ، يعود تاريخها إلى أيام الخليفة الأموي الأول (معاوية) ويقال : إنها اكتسبت الاسم من زرقة عيون مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة أيام أنشئت العين ، وكانت العين في أول أمرها مجموعة آبار سطحية أو عيون يجري ماؤها خلال مجموعة أقنية تتشكل في قناة واحدة (دبل) تسير بالماء إلى المسيل حيث يصير الدبل دبلان ، أحدهما للماء العذب ، والآخر للماء الفائض والمستهلك ، وكانت جميع هذه الأقنية مسقوفة مع فتحات خاصة للصيانة .

ومع مرور الزمن أخذت نسبة الماء في العيون تنخفض إلى أن أصبح من الضروري استعمال الوسائل الحديثة ، وكانت أول مضخة ركبت على بئر العين وهي البئر البدع حوالي سنة ١٣٦٤ هـ وكانت هذه المضخة الأولى ترفع الماء إلى مستوى القناة ، ومن هناك يسير الماء في القناة بفعل الجاذبية ، واستمر مستوى الماء في الهبوط ، واستمر المسؤولون عن العين الزرقاء في ملاحقته وفي عام ١٣٧٤ هـ قامت الحكومة بانشاء خزانين ، سعة كل منهما ٧٥٠ متر مكعب ، وتم تمديد خط أنابيب قطر ١٢ بوصة ، وبذلك تم الاستغناء عن الدبل ، وقامت ادارة العين الزرقاء بحفر الآبار الارتوازية لتكفل للمواطنين الكميات اللازمة لهم من الماء ، وفي عام ١٣٨٥ هـ تم إنشاء المرحلة الاولى من مشروع مياه المدينة ، وشملت هذه المرحلة إنشاء خزان تجميع سعة ٤٠٠٠ متر مكعب ، وتمديد خط رئيسي قطر ٢٠ بوصة بطول أربعة كيلو متر ، وخط فرعي قطر ٨ بوصة لتغذية منطقة

العوالي ، ومنذ إنشاء الخط الرئيسي الأول ، وإدارة العين تقوم بتمديد الخطوط الفرعية لتغطية جميع مناطق المدينة وتوفير الماء الصحي للمواطنين ، ولقد كان عدد الآبار التي تغذي المدينة بالماء سنة ١٣٧٩ هـ ثلاثة آبار فقط ، وأصبح لدينا الآن سبعة عشر بئراً ارتوازياً تنتج حوالي ٢٠/٠٠٠ متر مكعب يومياً ، ويبلغ متوسط عمق البئر ٧٢ متراً ، وقد كان عدد المشتركين عام ١٣٨٥ هـ/ ٢٦٠٠ مشترك وأصبح الآن يزيد على ٦٨٠٠ مشترك ، وهناك ٥٥٠ كباس عام ، وهذه يستقي منها المواطنون والحجاج بدون مقابل ، ونظراً لكون المدينة قبلة دينية يؤمها في مواسم الحج والعمرة والأعياد الكثير من ضيوف الرحمن ، فان إدارة هذا المرفق الحيوي تلاقي ضغطاً كبيراً خلال هذه الفترات ، وقد تم مع مطلع عام ١٣٩١ هـ الانتهاء من إنشاء المرحلة الثانية لمشروع مياه المدينة الذي يشمل مد العديد من الخطوط الرئيسية التي تترواح أقطارها من ٨ إلى ٢٠ بوصة ، وقد مددت هذه الخطوط في جميع الشوارع الرئيسية في المدينة ، كما تم عمل محطة ضخ في قباء لرفع ضغط الماء ، وأنشىء خزان صغير لهذا الغرض يرتفع ٣٢ متراً عن سطح الارض ، كما تم إنشاء خزان كبير فوق جبل سلع سعة ٦٠٠٠ متر مكعب ، وأنشىء خزان آخر في طريق جدة يتسع ٥٠٠ متر مكعب ، وهناك في الطريق ركبت محطة ضخ صغيرة لملء الخزان المذكور ، وفي الوقت الذي تركب مولدات الكهرباء في قباء لتشغيل محطة الضخ الكبيرة ، فانه سيكون بالامكان وصول الماء إلى ارتفاع عمارة مكونة من ثمانية أدوار داخل المدينة ، ولقد بنيت غرف حديثة لجميع الآبار في منطقة قباء ، كما جرى تسوير منطقة الآبار بالسلك الشائك بطول ٦ كم تقريباً ، ويجري الحفر الآن في ثلاثة آبار جديدة في منطقة قباء ، وهناك خمسة آبار أخرى قامت الدولة باعتماد المبالغ اللازمة لحفرها هذا العام ، وقد أعلن عن مناقصة الحفر في الصحف المحلية مؤخراً .

ويجري الآن دراسة وتعميم المرحلة الثالثة لمشروع مياه المدينة من قبل شركة

كانسلت الاستشارية ، وكما علمنا بشكل مبدئي ، فان هــذه المرحلة تتضمن مد خطوط فرعية ، وعمل توصيلات جديدة لجميع المشتركين ، وكذلك التوسع في الشبكة التي أنجزت في المرحلة الثانية بحيث تشمل الشبكة الجديدة وصول الماء كافة ضواحي المدينة ، إلى المدارس والجامعة الاسلامية ، وسيد الشهداء ، ويتوقع أن ينتهي العمل من هــذه المرحلة في غضون السنوات الثلاث القادمة إنشاء الله . كما سيطرح في المناقصة خلال الأيام القليلة القادمة مشروع إنشاء خزان تجميع في قباء سعة ٤٠٠٠ متر مكعب ، وعمل شبكة مواسير تصل الآبار بالخزان .

هذه نبذة موجزة عن المشاريع التي تم تنفيذها خلال السنوات القليلة الماضية ، والتي هي تحت التنفيذ ، وهنـاك العديد من المشاريع التي نتطلع لتنفيذها ، والتي تزيد من كفاءة الخدمات التي تقدمها هذه الادارة للمواطنين وتجدر الاشاره إلى أن التغيير الكبير والتطور السريع الذي حدث في مستوى الخدمات التي تقدمها هـذه الادارة للمواطنين ، لم يكن ليتحقق لولا الدعم المـالي والاداري والمعنوي الذي أولته الحكومة ، وعلى رأسهـا صاحب الجلاله الملك فيصل ، وسمو وزير الداخلية للجهاز القائم على إدارة دفة العمل في هـذه الادارة ، وللحقيقة أيضـاً فاننا لا ننسى الدور الذي قام به سمو أمير منطقة المدينة في دفع المسؤولين ، وحثهم على تنفيذ المشاريع ذات الاهمية لتحسين نوع الخدمات وجعلها شامـلة لجميع المواطنين ، بحيث إن وضع المدينة من حيث مستوى خدمات المياه التي تقدمها إدارة العين الزرقاء يعتبر من أفضل المدن في المملكة .

لقد جعلت الحكومة السنية إدارة العين الزرقاء مستقلة بصندوقها وميزانيتها ، ويجري تدعيمها بالمبالغ اللازمة ، بينما كانت في الأزمنة السابقة مؤسسة خيرية ، ويتم تدعيم جهازها الإداري والفني ، والحكومة تصرف عليها بسخاء ، وهذا ماساعد على تطويرها والاتجاه بها إلى مصاف الادارات المماثلة في الدول المتقدمة .

شركة كهرباء المدينة

١ ــ شركة مساهمة معظم مساهميها من أبناء المدينة المنورة .

٢ــ رأس مال الشركة حالياً ١٨ مليون ريال .

٣ ــ يديرها مجلس إدارة برئاسة الشيخ عبد الله العبد الكريم الخريجي .

٤ ــ عضو مجلس الإدارة المنتدب الشيخ أحمد عبد الله الجفالي .

٥ ــ تأسست بمرسوم ملكي كريم في عام ١٣٧٧ هـ .

٦ ــ مقر محطة توليد القوى الكهربائية في آبار علي خارج حرم المدينة (بسبب وجود مهندسين غير مسلمين) .

٧ ــ عدد المكنات المركبة بالمحطة (٩) مكنات ، وتبلغ طاقتها الحالية اثني عشر الف كيلووات ساعة تقريباً .

٨ ــ ينقل التيار إلى المدينة على بعد تسعة كيلو مترات بواسطة أعمدة هوائية ضغط عالي عشرة آلاف فولت ، ولدى الشركة (٣) خطوط رئيسية لنقل التيار .

٩ ــ شبكة التوصيل بالمدينة المنوره أرضية بواسطة كابلات ضغط عالي ومنخفض ووفق أحدث النظم الفنية .

١٠ ــ لدى الشركة حوالي عشرين محطة تحويل بالمدينة لايصال التيار إلى الأماكن المختلفة ، وقد تم تعميم التيار إلى جميع الأماكن ، بما في ذلك الضواحي ، كمنطقة قباء ، والجويزيات ، والحرة الغربية والشرقية ، ونزلة الجبور ، والعوالي .

١١ ــ عدد العاملين بالشركة (٢٥٠) شخصا ، جلّهم من السعوديين .

١٢ - أوصلت الشركة التيار الكهربائي إلى ثمانية عشر ألف مشتركا حتى تأريخه ،

بطريقة فنية حديثة ، وجميع أجهزة الشركة حديثة وأوتوماتيكية تفصل الكهرباء أوتوماتيكياً عند حدوث أي إشارة خطر .

١٣ - قامت الشركة بتنفيذ مشروع إنارة الشوارع بالمدينة المنورة ، ومشروع إشارات المرور الضوئية ، وبناء محطات خاصة بالقصور الملكية ، والجامعة الاسلامية ، والتلفزيون ، والهاتف الآلي .

« تاريخ بلدية المدينة المنورة »

بلدية المدينة المنورة : ـ كانت المدينة المنورة الى ما قبل حوالي ١٣٢٨ هـ لم تعرف بما يسمى « بالبلدية » بل كانت في ذلك الوقت تعرف البلدية بـ « الحسبة » وجرى تبديل اسم الحسبة بالبلدية ، واسم المحتسب برئيس البلديـة في زمن محافظ المدينة (علي رضا باشا الركابي) وأول رئيس بلدية أطلق عليه هـذا الاسم هو الشيخ محمد حسن سمان رحمه الله ، وكان تشكيل البلدية آنذاك من رئيس وأربعة أعضاء ، وكلهم بالانتخاب ، والمحتسب كان يقوم بالأعمال التي يقوم بهـا رؤساء البلديات اليوم ، يضاف الى ذلك قيامه بأعمال تمـاثل أعمال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقيامه بالمحافظة على الأخلاق والآداب العامة .

وأول بلديـــة أسست في عهدنا السعودي بالمدينة المنورة كانت في ٢٦ رجب عام ١٣٤٤ هـ وكانت مكونة من :

١ ـ رئيس البلدية
١ ـ مفتش
١ ـ مهندس
١ ـ رئيس كتاب
١ ـ أمين صندوق
١ ـ كاتب ثالث ومقيد الأساس
١ ـ كاتب إنشاءات ومخزنجي
١ ـ عقيل دار واحد (جابي)
١ ـ مفتش تنظيفات
٦ ـ شاووشية (عرفاء)
١ ـ فراش
١ ـ بواب

ومتفرقة قرطاسية ومحروقات .

وصدرت التعليمات الأساسية للمملكة سنة ١٣٤٥ هـ وأعقبها صدور نظام وزارة

المالية سنة ١٣٤٦ هـ ثم صدر نظام عام البلديات في عام ١٣٥٧ هـ . وتدرجت ميزانية البلدية من (٧٤٠٠) قرش عام ١٣٤٤ هـ إلى (٩٠٠٠و٣٤٦و٩) ريال عدا المشاريع عام ١٣٩٢/٩/١ .

تطور العمران بالمدينة المنورة : كانت المدينة المنورة عبارة عن مدينة صغيرة محاطة بأسوار ضخمة ، وعاشت زمناً طويلاً داخل هذه الأسوار ، وقد أزيلت هذه الأسوار في عهدنا السعودي الزاهر ، ووسعت بها الطرق ، ونفذت مشاريع كبيرة وفيها ، وخاصة من سنة ١٣٧٠ هـ حيث بداية عمارة المسجد النبوي ، المشروع العملاق الذي أصبح حقيقة واقعة ، يشهدها كل من زار المدينة المنورة ، وشقت الطرق المؤدية إلى المآثر التاريخية ، وسفلتت وأحدثت الميادين ، وفتحت الشوارع ، وأنشئت الأرصفة ، وتم إنشاء الجامعة الإسلامية ، والدور الحكومية ، وميناء المطار ، وإنشاء السدود ، وبناء معطة الكهرباء ، وإنارة المدينة ، وإنشاء الجسور (الكبارى) وتشجير الشوارع ، وتعميم إشارات المرور الضوئية ، وإنشاء مراقب لها ، وإنشاء دورات مياه حديثة ، وحدائق ، ونافورات مياه لتجميل المدينة ، وخزانات لمياه الشرب ، وتمت المرحلة الأولى والثانية لمياه الشرب ، كما تمت المرحلة الأولى من المجاري العامة ، والمرحلة الثانية هي وشبكة التنفيذ ، وشيدت المستشفيات ، وافتتحت محطة الهاتف اللاسلكي الذي يربط المدينة بجميع أنحاء العالم هاتفياً ، وتم تجديد الكابل المحور الذي يربط المدينة بينبع ، والمدينة بجدة هاتفياً عن طريقه ، والعمل جارٍ على قدم وساق لانجاز مشروع الهاتف الآلي داخل المدينة المنورة ، وأسست البنوك والفنادق والمحلات التجارية .

المشروعات المنفذة

في عامي ٨٠/٧٩ و ٨١/٨٠ تم ما يلي :

١ ـ نزع ملكيات الدور وإزالتها لفتح شارع الخازندار والاشراف وتعبيد الشارع وسفلتته .

٢ ـ نزع ملكيات الدور المعترضة لمدخل حوش النورة وإزالتها .

٣ ـ نزع ملكيات الدور المعترضة لمداخل عشرة أحوشة .

٤ ـ إنارة شوارع المدينـــة بالمرحلة الأولى من أعمدة الكهرباء ذات الذراعين والذراع الواحد ، وأعمدة الميدان .

٥ ـ نزع ملكيات وفتح شارع الساحة في المرحلة الأولى .

٦ ـ انشاء رصف على جوانب الشوارع المعبدة .

٧ ـ تكبير وتحسين خان الخضار واللحوم .

٨ ـ تأمين معدات ثقيلة لتعبيد الطرق .

٩ ـ **نزع ملكيات** وفتح شارع العوالي .

١٠ ـ نزع ملكيات وفتح شارع قربان .

١١ ـ ترصيف المناختين ، وتشجيرهما ، وعمل نفق لتصريف المياه تحتهما .

وفي عام ٨٢/٨١ تم ما يلي :

١ ـ سفلتة بعض الشوارع وإعادة إصلاح بعض الخطوط المعبدة في السابق .

٢ ـ رصف بعض الشوارع والمناختين بعد تخطيطها التخطيط الأخير .

٣ ـ تم تجميل وتشجير بعض الشوارع .

٤ ـ إضاءة بعض الشوارع بأعمدة الكهرباء .

٥ ـ إنشاء مسلخ فني حديث .

٦ ـ نزع بعض ملكيات تتعارض وخطوط التنظيم .

٧ ـ تكملة توسعة وتحسين سوق الخضار واللحوم .

٨ ـ المرحلة الثانية من نزع ملكيات وفتح شارع الساحة وشارع العوالي وشارع قربان.

٩ ـ انشاء دورات مياه عامة .

١٠ ـ إنشاء كوبري المدرج ونزع الملكيات التي حوله .

وفي العام المالي ٣٨٣/٨٢ هـ تم ما يلي :

١ ـ نزع ملكيات وفتح شارع قباء الطالع .

٢ ـ نزع ملكيات وفتح شارع الدرويشة .

وفي العام المالي ٨٤/٨٣ هـ تم ما يلي :

١ ـ أنشئت الحدائق العامة بالمناخة ، وشرق مستشفى الملك ، وباب قباء .

٢ ـ نزع ملكية مثلث السلطانية لتوسعة الشوارع التي بطرف الشمال الغربي من سقيفة بني ساعدة .

٣ ـ إنشاء كوبري حوش منصور وإزالة الأملاك لذلك .

٤ ـ إنشاء نافورات مياه وإضاءتها .

٥ ـ إنشاء ميدان العنبرية وتشجيره وتجميله وإضاءته .

وفي العام المالي ٨٥/٨٤ هـ تم ما يلي :

١ ـ إنشاء ثمانيه أبراج للمرور .

٢ ـ إنشاء كوبري عروة (إضاءة وعمل درابزين وإنشاء محطة تحويل كهرباء) .

٣ ـ توسعة وسفلتة وتعبيد شارع عروة من ميدان العنبرية حتى عروة ، وجعله خطين ، ونزع الملكيات التي تتعارض معه .

٤ ـ تعويض بعض الأشخاص عن أملاكهم بالباب الشامي لجعلها ميادين .

٥ ـ تعويض أصحاب المباني بسفح جبل سلع .

٦ ـ إنارة ثمانية شوارع .

٧ ـ إنشاء دورة مياه بميدان باب الشامي شمال مدرسة النجاح .

وفي العام المالي ٨٦/٨٥ هـ تم ما يلي :

١ ـ توسعة شارع المطار ، ونزع الملكيات المعترضة لمدخله من ناحية المدينة وجعله خطين وسفلتته وإنارته .

٢ ـ نزع ملكية الأملاك المعترضة لميدان باب السلام .

٣ ـ نزع الملكيات لفتح المداخل الضيقة لبعض الأحوشة .

٤ ـ تعويض البلدية عن قيمة مجلس البلدية الحالي .

وفي العام المالي ٨٧/٨٦ هـ تم ما يلي :

١ ـ سورت بعض المقابر .

٢ ـ فتح شارع البقيع ليصل شارع أبي ذر بشارع درب الجنائز وشارع النخاولة ، ونزع الأملاك المعترضة لذلك .

وفي العام المالي ٨٨/٨٧ هـ تم ما يلي :

١ ـ توسعة شارع المناخة من الناحية الجنوبية ونزع الملكيات المعترضة له .

٢ ـ توسعة مدخل شارع المناخة من ناحية مسجد المصلى .

٣ ـ توسعة مدخل شارع العنبرية ، ونزع ملكية الأملاك المعترضه له .

وفي العام المالي ٨٩/٨٨ و ٩٠/٨٩ هـ تم ما يلي :

تم سفلتة وترصيف بعض الضوارع ، مثل شارع سيد الشهداء ، وشارع سلطانة ، وتفرعاتها ، وبعض الشوارع الأخرى .

وفي العام المالي ٩٠/٣٩١ هـ تم ما يلي :

١ ـ توسعة مدخل شارع قباء وتكملة تعويضات الأملاك لشارع درب الجنائز .

٢ ـ تعويض ناظر وقف الأغوات عن رحبات الأحوشة لجعلها ميادين .

٣ ـ سفلتة وترصيف بعض الشوارع .

٤ ـ رست عملية إنارة الشوارع في المرحلة الجديدة على شركة رجب وسلسلة ، وسيباشر في العمل قريباً .

وفي عامنا المالي الحالي ٩٢/٩١ هـ تم ما يلي :

١ ـ أعتمدت تعويضات توسعة شارع المناخة عند باب الشامي ، وتعويضات

نزع ملكيات حوش الهندي ، وحوش محمود ، لتمهيد إنشاء سوق خضار ولحوم على ذلك ، وستتم المباشرة في المشروع عند غرة العام الهجري ١٣٩٢ هـ .

٢ ـ اعتمدت تعويضات لأصحاب الأملاك المعترضة لخطوط التنظيم .

٢ ـ اعتمدت مبالغ للسفلتة والترصيف والانارة ، ورفعت مخططات السفلتة تمهيداً لعرضها في مناقصة علنية ، كما رفع مشروع لإنارة الشوارع ، وعند الموافقة سيعرض في مناقصة علنية ، وصدرت الموافقة على سفلتة ورصف وإنارة ذلك في حدود مبلغ ٤٠٨٠٠٠٠٠ ريال .

٤ ـ إضاءة شوارع مدخل المدينة طريق المطار ، وطريق المدرسة الصناعية شارع الحكيمية وشارع التحسينية . وإضاءة محلة الأحامدة وإعادة اضاءة شارع المناخة .

« بيان بأسماء الرؤساء الذين شغلوا وظيفة رئيس البلدية من تاريخ انشائها حتى الآن ومدة كل منهم

اسماء الرؤساء	تاريخ التعيين	تاريخ الانفصال	مدة الرئاسة			ايضاحات
			يوم	شهر	سنة	
دياب ناصر	٢٢/ ٥/ ٣٤٤	١٤/ ٥/ ٣٤٦	٢٢	١٠	١	
محمد حسن السمان	١٤/ ٤/ ٣٤٦	٢٢/ ٤/ ٣٥٨	٨	٠	١٢	
عبد القادر غوث	٢٢/ ٤/ ٣٥٨	٢٧/ ٩/ ٣٦١	٥	٥	٣	
مصطفى عطار	٢٧/ ٩/ ٣٦١	٢٩/١٠/ ٣٦٨	٢	١	٧	
محمد عبد الجواد	٢٩/١٠/ ٣٦٨	٣٠/ ٤/ ٣٦٩	٢١	٥	٠	بالوكاله
أمين مدني	٢٠/ ٤/ ٣٦٩	١٠/ ٩/ ٣٧٥	٢٠	٤	٦	
محمد عبد الجواد	١٠/ ٩/ ٣٧٥	١/ ٥/ ٣٧٩	٢١	٧	٣	
صالح الميان	١/ ٥/ ٣٧٩	٢٣/ ٨/ ٣٨٠	٢٢	٣	١	
سامي حفظي	٢٣/ ٨/ ٣٨٠	٢٣/١٢/ ٣٨٠	٠٠	٤	٠	بالوكالة
علي حافظ	٢٣/١٢/ ٣٨٠	١٣/ ٨/ ١٣٨٥	٢٠	٧	٤	
صالح عبد الله فضائلي	١٣/ ٨/ ٣٨٥	مستمر لتاريخه				بالنيابة

ميزانية بلدية المدينة خلال العشر السنوات الاخيرة موزعة تبعاً للرواتب والمصروفات الادارية والمشاريع [1]

السنوات المالية	الباب الاول الرواتب والعلاوات	الباب الثاني مصروفات ادارية	الباب الرابع المشاريع		المجموع		ملاحظات
	ريال	ريال	ريال	هـ	ريال	هـ	
٨٠/٧٩	١٣٠٥٦٠	٨٤٩٢٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠		٣٨٧٩٧٦٠		
٨١/٨٠	٥٣٠٥٦٠	٨٤٩٢٠٠	٦٢٢٠،٩٢٠		٧٧٠٠٦٨٠		
٨٢/٨١	٨٩٨٧٢٨	٢٥٧٨٠٠٠	٨١٦٨،٨٣١		١١٦٤٥٥٥٩		
٨٣/٨٢	٩٩٠٦٢٨	٢٢٠٣٠٠٠	٦٣٨٣١١٤	٢٠	٩٥٧٦٧٤٢	٢٠	
٨٤/٨٣	١١٩٨٠٠٠	٢١٨٧٠٠٠	٣٧٢١٦٦٦	٦٥	٧١٠٦٦٦٦	٦٥	
٨٥/٨٤	١٣٣٢٠٠٠	٢٦٤٩٠٠٠	٣٥٧٩٢٥٥		٧٥٦٠٣٥٥		
٨٦/٨٥	٢٥٥٠٠٩٩	١٩٢٨٩٠١	٦٨٥٣٥٩٠		١١٣٣٢٥٩٠		
٨٧/٨٦	٢٧٨٠٠٠٠	٢٥٣٣١٩١	٣٧٩١١٤٢		٩١٠٤٣٣٣		
٨٨/٨٧	٢٨٥٢٠٠٠	٢٤٦١١٩١	٦٨٢٦،٥٠٥		١٢١٣٩٦٩٦		
٨٨٨	٣٥٤٠٠٠٠	٣١٠٨١٥٠	٢٢٠٩٤٨٢		٨٨٥٧٦٣٢		
٩٠/٨٩	٣٦٤٠٠٠٠	٣٢٦١٨٠٠	٠٠٠٠		٦٩٠١٨٠٠		
٩١/٩٠	٣٨٣٧٠٠٠	٣١٩٦٠٠٠	٢١٢٨٨٣٨	٨٠	٩١٦١٨٣٨	٨٠	
٩٢/٩١	٥٣٥١٠٠٠	٣٩٩٥٠٠٠	٧٩٠٥٤٥٣		١٧٢٥١٤٥٣		

ملاحظة : أضيفت الثلاثة السنوات الأخيرة مؤخراً .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١٠٧	الفصل الثاني : في توسل الزائر به ﷺ واستقباله له في سلامه ودعائه وآداب الزيارة والمجاورة
١٣٤	الفصل الثالث : في فضل المسجد النبوي وروضته ومنبره
١٥٤	الباب الثالث : في أخبار سكانها إلى أن حل النبي ﷺ وبها وسكنها وفيه أربعة فصول
١٥٤	الفصل الأول : في سكناها بعد الطوفان وسكنى اليهود بها ثم الانصار وبيان نسبهم وظهورهم على يهود ، وما اتفق لهم مع تبع .
١٦٩	الفصل الثاني : في منازل الأوس والخزرج وما دخل بينهم من الحروب
١٧٩	الفصل الثالث : في إكرام الله تعالى لهم بالنبي ﷺ ومبايعتهم له بالعقبة
١٩١	الفصل الرابع : في قدومه ﷺ باطن المدينة وسكناه بدار أبي أيوب وشيء من خبره في سني الهجرة
٢٠٨	الباب الرابع : في عمارة مسجدها الأعظم النبوي ومتعلقاته ،والحجرات المنيفات وفيه ستة عشر فصلاً
٢٠٨	الفصل الأول : في عمارته له وذرعه في زمنه وما يتميز به
٢٢٠	الفصل الثاني : في مقامه ﷺ للصلاة قبل تحويل القبلة وبعدها وما يتعلق به
٢٣١	الفصل الثالث : في خبر الجذع والمنبر ، وما يتعلق بها وبالاساطين المنيفة
٢٤٦	الفصل الرابع : في حجره ﷺ وحجرة ابنته فاطمة رضي الله عنها
٢٥٠	الفصل الخامس : في الأمر بسد الأبواب وما استثني منها
٢٥٥	الفصل السادس : في زيادة عمر رضي الله عنه في المسجد واتخاذه البطيحاء بناحيته

الصفحة	الموضوع
٢٦٠	الفصل السابع : في زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه واتخاذه المقصورة
٢٦٥	الفصل الثامن : في زيادة الوليد واتخاذ المحراب والشرفات والمنارات والمنع من الصلاة على الجنائز به زمنه
٢٧٥	الفصل التاسع : في زيادة المهدي
٢٧٨	الفصل العاشر : فيما يتعلق بالحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة والحائز الذي أدير عليها وصفة القبور الشريفة بها
٢٩٤	الفصل الحادي عشر : فيما جعل علامة لتمييز جهتي الرأس والوجه الشريفين .. الخ
٣٠٦	الفصل الثاني عشر : في العمارة المتجددة بالحجرة الشريفة ، وابدال سقفها بقبة لطيفة تحت سقف المسجد .. الخ
٣١٧	الفصل الثالث عشر : في الحريق الأول المستولي على ما سبق وعلى سقف المسجد وما أعيد من ذلك ، ثم الحريق الثاني وما ترتب عليه
٣٢٩	الفصل الرابع عشر : فيما احتوى عليه المسجد من الأروقة والأساطين والذرع والحواصل ونحوها .. الخ
٣٣٧	الفصل الخامس عشر : في أبواب المسجد وخوخاته وما يميزها من الدور المحاذية لها .. الخ
٣٥٣	الفصل السادس عشر : في البلاط المجعول حول المسجد ، وما أطاف به من الدور غير ما سبق الخ
٣٦٢	الباب الخامس : في مصلى الأعياد بها ، ومساجدها النبوية ومقابرها ، وفضل أحد والشهداء فيه ، وفيه ستة فصول
٢٦٢	الفصل الأول : في مصلى الاعياد

الصفحة	الموضوع
٣٦٨	الفصل الثاني : في مسجد قباء وخبر مسجد الضرار
٣٧٨	الفصل الثالث : في بقية المساجد المعلومة العين في زماننا
٤٠٠	الفصل الرابع : فيما علمت جهته ولم تعلم عينه من مساجدها
٤١٣	الفصل الخامس : في فضل مقابرها وتعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت والمشاهد المعروفة بها
٤٣٥	الفصل السادس : في فضل أحد والشهداء به
٤٤٤	الباب السادس : في آبارها المباركات والعين والغراس والصدقات التي هي للنبي ﷺ منسوبات وفيه فصلان
٤٤٤	الفصل الأول : في الآبار المباركات على ترتيب الحروف
٤٦٨	الفصل الثاني : في صدقاته ﷺ وما غرسه بيده الشريفة
٤٧٤	الباب السابع فيما يعزى إليه ﷺ من المساجد التي صلى فيها في الأسفار والغزوات وفيه ثلاثة فصول
٤٧٤	الفصل الأول : في مساجد الطريق التي كان يسلكها ﷺ إلى مكة في الحج وغيره
٤٨٣	الفصل الثاني : فيما كان من ذلك بالطريق التي يسلكها الحاج في زماننا إلى مكة ، وطريق المشيان وما قرب منها
٤٨٦	الفصل الثالث : في بقية المساجد المتعلقة بغزواته ﷺ وعمره
٤٩٠	الباب الثامن : في أوديتها وأحمائها وبقاعها وآطامها ، وبعض أعمالها وجبالها ، وفيه أربعة فصول
٤٩٠	الفصل الأول : في وادي العقيق وعرصته وحدوده وشيء من قصوره ، وبعض ما قيل في ذلك من الشعر وما يتعلق به

الصفحة	الموضوع
٤٩٨	الفصل الثاني : في بقية أودية المدينة ، وهي وادي بطحان
٥٠٣	الفصل الثالث : في الأحماء ومن حماها ، وشرح حال حمى النبي ﷺ بالنقيع
٥٠٩	الفصل الرابع : في بقاعها وآطامها وبعض أعمالها وأعراصها ، وجبالها ، وضبط الأسماء المتعلقة بذلك وبغيره مما تمس الحاجة إليه على ترتيب حرف الهجاء
٥٠٩	حرف الألف
٥١٧	حرف الباء
٥٢٧	حرف التاء
٥٢٩	حرف الثاء
٥٣١	حرف الجيم
٥٣٥	حرف الحاء
٥٤٤	حرف الخاء
٥٥٠	حرف الدال
٥٥٢	حرف الذال
٥٥٣	حرف الراء
٥٦٠	حرف الزاي
٥٦٢	حرف السين
٥٦٧	حرف الشين
٥٧٣	حرف الصاد
٥٧٦	حرف الضاد
٥٧٨	حرف الطاء

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

مطالب وضعها للكتاب الشيخ حسب الله المكي

الصفحة	الموضوع

طبع في مطبعة زيد بن ثابت

دمشق